تصورات
في الدعوة والثقافة الإسلامية

تأليف
دكتور رءوف شلبي
عميد كلية أصول الدين
جامعة الأزهر



تصورات
في الدعوة والثقافة الإسلامية

تأليف
دكتور رءوف شلبي
عميد كلية أصول الدين
جامعة الأزهر

الطبعة الثانية
١٤٠٥هـ ١٩٨٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

« فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » .

[صدق الله العظيم]

المقـــدمة

الثقافة الإسلامية

بين المؤتمرات والجامعات

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــــدمة

الثقافة الاسلامية بين المؤتمرات والجامعات

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد

فللثقافة الإسلامية اليوم وظيفة وشهرة واسعة فى الحياة الفكرية سواء فى الشرق الإسلامي، أو الغرب المسيحى، أو المحور الشيوعى الاشتراكى، ذلك أن الثقافة الإسلامية إستطاعت أن تثبت فاعليتها فى مواجهة عديد من التيارات السياسية، والعسكرية، والاجتماعية التى توجهت للهجوم على الإسلام حضاريا وإداريا وكانت هذه الفعالية للثقافة الإسلامية فى لحظة غيبة القوة الحقيقية للدولة الإسلامية مما لفت الأنظار إليها.

ولهذه الفعالية التي أحس بها الخصوم للاسلام وإدراك قيمتها من بعض المخلصين من أهل المعرفة والفكر فى الوطن العربى والوطن الإسلامى فقد أعطيت الثقافة الإسلامية حظاً من العناية ولكنه حظ تختلف فيه البواعث والغايات.

وهـذا الحظ اتخذ صورتين : صورة فى المؤتمرات، وصورة فى الجامعات.

(أ) فى المؤتمرات

* أما صورة المؤتمرات : فقد عقد أول مؤتمر من نوعه للثقافة الإسلامية في صيف عام ١٩٥٣ بالولايات المتحدة الأمريكية بدعوة من :

- جامعة برانستون .

- ومكتبة الكونجرس الأمريكي .

وحضر هذا المؤتمر عدد من علماء البلدان الإسلامية ، وعدد مساو لهم تماما من العلماء الأمريكيين الذين لهم عناية واهتمام بالدراسات الشرق الإسلامي .

وكان نظام العمل في هذا المؤتمر ذا شقين :

الشق الأول : يقدم الأعضاء أوراق عمل في شكل بحوث صغيرة تكون أساساً لمناقشات أوسع .

الشق الثاني : تقدم بحوث طويلة في موضوعات تختار وتختص بتصوير الحياة الإسلامية المعاصرة وإرتباطها بالثقافة الاسلامية . وكان الهدف من هذا المؤتمر الأول من نوعه هو :

معرفة حركات الفكر الإسلامي المعاصر ومدى تأثره بالروح الكلاسيكي ثم مدى نجاح الأمم الإسلامية في التوفيق بين تعاليم دينها ومقتضيات المدنية العلمية الحاضرة ، وبالتبع محاولة معرفة تأثر كل هذا بنظريات الغرب السياسية والاجتماعية . ولذلك : نجد أن نصف الأبحاث المطولة كانت من علماء أمريكا وكانت تدور حول ، فلسفة الحريات في الإسلام ونظرية : العلم والتقدم الفكري وقيمة الإنسان .

بينما نجد البحوث التي تقدم بها علماء البلدان الإسلامية كشفت عن أختلاف كبير بينهم في التصور الإسلامي ، وفي إرتباط حياة البلدان بهذا التصور ، بل كشف ما هو أسوأ من ذلك وهو تأثير سياسة بعض البلدان في التصور الإسلامي ،

على الحركة الإسلامية وظهر للعالم الأمريكي في هذا المؤتمر أن العقلية الإسلامية للعالم الإسلامي ليست واحدة في التصور لحقائق الاسلام ، وليست واحدة في قبولها لتأثير الاسلام في سياستها الاجتماعية والعمرانية[1] وهذا المؤتمر له تفسير في نظري ولدي شواهد على مثله تقف معي برهاناً على صدق حدس بالاضافة إلى ما تشير إليه سياسة إدارة المؤتمر ونوعية الأبحاث التي قدمت فيه وأنها كانت تركز على نقطتين أساسيتين :

الأولى . ارتباط حياة المسلمين المعاصرة بتعاليم الدين .

الثانية : تأثير الفكر الغربي في تعاليم الاسلام وفي الحياة المعاصرة للمسلمين.

ونظرت إلى هذا المؤتمر : أنه مؤتمر تبشيري في غايته لأنه عقد بعد ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ م وبعض رجال هذه الثورة كان لهم انتماء قديم للشيخ حسن البنا ذلك الرجل الذي أيقظ في المسلمين بأسلوب عملي حماساً لإعادة دولة الاسلام الأولى وإعادة الأوطان السليبة ، فظن المبشرون من أعلام السياسة والفكر في أمريكا أن هذه الثورة سوف يكون لها فعالية وكان الهدف من هذا المؤتمر الأول من نوعه هو :

(أ) تهيئة مصر للقيـــام بدورها الاسلامي التاريخي المعروف أيام صلاح الدين ، والملك قطز .

(ب) أنها سوف تكون رائدة لحركات مماثلة في بعض بلدان العالم الاسلامي .

وحتى يستعجل المبشرون الأمريكان تحديد موقفهم هم وقبل أن يستفحل الداء أرادوا أن يتعرفوا على أشياء منها :

---

(1) راجع كتاب الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة جمع وترتيب الأستاذ خلف الله .

(أ) مستوى إدراك المفكرين الاسلاميين فى شتى البلدان الاسلامية لتعاليم الاسلام ، وذلك حتى يضعوا تنبؤاتهم حول إمكان تأثير بعض العلماء فى ضباط القوات المسلحة فى بلاده ليقوموا بمثل هذا الدور .

فاطمأنوا إلى أن : العقلية الاسلامية ليست واحدة فى العصور الاسلامى ، وأن الحياة فى البلدان الاسلامية ليست مرتبطة بتعاليم الاسلام بل إن بلاداً فى العالم الاسلامى تعكس سياستها القومية على تعاليم الدين فتؤولها حسبما يتفق مع بيئتها وسياستها .

وإذن فيصير التنبأ بالمد الاسلامى لثورة ٢٣ يوليو معروف مداه عند المبشرين الأمريكان ، وأنه متعذر جداً، وعليه يجب أن توضع سياسة أمريكية لتعميق مثل هذا الوضع فى العالم الاسلامى ، ولذلك عملت أمريكا على انعقاد مؤتمر باندونج . لأن الدراسة التى قدمها ممثل أندونيسيا فى هذا المؤتمر كانت أفضل دراسة تساعد التبشير الأمريكى فى أن يجعل الإسلام فى العالم مثل الإسلام فى أندونيسيا تسيره سياسة الدولة وتؤوله وتجعله خاضعاً لمفاهيم خاصة سوف تحيله إلى جسد مشلول غير قادر على استقبال حركة إسلامية مثل حركة ٢٣ يوليه ١٩٥٢ ، ولهذا السبب نفسه كانت الجابهة المضادة من القوميين الأندونيسين ومعهم الشيوعيون تجهز على الأحزاب الإسلامية فى أندونيسيا عام ١٩٥٨م وتساندها الحركات المماثلة فى العالم العربى والإسلامى لأن الهدف كان : إضعاف وإخماد الحركة الإسلامية .

(ب) ويتعرفوا على جوانب الفعالية فى الثقافة الإسلامية تلك التى تفعل أفاعيل السحر فى إلهاب الحماس وتحيل الشخص إلى طاقة هائلة من العمل والإنتاج ، وصحة التفكير ، واستقامة السلوك ، وذلك حتى تشرع له من الفعل المضاد إعلامياً ، وثقافياً ما يضعف هـذه الفعالية ، وكان من جراء ذلك ،

ما رسمته أمريكا من سياسة تجعل ثورة ٢٣ يوليو والعالم الإسلامي ليرتمي في أحضان روسيا لما لها من إيديولوجية مضادة للعقيدة الاسلامية .

كما أنها وضعت كل ما حرمه الله من الطعام والشراب في معلبات وحلويات ليتناولها المسلمون حتى تضعف فيهم شكيمة الجهاد الإسلامي .

والبراهين التي تساق في هذا الحدث هي ما يلي :

أولا : نقطة النظام التي وضعت لإدارة المؤتمر وهي : جعل زمن النقاش أوسع من أوراق العمل في الفترة الأولى للمؤتمر لأنه من خلال طول النقاش يتعرف علماء أمريكا على قوة وفن وأسلوب العقلية في البلدان الإسلامية ، وأهمية هذه النقطة أن السياسة التبشيرية التي ستوضع سوف تلاحظ عقلية علماء كل قطر على حدة ، ولذا نجد أن المرحوم الأستاذ الدكتور محمود حب الله لم يكن له في الأزهر وحين رشح مديراً لجامعة الأزهر في أول نشأتها وأعلن هذا في الأهرام يومها عام ١٩٦٤م نجد هذا الترشيح قد اختفى تماما يوم نشره في جريدة الأهرام .

وجمد الدكتور حب الله رحمه الله طوال ست سنوات في وظيفة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بينما صعد إلى الجامعة غيره الأصغر سناً على الأقل والسر في هذا أن المرحوم الأستاذ الدكتور حب الله كان عضوا في هذا المؤتمر وانكشفت عقليته الإسلامية الواعية التي تستطيع أن تكون عاملا فعالا في تربية جيل يكون جنداً لمستقبل مجيد للأمة الإسلامية ولهذا جمدوه . . .

ثانياً : أنه كلما ظهر في العالم العربي أو العالم الاسلامي نشاط يتبين منه لعلماء التبشير وساسته بوادر يقظة إسلامية يعقب ذلك مؤتمر علمي لدراسة هذه الظاهرة ، لكن بأسلوب متستر على عادة التفكير الأوربي ،

وأيضاً يكون لأمريكا النصيب الأول في التفكير والاعداد ثم الاستفادة منه ودليل هذا .

(أ) أنه بعد حرب رمضان المعظم المجيدة عام ١٣٩٣-أكتوبر سنة ١٩٧٣ وانتصار المسلمين السريع في أخطر عملية عسكرية وهي عبور أكبر مانع مائى ثم تحطيم أحصن الخطوط العسكرية في العصر الحديث ، ونجاح الجيش المصرى المسلم في القضاء على خرافة اليد الطولى للجيش اليهودى رغم :

(أ) قلة العتاد العسكرى فى الجانب المصرى .

(ب) عدم الطمأنينة الى الاستعاضة عن الأسلحة واحتياج الحرب إلى مدد مستمر من السلاح والذخيرة .

(ج) والتأكد من أن الجيش اليهودى لديه أسلحة متطورة وأن المدد الأمريكى سريع وقريب .

فسرعة العمل العسكرى مع الجرأة كانت ظاهرة إسلامية فى نظر المبشرين قبل أن تكون ظاهرة عسكرية ، وأكدها فى نظرهم : أن قيادة المقاومة الشعبية فى السويس كانت من مسجد الشهداء بريادة الحاج حافظ سلامة رئيس جمعية الهداية الإسلامية ، وأن هذه المقاومة استطاعت :

(أ) أن تتعامل مع الدبابات اليهودية وأن تصدها وأن تحرقها .

(ب) أن تظل صامدة فلم تقدر قوات الصهاينة على اقتحام المدينة .

ولهذا عقدوا « سمنار» لدراسة هذه الظاهرة نظمته هيئة « ايبالمو » وهى هيئة ثقافية مهمتها دراسة أحوال دور البحر الأبيض وأفريقيا وكان ذلك فى ديسمبر سنة ١٩٧٣ إثر حرب السويس مباشرة ، وكانت الدراسات التى قدمت من الصهاينة المشتركين فى السيمنار أن النزاع بين بلدان الشرق الأوسط دينى

وليس سياسياً ولا عسكرياً[1] . . .

(ب) وبعد قيام الثورة الإسلامية فى إيران بزعامة آية الله الخمينى وإسقاط عرش الشاه ــ مع التحفظ فى الحكم على الممارسة التى عالجت بها الثورة شئون البلاد ــ فان أمريكا أعدت فرقة عمل جالت فى البلدان الإسلامية الكبرى التى يظن أن بها حركة إسلامية يمكن أن تكون مثل إيران ... وطاف هذا الوفد بلاداً كثيرة كانت منها أندونيسيا ولقد حدثنى وجيه من وجهاء الدعوة الإسلامية أن هذا الوفد زاره فى منزله وسأله مباشرة عن إمكان ظهور خمينى آخر فى أندونيسيا مثل إيران .

وقد ظهرت إثر ثورة الخمينى حركات اضطهاد ضد نشاط الطلاب المسلمين والطالبات المسلمات كأسلوب إجرائى يعرقل نمو اليقظة الإسلامية المترقبة التى يجابس لها علماء التبشير وساسته بالمرصاد .

ولقد عمت حركة اضطهاد الطلاب المسلمين جميع بلاد العالم الإسلامى بصورة توحى بأنها مخطط موحى به أو مخطط اتفقت الصدفة على إظهاره . . .

ذلك هو تصورى وبراهينه لانعقاد أول مؤتمر من نوعه للثقافة الإسلامية فى أمريكا عام ١٩٥٣ م . وهو مؤتمر لم يتكرر بهذا الوصف بل أعيدت وظيفته فى سمينار باسم بلاد حوض البحر الأبيض بعد إنتصار المسلمين فى فى رمضان ١٣٩٣هـ أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، مما يبرهن على أن الثقافة الإسلامية لها فعالية فى ازكاء الحماس الإسلامى وإيقاظ العالم الإسلامى من رقاده ، وسباته وخموله ليعمل من جديد لإعادة دوره الرائد والأستاذ فى الحياة الانسانية .

---

(١) راجع : كتابنا المسلمون فى جزر الفليبين ص ٨٠ ، ٨١ .

وهذا يبرهن على أن التبشير قد عرف خصائص هذه الثقافة فوضع لها الأدواء والأمراض التى تفسد مفعولها ، ولذا فان الدراسة التى أقدمها عن المؤتمرات وموقف المسلمين فى القرن الخامس عشر لها خلفية وجدانية من هذا المنطلق الذى عرضته فى هذه الفقرة حول دور المؤتمرات فى وظيفة الثقافة الإسلامية .

(أ) فى الجامعات :

• أما عن دور الجامعات فى الثقافة الإسلامية ، فقد حضرت الدورة التى انعقدت بالخرطوم فى فبراير سنة١٩٧٨ بدعوة من جامعة أم درمان الاسلامية لمنظمة اتحاد الجامعات العربية وكانت هذه الدورة خاصة بدراسة كيفية تطوير تدريس المواد الاسلامية فى الجامعات العربية ، ولقد استمعت بانصات كامل ووعى مشحوذ لكل ما دار فى هذه الدورة وبخاصة ما كان يمس الثقافة الاسلامية .

ولقد حزنت يومها حزناً كثيراً لأن اللب الذى كان يجب أن يدور حوله حوار الندوة لم يكن موجوداً ، إنما كان المتحدثون عن الثقافة الاسلامية لا يعدو أن يكونوا واحداً من ثلاثة .

(ا) المصارعون بالعبقريات للتفاخر والتظاهر والترأس .

(ب) المشاكسون بانانيات الواهمون بأنهم أوصياء على الفكر الاسلامى وأنهم أصحاب حق آلهى ...

(حـ) الموضوعيون العلماء المحترمون للعمل والفكر الاسلامى وكان من ضمن العلماء الموضوعيين الأستاذ الفاضل المهذب الدكتور محمد المبارك ، وهو عالم سورى معروف بدماثة خلقه ولين طبعه ، وهدوء سمته ، قدم بحثاً

رائعاً فى موضوعيته عن : الدراسات الاسلامية : أهدافها وخططها وأساليب تطويرها ، ومن خلال هذا البحث وضع خطة علمية لتدريس الثقافه الاسلامية مانحصها . أن تتنوع موضوعات الثقافة الاسلامية حسب التخصصات بحيث تتناسب الموضوعات مع تخصص كل قسم على أن يكون هناك قدر عام من الثقافة لجميع الأقسام .

وهذا هو التصور الذى أفهمه والذى طالبت به فى جامعة الأزهر الشريف .

* فالتجاريون : تعد لهم موضوعات فى الثقافة الاسلامية .

* والمهندسون : تخدم تخصصهم موضوعات أخرى توضح لهم رأى الإسلام .

* والصيدليون . . . إلخ يكون لهم منهاج فى القضايا التى يعملون فيها ، وذلك إلى جوار القدر العام من الثقافة الذى يربى ذاتية إسلامية يقدر بها المتخرج من معرفة مكانه بين زملائه فى الأديان الأخرى .

ولنضرب لذلك مثلا :

إذا وجد فى طائرة مسافرة إلى أوربا مثقف مسلم ومثقف هندوسى ومثقف مسيحى ومثقف يهودى .

ما هو المطلوب من المثقف المسلم عندما يحدث حوار بين هؤلاء جميعاً .. ؟ فى تصورى أن المطلوب منه :

(ا) أن يكون لديه إلمام بأمور دينه هو .

(ب) وأن يكون لديه قدر كاف من المعرفة الاسلامية فيما يتعلق بتخصصه بمعنى أنه إذا طلب إليه أن يقدم فكرة عن عقيدته وشعائر دينه يكون

لديه فهم وحفظ كاف وإذا طلب إليه أن يربط تخصصه بمعارف دينه استطاع أن يفعل ذلك .

لهذا فان الأحاديث النبوية الشريفة التى تقدم لطلاب كلية التجارة لا تتناسب فى ظل هذه السياسة مع طلاب كلية الزراعة ، أو الصيدلة فهناك أحاديث تتناسب مع هذه الكليات ، وقد وضع الأخ الجليل الدكتور محمد نبيل صبحى السورى الجنسية — وهو صديق مسلم عزيز كتابا عن الأحاديث النبوية المتعلقة ببعض أنواع الطب لأنه دكتور طبيب وكان وزيراً للصحة فى بعض وزاراتها التى يصح أن يشترك فيها المسلمون .

والمخلصون هم الذين يجدون فى أن يكون المنهج واضحاً ومستقيما فى توصيل المدرس والطالب معا إلى تحقيق الهدف المطلوب من التربية والتخرج لميدان العمل فى الحياة .

ولذا فانى : أهيب بعمداء الكليات ورؤساء الأقسام فى جامعاتنا العربية إلى أن ينظروا إلى تدريس مادة الثقافة الإسلامية بهذا المنظور ، ومن الأفضل فى نظرى أن تستقل كل كلية بتدريس هذه المادة ليتلاءم منهجها مع منهج الكلية بأقسامها فذلك أجدى ، وأقرب إلى الصواب من أن توضع خطة عامة لجميع الكليات فى الجامعة الواحدة .

هـــذا .

وهذه الدراسات التى أقدمها اليوم إنما هى تصورات لموضوعات شتى فى: الدعوة الإسلامية ، والثقافة الاسلامية لها سمة التخصص الأكاديمى وفى نفس الوقت لا يستغنى عنها مثقف مسلم يحب أن يطالع فى قضايا الدعوة والثقافة .

وآخر هذه الدراسة عبارة عن تجارب عملية شاهدتها بنفسى وأنا فى شرخ الصبا وسجلتها فى مقالات أصحح بها أفكار المتعصبين للذوات ، والهاوين

أن يتم الاصلاح على يد واحد بعينه ، والمتشدقون بأساليب إدارة الغرب أو الشرق ، فهى ثمار تجربة فى وقت كان عصيبا .

ثم كانت الخاتمة بحديث عن منزلة يوم الجمعة فى الإســـلام وما يجب علينا فيه .

وإنى لأحمد الله تبارك وتعالى أن يسر لى أن أقدم هذه التصورات فهو جل جلاله صاحب الفضل والمنة والخير العميم . اسأله جميع عفوه ومغفرته ورضوانه ، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين .

مدينة نصر ـ القاهرة ظهر يوم الخميس ٢٣ شعبان سنة ١٤٠١ هـ
٢٥ يونيو سنة ١٩٨١ م

دكتور رءوف شلبي

القسم الأول

تصورات في الدعوة والداعية والمجتمع

* المسلمون والقرن الخامس عشر .
* نحو مؤتمر فعال للدعوة الإسلامية .
* الداعية والمجتمع .
* مستقبل العمل للدعوة الإسلامية .
* أبو الأعلى المودودى ومكانته فى الدعوة الاسلامية .
* هل ستكون أندونيسيا دولة إسلامية ؟
* الحكم الذاتى لمسلمى الفيلبين حق يقرره التاريخ .
* الطريق إلى طابة وخاصية الدعوة .
* الإسراء والمعراج فى تصور الدعوة الإسلامية .
* محاولة التخطيط لسير الدعوة .

المسلمون والقرن الخامس عشر الهجرى

يستعد المسلمون من الآن للاحتفال ببدء القرن الخامس عشر الهجرى بعد أن مضى عليهم قرن اختلت فية الموازين والمعايير ، ولعل حياة الامة الإسلامية في القرن الماضى لم تسعفها للقيام بدور إيجابى نحو حياة أفضل كان القرآن الكريم قد شرعها وطبقها فى الصدر الأول .

وبالقاء نظرة فاحصة على خارطة العالم الإسلامى والمعاصر نجده يمثل طائرا له رأس وجناحان .

غاية الأمر أن واحدا من الثلاثة لايغنى عن الآخر فى أهميته ، وفى استراتيجيته للعمل الجاد نحو الحياة الأفضل التى ينشدها المسلمون جميعا .

فالقلب : مجموعة الدول العربية فى شبه جزيرة العرب وما يجاورها على الساحل العربى للبحر الغربى للبحر الأحمر : السعودية ، ودول الأمارات ، وقطر ، والكويت ، وسوريا ، ولبنان ، ومصر ، والسودان ، والاردن وفلسطين ، واليمن .

وهي بلاد قد تحررت من مساوىء الاستعمار العسكرى ، وظهرت فيها معادن وامكانات بترولية وأخرى من المواد الخام الصناعية تستطيع أن تلعب بها دورا رئيسيا فى الحركة الإسلامية .

والجناح الايمن : وهو الجناح الشرقى : وهو مجموعة دول : إيران وافغانستان، وباكستان وماليزيا وأندونيسيا وفطانى فهو يمتد من حدود العراق إلى المحيط الهادى .

ولهذا الجناح أهميته في ارتباط الاستراتيجيه العربيه في المحيط الهندي والخليج العربي بالمحيط الهادى من ناحية أخرى في القيمة الاقتصاديه الكامنه في هذا الجناح من حيث النفط والمعادن الكثيرة المتنوعة والهامة . وأيضا الغلات الزراعية والتوابل بشتى أنواعها ، وكثافة المسلمين في القلب ، وقد تحرر هذا الجناح كذلك من السطو العسكرى بكل ألوانه الشرقية والغربية

والجناح الأيسر : أو الجناح الغربي ويشمل مجموعة دول شمال أفريقيا: ليبيا ، وتونس ، والجزائر والمغرب ، وموريتانيا وهو الجناح المواجه لدول أوربا ، وهو الجناح الذى عبرت منه الدعوة الإسلامية إلى الاندلس وعدة جزر في البحر الأبيض المتوسط ، وهو غنى كذلك بثرواته ، وكثافة السكان فيه لها أهمية في اعزاز بناء الأمة الإسلامية .

فالامة الإسلامية المعاصرة تمتد من المحيط الهادى شرقاً إلى المحيط الاطلنطى غربا ومن البحر الأبيض شمالا إلى ما وراء المحيط الهندى جنوبا ، وتتمركز في منطقة متوسطة تعلو خط الاستواء بين مداري الجدى والسرطان فهو حزام الكرة الأرضية يشمل أفريقيا وآسيا وبعضا من دول أوربا، وتطل على البحر الأبيض ، والبحر الأحمر ، والمحيط الهادى والمحيط الهندى ، والأطلسي وتمتلك مضايق مائية هامة :

- قناة السويس .
- باب المندب .
- مضيق ملاكا .
- مضيق جبل طارق .
- البسفور والدردنيل .

فعناصر القوة في الأمة الإسلامية مكفولة .

(أ) جغرافيا .

(ب) بشريا .

(ج) اقتصاديا .

وقد تحررت عسكريا ولكنها مازالت مهشمة منذ ألحق بها عدة فواجع :

الفاجعة الاولى : ـ

سقوط الخلافة الإسلامية ، وكان من ألمع مظاهر سقوطها هو التمزق الذى أصاب الأمة وحولها إلى دويلات ، وكان من أول أسباب سقوطها ظهور فكرة القوميات : تلك الأوبئة التى أثارها الصهاينة من أجل بناء دولة اسرائيل كدولة قومية خاصة بهم .

الفاجعة الثانية : ـ

بناء دوله اسرائيل على مسمع من القوى العربية والإسلامية بكلكلها الكثيف (الضعيف) واستراتيجيتها الحساسة (المعطلة) واقتصادها الضخم (المحبوس) .

الفاجعة الثالثة : ـ

سيطرة العلمانية على الحكم فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ومحاولة تغريب الشعب المسلم .

الفاجعة الرابعة : ـ

ارتباك الحركة الإسلامية فى جميع الوطن الإسلامى فيما يتعلق بوضع خطة لمواجهة العلمانية المسيطرة حتى أصيبت الحركة الاسلامية بشلل كامل .

* فى أندونيسيا : قضى على الحزب الماشومى وهو الصورة الصادقة للنظافة فى الحكم الاسلامى المعاصر .

* وفى مصر والبلاد العربية قضى على جماعة الاخوان المسلمين كتمهيد لعربدة العلمانية فى تحديد مصير القضايا المملاة عليها ، والاخوان المسلمون أنصع صفحات التاريخ العربى ، وطنية ، وجهادا ، واخلاصا ، ونظاما .

* وفى الهند وباكستان ، حطموا الجماعة الإسلامية وهي أفقه حركة إسلامية فى شبه القارة الهندية ومايجاوزها ، حتى لاتنشب حركة فى الجناح الشرقي للعالم الاسلامي قد تساعد على وثبة من القلب أو من الجناح الغربي .

وينتهى القرن الرابع عشر الهجرى بهذه المآسى :

(ا) ـ علمانيون يتحكمون فى مقاليد الحكومات والعالم الاسلامي .

(ب) حركات إسلامية مخنوقة أو موءودة ، أو متضاربة أو متشاكسة مختلفة على لاشيء تناقش القشور وتتعمد نسيان اللب .

(ج) تسلل شيوعى إلى مناطق حساسة فى جسم الأمة الاسلامية مثل : عدن ، والجزائر ، وافغانستان .

(د) ظهور نوع من التسلط لبعض الاقليات الحاقدة بطبعها دون سبب شرعى أو خلقى . أو سياسى ، بل ودون سبب دينى واضح .

(هـ) زعزعة الثقة فى امكان حل صحيح لقضايا الوطن الفلسطينى دولة ، وشعبا ، أرضا ، وتراثا حضارة ، وثقافة .

ولقد استطاع الاستعمار بشتى وسائله ودوله أن يزرع إسرائيل فى وسط قلب الأمة الاسلامية ليربك العرب وهم قلب العالم الاسلامى . فى التوصل لوضع حل لهذه القضايا .

ولقد ارتبك العرب فعلا عسكريا ، وسياسيا في وضع استراتيجية موحدة ودائمة وممكنة التنفيذ لحل قضية الدولة الفلسطينية . . ومازالوا مرتبكين .

وسيظل الاستعمار السياسي يربك العرب حتى لا يفيقوا إلى جدية العمل للدعوة الاسلامية خوفا من عودة الأسطول الاسلامي يجوب المحيطات من جديد وفوقه راية الأسلام الحنيف ترفرف بالرخاء والأمن والأيمان والحرية وحقوق كرامة الأنسان للناس أجمعين .

وما من شك أن الأمة العربية ثم بقية الأمة الأسلامية بما لهم من كثافة سكانية هائلة تجعـــل منهم أمة عسكرية من الدرجة الأولى وبما لهم من قوة اقتصادية كبيرة هي أصل للتقدم الصناعي عالميا تجعلهم في محل القدرة على تصنيع عسكرى راق متطور فائق وبما لهم من قوة استراتيجية حساسة ودقيقة وهامة هي الحزام الجغراف للقارات كلها .

العرب والأمة الإسلامية بهذه الامكانات . . وبفضل الله وحوله وقوته يقدرون على صنع سياسة دولية وحماية يحولون بها أيام القرن الخامس عشر الهجرى القادم إلى مثل أيام القرن الهجرى الأول وما ذلك على الله بعزيز .

والنظرة التي يجب أن يتطلع بها شباب المسلمين والمسلمون اليوم إلى مشاهد العمل الإسلامي في ظل القرن الخامس عشر الهجرى هي :

أولا : في مجال التعليم والتربية : توحيد الفكر الاسلامي ، وانتزاع فتيل الخلافات المذهبي لا سيما في تلك الفروعيات التي لا طائل من وراء المناقشة فيها ، والتركيز على بناء الشخصية الاسلامية والتصدى للتيارات المعادية للاسلام.

ثانيا : في مجال الشباب توحيد عمل الشباب الاسلامي بحيث يرفض جميع الايدلوجيات القديمة والأفكار التي مضت وتركيز جهوده في :

(ا) السيطره على القيادات في المجال الجامعي ، والاعلامي والتربوى والأقتصادى ثم الشرطة .

(ب) الألتزام بلب الأسلام فيما يتعلق :

— بحفظ القرآن الكريم .

— وحفظ السنة المطهرة .

— وعودة الخلافة الإسلامية .

(ج) وضع سياسة للتصنيع الحربى ، وسياسة للاتفاق الاقتصادى .

(د) وضع سياسة سلوكية تضمن عدم المواجهة مع الحكام العلمانيين وفى نفس الوقت تبنى قيادات شرعية عن طريق قانونى توطئة لإقامة دويلات إسلامية نظيفة .

(هـ) عندما تتكون هذه الدويلات الاسلامية يمكن تكوين مجلس للخلافة الاسلامية من رؤساء هذه الدويلات ، وتكون رياسته بالانتخاب الدورى لمدة معينة تضمن استقرار نظام الحكم فى الدويلات الاسلامية واستقرار الحكم فى مجلس الخلافة الاسلامية .

وعند ئذ يمكن توحيد التعليم والجيش والقضاء والاقتصاد والشرطة فى فى دويلات الخلافة الاسلامية .

وعند ئذ يمكن وضع سياسة داخلية لهذه الدويلات من حيث :

الخدمات ، والصحة ، والتنمية والرعاية الاجتماعية ، وحقوق الأقليات .

والايمان بالتبعية للخلافة .

وفى نهاية التصور والرؤية للشباب المسلم وجماعات المسلمين فان عليهم واجباً هو الاخلاص النقى ، والتوكل الصادق فى الاعتماد على نصر الله وعونه ، وإلغاء النظرة الشخصية للمكاسب الفردية للأشخاص والأقطار ، وإلغاء الحساسية القومية والنزعات العرقية واللغوية .. والله من وراء القصد ، إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز .

نحو إيجابية مؤتمر فعال

للدعوة الاسلامية

إن تجمع العلماء فى مؤتمرات علمية إسلامية تدرس مشكلات الأمة الإسلامية ، وتضىء لها الطريق بالرأى والفتوى عمل مقدر وجليل .

« فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون »[1] .

وإن اجتماع الأمة الإسلامية حول مبادىء القرآن الكريم لهو غاية الغايات ، ومطلب أسمى تسعى إليه جهود الأوفياء المخلصين من علماء أمة الإسلام على مدى الأجيال المتعاقبة .

غير أن فكرة التصورات الأكاديمية وتوصيات المؤتمرات الإسلامية التى تنعقد في فينات متتابعة من هذا العصر الذى نحياه لم تعد هي المطاب المرموق لواقع الأمة الإسلامية على امتدادها فى جميع قارات العالم .

إن الأمة الإسلامية تملك ثروات عديدة :

إنها تملك الثروة البشرية ، وتملك الثروة المعدنية والبترولية ، والزراعية ، وتملك الثروة الإستراتيجية ، بحسب ما وهبها الله تعالى من كثرة فى العدد ، وسعة فى الموارد وامتداد جغرافى فى أقطارها العالمية ، ولكنها تحتاج إلى إيجابية في العمل للدعوة الإسلامية .. فواقعها الاجتماعى مزيج من الخلافات التى صارت لديها عادة تقليدية .

وواقعها الحيوى ضعيف : لبعدها عن استخدام أصول الحياة على النسق

---

(١) سورة التوبة ١٢٢ .

الربانى الذى رسم لها لتعمر هذه الأرض .
وواقعها الثقافى مشوش : لكثافة وجدانها بالخليط من التعاليم الأخرى .
مع هذا فان علماء هذه الأمة ما زالوا يحاولون التخلص من كل ذلك سبيلا ..

وتلك المحاولة فريضة إسلامية ، فنى الحديث الشريف : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » إذن ، فان فكرة مؤتمر إيجابى فعال للدعوة الإسلامية يجب أن تولد ، وفكرة مؤتمر إيجابى كهذا ليست فكرة مؤتمر أكاديمى تعد له الأبحاث ، وتلقى ، ثم تناقش ، ثم تطبع وتوزع .

لقد أنفقت المؤتمرات الأكاديمية جملة كبيرة من آلاف الجنيهات ... فى سبيل أن تصدر أبحاثاً قد يكون لها اتصال بواقع الحياة الإسلامية وفى سبيل أن تصدر توصيات وقرارات..وهو عمل لا نقلل من أهميته ..ولكنه ليس هو مطلب الحياة المعاصرة للأمة الإسلامية .

هجمات التبشير :

إن الأمة الإسلامية فى آسيا وأفريقيا تعانى هجوماً عنيفاً من التبشير .

تعانيه فى مدارسه حيث تبتلع المدارس التبشيرية أبناء المسلمين ، وهم فى عجز كلى عن إقامة مأوى ثقافى لأبنائهم .

وتعانيه فى الضغط الثقافى الذى يزاوله التبشير بنشر الكتاب والمجلة ، والنشرات .. والندوات .

وتعانيه اجتماعياً بما يقدمه لها التبشير من خدمات صحية ومعونات متعددة الألوان والاتجاهات من المستشفى إلى لقمة العيش ... ثم بألوان شتى من المغريات من المنح الدراسية إلى المنح الجمالية ..

والأمة الإسلامية وهى تعانى فنون المعاناة من نشاط التبشير نجدها منقسمة ،

منقسمة فى التفكير — منقسمة فى النزعات — منقسمة فى الأيدلوجيات .. والتبعية فى وجودها العمرانى ... والسياسى ... والاقتصادى .

ولهذا الانقسام مشارب ، وله منابع ... ومن أوليات تلك المنابع المكتبة الاستشراقية الضخمة التى تعددت فيها المناهج لتحريف الاسلام عن موضعه القرآنى وتشويهه عن جماله الربانى ... ومهما اختلفت درجات المستشرقين فان القدر المشترك بينهم أنهم : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواهم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون »(١) .

إذن ، فان صورة المؤتمرات الاسلامية ينبغى أن تتجدد لتنقل أمة الاسلام من واقعها الميت إلى الواقع الاسلامي الذى أخبرها به الرحمن جل شأنه ، « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيداً »(٢) .

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »(٣) .

والايجابية التى ندعو إليها ، هي إيجابية تنفيذ ابرنامج يجابه بجحافل الظلمات التى التفت حول الأمة الاسلامية .

الايجابية التى نريدها :

وهذه الايجابية هى تعديل فى اقتصاديات المؤتمرات ، وتوجيه الماليات التى تنفق على السفر والاقامة والتحضير وطبع البحوث والنشرات إلى برنامج تربوى يغطى حاجة المسلمين فى آسيا وأفريقيا .

---

(١) سوره التوبه ٣٢ .

(٢) سورة البقرة ١٤٣ .

(٣) سورة آل عمران ١٠٩ .

وهذه الايجابية يمكن تحقيقها بحيث تشمل :

١ ـــ دراسة أحوال المسلمين فى كل قطر من أقطار آسيا وأفريقيا ، وكثير من هذه الدراسة موجود لدى المؤسسات الإسلامية مثل رابطة العالم الإسلامى ، والأزهر .

٢ ـ تحديد المشكلات التى تعترض الوجود الإسلامى لكل أمة فى بلدها . وهذه المشكلات قد عرضها أبناء الوطن الإسلامى فى عديد من المؤتمرات العلمية الإسلامية ...

٣ ـــ رسم منهج ثقافى متكامل لكل بيئة خاصة ، يشمل : خطة الدراسة ، والمنهج ، والمنح الدراسية ، ونوعيات الكليات ...

٤ ـ طبع هذا المنهج الثقافى وإرسال البعثات الإسلامية لرعايته وتطبيقه ، بعد انتخابهم وتدريبهم ...

٥ ـ الاسهام بالخدمات الاجتماعية لتخفيف الضغط التبشيرى .

٦ ـ متابعة التنفيذ لهذه المشروعات لتقويمها وتعديلها .. والاستفادة من إنتاجها فى مشروعات أخرى .

• وهذه الايجابية تحتاج أكثر ما تحتاج إلى :

١ ـ مال ... ويمكن توفيره بتضافر المؤسسات الإسلامية فى البلاد العربية والإسلامية لا عن طريق جمع المال فى صندوق واحد ، بل عن طريق الالتزام بتقديم نوع خاص من الخدمات الثقافية والاجتماعية ، تقوم به كل دولة بحيث تغطى الجانب الذى تقدر عليه ، ويكون ميسوراً لها الاضطلاع به حسب مقدورها إن كان ماليا أو إن كان علميا .. الخ .

٢ ـــ هيئة علمية مركزة تضم أصحاب الخبرات فى العمل الإسلامى ؛

لتشرف على تنفيذ المشروعات التي سترسمها بناء على الدراسات التي تصل إليها.

وليس مشكلا أن يتعرف على مشكلات العالم الإسلامى ... فلقد أنّ كل قطر باحتياجاته ، وصرخ بما عنده من آلام ، وعرض ما يعانيه من مشكلات ...

وأمر تنفيذ هذه الايجابية سهل ميسور ، فكل مؤسسة اسلامية لها ميزانية ولها نشاط فاذا توجه هذا النشاط فى أسلوب منسق ، واقتسمت الادارات الاسلامية تنفيذ احتياجات العالم الاسلامى أمكن أن توجد المؤتمر الايجابى الفعال للدعوة الاسلامية ، وأمكن أن نقدم للدين حقه الذى ألزمنا الله تعالى به : « ثم أورثنا الكتاب الذين أصطفينا من عبادنا »[1]

وأمكن بهذا الأسلوب أن تحقق الادارات الاسلامية فى الأمة الاسلامية وجودها الاسلامى .

إخلاص النوايا :

ولا تحتاج هذه الايجابية فى تحقيقها إلا إلى :

* إخلاص النيات لله رب العالمين .

* وأن ينعقد العزم على توجيه العمل عبادة لله وحده .

* وأن يهتم العلماء بشئون المسلمين على مستوى : « من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » .

وعلى مستوى : « ترى المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد والسهر بالحمى » .

---

(١) سورة فاطر ٣٢ :

وعلى مستوى : « أنصر أخاك ظالما أو مظلوماً » .

وعلى مستوى : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم على من سواهم » .

وعلى مستوى : « والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه » .

صفات الداعية :

أما فيما يتعلق بالمواصفات الضرورية للداعية فهى :

أولا : فى الشروط الواجب توافرها فى الداعية .

أولا الصفات الذاتية :

١ — الذكاء ، ولهذا فان المتقدمين لكليات الدعوة الاسلامية ينبغى أن يختاروا عن طريق الاختبار الشخصى عند الدخول .

٢ — القدرة على التصرف فى الموقف ، ولهذا يجب أن يكون منهج الدراسة عمليا ، وأن يكون السكن تحت إشراف الكلية المعنية بالتربية .

٣ — دماثة الخلق :

٤ — قوة احتمال الشدائد .

٥ — حسن الهيئة .

٦ — طلاقة اللسان .

٧ — غير ميال للكسل ، طموح ، ومؤمن ، ومضحى .

٨ — أن تكون شخصيته أكبر من مغريات الماديات ...

٩ — أن يكون كريماً .

ثانياً : الصفات الثقافية :

١ — أن يكون حافظا للقرآن الكريم .

٢ ـ مدركا لأحاديث السنة النبوية .

٣ ـ عارفا بفنون الفقه الإسلامى .

٤ ـ محيطاً بالسيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين .

٥ ـ أن تكون له دراسات بقواعد علم الاجتماع ومدارسه ونظرياته .

٦ ـ له دراسات للتيارات الخاصمة للاسلام ، واقفا على مبادىء المنظمات المجابهة له .

٧ ـ لديه خبرة بالعمل مع الجماعة .

٨ ـ ذو منهج فى تبليغ الدعوة .

ثالثاً : الصفات الأسرية :

أن يتمثل فى سلوك الأسرة كل مبادىء الإسلام تطبيقاً متكاملا . .

رابعاً : الصفات الاجتماعية :

١ ـ أن يكون ودوداً يحب إقامة صلات طيبة .

٢ ـ أن يكون خدوما للناس .

٧ ـ أن يكون معطيا غير مكافىء ، (موطأ الأكناف من الذين يألفون ويؤلفون) .

خامساً : إعداده :

ينبغى أن يعد الداعية بعد الانتهاء من دراساته الجامعية الأولى ، يختار أولا حسب القواعد السالفة بواسطة امتحان الذكاء . . . وبعد أن يجرى عليه بحث اجتماعى من حيث وضع الأسرة ، ثم تنظم له دراسات وتدريبات عملية كالآتى :

أولا :

١ ـ حسب تقسيم المناطق التى يرسل إليها الدعاة يقسم الدعاة إلى مجموعات.

٢ ـ كل مجموعة تدرس جغرافية وتاريخ وإقتصاديات ولغة وتقاليد وعادات وتيارات السياسة والفكر للمنطقة التي سيرسلون إليها .

٣ ـ ينظم لهم برنامج عبادى جماعى لتأدية فرائض الاسلام وسننه ، لمعرفة مدى قدرة الداعية على تطبيق الاسلام على نفسه واستعداده لذلك .

٤ ـ تستمر هذه الفترة إلى عام .

٥ ـ يقدم الداعية فى نهايتها بحثاً عن منهجه للعمل فى هذه المنطقة كجزء من الامتحان الذى يؤديه فى آخر العام .

ثانيا :

ما ينبغى أن يكون له من حقوق :

١ ـ يهيأ له جو مالى ، يضمن له استقراره النفسى ويضمن لأسرته القدرة على أن تكون أسرة داعية ، يفتح بيته للجميع .

٢ ـ يعاون فى عمله بالاستجابة لاقتراحاته التى سيستخلصها من عمله فى البيئة التى بعث إليها .

٣ ـ ترتبط سياسة توزيع المنح الدراسية بنشاطه ، ويكلف باختيار العناصر الأجود للدراسة بالجامعات الإسلامية المشتركة بلادها فى تنفيذ هذا المنهج ..

خطة عمل مرحلية

ثالثاً :

(ا) فى صيانة المجتمعات الاسلامية :

يقسم العمل بين المؤسسات الاسلامية للبلاد التى ستقبل تنفيذ خطة خدمة الدعوة كالآتى :

١ — إحدى المؤسسات الإسلامية تتكفل باعداد وطبع كتب دراسية للفقه مثلا لأحد مناطق العمل فى البلاد والمناطق التى يخدمها النشاط الإسلامى .

٢ — إحدى المؤسسات الاسلامية فى بلد آخر تتكفل بارسال المدرسين .

٣ — إحدى المؤسسات الاسلامية فى بلد آخر تتكفل بتمويل المشروعات الاجتماعية كالمستشفيات وبناء المدارس ... و ... الخ .

٤ — تنفيذ هذا الجزء من خطة العمل المرحلية فى المناطق الاسلامية التى ترزح تحت وطأة التبشير بمدارسه .

(ب) فى نشر الدعوة :

إذا ما تمت المرحلة السالفة التى تهدف إلى صيانة المجتمعات الاسلامية الواقعة تحت ضغط العمل التبشيرى تنطلق الدعوة إلى الأمم البدائية التى تعيش بلا دين .

وليس لهذه المرحلة من منهج سوى : السلوك الرفيع والموعظة الحسنة ، ثم نشر العلوم بينهم ، وإذا أمكن أن تسير الخطوتان معا كان فضلا من الله ونعمة .

هذا ، وبالله التوفيق .

الداعية والمجتمع

يروى ابن هشام فى كتابه : سيرة النبي - ﷺ — أن قريشاً أكثرت من ذكر رسول الله ﷺ وتذامروا فيه ، وحض بعضهم بعضاً عليه ثم أنهم مشوا إلى أبى طالب مرة أخرى ، فقالوا له :

يا أبا طالب إن لك سناً وشرفا ومنزلة فينا ، وإنا قد استنهيناك من بن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا . وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا ، أو ننازله وإياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين.

هذه مظاهرة من المجتمع تتكأكأ بجحفلها الثقيل فى صورة رأى عام من وجهاء القوم ، وأصحاب الشورى فى المجتمع العربى القديم على أبى طالب وتتجه هذه المظاهرة بكل أثقالها للضغط على إرادة الرجل مرة بعد مرة ليغير من موقفه تجاه النبي ﷺ وقد كانت فى المرة الأخيرة مظاهرة عنيفة مؤاخذة غير مسامحة مهددة غير مسالمة .

لقد عرضت هذه المظاهرة قبلا الأمر على أبى طالب فردهم رداً جميلا ، ثم توجهت مرة أخرى وقدمت إليه شابا جذما فتيا جميلا ، ليأخذه أبو طالب كبديل عن ابن أخيه على أن يسلم لهم .آ ليقتلوه فيستريحوا من سب آلهتهم وتسفيه أحلامهم ، ومن محاولة تغيير ثقافة آبائهم وأجـــدادهم ، فغضب أبو طالب وقال لهم الكلمة التاريخية المشهورة والله لبئس ماتسومونني : أتعطونني أبنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه؟ هذا والله مالا يكون أبداً؟

وفى ظروف هذه الحادثة يقول أبو طالب للمطعم بن عدى بن نوفل .

والله ما أنصفونى ولكنك قد أجمعت خذلانى ومظاهرة القوم على فاصنع ما بدا لك :

فلم يبق إذن أمام المجتمع العربى القديم الذى استقطب حول قلبه جميع أنواع الكراهية للدعوة الإسلامية ، إلا أن يتخذ موقفاً أكثر حدة وأعنف عنجهية تجاه الرسول ﷺ فكانت المواجهة الثالثة « التهديد بالحرب » .

وهنا أحس أبو طالب أن موقفه الصلب قد عزله عن المجتمع الذى يعيش فيه ، يقول بن هشام . فعظم على أبى طالب فراق قومه وعداوتهم ، ولم يطب نفساً باسلام رسول الله ﷺ ولاخذلانه .

لقد إزدوجت عاطفة الرجل نحو قومه أن يعزل بموقفه عنهم أو يعزلوه هو لموقفه تجاههم .

ونحو ابن أخيه الذى أوصى به خيراً من قبل جده العظيم فأراد أبو طالب أن يخفف من هذه الحدة كأنما بدا لعواطفه أنه أضعف من المجتمع وأن الجاذبية الاجتماعية تحتم عليه الاستجابة لرأى المجتمع ، فقال لابن أخيه : يا ابن أخى إن قومك قد جاءونى فقالوا لى كذا وكذا ... فأبق علي وعلى نفسك ولاتحملنى من الأمر مالا أطيق ؟ .

لقد أحس أبو طالب أن ضغط مجتمعه عليه شديد ، وهو رجل فى حدوده الاجتماعية غير قادر على مجابهة قومه ، فأراد أن يخفف عن نفسه وعن ابن أخيه وأن يستريح من عناء الضغط الاجتماعى الذى يمارسه قومه نحوه .

وهنا بدا لرسول الله ﷺ أن عمه بدل رأيه فيه وأنه خاذله ومسلمه ، وإذن فلابد من تحديد الموقف من جانب النبى ﷺ كمسئول عن الدعوة .

إذا كان أبو طالب أهتز ضعفاً للجاذبية الاجتماعية التى أثارتها مظاهرات القوم وكان من حقه أن يستجيب لأنه ليس بداعية ، فهل كان لمحمد ﷺ

وهو الرسول الداعية أن يستجيب لمظاهرات القوم مثلما إستجاب عمه أبو طالب ؟ يعنى هل الداعية أقوى من المجتمع ؟ أو العكس هو الصحيح ؟

لقد حددها رسول الله ﷺ وأكدها سر مدية . « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ماتركته » .

بهذا النص التاريخى ، وبهذا الموقف الصلب فى اللحظات الأولى من فجر الدعوة تقرر النظرية الإسلامية أن الداعية يجب أن يكون أقوى من المجتمع.

ولهذا ندد القرآن بفكرة التبعية إلى ثقافة الأجداد التى تتنافى مع أصول الدعوة الإسلامية ومن ذلك قول الله تعالى : (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ماأنزل الله وإلى الرسول قالوا : حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولايهتدون) . (١٠٤ – المائدة)

(إذ قال لأبيه وقومه ماتعبدون ، قالوا : نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال : هل يسمعونكم إذ تدعون ، أو ينفعونكم أو يضرون؟ قالوا : بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون (٧٠ — ٧٤ الشعراء) .

إنها صورة تبعية غبية يرفضها الإسلام لأنها تعطل العقل، وتهزأ بالفطرة، وتسخر بالذكاء ، ثم هي قيود معرقلة للحق والخير والجمال .

وإذن فالداعية لابد من أن يكون منطلقاً من كل هذه القيود والتبعيات ، إنه فى نظر الإسلام أقوى من المجتمع ، بل أنه ليجب أن يكون كذلك فان رسالته هى قلب المجتمع المنحرف إلى المجتمع الفاضل ، إنها ليست ترقيعاً بعمليات إستصلاح ، ولكنها إستبدال كامل للبيئة من مجتمع منحرف إلى مجتمع فاضل هو أمل الداعية وهدفه ورجاؤه وعملية التغيير هذه تحتاج إلى إلى داعية وتحتاج إلى منهج ، أما المنهج فقد قرره الإسلام الحنيف .

(أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين (١٢٥ النحل) .

فليس من منهج الإسلام لنشر الدعوة بأسلوب القتل أو السحل أو التجبر، وقد قدم الإسلام هذا المنهج الحي النموذجي في ثلاث عشرة سنة عصر الدعوة في مكة .

إستمرت الدعوة فيها ، والداعية معها على صبر طويل وخلق رفيع وتحمل كبير يجابه نذالة المعتدين المناوئين بالحصار الأقتصادى والتعذيب البدنى... إلخ دون أن يشرع الداعية قانونا واحداً " فاع عن النفس أو للدفاع عن الدعوة فآثر الصبر الطويل ليعطى للتاريخ وثيقة يتيمة : أن الإسلام دعوة تقوم على إحترام العدل ، وتؤمن بتغيير المجتمع عن طريق إرادته المقتنعة .

ولهذا قال رسول ﷺ لخباب بن الأرت — رضى الله عنه — الذى جاءه وهو فى ظل الكعبة يطلب إليه أن يدعو الله عسى أن يجعل لهم مخرجا فقال له النبي ﷺ : « والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون » .

ولقد كان شوقى أمير الشعراء أصدق حساً وأذكى وجداناً يوم صور هذا المنهج فى شعره :

دوايت متئداً وداووا طفرة... وأخف من بعض الدواء الداء

إنها صورة إرتفاع الداعية بدعوته ومنهجه فوق أقطار الضبط الاجتماعى الذى جثم على صدر المجتمع المراد تغييره إلى مجتمع فاضل ومن آية ذلك ، هذا الدعاء المستفيض من رسول الله ﷺ « اللهم أهد قومى فانهم لا يعلمون » وكان قد عاد من ثقيف بعد أن قدموا له كل ألوان الأذى المفزع المبيء .

ذلك لأن قوة الداعية الذى هو أقوى من المجتمع هى قوة التحمل وقوة التسامح وقوة الصبر فوق الآلام التى يقدمها المجتمع للداعية .

وإذا كانت قواعد الاسلام من الناحية النظرية ومن الناحية التطبيقية قررت أن شخصية الداعية أكبر وأقوى من شخصية المجتمع فانها كذلك قد حددت شخصية الداعية أنه ليس أى واحد من الناس ولكنه العدل منهم يقول النبي ﷺ : « يحمل هـذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » .

إن الداعية هو قطب الرحى فى عملية التغيير الاجتماعى المرغوب فيه ومن أوليات صفة الداعية أن لا يكون متناقضاً بسلوكه مع مبادىء الدعوة يقول الله تعالى : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الـكتاب أفلا تعقلون » . (٤٤ البقرة)

وإذا كان الابتلاء يتسلسل الأمثل فالأمثل فان الداعية هو الأمثل فى كل عصر ، وهذه الأمثلية تدور حول العدل الذى جعله الرسول ﷺ صفة لحامل هذا العلم من كل خلف .

فليس كل من حفظ القرآن داعية فسوف يؤتى بقوم يوم القيامة فيقرءون القرآن ثم يقال للواحد منهم : خذوه إلى النار . فيقول : يا رب كنت أقرأ القرآن فيقال له : قد كنت تقرأه ليقال ، وقد قيل » .

وإن أقصى درجات خضوع الداعية للجاذبية فى المجتمع هي الصمود والثبات على مبادىء الدعوة كما يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » . (١٠٥ المائدة)

« قل الله . ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) . (٩١ الأنعام)

فليصخب المجتمع كله وليرفل الناس جميعاً فى جلابيب الشهوات والنزوات وليحلاوا ما شاء لهم من المحرمات فان الداعية يحيا لدعوته .

« ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » . (١٨ ـ الجاثية)

« فاستقم كما أمرت » .

« قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون » . (٥٩ يونس)

« ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ، متاع قليل ولهم عذاب أليم » . (١١٦ و ١١٧ النحل)

ذلك هو مبلغ موقف الداعية عندما يصخب المجتمع ويرفل فيما لذ له وطاب ، ولقد رسم القرآن للداعية الطريق والمنهج الذى يلزم أن يتبعه فى حياته «وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » . (١٥٣ الأنعام)

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » . (١٠٤ آل عمران)

أما الذين انسلخوا بسلوكهم عن هذا « البروتوكول » واستحبوا رياضة الدنيا ، وتفكه الشيطان فحللوا ما حرم الله فعليهم أن يتواروا من حياة الدعوة كدعاة ، وفاء لدينهم ، واحتراما لكنانتهم ولعهدهم اللذين ربطهما التاريخ بالدعوة على مستوى القيادة زهاء عدة قرون ، ثم لهم بعد ذلك أن يسلكوا طريق حياتهم فى أندية الرياضة وملاعب (الجباز) والهوكى ومقاهي النرد ، وكازينوهات العشاق ... فذلك أمر عادى لا يلومهم مجتمعهم عليه .

أما أولئك الذين تجاهلوا : « ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة » ، فاستعرضوا بأولادهم وزجوا بفلذات أكبادهم إلى الأندية الرياضية بصورة لا يتصورها فقهاء الاسلام الأول حتى يضعوا لها — ولو فرضا — حكم الشرع فيها ؟

وأولئك الذين يتخذون مقاعدهم على شواطىء كازيونهات النيل بين همسات الهاربين من الفضيلة لينشئوا مقالاتهم عن الاسلام : القرآن أو السنة، أو التشريع لمجرد التفيهق ، والتشدق ، وأذى المخلصين لوجه الله .

وأولئك الذين يمتشقون ألسنة الدعوة على الأثير أو فى الصحافة .. للجاه والفخر .

أولئك جميعاً .. ممن يقولون ما لا يفعلون ... ويفعلون عكس ما يعلمون، ليسوا دعاة ولا يطلب الاسلام منهم أن يكونوا له دعاة لأنهم ليسوا عدولا يحملون هذا العلم إلى كل خلف كما تقرر ذلك نظرية الاسلام الحنيف .

فليتواروا سريعاً إذا كانوا منفصلين عاقلين ، فموازين التاريخ فى المستقبل لا تعرف المجاملة ولا تقبل المعاذير .

أما كيف للدعاة أن يواجهوا المجتمع وقد انحرفت فرقة من زملائهم فقد حدد ذلك القرآن الكريم : (واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا) (١٤٨مريم) (وإن كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل ، وأنا برىء مما تعملون). (٤١ يونس)

ذلك هو الموقف الطبيعى للداعية اتجاه المجتمع لمن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا ؟

مستقبل العمل للدعوة الاسلامية

تعاليم الاسلام هي تعاليم التفاؤل والثقة في الله فيما يتعلق بالطمأنينة إلى إلى المستقبل الأفضل : « فان مع العسر يسرا ، إن مع العسر يسرا » ، « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » ، ويوم أن يهيأ المناخ الطبيعي لهذه التعاليم يوم أن يعيش الانسانية فوق هذه البطحاء وهي أكمل ما تكون سعادة وأتم ما تكون أمنا وأسمى ما يكون الود والاجتماع .

ولقد عانى المسلمون كثيرا منذ أن خرج الاسلام من أوربا واقتحمت الدول المنبثقة عن خروج الاسلام من الأندلس موانئ الدول الاسلامية في العالم كله تحت ظل ما سمي بالكشوف الجغرافية ثم كانت الثقافات التي خلفها الزحفان :

- الزحف العسكري الصليبي زهاء قرنين من الزمان ـ ١٠٩٧ - ١٢٩١ م والذي انتهى بمثالية المعارك العسكرية الاسلامية التي خاضها القائد العربي المسلم ـ صلاح الدين الأيوبي ـ والقائد المظفر بيبرس .
- والزحف الفكري المتشابك من الحضارة الأوربية أبان زهور أوربا بنهضتها وتخلف العالم الأسلامي والبريق الكاذب للالحاد الماركسي الذي أعلن شعار المطرقة والسندال .

كانت الثقافات التي خلفها هذان الزحفان تشكل عبئا ثقيلا على الحركة الاسلامية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين والذي يرقب حركة الزحف العسكري الأوربي يشعر أن الليل الذي عاشه المجتمع الاسلامي في هذه الحقبة من الزمن كان ليلا غاسقا طويلا لا ينتظر له آخر حتى كانت معركة

حطين التى أذنت بأفول الليل الكئيب الدامس الطويل وجاءت بعدها معارك المظفر بيبرس التى أجهزت نهائيا على المعسكر الغازى الصليبى عام ١٣٩١ م ويتفاءل المراقبون لهذا الزحف ويتأكدون أن كل ليل شات على الحركة الاسلامية سوف يعقبه صبح أبلج للشمس فيه وهج ونور وبهاء .

والذين يبحرون مع مراكب الكشوف الجغرافية ويرون أساطيل البرتغال وقد رست فى الميناء الاسلامى بملاكا عام ١٥١١ م وأنها ذبحت التجار العرب والمسلمين بينما أبقت على الجاليات غير الاسلامية الأخرى .

ويشاهد الأسطول الأسبانى وهو يحاول فى أربع موجات عسكرية احتلال الممالك الاسلامية فى جزر الفلبين منذ عام ١٥٢١ م

والذى يقرأ أحداث الشركة الهولندية التى استولت على مقاليد الاقتصاد والسياسة فى إندونيسيا عام ١٦٠١م يقرر أن القرون السحيقة التى غلف فيها الاستعمار بلاد الإسلام بطبقات كثيفة من التخلف والجهل والأمراض أنه لن يصدق أن نهاراً ساطعا يتنسم فيه المسلمون فى هذه البلاد حريتهم واستقلالهم والسيطرة على مقاليد بلادهم . قد تبزغ له شمس أو يعرف لها نهار ؟

لقد كانت التيارات الفكرية والاجتماعية التى انبثقت عن ألوان الزحف الأوربى الاستعمارى على البلاد الاسلامية ليلاً كثيبا ولكن النظرة المتفائلة يمكن أن تخترق سحب القرون المظلمة لتجد بارقة الأمل فى مستقبل زاهر إن شاء الله .

ولقد كان من آثار التيارات التى خلفها الاستعمار فى البلاد الاسلامية ارتباك منهج الإصلاح .

لقد وجد المسلمون أنفسهم أمام حضارة باهرة ووجدوا أنفسهم فى

تخلف فكرى واجتماعى وسياسى بالغ الامتهان فمن أين يبدأ الاصلاح ؟ وكيف يكون منهجه ؟

هنا يطفح التاريخ للعالم الاسلامى بعديد من النظريات والوسائل والأهداف ...

لقد بدأ السيد أحمد خان ١٨١٧ م بدلهى . إذ كانت الدولة المغولية تتمتع بجزء من المجد الاسلامى وكان هو من أسرة تتصل بالأسرة المغولية وقد اشتهر بالأناة والحذر مع الأقدام وإصدار الرأي فى الوقت المناسب تماما ورأى أن مبدأ الاصلاح يتم من التربية ووسيلة ذلك فى الأخذ بالتعليم الحديث وأخذ بالعقل فى تطبيق نظريته فأرسل أبناءه إلى الجامعة الانجليزية لأنه كان يرى أن برنامج الإصلاح إنما يتم بالدين المستنير وذلك لايكون إلا عن طريق العلم وعن هذا الطريق يفسر الاسلام تفسيرا يطابق ما وصلت إليه المدنية الحديثة وقد جاء على لسانه فى مجلة « تهذيب الأخلاق » « لا بد أن يرغب المسلمون فى قبول هذه الحضارة الغربية بكمالها حتى لا تعود الأمم المتحضرة تزدريهم » .

وكان السبب فى هذا المشوار غير الصحيح من وجهة نظر الذاتية الإسلامية أن السيد أحمد خان قد تأثر بعدة عوامل :

١ ــ أنه شاهد انهيار الحكومة الاسلامية المنقولة التى كانت هى الصورة الشاحبة للامبراطورية الاسلامية .

٢ ــ أنه عاصر اخفاق الثورة الكبرى عام ١٨٥٧ م واطلع على أسبابها التى أثرت فيه تأثيرا بالغا .

٣ ــ أنه رأى أن الشعب الذى كان من قبل صاحب الأمر والنهى لم يعد كذلك .

٤ ـ أنه صادق الانجليز وانخدع ببطلاء مدنيتهم فأعجب بهم .

ومن هنا يحكم عليه العلامة أبو الحسن الندوى : أنه ليس هو صاحب الخطة المنهجية المنشودة التى تحتاج إليها عودة الروح للعمل الاسلامى .

وتولد من هذا المشوار اتجاه جديد مضاد هو مناهضة الفكرة التى دعا إليها السيد أحمد خان واتخذ هذا اللون من المواجهة أسلوب الأدب والفكاهة ولذلك سرى تيار هذه الفكرة فى جميع الأوساط الهندية وردده الأدباء وتلقفوه . مما جعله يعد عاملا من عوامل التأثير فى الاتجاهات الاجتماعية الجديدة ، حتى كانت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ م ـ ونهضة زعماء العمل الاسلامى بالهند محمد على ، وشوكت على ، وأبو الكلام آزاد وقرروا مقاطعة الحكومة الإنجليزية فكان ذلك أمضى سلاح سلمى استخدمته الحركة الإسلامية وانطلقت موجة عنيفة من السخط الشديد اكتسحت البلاد تحمل معها الدعوة إلى مقاطعة البضائع الأجنبية والتنحى عن مظاهر الحضارة المستعمرة والتمسك بالبساطة وأساليب الحياة الخاصة الوطنية .

وكانت قمة الموج العاتى فى تحطيم صنم الحضارة الأوربية كأمل وأمنية للمسلمين المفكر الجليل محمد اقبال ١٨٧٧ ـ ١٩٣٨ م فقد أبرز جوانب الضعف فى هذه الحضارة والفساد الذى عجنت فيه والتلوث الذى يصيب به القلب والفرد والمجتمع والضمير والفكر ومن مأثوراته :

إن شعار هذه الحضارة هو الغارة على الإنسانية والفتك بأفراد النوع البشرى .

إنها حضارة شابة ولكنها محتضرة تعانى سكرات الموت وإن لم تمت حتف أنفها فستنتحر بخنجرها ولا غرابة فى ذلك فان كل وكر يقوم على غصن ضعيف ليس له استقرار .

وانتهت حركة العمل الإسلامي في هذا الجزء من العالم بمولد دولة باكستان الإسلامية ، ولكنه مولد جاء في غير موعده فعاني الوليد منذ مولده لعدم وجود المناخ الطبيعي لنمو الدولة الإسلامية الحديثة ولكنها ما زالت تصارع من أجل أن يكون الإسلام هو الحكم الشامل في كل المجالات[1] ..

* جمال الدين الأفغاني ١٨٣٩ م - ١٨٩٧ م لقد عاش المعلم الأكبر في بلاد فارس والأفغان وهي في حالة ليس بعدها حالة من التنازع والبغضاء وكانت الحكومة البريطانية الهندية تستغل هذا الخلاف فتغرى إحداهما بالأخرى فعرف المعلم الأكبر جمال الدين سياسة التمزيق التي تنشرها الحكومات العدوة ضد المسلمين فوضع خطته على أساس التوفيق بين الأمم الإسلامية فنادى بفكرة : الجامعة الإسلامية ، ولقد كان يشق عليه كثيراً أن يرى العالم الإسلامي متحداً على الخلاف مختلفا على الاتحاد مطاوعا للاستعمار فعزم على حسم الخلاف وإيصاد الأبواب على المستعمر والمستغل وأبواق الفتنة . . . وذلك هو مفهوم الجامعة الإسلامية عند جمال الدين الأفغاني ، وكان ذلك في نظره لا يتأتى إلا باضعاف نفوذ بريطانيا في الأقطار الإسلامية ، ولهذا السبب نفسه لم تتركه القوى الاستعمارية ليحقق ما يريده .

وانتهى السيد جمال الدين الأفغاني وما تزال فكرته عن الجامعة الاسلامية أملا لما تحن الأحوال لتحقيقها بعد .

* وكان الشيخ محمد عبده - ١٨٤٩م - ١٩٠٥ م - الذي يئس من التعامل مع السياسة فتوجه إلى الاصلاح عن طريق التربية . وركز على رسالة التعليم فوجه جهوده كلها لرفع الحجر عن العقول وظن أن إجازة الاجتهاد وتفسير

---

(١) وقع انقلاب في باكستان يوم الثلاثاء ١٨ من رجب سنة ١٣٩٧ هـ ، ٥ يوليه سنة ١٩٧٧ م وصرح زعيم الانقلاب الجنرال ضياء الحق أنه يؤيد الحكم بالإسلام .

أمور الدين تفسيراً يطابق العلم الحديث الأوربي كافية لتحقيق الاصلاح ، وترك الشيخ محمد عبده منهجه وقد أثر بفكره في مجموعة من الثقافة الاسلامية يختلف فيها المقدرون لرسالة الاصلاح ، ولكنه على كل حال لم يرفع الحجر عن العقول بالقدر الذى يجعل هذه الوسيلة بديل الاصلاح الاجتماعي عن طريق العمل السياسي الذى فشل فيه جمال الدين وكان الشيخ محمد عبده يمقته ويحذر منه ، ولكن الشيخ محمد عبده أثر إلى حد كبير في الاتجاهات الثقافية في أنحاء العالم الاسلامى ، فكان انتعاشا في فترة لم يتوقع فيها للجسد المفلوج أن يتحرك .

* والوهابية النجدية بالحجاز كان لها دور في إيقاظ المجتمع العربى الذى تاه وسط عوامل سياسية واجتماعية عطلته عن رسالته الأولى .

وتتركز دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - ١٧٠٣م - ١٧٩١م - على عدم الغلو مستدلا بالحديث الشريف : « إياكم والغلو فانما أهلك من كان قبلكم الغلو » .

وقوله ﷺ : « هلك المتنطعون ، هلك المتنطعون ، هلك المتنطعون » .

وملخص أهداف الدعوة الوهابية هى صرف الناس عن البدع الضالة والخرافات والأوهام التى لا أصل لها من الدين .

وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يظن أن المهم في الاصلاح هو أن ينصرف المسلمون عن الجهل الذى يوقعهم في البدع والخرافات .

ومازالت الوهابية تتجاذبها قوتان بعد يقظة الشرق الاسلامي: قوة الاتباع الذى تعصبوا له ، وقوة السلبيين الذين يرونها حركة سياسية انتهى زمانها .

* السنوسية وهى أخوة في الله قام بالدعوة إليها السيد محمد بن على السنوسى الخطابى المولود سنة ١٧٨٧ م . بالجزائر وهى حركة تجديد المرابطين الذين كانوا من عهد الأندلس ، ولذا فقد كان الشيخ السنوسى خبيراً بأحوال

السياسة ، ولذا فقد ساهمت الحركة السنوسية فى مقاومة الاستعمار الايطالى وإليها يرجع الفضل فى تحرير ليبيا ومقاومة الايطاليين وما يزال لهذه الطريقة أثرها الطيب فى المغرب والسودان وليبيا وإن سلطانها الروحى لينبسط إلى جوف الصحراء الغربية الأقصى ويهدى أبناءها إلى سبيل التعمير والإصلاح مع حسن القوامة .

• المحمدية بأندونيسيا : لم يترك المسلمون الاستعمار الهولندى يمتص خيرات أندونيسيا ويبعث فيها فساداً ، بل جاهد المسلمون فى أندونيسيا جهاداً مريراً طوال عدة قرون لاخراج المستعمر من بلاد أندونيسيا فقامت عدة منظمات لهذا الغرض منها :

شركة إسلام التى أسسها الحاج سمنهودى عام ١٩٠٥ ، ثم تطورت برياسة الحاج عمر سعيد شكرو أمينوتو إلى حزب سياسى تجاري يتخذ التجارة له وسيلة لمقاومة الإستعمار الهولندى .

كما قام الحزب الماشومى الذى يتألف من مجموعة المنظمات السياسية الإسلامية لمواجهة الحركة الشيوعية والإلحادية بعد الإستقلال ، ولكن سوكارنو (الشيوعى) استطاع بألاعيبه أن يفتت هذه الجبهة الإسلامية القوية بما عرف عنه من دهاء ولولبية .

فلم يبق فى مجال خدمة الدعوة إلا المحمدية التى أسسها كياى محمد دحلان عام ١٩١٢ م وبقيت إلى اليوم تعمل فى حقل التربية فلديها ٢٤٩٥ مدرسة ، و ١٠ جامعات ، و ٣ معاهد عليا .

كما تعمل فى حقل الخدمة الإجتماعية فلديها ٥ مستشفيات عامة كبيرة ، ٨٦ مستشفى فرعى صغير ، ٢٧١ عيادة للولادة ، ٣٠٩ ملجأ صحى ، ٦ صيدليات ٥ مدارس للتمريض ، ٩٠ دار للأيتام .

بالاضافة إلى مجموعة المعاهد الإسلامية الكثيرة جداً فى أنحاء جزر أندونيسيا والجامعات الاسلامية الحكومية التى تبلغ ٢٥ جامعة إسلامية .

انتهاء دور الرجل الأبيض بنوعيه : لقد انكمش الأسد البريطانى ودخل حديقة الحيوانات فى عاصمة بريطانيا يئن من مشكلاته الاقتصادية واضطراباته الدينية فى إيرلاندة .

وتقلص ذلك الظل الكئيب الذى سيطر على بحار العالم وأرضه وسمائه وخيراته ردحا طويلا من الزمن وفشلت جميع نظريات الحكم الاستعمارى الأوربى وانتهت سيادة الرجل الأبيض فى أوربا على بلاد الإسلام نهائيا بعد استقلال جيبوتى العربية الإسلامية فى يونيو عام ١٩٧٧ م وكذلك انتهى دور الدب الأبيض الروسى فقد بان للعيان أن الدعوة إلى العدل الاجتماعى بريق كذاب وسراب ضليل ، فلم يسلم النظام من حيث هو نظرية من النقد والتعديل والالحاد فيه لقد ألغى الحزب الشيوعى الفرنسى والايطالى مبدأ [الصراع بين الطبقات لأن الزمن المعاصر كفيل بحل مشكلات العدل الاجتماعى بعيدا عن الصراع الطبقى الذى لم يتحقق به شىء سوى إراقة الدماء والرشا والاعتقالات والخيانات وضياع الذمم وتعطيل الأعمال .

كما أن روسيا ذاتها مازالت تعدل فى دستورها فحديثا طرد بريجنيف يودجورنى واستولى على رياسة الدولة والحزب معا ، وهذا مؤشر خطير يدل على عدم استقرار النظام بعد ستين عاما من التطبيق مما جعل الكاتب الروسى « كريك » يتنبأ بانتهاء النظام الروسى عام ١٩٨٤ م فى كتابه : (هل يعيش الاتحاد السوفيتى حتى عام ١٩٨٤) وبسبب هذا الكتاب دخل السجن ثم طرد إلى هولندا . . .

وصيانة روسيا لحلفائها فى العالم العربى واستخدامها سياسة البديل فى العلاقات مع رؤساء الدول ونكرانها للمعاهدات ، وتثاقلها عن النصرة فى ساعة الأزمات وغدرها بالمواثيق ، جعل نظامها فى أعين البصراء بعواقب الأمور غير محترم ولا يستحق التبعية بله النفور والابتعاد عنه .

والموازنة بين بلاد قسمها الشيوعيون إلى قسمين مثل ألمانيا وكوريا جعل من القسم الشيوعى مباءة ظلم وفقر وتخلف ومن القسم المقابل حركة ونشاطاً وإزدهار وحقوق الإنسان المعطلة فى روسيا وضياع قيمة الإنسان ومعناه فى طيات ذلك النظام جعلت الناس يفكون العصابة السوداء من فوق بصائرهم ليروا سوأة الكذابين فى الكرملين ، لا سيما فى عالمنا العربى وبخاصة ابان حرب العبور المظفرة فى ١٠ رمضان ١٣٩٣ هـ حيث ظهرت نوايا الدب الأبيض أنه لا يريد منا إلا الهزيمة لنبقى له راكعين ولا قدر الله .

لقد انتهى دور الرجل الأبيض نوعية سياسياً وإجتماعياً وانتهى كذلك دينياً فليس عنده شيء يصح من الاعتقاد يرضى به عقل مستنير ولا فطرة سليمة باقية على نقائها وصفائها .

لقد قال الحاج عمر بونجو رئيس جمهورية الجابون : لقد أسلمت وجهى لله والله وحده أعلم بهذا .

إن السؤال الذى أريد أن أطرحه على الجميع هو : من هم البروتستنت ؟ ولماذا أطلق عليهم هذا الاسم الذى يعنى : المعترضين أو المحتجين ؟

لقد كانوا من الكاثوليك ؟ والسؤال الآن : لماذا يحتجون ؟ وعلام يعترضون ؟ انى لم أطلب مطلقا أن أكون مسيحياً ، لقد أصبحت مسيحيا دون إرادتى ، لقد عمدت منذ طفولتى لأن هناك فى أفريقيا بعض الآباء الذين يعمدون أطفالهم منذ ولادتهم وكان من الأفضل بالنسبة لهؤلاء الآباء أن ينتظروا حتى يبلغ هؤلاء الأطفال سن الرشد حتى يختار كل منهم بارادته الحرة الدين الذى يناسب فطرته .

إننى آسف إذ أقول أن هـذا الأسلوب الذى يتبعه بعض الآباء يدفع

أطفالهم فيما بعد إلى الوصول إلى حالة من التمزق تدفعهم إلى الأختيار بين أكثر من طريقة . أما أن يتجه الفرد إلى عبادة الله دون الانتماء إلى أى دين ، وأما أن يلحد ، وأن يكون دينه المتعة واللذة ، وأما أن يغير دينه وينضم إلى الدين الذى يتخذ منه طريقه إلى الله وهذا ما فعلته .

إننى وجدت فى الإسلام كل هذه المعانى : الصلة المباشرة بين الإنسان وربه بعيداً عن حدود المكان ووساطة الكهنوت ، اننى كمسلم لست بحاجة إلى كنيسة أو محراب أو معبد أو جامع لأختلى بنفسى مع الله ، إن الأرض كلها مسجدى ، لقد كنت مسيحيا طيباً ولكننى وصلت مع الكاثوليك إلى المرحلة التى كان على أن أقول فيها : اننى آسف ... وداعا[١] .

إذن انتهى دور الرجل الأبيض عقدياً وبقيت للاسلام عقيدته الصافية الشاملة ويكفى أن يرى المسلم مستقلا بعبادته عن الهيكل والصنم والوثن والصورة والدموع وأنه لا مسافة بين الروح والجسد فالعقيدة الإسلامية توحد الإنسان وتجعله كلا مستقلا بدنياه وآخرته على السواء وروحه وجسده معا ، وحسب المرء أن يرضى مطالبه الروحية ولا يخالف عقائد دينه ولا يجد مع ذلك ما يصطدم مع العقل ولا ما يرثه بالضرورة قبل الولادة من الخطيئة ، وحسبه كذلك أن يجد فى العالم كله أخوة يرفع الله فيهم الذين آمنوا ، والذين أوتوا العلم درجات ، والمسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وليس منهم من بات شبعان وجاره جوعان وهو يعلم .

ولقد أحس بهذه العقيدة الصافية التى تخاطب الفطرة الإنسانية السليمة كثير من المثقفين فى أوربا وآسيا ، فآمن مسيو اتين دينيه الفرنسى ، وآمن القسيس أنطونيوس مواقر باندونيسيا كما آمن به رئيس جمهورية الجابون

(١) مجلة أكتوبر العدد رقم ٣٦ - يوليو سنة ١٩٧٧ م ص ١٢ .

الحاج عمر بونجو ... وما ذلك إلا بعض من فيض جاذبيةهذه العقيدة لو وجد الناس لها الطريق الواضح ، وهذا هو واجب الأمة التى ظهر فيها هذا الدين واختار الله منها خاتم الأنبياء والمرسلين وقد حباها الله من القوى ما يجعلها أمينة على تبليغ هذه الرسالة .

وإذا كانت القوى الإستعمارية والصهيونية قد استطاعت تشويه الحركة الإسلامية باسقاط الخلافة الإسلامية على يد أتاتورك الذى تربى فى الحقل الماسونى فان تركيا المعاصرة لم تبلغ شأوا فى التحضر الغربى الذى شاءه لها الزعيم العلمانى أتاتورك ولم تبلغ شأوا فى قوميتها الخاصة فراحت تعود إلى تاريخها الإسلامي وتصرخ بالعودة إلى رحاب الإسلام الحنيف ولقد صدق اتين دينيه الفرنسى يوم أن قال : هل مصطفى كمال على حق فيما قام به وأقدم عليه ، وبالأخص فى أخذه بالحركة التجديدية إلى ذلك الحد البعيد ؟ وهل الأمة التركية والشريعة الإسلامية سينالها من وراء هـذه الحركة قوة أو ضعف ؟

تلك أسئلة لاشك أن المستقبل وحده الذي يحمل لنا الإجابة عليها ، والعلم عند الله«وفوق كل ذى علم عليم »

ولقد شهد التاريخ بصدق أن الأمة التركية قد أصابها الخواء بسبب ذلك الإصلاح الاتاتوركى .

ولاشك أن فشل هذه المناهج كلها :

* منهج أوربا الاستعمارى القديم فى بلاد الشرق العربى .

وبلاد الاسلام فى جنوب شرق آسيا ، وفى أفريقيا .

* ومنهج الدب الأبيض الروسي الخائن الغادر القائم على امتصاص دماء الشعوب دون احترام للانسان مطلقاً .

* ومنهج العلمانية التي ناءت بها حياة الشعب التركي المسلم .

لا شك أن فشل هذه المناهج مع انعدام عقيدة أخرى تستطيع أن تقوى على مواجهة العقيدة الإسلامية يجعل أمة العرب قادرة على أن تضع امكانياتها من أجل نشر لواء الإسلام الحنيف .

وامكانياتنا العربية استراتيجيا في البحر الأبيض والبحر الأحمر تستطيع أن تلعب دوراً أساسياً في العمل للاسلام لا سيا إذا أضيف إليها امكانيات العالم الإسلامي من سبانج باندونيسيا إلى الخليج العربي الفارسي وموانيه ومضايقه حتى باب المندب إذ أن التطويق للموانى الإسلامية كان هو الهدف الأساسي لحركة الكشوف الجغرافية قديماً وقد استغلت تلك الاستراتيجية حديثاً في العمل لخدمة الإسلام ، ولعل أبسط وسيلة لتحقيق هذه الرغبة هو أن يجتمع الرأى في مجلس التضامن الإسلامي الذى يعقده وزراء خارجية الدول الإسلامية على رسم خطة لاستخدام هذه الاستراتيجية لخدمة الإسلام حسب المناسبات والأحوال السياسية التي يمكن ترقبها لتحقيق هذا الغرض .
وامكانيات العرب اقتصادياً كثيرة .

* فالجزائر غنية بالمعادن لا سيا الغاز الطبيعي الذى يشكل ١٠٪ من احتياطي العالم وبها مناجم للفوسفات والرصاص والنحاس والزئبق ، والحديد.

* ودولة الإمارات العربية غنية بمصادر الثروة النفطية فتصدر منه يوميا أكثر من مليوني برميل من النفط الخام .

وتوجد في أبي ظبي منطقة خصبة لزراعة الخضروات والفواكه .

* دولة البحرين وهي ميناء مهم لبناء السفن وصيد الأسماك ، كما يوجد بها الغاز الطبيعي ، وتقوم فيها صناعة الألومنيوم .

* ودولة مصر العربية وهي دولة زراعية تصدر القطن والأرز والبصل

وبها مناجم للنحاس ، والحديد والنفط وبها صناعات الأسمدة والفوسفات والألمونيوم ...

وبها قناة السويس أهم القنوات الموصلة بين القارات الثلاث : أوربا ، وآسيا ، وافريقيا .

* الأردن : تشكل الزراعة بها ٢٠ ٪ من الدخل القومى وبها مناجم للفوسفات وتقوم فيها صناعات للبترول ايات ، والأسمنت والجلد والحديد، والورق.

ومن محاصيلها الزراعية : الخضروات ، والعنب ، والزيتون ، والفواكه الأخرى .

* دولة الكويت : ويقوم اقتصادها على النفط فقد بلغ احتياطى النفط فى نهاية ديسمبر سنة ١٩٦٨ م ما مقداره ١٠٤ مليون طن وبها صناعات الأسمنت والكهرباء ، والغاز ... والأسمدة الكيماوية .

* ليبيا : ويبلغ الانتاج السنوى للنفط الخام بها ألف مليون برميل وبها مناجم للملح ويبلغ إنتاجه سنوياً ١٦ ألف طن .

وبالاضافة إلى صناعات الغزل وزيت الزيتون والأسمنت والجلود والورق والسجاد وصيد الأسماك .

* موريتانيا : الثروة الحيوانية هي حجر الأساس ، وأهم محاصيلها الزراعية الدخان والأرز .

ويبلغ انتاجها من الحديد سنويا ستين مليون طن .

كما تصدر النحاس ، والصمغ العربى والفوسفات ، والجص والملح .

* المملكة المغربية : وبها من المعادن : الفوسفات والفحم والنفط الخام والحديد ، والزنك والمنجنيز ، والفضة ، الكوبالت وهى غنية بالأسماك وتملك أسطولا ضخما لصيد الأسماك يضم ٣٤٠٠ سفينة .

• عمان : بها محاصيل زراعية مثل : الليمون ، والمانجو ، والموز والحنطة والبصل .

كما يوجد بها نفط يصدر إلى ماليزيا وأوربا وأمريكا .

• قطر : يمثل البترول فيها ثلاثة أرباع الدخل القومى وقد بلغ دخل قطر من النفط الخام ٣٥٠ مليون دولار سنويا .

ويوجد بها الغاز الطبيعى ونقوم بها عدة صناعات للاسمنت والأسمدة الكيماوية ، وبها بعض المحاصيل الزراعية المحلية مثل الخضروات والحبوب .

• السعودية : وهى أغنى أقطار العالم الإسلامى بالنفط إذ بلغ دخل النفط الخام فى سنة ١٩٧٣ – ٤١٧ بليون دولار وبها مشروعات للزراعة ، والصوف والاسمنت والحديد والجلود والنحاس ، والرخام .

وتستطيع السعودية أن تلعب دورا هاما فى العمل الإسلامى ليس فقط فى نشاط رابطة العالم الإسلامى المشكور ، ولا فى الجامعات الكثيرة بل فى وقاية استغلال أموالها ضد الحركة الإسلامية فهناك مجموعة من المهندسين غير المسلمين يحصلون على أجور باهظة جداً من العمل فى الرياض ثم يستغل هذا المال ضد الدعوة الإسلامية ونشر مبادىء الأديان الأخرى .

وإذا كانت هذه امكانيات العالم العربى فان امكانيات الوطن الإسلامى لاتقل عن ذلك ، فاذا أضيف امكانيات بلاد العالم الإسلامى فى جنوب شرق آسيا إلى امكانيات العالم العربى ونظم ذلك فى سوق إسلامية مشتركة ، أمكن أن نضمن للعمل الإسلامى حركة طبيعية وقدرة ذاتية على التمدد دون مضاعفات أو تخاذل .

وتدل الاحصائيات على أن امكانيات بقية أقطار العالم الاسلامى كما يلى :

• أفغانستان : تعتمد على الزراعة وتربية الماشية فى اقتصادها القومى

ويوجد بها مصادر غنية للمعادن ، كما توجد بها مصانع لغزل القطن والصوف، والمنسوجات والجلود ، والرخام والزجاج والأثاث والبيوت الجاهزة .

• أندونيسيا : ويتوفر فيها : المطاط ، والشاى والبن ، وجوز الهند والتبغ والفلفل وبها بترول وصل فى عام ١٩٧١ إلى ٣٢٦ مليون برميل ويوجد بها الخشب .

وبها معادن النيكل ، والفضة والحديد ، بركسايت كما يوجد بها صناعات السكر والأسمدة الكيماوية والورق واطارات السيارات والأدوات الكهربائية . والبطاريات .

• ماليزيا غنية بالمطاط والقصدير وجوز الهند، والشاى والنرجيل ، وبها ثروة حيوانية تبلغ ٥٧٦ ألف رأس من الأغنام والأبقار .

وبها صناعات الخشب ، والحديد والاسمنت ، والفواكه المعلبة .

• إيران : بلغ انتاجها من البترول عام ١٩٧١ حوالى ١٦٥٧ مليون برميل بما يعادل ٩ ٪ من انتاج العالم .

ويوجد بها ١٠ ٪ من احتياطى الغاز فى العالم ، وبها مناجم للحديد والفحم والنحاس .

وهى غنية بالزراعة .

وإذا نظرنا إلى مجموع الصادر والوارد للدول الإسلامية والعربية أمكننا أن نلاحظ مسألتين .

الأولى : أن البلاد العربية والاسلامية تشكل وحدة اقتصادية متكاملة يمكن أن تستغنى عن بقية العالم الصناعى الآخر فى أكثر الدول أما فائض عن حاجتها أو ما يكفيها فاذا احتاجت بعض البلاد إلى تنمية فى بعض

المجالات فان البلاد الآخرى يمكن أن تمدها بالفائض على شكل استثمارات إسلامية شريطة أن يضمن العاملون فى الحقل السياسى أن يكون ذلك التنسيق من أجل بناء الذاتية الإسلامية لمجموع الدول .

الثانية : أن أكثر الصادرات من المعادن الأساسية للدول الأوربية والدول الصناعية الأخرى مصدرة البلاد العربية والإسلامية فان الله تعالى قد منح الأمم الإسلامية احتياطا من البترول الخام يمثل ٦٣٪ من احتياطى العالم وانتاج البترول فى البلاد الإسلامية يمثل ٤٨٪ من انتاج العالم .

ومعنى هذا أن الدول الإسلامية والعربية تستطيع أن تلعب دورا هاما بما عندها من هذه الضروريات للعمل الاقتصادى والصناعى فى هذه الدول وتستطيع أن تخدم الدعوة الإسلامية من خلالها قوتها الاقتصادية فالعصر الحديث لغته لغة اقتصاد فعندما عبر الجيش المصرى قناة السويس وأعان الملك فيصل حرب البترول قامت دراسات فى انجلترا واليابان للغة العربية بقصد التقرب من الدول التى تملك عصب الصناعات فى بلادهم وقد تطور هذا الاتجاه حتى افتتح فى بريطانيا قريبا مركزا عربيا بريطانيا مهمته زيادة التفاهم بين العرب والانجليز ، وصارت المحلات التجارية تكتب اعلاناتها باللغة العربية .

فلو أن الأمة العربية خطت هذه الخطوة وهى قادرة وجديره بذلك لأمكن الحصول على :

١ ــ اقتصاد متكامل متناسق .

٢ ــ استثمارات مأمونة العواقب فى البلدان الإسلامية .

٣ ــ رفع التخلف الصناعى من بلدان الأمة الإسلامية .

٤ ــ ضمان سير العمل الإسلامى فى الدعوة بعد خيبة مناهج الدب الأبيض والاستعمار الاقتصادى والفكر والحديث .

فاذا أضيف إلى استخدام هذه القوى الاقتصادية تنسيق بين العاملين فى الحقل الإسلامى فيتأسس مجلس أعلى للتنسيق للعمل الإسلامي تكون مهمته :

١ ــ حصر حاجات الدعوة وتبويب أولوياتها .

٢ ــ تنويع وظائف الدول العاملة في حقل الدعوة .

٣ ــ تمويل صندوق الدعوة .

٤ ــ الاشراف على مؤسسات العمل الاسلامى فى البلاد الاسلامية بحيث يتم بذلك الاشراف حسن سير عمل الدعاة ومدهم بما يلزمهم من الامكانيات

فاننا نثق فى مستقبل مشرق للدعوة إلى الله على بصيرة تؤتى فيها الحكمة ثمارها الطيبة وتبلغ الموعظة الحسنة فيها المشاعر الكريمة ، ويقع عندئذ الجدل هادئا هادفا ويومها : :

« فمن شاء فليؤمن : ومن شاء فليكفر » .

فقد تبين الرشد من الغى والله الهادى إلى سواء السبيل .

أبو الأعلى المودودي

ومكانته في الدعـــوة الاسلامية

منيت الدعوة الإسلامية في القارة الهندية بعدة بلايا شاقة من أولها :

* إن الملوك الذين استقر بهم المقام في بعض مقاطعات القارة الهندية استراحوا لما وصلوا إليه من عز وجاه فوجهوا الحكم إلى صالحهم وحدهم وتركوا نشر الإسلام وسط القارة الفسيحة .

* وأن العلماء الذين اشتغلوا بنشر الدعوة قد تركوا تعليم القرآن الكريم وتحفيظه ، وتدريس السنة وحفظ الحديث ، واشتغلوا بعلم الكلام وفلسفة اليونان ، وارتبكوا في الخلافات والخلافيات التي ازدحمت بها كتب المتأخرين من بعد السلف الصالح الرضى الذي انطلق بنشر الدعوة بالقرآن وبالحديث وبالسلوك القويم والقدوة الحسنة .

* ومن البلايا الشاقة ثانياً انحراف الملوك الإسلاميين إلى درجة تعطيل المبادىء الإسلامية إرضاء للوثنيين ، وإرضاء لشهوتهم ومحاولة خلق دين جديد يواجه الاسلام ذاته، وقد كانت هذه الحقبة المظلمة في عهد الملك (أكبر) من ٩٦٢ هـ إلى ١٠١٤ هـ .

* هذه الأحوال جعلت سير الدعوة الاسلامية مضطربا مقلقلا وعلى سنة الله دائماً في الحفاظ على دينه فقد هيأ جل جلاله الثقات من العلماء للدفاع عنه وكان في مقدمة هذه المعركة (الشيخ أحمد بن عبد الأحد الفاروقي السرهندي الملقب بمجدد الألف الثاني للهجرة وأخذ الشيخ طريق الجهاد وكان له أثره

المحمود فى ابطال القوانين المعارضة للشريعة الاسلامية ، وعودة الملك إلى حظيرة السلوك الإسلامى .

• ثم خلفه من بعده الشيخ عبد الحق الدهلوى ٩٥٨ - ١٠٥٢ﻫ ولطف الله وقدر وهيأ الملك زيب ١٠٦٨ - ١١١٨ ﻫ إلى أن يأخذ بيد الدعوة إلى الامام فسار شوطاً طويلا لحارب كل ما فعله جده الملك « أكبر » ولهذا فان المستشرقين عندما يكتبون عن الدعوة فى الهند يمتدحون الملك « أكبر الضلالى » الضليل الزنديق ويعرضون بالملك زيب حفيده لأنه أنهى كل خرافة ضالة ابتدعها جده الماجن :

« لقد ألغى الملك زيب المسلم العادل ما فعله جده فى البلاط الملكى من التقويم الإلهى ، والرقص والاحتفال بالسنة الشمسية ، ووزن الأجساد بالذهب للاسرة المالكة .. الخ ، ومنع القمار والبغاء وحـــرم التنجيم والخمر و .. الخ .

• لـكن بعد وفاته ضعفت الحالة الدينية وتذبذبت الأمور وحاول المنادكة السيطرة على بلاد المسلمين فقيض الله الامام ولى الله الدهلوى ١١١٤ - ١١٧٦ ﻫ الذى حمل لواء الاصلاح ووفقه الله لوضع تصور كامل للبيئة الهندية عن الإسلام بعد اللجاج الذي أصيبت به الدعوة الاسلامية من جراء ما حدث من خرافات وخزعبلات . أدخلها المعجبون بالتصوف البرهمانى وبدع الملوك فتوجه الدهلوى إلى تربية قيادة فكرية تفهم الاسلام أولا وتطبيقه ثانياً ، ثم تدعو إليه ثالثاً وكان من آثاره :

(أ) أن منبع الشريعة فى علم الحديث والفقه لا فى علم الـكلام .

(ب) أن القرآن الـكريم هو الأصل الذى يعتمد عليه فى فهم الاسلام ولذا فقد وضع لهم ترجمـــة تقرب لهم إدراك المعانى عند تلاوته بألفاظه العربية .

(ج) جدد لهم أساوب الفقه الحنفى بما وضعه من كتاب : حجة الله البالغة ، وكتاب الانصاف فى بيان سبب الاختلاف .. إلخ .

(د) بذل أقصى الجهد فى تعميم علوم السنة فى الهند .

(ه) تخريج جيل من العلماء الأفذاذ مثل الشاه عبد العزيز ورفيع الدين، والشاه عبد القادر والشاه محمد أسحق ، وحفيده اسماعيل .

وقد استمرت مدرسة الدهلوى تؤدى رسالتها عن طريق حفيديه السيد أحمد ولد عرفان بن ولى الله الدهلوى .

والسيد اسماعيل عبد الغنى ابن ولى الله الدهلوى .

لقد قام السيد أحمد بالدعوة داخل الهند للعودة إلى كنف الشريعة واجتثاث البدع والمنكرات ، والانسلاخ من عادات الوثنية ومراسم الشرك والجاهلية وكان ذلك خلال الفترة من ١٢٣١/١٢٣٦ ه. ثم توجه إلى مقاومة السيك تلك الطائفة التى انحرفت عن طريق التصوف المسالم إلى الوحشية الكاسرة فقتلوا أطفال المسلمين وشيوخهم وأغلقوا المساجد فى إقليم البنجاب فدعا الشيخ أحمد إلى الجهاد المقدس ودارت معركة حامية فى جمادى الآخرة ١٢٤٢ ه الموافق يناير ١٨٢٧ م ، واستمرت هذه الحرب زهاء أربع سنوات استولوا فيها على مدينة بيشاور وأقاموا فيها حدود الشريعة الاسلامية ، ثم فعلت الفتنة أفاعيلها ولعبت الخيانة دوراً انقلب ظهر المجن واستشهد الإمامان ، الجليلان : السيد أحمد بن عرفان ، والسيد اسماعيل بن عبد الغنى وذلك فى يوم الجمعة ٢٤ من ذى القعدة ١٢٤٦ ه .

ولم تكن الثورة على الإنجليز عام ١٨٥٧ م إلا نكبة على الأهالى ولاسيما المسلمون لأنهم طليعة الثوار ضد الاستعمار فى كل مكان فتحولت سياسة الانجليز إلى ملاحقة الحركة الإسلامية فوضعوا الفتنة بين المسلمين باشاعة إدعاءات كاذبة وفرضوا نظاماً من التعليم يختلف مع مبادىء الاسلام فوقع

المسلمون بين مخالب الاستعمار الإنجليزى من ناحية والجبروت الهندوكى والسيخ أو السيك من ناحية أخرى .

وفى الأفق البعيد وفى ظلال التثقيف الإستعمارى وضعف المسلمين وقلة حيلتهم ظهر السيد أحمد خان وكانت مهمته ترقيع الثقوب والتقريب بين الحكومة والمسلمين وركز فى أسلوبه على التربية والتعليم غير أنه أخطأ فى تعصبه للحضارة الغربية ومحاولته تفسير الإسلام وقضاياه على نحو يرضى عنه أصحاب العلوم الحديثة فى أوربا بينما كانت هذه العلوم فى دور النشور والارتقاء . ولذا فقد أصاب هذه الحركة ضعف .

وضعف حركة السيد أحمد خان يرجع إلى إفتتانها بأوربا فلم يستطع أن يملأ الفراغ الهائل فى قيادة الدعوة الاسلامية . ولكن كان له ثمار على كل حال .

ومن ثمار جهاده كلية عليكرة التى تأسست عام ١٢٩٣ هـ ، وصارت الآن جامعة مشهورة فى الهند .

ه وفى المواجهة حيث لم يقبل العلماء أسلوب أحمد خان فقد قامت مدارس إسلامية ترفض الحضارة الأوربية ولا تثق فيها وفى مقدمة هذه الحركة حر ة السيد أكبر حسين ذلك العابد الورع ٢٢٦٢ ـ ١٣٤٠ هـ ، وكذلك كان فى المواجهه تأسيس مدارس « ديونيد » التى حافظت على التعليم الإسلامى بصورته الأثرية القديمة فحدث بين الفكرتين الإسلاميتين فى النزعة جدل وخصام وافتراق فأثر ذلك فى حياة الدعوة الإسلامية من جديد . . فكان لابد لها من قائد وخطة وتفكير جديد فتكونت ندوة العلماء لمحاولة التخلص من الصراع بين التعصب للحضارة الأوربية المحضة ، والتعصب للاسلوب الأثرى فى التعليم الإسلامى ، فأخذت بكلا النظامين ورفعت ندوة العلماء

راية الوئام بين الطوائف الإسلامية ودعت إلى الاستمساك بتوجيه الله ورسالة خاتم الأنبياء ومضاعفة الجهود لاصلاح ذات بين المسلمين ، واستمرت الحال هكذا إلى العقد الثالث من القرن الرابع عشر الهجرى ذلك القرن الذى شهد انفجارات عديدة في مختلف أنحاء العالم الإسلامى وبخاصة فى شمال أفريقيا الإسلامى فقامت فى الهند عدة مظاهرات إسلامية تساند الأخوة المسلمين فى العالم العربى ولكن بعد الحرب العالمية الأولى تجزأت البلاد الإسلامية ونقضت بريطانيا عهودها فقامت فى الهند حركة إسلامية عنيفة قادها المفكر الإسلامى محمد اقبال ومالخص الحركة : الاعتزاز بالاسلام دينا ، والاستمساك بالتراث الإسلامى حضارة ومقاومة القاديانية الضالة وكان مع هذا الرائد المخلص رواد آخرون منهم مولانا محمد على .. وظلت الحركة الإسلامية السياسية تعمل لمساندة مسلمى طرابلس الغرب ومواساة منكوبى البلقان ومؤازرة بقاء الخلافة الإسلامية ولكن بالغاء الخلافة الإسلامية تبدلت الأحوال وصارت الأهوال تهدد الحياة الاسلامية فتحول ملك الأفغان إلى مراقص أوربا ، كما تحول أتاتورك كذلك إلى باراتها وقبعاتها وظهر فى الهند نغم منكرى الحديث الشريف .. فأدى ذلك إلى استعار المعركة حتى ظهرت دعوة إسلامية خالصة عام ١٣٥٢ هـ ١٩٢٣ م قام بها رجل مؤمن عالم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ مطلع على ملابسات عصره عارف بنزعات قومه بصير بأساليب عمل الدعوة ذلكم هو الامام العارف بالله الزاهد المجاهـد التقى الطاهر النقى مولانا أبو الأعلى المودودى رحمه الله رحمة واسعة وقـد أخذت دعوته هذه عدة مراحل :

المرحلة الأولى : ١٣٥٢ هـ ١٣٦٠ هـ — ١٩٣٣ م / ١٩٤١ م .
توضيح الحقيقة الإسلامية .

فى هذه المرحلة عنى الأستاذ الامام أبو الأعلى المودودى بتكوين الفكرة الصادقة السليمة للاسلام ونظمه ، واهتم فى السنى الأولى من بدء مهمته

بتنقية الفكرة الاسلامية من شوائب الآراء الزائفة والنزعات الجانحة ، وكشف عن مواطن الضعف وسوء القصد فى التصورات المنحرفة التي تدعى نسبتها إلى الفكرة الاسلامية .

وفى هذه الفترة انقطع فيها للتحصيل والمطالعة والكتابة وثابر الليل والنهار على اعتكافه وهو يجهد نفسه للقيام بحركة شاملة لإحياء الروح الاسلامى فى أرض وطنه ، وأسس لهذا الغرض مجلة « ترجمان القرآن » وفى هذه المجلة كشف للمسلمين الدور الخطير الذى يقوم به حزب المؤتمر الوطنى الهندى للقضاء على الاسلام والمسلمين . واستمر عرضه للموضوع زهاء ثلاثة أعوام استعرض فيها .

(أ) تاريخ المسلمين فى القارة الهندية ، وبين مواطن الضعف فيما سلف من العمر والسياسة التى ادت إلى الانحطاط ثم حمل فى نهاية هذا الشوط على لادينية حزب المؤتمر الوطنى الهندى .

(ب) فضيحة القومية الهندية والجمهورية اللادينية وخطورتها على الحركة الاسلامية وعلى وجود المسلمين فى القارة الهندية ، وأن المسلمين إذا وافقوا على هذا سيكونون كمن حكم على نفسه بالاعدام ، وأبان عن دور الاستعمار الانجليزى فى هذا المخطط .. وبهذا اتضحت شخصية الرابطة الاسلامية لمسلمى الهند وارتفع شأنها واشتد ساعدها .

(جـ) أدان الفهم العنصرى فى الرابطة الاسلامية لأنه كان يعلم أن أصحاب هذا الصوت يختفون وراء الاسلام ليبرروا مخططهم العلمانى الغربى فشرح للأمة المسلمة فى الهند فى سيل من مقالاته أن نعرة القومية الاقليمية منهج غربى وأن المستترين وراء الاسلام يفضحهم التبرج الذى يرى فى مجالسهم والإباحية التى تتفشى فى صفوفهم ، أما الدولة الإسلامية التى يراد بناؤها

فليس سبيلها الدعوة إلى العنصرية لأن الاسلام لا يعرف مثل هذا المبدأ أو مثل هذه الروح .

ولأن قيام دولة عنصرية سوف تقضي عليه الهندوكية التي تناصف المسلمين في عدد السكان في الأقاليم المزمع جعلها دولة إسلامية عنصرية ومنذ نشأتها سوف تتلاطمها أمواج الفتن ويعود المسلمون إلى المسكنة والضعف والغربة داخل دولة تحمل اسم الاسلام وهي ليست من الاسلام في شيء .

ولهذا الدور أهمية في ابراز فكرة الامام الشيخ أبو الأعلى المودودي في دعوته العامة إلى التحرر من قيود القومية ، والعنصرية فان الاسلام لم ينتشر بقوم ولا بأهل وطن وإنما انتشر بالعلم والتقوى والقدرة الصالحة والعلم النافع والبراهين الساطعة والحجج القوية ، ووضحت فكرة المودودى : أن المسلمين ليسوا أمة فحسب مثل سائر الأمم مثل ألمانيا ، وانجلترا ، والهنود ، بل هم خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله فهم بهذا لهم صلة بالله ورسوله وبالقرآن ، لا بالقومية ولا بالوطنية ولا بالعربية والاقليمية لأن العدل لا يعرف نزعة معينة ولا أرضا معينة ولا نسبا معيناً وإنما العدل الذى ينشده الاسلام يعرف المصدر الأعلى والوحى المعصوم ، والنبوة الخاتمة .

وانتهى دور هذا البنيان للفكرة الإسلامية التى قام بالدعوة اليها الإمام الراحل المودودى فى عام ١٩٣٩ م .

* وكان الشيخ أبو الأعلى المودودى يهدف إلى استمرار كفاح المسلمين فى الهند كلها دون فصل جزء منها لبناء دولة مستقلة . . وقد بينت الأحداث صدق رأيه . . ولكن المغالين فى فهم القوميات وصفوا الإسلام بأنه قومية فى مواجهة الهندية واتخذوا من باكستان مقرا للقومية الإسلامية وكان ذلك

شعورا فياضا فى نفوس الأغلبية الساحقة للمسلمين . فوجد المودودى نفسه أمام أمرين كلاهما أمر من الآخر :

الأول : إذا خسر المسلمون دعاة القومية ولم يحصلوا على دولة إسلامية مستقلة فقد خسرت الأمة الإسلامية كلها وضاع الكفاح هباء وتعقدت الامور واندحرت الأمة الإسلامية لأنها ستكون قومية منهزمة أمام قومية منتصرة ؟.

الثانى : إذا نجح المسلمون فى اقامة دولة وانقسمت البلاد فماذا يبقى لنا من وسع وأسلوب لنشر تعاليم الإسلام وسط القارة الهندية والتى سوف تتميز فيها القوميتان : كل قومية فى دولة فلما سبيلنا إلى نشر الإسلام داخل دولة الهند ؟

بل إذا تأسست باكستان كدولة إسلامية تحت زعامة ذلك الصنف العلمانى فما هو السبيل يومئذ لتحويلها إلى دولة إسلامية حقيقية ؟

ومن هنا برزت فكرة الجماعة الإسلامية وفى شهرشعبان ١٣٦٠ﻫ أغسطس ١٩٤١م اجتمع خمسة وسبعون رجلا من مختلف أنحاء الأمة واتفقت كلمتهم على تأسيس الجماعة الإسلامية للنهوض بدعوة الإسلام واعلاء كلمة الله في أرضه ، وانتخب السيد الإمام أبو الأعلى المودودى أميرا لهذه الجماعة .

المرحلة الثانية : ١٣٦٠ ﻫ/١٣٦٦ ﻫ - ١٩٤١م/ ١٩٤٧ م

بناء الجماعة الاسلامية :

يعتبر قيام الجماعة الإسلامية أول طريق المرحلة الثانية من كفاح الشيخ المودودى فقد شرعت الجماعة فى أداء مهمتها نحو تربية جيل من الشبان والأساتذة فى الجامعات تتعلق بمحاسن الإسلام وامتيازاته بأسلوب عصرى يتلاءم مع الذوق العام لهذه الطائفة من الناس كما عنيت الجماعة بتربية أعضائها

الذين ينضمون اليهـا وتنشئتهم على الأخلاق الحميدة الفاضلة ، والسجايا الكريمة والطباع النبيلة ، وكان الاتباع لهذه الجماعة ينقسمون إلى قسمين :

ـ عضو ركن : وهو من يقبل تعاليم الجماعة نظريا وعمليا .

ـ عضو متفق أو أنصار وهو من يقبل تعاليم الجماعة ويساعدها نظريا ولا يطبقها عمليا .

وقد اتخذت الجماعه لهذه التربية أماكن خاصة سمحت لهم بحرية النقد من أجل البناء الوجدانى للفرد المسلم وعودتهم على تطبيق النظام الإسلامي من الآداب الفاضلة والاخلاق الحميدة ، وعلمتهم أسلوب تبليغ الدعوة .

فكان على كل عضو :

(أ) أن يعرض تفاصيل الدعوة إلى الله على كل من يلوذ به من المسلمين وغير المسلمين .

(ب) وان يواظب على نشر تعاليم الإسلام بواسطة الدراسة والمطالعة والاخلاق وحسن المنطق وتحمل الاذى ودعوة الناس كافة إلى خيرها والرشاد اليها ..

(جـ) أن يتحلى كل عضو بصفات المسلم الصادق ويروض نفسه على الاستمساك بها فى المنشط والمكره .

(د) المحافظة غلى نظام الجماعة وادراك أنها قامت من أجل أحياء الدين نظاما كاملا شاملا .

المرحلة الثالثة : ١٣٦٦ هـ/ ١٩٤٧ م

فى لحظة بناء الجماعة الاسلامية لجيل من الشباب الإسلامى فوجئت بالحدث

الخطير وهو فصل باكستان واعلان أنها دولة للمسلمين ولسوف يكون المسلمون آنذاك فى العالم كله قد هللوا وكبروا لهذا الحدث ولكن الآلام التى صاحبته وقتل آلاف المسلمين وسوقهم سوقا إلى الدمار ليخرجوا من الهند لا إلى باكستان بل إلى الموت والتشرد والجوع كانت صورة رهيبة قابلها زعماء تلك السياسة بالبرود الانجليزى الذى مهد لكل هذه الأحداث ليخرج الإسلام من القارة الهندية ، وليسام المسلمون الخسف فى دولة باكستان تحت زعامة علمانية لاتقل فى كراهيتها للاسلام عن زعماء الهندوكية والاستعمار أنفسهم . . وهذا هو الذى حذر منه الإمام الراحل أبو الأعلى المودودى فى المرحلة الأولى من كفاحه وهو يوضح للمسلمين الحقيقة الإسلامية .

فوجئت الجماعة الإسلامية بهذا الحدث وهي بعد لماتستكمل برامج تربيتها . . وكانت تتمنى أن لو تأخر هذا الحدث بضع سنوات ، لتستطيع الجماعة مواجهته وتحويل الزعامة فى الدولة الجديدة إلى حقيقة الإسلام .

فوجئت الجماعة الإسلامية بهذا الحدث الذى فصلها إلى شطرين بعد قيام دولة باكستان فلم تعد الجماعة واحدة لكل القارة الهندية بل صار شطرها فى الهند لمن بقى من المستضعفين من مسلمى الهند ، وشطرها الآخر فى باكستان يواجه جحافل الظلم وعقابيل المشكلات .

وكان امتحاناً قاسيا للجماعة الاسلامية فى كلا الشطرين :

• أما فى هندوستان فقد نظمت الجماعة نفسها بسرعة وأسسوا مركزهم فى مدينة (رامبور) وانتخبوا الأستاذ أبا الليث الندوى أميراً لهم ، وقدموا خدمات للمنكوبين من الأمة الإسلامية حتى أرهقوا مالياً وصحياً ، وحق أن تاريخ الجماعة الحديث ليشهد لأمير الجماعة أبى الليث الندوى وأصحابه أنهم كانوا السلوى الوحيدة للشعب المسلم فى الهند المضطهد من بنى جنسه

وجيش الاستعمار على السواء .. وكان عدد الجماعة الإسلامية فى الهند آنذاك ٢٤٠ شخصاً رجلا وأمرأة .

وأما الجماعة في باكستان فقد شمرت عن سواعد الجد وأعلنت الكفاح وعممت الدعوة إلى الأمة كلها ودعت إلى أحياء النظام الإسلامى وإقامة الدين بالكامل ووضحت للأمة عدة أمور :

الأول :.أن المجتمع الباكستانى على قدر ما به من شوق لإحياء النظام الإسلامى فان زعماء هذه الحركة لم يعرفوا عن حقيقة الإسلام شيئاً لأن زعماء الحركة انشغلوا فى المناوشات السياسية مع الهنادك لفصل باكستان ولم يشغلوا أنفسهم بمعرفة حقيقة النظام الإسلامى ، وكذلك أبناء الشعب نفسه انشغلوا بالحياة وبالعمل السياسى ولم يفطنوا إلى معنى إقامة دولة إسلامية .

الثانى : إن سلوك قادة الدولة الجديدة لا يتفق مع الاسلام لأنهم أوربيون فى النزعة والأخلاق والسلوك .

الثالث : إن تصرفات القادة مع اللاجئين المسلمين كانت خارجة على المشاعر الكريمة فقد فشت فيهم الرشوة لحظة الجفاء والقسوة التى كان يعيشها المهاجرون وفى مواجهة البنادق والسيوف المصلتة عليهم من قبل الهنادك والسيك .

الرابع : أن نهب الأموال وهتك الأعراض من ساعة الهجرة من الهند إلى باكستان قد خلف شعباً فقيراً معدماً بائساً حزيناً .

أخذت الجماعة تعمل على معالجة كل هذه الأمور ، وتخفف من ويلات العوز والفاقة وتبصر الناس بعواقب الأمور ، وراحت تجوب البلاد فى باكستان شرقاً وغرباً تحمل دعوة الله إلى الناس وتبصرهم بشئون دينهم ودنياهم عن طريق النشر والمحاضرة والدرس والندوة والزياره وكان ذلك فى

عام ١٩٤٨ م وكان عدد أعضاء الجماعة ٣٣٥ شخصاً ثم نشرت الجماعة بيانها الذى طالبت فيه الحكومة باقامة النظام الإسلامى ، وقد أعان هذه المطالب الإمام الراحل الشيخ المودودى فى كلية الحقوق بلاهور فى ١٩ فبراير سنة ١٩٤٨ وهي عبارة عن أربع نقاط :

١ — أن الحاكمية فى باكستان لله العلى الأحد .

٢ — أن الشريعة الإسلامية هى القانون الأساسى لباكستان .

٣ — يلغى كل ما يعارض الشريعة الإسلامية من قوانين .

٤ — لا تتصرف حكومة باكستان فى شئون الدولة إلا فى إطار الحدود التى رسمتها الشريعة الإسلامية .

وتلقت الأمة الإسلامية هذه المطالب بالقبول والترحاب وتناولوها بالمحاضرات والندوات والحفلات والمقالات .

وأحس العلمانيون تلاميذ الاستعمار الانجليزي بخطورة المطالب فعمدوا إلى الأسلوب الانجليزي فى مواجهة الأمور وذلك بدس اشاعات كاذبة فأشاعوا أن المودودى يقول بعدم مشروعية الجهاد فى كشمير .. ليحولوا حماس الجماهير نحو مسألة خارجة عن المطالب الأربعة .. وأعتقلت السلطات العلمانية الإمام الراحل الشيخ أبو الأعلى المودودى وبعض أفراد الجماعة وذلك فى شهر أكتوبر سنة ١٩٤٨ م وعطلت صحف الجماعة بل والمجلات الأخرى التى تساعدها وتسير فى خطها الإسلامى .. ولم يفت ذلك فى عضد الجماعة ولا الشعب المسلم فى باكستان فارتجت المدن ارتجاجاً لهذا الصنيع وقامت المظاهرات فى شتى أنحاء البلاد حتى اضطرت الجمعية التأسيسية فى مارس ١٩٤٩ إلى إعلان قرار تاريخى عرف بقرار المبادىء .

وقد أعان فى هذا القرار : أن الحكم فى هذا الكون لله وحده وأن

الدولة مسئولة عن وضع دستور يؤهل به المسلمون لأن ينظموا حياتهم الفردية والجماعية حسب تعاليم الإسلام .

وقد أقر المودودي وهو في السجن هـــذا البيان غير أن العلمانيين في في السياسة يأخذون الاسلام كمهدىء للاعصاب ومسكن للفورات فاذا ما سكن الشعب وهدأ نام كل شيء فلقد نام ذلك القرار ..وراحت الحكومة في باكستان تستخدم قانون ١٩٣٥ الهندى الانجليزى النزعة والنظام . فبدأت المعركة من جديد واستمرت المعركة من حالة إلى حالة إلى أن جاء الحاكم المعاصر القائم على شأن باكستان ضياء الحق وأعلن أنه يريد إقامة الحـكم الإسلامى فى باكستان .

ونعود فنقول أن حركة الجماعة الاسلامية تسعى إلى :

١ - أن تقوم الدولة على أسس إسلامية وأن تحمى من هجمات التيارات المعادية للاسلام .

٢ ـــ أن تبذل الجهود لإصلاح شأن المجتمع ورقيه الخلقى والعقلى والاجتماعى .

٣ ـــ ألا يعود نظام جاهلى إلى الدولة بأسلوب أو بآخر .

٤ ـــ أن تستبدل زعامة راشدة بالزعامة الحاضرة الفاسدة .

لقد كان المودودي رحمه الله أمة في التفــكر ، والعمل ، والدعوة ، والجهاد وقد لقى من خالص عمله ما يلقاه المجاهدون من صبر على البلاء وشكر يرطب اللسان ، وعلم ينفع العباد ، وقلب مطمئن سليم يلقى به ربه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

قيمة المودودى فى نظر العلماء :

قال الشيخ الندوي :

« للأستاذ أبو الأعلى المودودى صفات عديدة ترشحه للزعامة الفكرية فى شبه قارة الهند منها : صفاء الفكر ، والاطلاع على مناهج الفكر الحديثة والثقة بفضل التعاليم الإسلامية ، وجدارتها للبقاء والانتشار ، والاعتداد بالنفس ومواجهة الحضارة الغربية ونظمها بشجاعة والقلم البليغ السيال والأسلوب القوى الدافق وقد كان لبحوثه العلمية الأولى التى كتبها فى الهند التى كان يتكلم فيها عن مستوى عال وقوة وثقة ، ولمقالاته ورسائله دوى عظيم فى الأوساط الإسلامية التى كانت تعانى قلقاً فكرياً وجلبت إليه عدداً وجيهاً من عشاق الفكرة الاسلامية وهواة المجد الاسلامى » .

هذا رأى عالم فذ من الأفذاذ فى الدين والعلم والدعوة هو الشيخ أبوالحسن على الحسينى الندوى وهى شهادة يعتز بها العاملون فى حقل الدعوة الاسلامية لأنها تبرز مكان الامام الراحل الشيخ المودودي أنه قائد فكرى إسلامى ، ورائد اجتماعى مسلم ومصلح إسلامى كبير ، وسياسى بارع فى إدراك الأحداث وعواقب الأمور .

الانتاج العلمى للمودودي:

تكاد البلاد الاسلامية كلها تكون قد عرفت الثروة الحية الممتعة التى خلفها الإمام الراحل فهى تعطر مكتبة كثير من شبان العالم الاسلامى التى حرص على طباعتها ونشرها وقراءتها ومن انتاجه العلمى :

١ — تفسير سورة النور .

٢ — الحجاب .

٣ ـ الربا .

٤ ـ الجهاد .

٥ ـ الاسلام والجاهلية .

٦ ـ مبادىء الاسلام .

٧ ـ الدين القيم .

٨ ـ نظرية الإسلام السياسية .

٩ ـ معضلات الاقتصاد وحلها .

١٠ ـ المسألة القاديانية .

١١ ـ نحو دستور إسلامى .

١٢ ـ دور الطلبة فى مستقبل العالم الإسلامى .

١٣ ـ منهج الانقلاب الإسلامى .

١٤ ـ المصطلحات الأربعة فى القرآن الكريم .

١٥ ـ نظرية الإسلام الخلقية .

١٦ ـ نظام الحياة فى الاسلام .

١٧ ـ الأسس الأخلاقية للحركة الاسلامية .

١٨ ـ واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم .

١٩ ـ مسألة ملكية الأرض فى الاسلام .

٢٠ ـ المسلمون ومعضلات السياسه الحاضرة .

٢١ ـ التفهيمات .

٢٢ ـ التنقيحات .

٢٣ ـ الخطب .

٢٤ ـ القانون الاسلامى .

٢٥ ـ شهادة حق .

٢٦ ـ الحضارة الاسلامية ومبادؤها .

٢٧ ـ تحديد النسل .

لقد كان المودودى رحمه الله ورضى الله عنه ثالث ثلاثة هم غرة القرن الرابع عشر الهجرى جعلهم الله فيه حماية للفكرة الاسلامية من الضياع ، وغوثاً للأمة الاسلامية عندما يتكأكأ الظلم عليها ، ونبراسا للشباب عندما يكون الليل حالكا .

وهؤلاء الثلاثة هم :

* الشيخ حسن البنا : الذى بدأ فى إيقاظ الأمة الاسلامية نحو الوحدة وفض الخلافات ، ومحاربة الاستعمار ، وعمـــل على إعادة الخلافة الاسلامية .

* الشيخ عبد الحليم محمود : الذى وضع الأزهر على طريق الرسالة فنشر المعاهد ، ووسع جامعة الأزهر ، ووجه السلوك والأخلاق فى لحظة النكسة إلى الطريق المستقيم .

* الشيخ أبو الأعلى المودودى : الذى عمر ديار ما وراء النهر بالحقيقة الاسلامية ، وبناء الدولة الاسلامية . وراد الشباب إلى طريق قويم .

* إن هؤلاء الثلاثة هم أعلام على طريق الـكفاح للدعاة من علمهم الذى

اتفقوا عليه يستقي المخلصون شراباً طهوراً للفهم والورع والتقوى،ومن كفاحهم المستقيم يرسمون خطى الجهاد الصحيح ، ومن سيرتهم العطرة يستنشقون عطر الصلاح ورائحة الجنة .

ألا فى ذمة الله يا شيخنا وعند مليك مقتدر مقعدك إلى يوم أن تبعث مرضيا عنك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك لك ولأمثالك رفيقا .

هل ستكون أندونيسيا دولة إسلامية ؟

INDONESIA
NEGARA ISALAM KAH ?

فى أغسطس عام ١٩٧٦ أفتتح الرئيس سوهارتو محطة إتصال تليفونى عن طريق القمر الصناعى الذى يربط بين جزر إندونيسيا المترامية الأطراف البعيدة داخل البحار .

وفى حفل الأفتتاح وزعوا خريطة تحمل ملخص المشروع وبها إحصائية عن عدد الجزر الآهلة بالسكان ، وعدد السكان أنفسهم .

وبالأطلاع على ما جاء فى هذه الخريطة وهي آخر ورقة رسمية يعتمد عليها فى معرفة جغرافية الجزر والسكان فى إندونيسيا نجد أن الجزر الإندونيسية عددها ١٣٫٦٧٧ جزيرة الآهل منها بالسكان ٦٫٠٤٤ جزيرة ، وعدد السكان ١٣٠ مليوناً .

وتقع هذه الجزر بين خط عرض ٦ شمالا وخط عرض ١١ جنوباً وخط طول ٩٥ وخط طول ١٤١ وهى المنطقة الواصلة بين قارة آسيا وقارة أستراليا.

وثرائها مكشوف وكثير فمنها : البترول ، والقصدير ، والفضة ، والذهب والنيكل والحديد ، والفحم ، والنحاس ، وقد إكتشف اليابانيون أخيراً معدن اليوارنيوم بالإضافة إلى ثروتها الخشبية والأسماك ، والفواكه ، والمحاصيل الزراعية الأخرى مثل الذرة والأرز والشاى ، والبن ، والفلفل ، والقرنفل . . والتوابل . .

هذه الجزر يعيش فيها المسلمون منذ أربعة عشر قرناً عندما بزغت شمس الإسلام وإستقبل الناس فى هذه الجزر دين الله الحنيف ساعة بزوغه .

وكان لهذه الجزر قبل الإسلام شأن بعيد فى عبادة الأوثان ، وكانت هناك عدة ممالك مؤسسة على هذا البطلان مثل :

مملكة ماترام فى جاوا الوسطى .

مملكة ماجافاهيت فى جاوا الشرقية .

مملكة فجا جاران بجاوا الغربية .

مملكة منغ كابو فى سومطرة الشمالية .

مملكة سيريوى جايا فى سومطرة الجنوبية .

وكان بين هذه الممالك صراع على التوسع والحكم . . . فلما جاء الإسلام الحنيف ودخل الناس فى دين الله عن طريق الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة وذلك فى القرن الأول الهجري على ماهو المعتمد عند كبار رجالات العلم من أهل هذه الديار قامت فى إندونيسيا عدة ممالك إسلامية بعد أن تلاشت ممالك البدوذية والهندوسية .

وممالك الإسلام هى :

* دولة فاساى بسومطرة الشمالية .
* دولة ملاكا بماليزيا الآن .
* دولة ديماق فى جاوا الشرقية .
* دولة فاجانج .
* دولة تشربون فى جاوا الغربية .

* ودولة ماترام الإسلامية فى جاوا الوسطى بدل ماترام البوذية.

* دولة الإسلام فى آتشه فى سومطرة الشمالية بعد أن سقطت مملكة الإسلام فى فاساى لهجوم دولة ماجا فاهيت عليها .

المملكة الأسلامية فى جهور ماليزيا الآن .

ولقد عاش الإسلام فى هذه الديار يزكى فى أبناء الأرخبيل ميولهم للأمن والطمأنينة ، ويقوى فيهم عواطف الحب والحنان ، ويجدون هم فيه متعة الروح، ولذة العيش الأمين الهادىء .

وكان المسلمون فى هذه الديار أشبه بالملائكة وهم فى المساجد يصطفون للصلاة رجالا ونساء ، ويحيون شعائر الاسلام ومواسم البر والخيرات والبركات . . وعاشوا وحدهم فى دولة إسلامية وهم قوم يحسنون الجوار فيما بينهم وقد زكى الاسلام هذا التقليد فعاشت الدول الإسلامية فى أرخبيل الملايو (إندونيسيا وماليزيا وسنغافورا) والمودة هى الحبل الذى يربطهم ، والعيش الرغد ، والخير الكثير هو الذى يخيم على مجتمعهم فلم تكن لهم صلة بالدولة الاسلامية فى الشرق العربى على تطورها : لم تكن لهم بالأمويين صلة ، ولا بالعباسيين ، غير أن الصلة الضعيفة التى يذكرها التاريخ أن حكام البلاد أرادوا إقامة علاقة طيبة مع الدول الإسلامية فى عهد العثمانيين فأرسل الاتراك لهم خبراء عسكريين يدربونهم على فنون الحرب .

ولقد كان حكام الممالك الاسلامية فى غاية الشوق إلى الاتصال بالحكام المسلمين فى الشرق العربى فأسموا أنفسهم (سلاطين) تيمنا بالألقاب التى كان يستخدمها سلاطين المسلمين فى بلاد الشرق العربى الاسلامى . .

لم تكن الدولة الإسلامية فى الشرق العربى ذات صبغة توسعية . .

ولم تكن طبيعة الإنتساب إلى الإسلام تعطى هذا المعنى ولا تدفع لهذا

الطمع فعاش المسلمون فى الشرق العربى تحت رايتهم الإسلامية ، وعاش المسلمون فى دول الإسلام بجنوب شرقى آسيا تحت رايتهم الإسلامية ... ولو قوى اللقاء بين أهل الدين الواحد والعلم الواحد(علم الإسلام) لما تمكن الإستعمار الأوربى من تحقيق نهمه فى إستعباد بلاد الإسلام فى جنوب شرقى آسيا فقد طمعت هولاندا فى أندونيسيا فى أواخر القرن السادس عشر ١٦٠٢ ، وطمعت البرتغال فى ماليزيا فى أوائل القرن السادس عشر ١٥١١ ، وطمع الإسبان فى ما نبولاس (الفليبين فى عام ١٥٢١ م .

وفى القرن الثامن عشر دخلت إنجلترا إلى منطقة جنوب شرقى آسيا فى الملايو ، وسنغافورا... وبدأ التعاون الاستعمارى للاجهاز على الممالك الإسلامية فى هذه المنطقة وكانت الخطة كالآتى :

١ ـ تحويل جميع المواد الخام لتصنع فى أوربا حتى يترك أبناء المنطقة جاهلين بشئون الصناعة .

٢ ـ تركيز التجارة فى يد الأوربيين والصينيين وإقصاء الجنس العربى عن التجارة الخارجية .

٣ ـ زرع بذور الخلاف الدينى بين المسلمين .

٤ ـ زرع بذور الخلاف بين العرب والسكان الأصليين .

٥ ـ الدعاية ضد الإسلام بأنه دين العرب .

٦ ـ تربية الفكر القومى المعادى للقوميات الأخرى .

٧ ـ إدخال الفكر الإلحادى ليسهم فى توهين التحمس للاسلام من نفوس الشباب .

٨ ـ تعليم الأطفال فى المدارس أن العرب مرابون وأنهم بخلاء وأنهم مستعمرون وذلك عن طريق قصص باطلة فى كتب المطالعة .

٩ ـ التبشير بالمسيحية عن طريق : المدارس ، المستشفيات ، الكتب والنشرات ، والزيارات الشخصية ، المنح الدراسية ، المعونات الاجتماعية ...

١٠ ـ إدخال الجنس الصيني ليقوم بدوره في تشويه الحياة الاجتماعية ، والاقتصادية ، والدينية .

ولم يفطن المسلمون لهذه الخطة..وإنهمروا فى الدعوة إلى الجهاد السياسى وإخراج المستعمر من البلاد . . .

لقد إستمر الاستعمار الهولندى فى إندونيسيا ثلاثة قرون ونصف قرن أتى على كل خير فيها ولم يترك فيها واحداً قد تعلم كيف يمر الشاي الاخضر بأدوار الصناعة ، وأرسى في نفوس الأمة صراعاً صدع الأسس العظيمة التى كان يحيا عليها الشعب المسلم فى إندونيسيا... ولم تظهر هذه الصرعات إلا يوم أن أعلن إستقلال إندونيسيا عام ١٩٤٥ .

وكان الحصول على الإستقلال نتيجة جهاد علماء الإسلام . . .

الامام بونجول .

الإمام دى بونو جورو .

الإمام أجوس سالم .

الإمام حسبي الدين .

الإمام عبد القهار مذكر .

وغيرهم من العلماء المجاهدين بالسيف والقلم والنفس والنفيس . . .

ولكن الاستعمار كان قد صنع سوكارنو وعشش فى نفسه عنكبوت القومية . ولذ له الشيطان الاباق عن الاسلام . . فظهر ماكان مكتوما وبان ماكان مختفيا وظهر الحسك بشكله القبيح يوم أن إجتمعت الهيئة التأسيسية التي إنتخبت لوضع الدستور عام ١٩٥٧ م .

ولم يكن فى الحسبان أن النص على أن إندونيسيا دولة إسلامية أمر عسير لأن ٩٠٪ من سكان إندونيسيا بل إن ٩٥٪ من سكان الأرخبيل يدينون بالإسلام منذ أربعة عشر قرناً من الزمان .

ولكن الاستعمار كان قد ربى له الأفاعى ، وأعد من الأمة لها أعداء . . . فظهرت فكرة الفانشاسيلا Pancasila (المبادىء الخمسة) وهى :

١ — الأيمان بالله مطلقاً .

٢ — الأنسانية .

٣ — سيادة الشعب .

٤ — القومية الاندونيسية .

٥ — العدالة الاجتماعية .

وكانت هذه المبادىء فى مواجهة أن الاسلام هو أساس الدولة وقدم الماركسيون الاشتراكية كأساس للدولة الجديدة فظهرت اتجاهات ثلاثة :

الإسلام .

الفانشاسيلا .

الأشتراكية

وهذه الإتجاهات لم تكن وليدة الصدفة بل عمل الاستعمار لها منذ ثلاثة قرون ... وبينما الحركة الإسلامية تجاهد من أجل الاستقلال وإخراج المستعمر الأوربى من البلاد . كان الماركسيون يعملون على اغتصاب الحكم . وكان القوميون يضمرون السوء للاستيلاء على ثمرة النصر الذى سيحرزه المسلمون .

وفى اللجنة التأسيسية لوضع الدستور عام ١٩٥٧ ظن المسلمون أن المعركة معركة إقناع وبراهين وأدلة فقدموا تصوراً علمياً وتاريخياً رائعاً ، ألقاه

الأستاذ الدكتور محمد ناصر وطبع تحت عنوان : (اختاروا إحدى السبيلين : الدين أو اللادينية) .

ولكن القضية ليست قضية إقناع ولا قضية براهين وإنما هي قضية تكتيك سياسي سريع وبدأ سوكارنو الخطة وهي :

(ا) تحالف بين الماركسيين والقوميين في اللجنة التأسيسية .

(ب) تخذيل التجمع الإسلامي وتوهينه وكسر قوته .

(ج) تخدير المشاعر الإسلامية في الداخل والخارج ..

(ا) أما فيما يتعلق بالنقطة الأولى فقد تحالف سوكارنو ممثل الحزب الوطني القومي الأندونيسي مع الاشتراكيين وهم صنفان : اشتراكيون يتبعون موسكو ، واشتراكيون يتبعون بكين ، وأعلن حل الهيئة ونادى بالفانشاسيلا كأساس للدولة وتمرد المسلمون على هذا الوضع ولكن سوكارنو حل الحزب الإسلامي المتمرد ووصفه بكل ألوان السباب السياسي المعروف عند أشباه سوكارنو .

(ب) وأما فيما يتعلق بتخذيل المسلمين فقد كان حل الحزب الإسلامي إحدى علامات الديكتاتورية التي لن ترحم العمـــل الإسلامي من قبول الفانشاسيلا فأعلنت الهيئات الإسلامية كلها قبولها لهذه المبادىء وجعلتها أساساً في برنامجها .. فوجد بذلك جو من الانفصام بين المستمسكين بالحق والهدي وبين القيادات الإسلامية التي أرغمت على قبول الفانشاسيلا واستمر سوكارنو في تخذيل القيم الإسلامية حتى وصل به الأمر إلى فعل أمور يندى الحيـاء من ذكرها بل يمنع الشرف الفطري من قصها .. وبات التجمع الإسلامي في إندونيسيا يلبس ثوباً خلقاً بالياً ، ويعيش في صحة عليلة : القيادات الأمينة في المعتقلات والقيادات المرغمة على العمل تهنأ مع سوكارنو ، والشباب المسلم حائر بين شقي الرحى : الجهاد المر أو الحيـاة الرغيدة ، ووجدت الشيوعية

جذورها تتمدد فى أرض رخوة سهلة فصار الحزب الشيوعى فى إندونيسيا أقوى الأحزاب الشيوعية فى العالم ... فقد تسلط على الحكومة والطيران ، البحرية والاقتصاد والعمال ...

وأرغم سوكارنو زعماء الحركة الإسلامية العملاء له أن يعلنوا قبولهم للعمل مع الشيوعيين احتراما لمبادىء الفانشاسيلا وتحقيقا للوحدة الوطنية التى جعل شعارها (نساكم) اتحاد التحالف الوطنى الدينى الشيوعى فى الأمة الاندونيسية . (Nasakom)

واستقرت الحياة عند سوكارنو على هذا المزيج والخليط السيء المشوش المشوه حتى كانت ثورة الشيوعيين الفاشلة فى سبتمبر سنة ١٩٦٥ م

وكان الحزب الشيوعى قد أقام له المدارس والجامعات واستورد لها من الصين أساتذة ، وبدأ فى تنفيذ السلوك الشيوعى : لا شرف ، لا أخلاق . لا قيم، لا قانون فانكسرت حدة التحمس الإسلامى فى مظهرها العام لولا بقية استبقاها الله فى بعض الشباب الصابر المحتسب .. (H.M.I.)

وأما فيما يتعلق بتخدير المسلمين فى الداخل والخارج فقد كان سوكارنو يصلى الجمعة إماماً فى مسجد صغير بناه فى ساحة قصر الجمهورية ، ويقيم احتفالات بالمولد النبوى الشريف ، والإسراء والمعراج ، وليلة القدر ، وليلة النصف من شعبان .. وكان جل الحاضرين من القوميين واللادينيين ... فهى فرصة للضحك على أصحاب المشاعر الاسلامية ، وهي فرصة للترف والبذخ والإنفاق ، وقيل فى شأن سوكارنو بعد سقوطه إنه كان يحضر هـــذه الاحتفالات وهو فى حالة غير لائقة بالقيم الانسانية . هذا فى الداخل .

أما فى الخارج فقد كان سوكارنو يتمتع بأسلوب غاية فى السحر والجاذبية ... وذلك شأن كذابى السياسة ومنافقى الشعوب .

فقد عملت الديبلوماسية الخبيثة أيام مراكز القوى الموالية للاتجاهات

الماركسية فى مصر أن يدعى الرئيس سوكارنو وهو فى لحظة الفتك بالإسلام هناك ليمنح الدكتوراة الفخرية من الأزهر كتخدير للشعور الاسلامى الذى استيقظ يصب عليه جام غضبه ، وجاء سوكارنو إلى الأزهر فى أبريل سنة ١٩٦٠ وأقيم له احتفال لم تشهده من قبل قاعة الشيخ محمد عبده وخطب سوكارنو خطبة تقليدية تحدث فيها عن الفانشاسيلا وكان ملخص حديثه :

إننا فى إندونيسيا نستمد قوى كبرى من فلسفتنا القومية (الفانشاسيلا) إنها مجموعة من المعتقدات والإرشادات منحت من خبراتنا وتجاربنا الماضية ومن تاريخنا كله إنها فلسفة تقوم على الذاتية القومية . وقال :

« إن الفانشاسيلا لا تستبعد على وجه التحقيق أولئك الذين يدينون بأديان أخرى ولا الذين لا يتبعون دينا على الإطلاق .. نحن لا ننسى أبدا أن المسيحى والبوذى واللادينى كل هؤلاء إلى جانب المسلمين هم مواطنون فى الدولة الإندونيسية[1] .

وهذه مغالطة لأن المسلمين ـ ٩٠٪ ـ هم الذين أحرزوا الانتصار والبلدان الإسلامية فى الأمم المتحدة هي التى وقفت إلى جوار إندونيسيا فى قضيتها لأنها بلد إسلامى ومصر الإسلامية هي أول الدول التى اعترفت باندونيسيا وهي أول دولة أرسلت سفيراً إلى العاصمة القديمة (جوجاكارتا) لأن مصر قلب العالم الإسلامى ، ولأن أندونيسيا فى ذلك الحين تمثل قطراً إسلامياً من أقطار الإسلام .

ولقد صارت الأوضاع فى إندونيسيا منذ الاستقلال إلى يومنا هذا حول هذا الصراع هل ستقام فى إندونيسيا دولة إسلامية ؟ .

---

(١) المحاضرات العامة للأزهر : الموسم الثقافى الثانى سنة ١٩٦٠ ص ١٣ و ١٥

وإذا كانت (الفانشاسيلا) هى الأساس للدولة كما أراد سوكارنو ويريد الذين من بعده .. فهل قبل غير المسلمين هذه المبادىء للدولة ؟ .

هل قبل الشيوعيون (الفانشاسيلا) كأساس للدولة مع أنهم ترعرعوا فى أحضان إقطاعها ؟ .

هل قبل المسيحيون الفانشاسيلا كأساس للدولة مع أنهم تمددوا بمؤسساتهم فى ظلالها ؟ .

إن التاريخ المعاصر يشهد أن كلتا الطائفتين لم تقبل الفانشاسيلا كأساس للدولة القومية العلمانية .

أما الشيوعيون :

ففى عام ٢٩٤٨ إبان حركة التحرر من الاستعمار اغتصبو ١٨ ضابطا من ضباط الجيش وقتلوهم وأشاعوا الارهاب والنهب فى إندونيسيا حتى كان يوم ١٩ من سبتمبر سنة ١٩٤٨ أعلنت الحركة الشيوعية قيام الجمهورية السوفيتية الاندونيسية من مدينة (ماديون) وتولى رياسة هذه الدولة المزعومة أحد الرفاق المدعو عامر شريف ...

ولم يقض على هذه الثورة إلا الجنرال المسلم عبد الحارث ناستيون ...

فهل قبل الشيوعيون بذلك مبادىء الفانشاسيلا ؟ .

وفى عام ١٩٦٥ م لم يكتف الشيوعيون بالسيطرة على الحكومة والاقتصاد بل قاموا بانقلاب فاشل فى ٣٠ سبتمبر فقتلوا سبعة من كبار ضباط الجيش مع وزير الحربية أحمد يانى . A. Yani .

ولولا عبد الحارث ناستيون الذى نجا بأعجوبة لسقطت إندونيسيا فى يد

الشيوعيين[1] فهل قبل الشيوعيون الفانشاسيلا كأساس للدولة العلمانية فى إندونيسيا ... ؟ !!

أما عن المسيحيين فيكفى فى رفضهم للفانشاسيلا ما يلى :

أولا : أنهم رفضوا التسامح الدينى الذى دعا إليه الرئيس سوهارتو مراراً فى عام ١٩٦٧ ، وفى آتشه عام ١٩٧٤ م وفى العام الحالى ١٩٧٨ م .

ثانياً : التقرير الذى يصور استيلاءهم على كثير من العمل التخريبي من أجل تنصير مسلمى إندونيسيا .

---

(١) راجع كتابنا : الاسلام فى أرخبيل الملايو ص ١٨٧ ، ١٨٨ .

حقيقة الخطر الذى يتهدد مستقبل الاسلام فى أندونيسيا

المراكز الهامة المؤثرة لطائفتى البروتستانت والكاثوليك
فى مختلف القطاعات الحيوية فى أندونيسيا

١ — مقدمة

يراود الشعور بالقلق كثيرا من ذوى الغيرة الإسلامية في العالم ، بسبب مايشاع عن نجاح التبشير الهائل فى تنصير أعداد ضخمة من مسلمى أندونيسيا فى الآونة الأخيرة . ويرد الكثير من الاستفسارات عن هذه الحقيقة ، مما ينم عن شعور إسلامى نبيل واهتمام صادق بمصاير المسلمين على اختلاف ديارهم وأقطارهم .

والحقيقة أن مايذاع من أنباء عن قيام نشاط تبشيرى هائل فى أندونيسيا هو صحيح ، ولكن ما يذاع من ضخامة عدد المتنصرين من المسلمين إفيه الكثير من المبالغة ، حقا إن الهيئات التبشيرية تملك طاقة مؤهلة لأعمال التنصير وهى كبيرة العدد وتملك من المادة والمعدات التى تسهل لها استغلال الفقر والجهل والمرض التى هى من مخلفات الاستعمار ، ما لايحصيه عدد ، ويتلقون سيلا مدرارا من المساعدات المالية من مختلف الهيئات والمؤسسات العالمية . ولكن كل ذلك لم يحقق النصر الذى أرجفوا به وأشاعوه .

إنهم قد يسجلون الشخص الذى يتعالج فى مستشفياتهم ، أو يتقبل شيئا من الأرز يقدم إليه أو قطعة من قماش ، على أنه قد تنصر وتم تعميده ، وما أكثر الذين يترددون على مستشفيات التبشير ومستوصفاته أو يتلقون

معونات الغذاء والكساء بحسن نية باعتبار ذلك مجرد مواساة وبر وعمل إنسانى محض .

نعم هناك جماعات من البدائين يسكنون فى منطقة الباتاك (بسومطرا الشمالية) وفى كاليمنتان وجماعات فى جاوا الوسطى انتاؤهم الإسلامى فج ، بل مازال أكثرهم يجهلون الإسلام جهلا ، هؤلاء هم الذين ينصرون ، ولا يزيد معدل الذين يتنصرون من هؤلاء سنويا عن عشرات الألوف .

إن تنصير البالغين من المسلمين قد لا يكون هينا . أما الذين يتهددهم الخطر فهم الأطفال الذين يلتحقون بمدارس التنصير ومعاهده ، وهى منتشرة بكثرة كثيرة جدا سواء فى العاصمة أو مدن الأقاليم وقراها .

٢ ـ التسرب إلى مراكز السلطة :

والخطر الذى يتهدد الاسلام ومستقبله فى أندونيسيا بحق وحقيقة فهو آت من سيطرة النصارى . على مراكز العصب الحساس فى أجهزة الدولة . وأزمة الاقتصاد ، مما يذكرنا بسيطرة نصارى المستعمرين أيام أوج الاستعمار الهولندى وإذا كان ذلك طبيعيا أيام الاستعمار فانه من المفارقات جدا أن يستمر بعد ثلاثين سنة من الاستقلال .

وهذه السيطرة قد خططوا لها منذ أمد طويل ، إذ أعدوا كوادرهم وأتاحوا لهم فرص التحصيل العلمى إلى أعلى المستويات فى جامعات أندونيسيا وجامعات الخارج بما يؤمن لشبابهم من منح دراسية سخية . بينما أبناء المسلمين محرومون من تلك الفرص .

وما تم تنفيذه من ذلك المخطط حتى كتابة هذه السطور يتلخص فى الآتى :

٣ ـ المراكز الهامة التي يحتلها البروتستانت والكاثوليك في أندونيسيا :

يحتل البروتستانت والكاثوليك مراكز هامة في أجهزة الحكم والإدارة والتشريع ، سواء على المستوى المركزى أو الإقليمى ، سيطروا عليها باسم الكفاءات والشهادات الرفيعة وباسم مختلف التنظيمات السياسية والاتجاهات الحزبية .

القطاع السياسى والعسكرى :

(أ) في مجلس شورى الشعب :

مجلس شورى الشعب (وليس المجلس الاستشاري الأعلى كما يخطىء ترجمته البعض) هو أعلى سلطة تشريعية فى أندونيسيا ، وذلك وفق ما نص عليه دستور سنة ١٩٤٥ م .

يملك هذا المجلس حق صياغة الدستور أو تعديله وحق انتخاب رئيس الجمهورية ونائبه وحق وضع الخطوط العريضة لأهداف الدولة الملزمة لرئيس الجمهورية بوجوب تنفيذها وعدم الحيدة عنها ، ورئيس الجمهورية مسئول أمام هذا المجلس وليس غيره .

والمفروض أن يتكون هـذا المجلس من أعضاء منتخبين مباشرة ، إذ يتكونون من أعضاء البرلمان ومن مندوبى الأقاليم . والمجلس الحالى (هكذا يتوقع فى المجلس الذى يتكون من أغلبية ساحقة من طائفة الجولكار (طائفة الحرفيين التى هى فى الحقيقة المنظمة السياسية للنظام الحالى) وجبهة الجولكار فى البرلمـان وفى مجلس شورى الشعب مسيطر عليها من قبل الأعضاء البروتستانت والكاثوليك وتملك الجبهة البرلمانية فى البرلمان وفى مجلس شورى الشعب السلطة الكبرى فى سير المناقشات وفى التصويت ، إذ يمارس تلك السلطة (بدون معقب أو رقيب) رئيس الجبهة فرئيس الجبهة هو كل شيء ، أما أعضاء الجبهة فجل مهمتهم التصويت لدى الاقتراع ، إذ ليس له أن

يقترح شيئا إلا عن طريق الجبهة ، والمداولات تتم عن طريق اللجان فى البرلمان وفى مجلس شورى الشعب ، وهكذا تبرز أهمية الجبهة البرلمانية فى ممارسة (أو تزييف) إرادة الأمة .

وفى دورة مجلس شورى الشعب لعام ١٩٧٣ كان أعضاء لجان الصياغة واللجان الخاصة الأخرى يتكونون من هؤلاء النصارى الآتية أسماؤهم :

- كوسماس باتوبارا .
- دكتور أندوس موردوبو .
- الدكتور يوهانس باتيستا سومارلين .
- خريجوريوس أطونيوس سوقيها رتو .
- يوسف واناندى (وهو صينى كاثوليكى اسمه ليم بيان كي) .
- ر . روس كامدى (ماجستير قانون).
- ى ب أوتارا (ماجستير قانون) .
- السيدة سورياتى أتاستينه لقاوا .
- سابام سيرايت .
- ياكوب توبينغ .
* دكتور ميديات سيرايت .

هؤلاء هم الذين قاموا بنشاط مكثف جداً ، خلال جلسات مجلس شورى الشعب عام ١٩٧٣ وهى الجلسات التى أنتجت الخطوط العريضة لأهداف الدولة الحالية التى تستوحى منها الحكومة سياستها العامة .

(ب) فى الحكومة المركزية ومؤسساتها :

يتربع النصارى على مقاعد هامة فى الوزارة وفى المصالح والدواوين الحكومية منهم :

- الجنرال ما رادين بانقابيان وزير الدفاع والأمن القومى ، وقائد عام القوات المسلحة

- البروفسير الدكتور ج . أ . سيوابيسى وزير الصحة .

- دكتور أندوس راديوس براوير وزير التجارة .

- الدكتور يوهانس بابتيستا سومارلين وزير الدولة لإعادة تنظيم وضبط أجهزة الدولة .

- س . سودارمان مدير عام مديرية الجوازات والهجرة .

- أ . ى . ما نيهوروك . مدير عام ديوان الموظفين .

- دكتور و . ب . نايتوبولو . مدير عام التعليم غير الرسمى بوزارة التربية والثقافة .

- ج . س . ت سيموران كيز . رئيس لجنة تطوير القوانين بوزارة العدل .

- دكتور راندوس برايوتو مدير عام مصلحة السياحة .

ويتضح مما ذكر ، أن سلطة مراقبة وضبط ومعاقبة موظفى الدولة هى بيد وزير كاثوليكى ، وسلطه تعين وترقية ونقل وتجميد الموظفين بيد وزير بروتستانتى وهو أ . أى . مانى هوروك ، ومراقبة بوابة الدولة (الهجرة والجوازات وتأشيرات الدخول والخروج) بيد مسيحى هو س . سودارمان ،

حيث يتوقع تسهيلات كثيرة لدخول الإرساليين ورجال الأعمال الفاتيكان ونحوهم . ومما يذكر عن مدير الجوازات المذكور أنه قرر إعفاء القسس ورجال الكنائس من رسوم تأشيرات الخروج وهى رسوم باهظة .

(ج) وزارة الدفاع والأمن القومى :

تعتبر القوات المسلحة فى أندونيسيا من أهم الهيئات الفعالة لحماية نشاط الأعمال التنصرية ، سواء في القيادة العليا أم مشتقاتها وفى قيادات المناطق العسكرية الإقليمية ، حيث يقوم النصارى بمهامهم بولاء ووفاء لانتمائهم النصرانى . ونذكر من بين هؤلاء :

١ ــ الجنرال مارادين بانقابيان ، وزير الدفاع والأمن القومى وقائد عام القوات المسلحة .

٢ ــ الجنرال بينى موردانى مساعد القائد العام لشئون المخابرات بوزارة الدفاع .

٣ ــ الميجر جنرال يوقى سوباردى قائد عام قيادة السوقيات (اللوجستيك) للجيش .

٤ ــ اللفتنانت جنرال (بوليس) دكتور أندوس ويدودبودى داروو قائد عام بوليس الدولة .

٥ ــ الميجر جنرال كانتر الحقوقي . رئيس هيئة تطوير القانون بوزارة الدفاع والأمن .

٦ ــ الميجر جنرال ليولوبوا ليسا قائد الفرقة الاستراتيجية بالجيش .

٧ ــ الميجر جنرال ج . ه مانتيك قائد منقطة جاكرتا العسكرية .

٨ – ى . ب أوتورو القانونى ، رئيس القسم السياسى بالمخابرات المركزية .

٩ – البريجادير جنرال اى . و . ب . تامبونان مدير السكلية الحربية قسم القوات البرية .

١٠ – الأميرال سودومو رئيس أركان قيادة عمليات إعادة الأمن والنظام (بالأندونيسية : كوم كاب تيب) وهى القيادة التى تستطيع أن تقارف أى شىء بذريعة الضبط والربط والحيلولة دون انتكاسة الشيوعيه ، حيث تملك سلطات استثنائية ، بعد إلغاء حالة الطوارىء فى أندونيسيا .

أما مراكز الدرجة الثانية وهى قيادة المناطق العسكرية ، فقد استولى البروتستانت والكاثوليك فيها على مراكز هامة جداً ، مثل قسم المخابرات والعمليات وكذلك بالنسبة لقيادات مناطق الدفاع (كويلهان) التى تضم كل واحدة منها عدة مناطق عسكرية قيادية فقد احتل النصارى فيها مراكز هامة أيضاً ، من أمثلة ذلك :

١ – قيادة المنطقة العسكرية الثانية « بوكيت باريسان » وتسيطر على منطقة سومطرا الشمالية ومقرهامدينة ميدان . كان قائدها الجنرال ليولوبوليسا وقد رقى إلى منصب قائد الفرقة الإستراتيجية للقوات البرية ، ويقال إن المرشح لخلافته فى القيادة هو أحد الجنرالات النصارى .

٢ – فى قيادة المنطقة العسكرية السادسة ، سيلى وانغى ، بجاوا الغربية ومقرها مدينة باندونغ ، رئيس مخابراتها كولونيل نصرانى اسمه ساملو .

٣ – فى قيادة المنطقة العسكرية السابعة ديبو نقورو (بجاوا الوسطى) يتولى قيادة مخابراتها الكولونيل ليونغالى ، وقد أزمن هذا الرجل فى هذا المنصب الذى تربع عليه أكثر من عشر سنوات .

ومناصب المخابرات هذه حساسة جداً ومؤثرة جداً كما هو مفهوم بالبداهة في توجيه سياسة القواد ، لأن كافة التقارير تمر بها وهي التي تقيمها وتستخلص معطياتها وتقدمها إلى القيادة فاذا كان القائمون عليها من أصحاب العواطف الدينية المتطرفين أو ممن جندوا عمداً فيها فمن السهل أن تحور التقارير وتعاد صياغتها وتلون بألوان خاصة .

ويبذل البروتستانت والكاثوليك في الآونة الأخيرة جهوداً مكثفة لتولي مناصب قيادة العمليات العسكرية في قيادات المناطق العسكرية .

(د) في الهيئات التشريعية للدولة :

يحتل البروتستانت والكاثوليك مختلف الاتجاهات التنظيمية ، ٨٤ مقعداً في البرلمان (أو ما يعادل نسبة ١٨،٢٪ من مجموع الأعضاء وعددهم ٤٦٠ عضوا) ولم يكن الأمر قاصراً على العضوية فقط ، ولكنهم يحتلون مناصب في الجهاز البرلماني يمكنهم من التوجيه والسيطرة .

ولبيان ذلك نذكر أن :

١ - سابام سيرايت (من حزب البروتستانت سابقاً) يحتل الآن منصب نائب رئيس الجبهة البرلمانية للحزب الديمقراطي الأندونيسي .

٢ - ي . هـ . د . تاها ماتا (من حزب البروتستانت أيضاً) يتولى منصب نائب رئيس جبهة الحزب الديمقراطي الأندونيسي البرلمانية .

٣ - في . بي . داكوستا (من حزب الكاثوليك سابقاً) نائب رئيس أيضاً .

٤ - دكتور أندوس تام سيا توبانغ (من البروتستانت) يتولى منصب سكرتير جبهة الحزب البرلمانية .

٥ — دكتور أندوس كارو يندينغ (من الحزب القومى سابقاً) سكرتير جبهة الحزب البرلمانية .

هؤلاء النصارى يسيطرون على جهاز الجبهة البرلمانية للحزب الديمقراطى الأندونيسى .

جبهة الجولكار البرلمانية :

٦ — جريجوريوس أنطونيوس سوقيهارتو رئيس جبهة الجولكار البرلمانية .

٧ — دكتور أندوس كوسماس باتورا منسق الشئون السياسية للجبهة .

٨ - دكتور أندوس ى . سيمان جونتاك منسق الشئون الاقتصادية .

٩ — دكتور أندوس . سوقيهارتوا (أخوجريجوريوس سوقيهارتو) منسق الشئون العامة .

١٠ — وارتونو منسق الشئون الخاصة .

فى اللجان البرلمانية :

اللجان البرلمانية هى التى تتخصص فى مناقشات البرلمان ، فممثل الحكومة يحضر جلساتها ويقدم بيانات الحكومة أمامها ، وعندما تتم المناقشة وتؤخذ آراء الجبهات يقدم الموضوع إلى الجلسة العمومية حيث تؤخذ الأصوات .

فى هذه اللجان البرلمانية نجد الشخصيات الآتية أسماؤهم :

١ — فى . بى داكوستا : نائب رئيس لجنة الشئون القانونية (لجنة ٣) .

٢ — دكتور أندوس تام شيناتو بانغ : نائب رئيس لجنة المواصلات (لجنة ٥) .

٣ - ياكوب تو بينغ : رئيس لجنة الصناعة والثروة المعدنية (لجنة ٦) .

٤ - ى . ه . دتاماماتا : رئيس لجنة الصناعة والثروة المعدنية .

٥ - ل . م . سيان تورى : نائب رئيس لجنة الشئون الصحية والاجتماعية (لجنة ٨) .

٦ - بودى ديبو بوانا : نائب رئيس لجنة الشئون الصحية والاجتماعية .

٧ - آريفين سارى تامبوتان : نائب رئيس لجنة البحوث (لجنة ١٠) .

٨ - دكتور أندوس . ى . سيمان جونتاك : نائب رئيس لجنة الميزانية .

٩ - آى . ى . سوهارنو : نائب رئيس لجنة الشئون الداخلية للبرلمان .

(ه) فى إدارة الحكم المحلى :

إدارة الحكم المحلى وهى الولايات واسمها مناطق الدرجة الأولى (أو المحافظات وعددها قبل ضم تيمور الشرقية إلى أندونيسيا ست وعشرون ولاية) تتمتع بنوع من اللا مركزية (الأوتونومى) فلكل واحدة برلمان محلى يضع ميزانية المحافظة ويسن اللوائح المحلية وينظم وارداتها وينتخب محافظها (ولو نظريا) الذى تعينه بناء على ذلك الحكومة المركزية ولحكومة المحافظة حق جباية بعض العوائد والرسوم والضرائب وتتلقى مساعدة مالية سنويا من الحكومة المركزية تسد عجزها .

ولذلك نرى النصارى حريصين جداً على أن يسيطروا على إدارات الحكم المحلى . وقد نجحوا فى أربع ولايات ، وهى : ولاية سولاويسى الشمالية ومحافظها الميجر جنرال ه . فى وورانغ ، وسولاويسى الوسطى ومحافظها البريجادير جنرال - تامبونان ، وكاليمنتان الوسطى ومحافظها سيلفانوس ونوساتنقارا تيمور ومحافظها البريجادير جنرال ابل تارى .

وبرغم أن سولاويسى الوسطى أغلبية سكانها مسلمون إلا أن مجلسها النيابى انتخب البريجادير تامبونان المسيحى وليس من أبناء المنطقة محافظاً ، وسارع فعين عدداً من النصارى فى مناصبها الهامة ، منهم :

- دكتور أندوس لى ل سلاتا : سكرتير حكومة المحافظة .
- دكتور أندوس ف . س . سياك : لإدارة شئون الحكم والإدارات .
- سى . ك . توماكاكا : لإدارة شئون التنظيمات العامة .
- دكتور أندوس س . تامبونا : لإدارة الشئون المالية .
- دكتور أندوس س . سارونقو : لإدارة المكتب العام .
- دكتور أندوس نيكو آدم : لإدارة شئون الموظفين .
- دكتور أندوس ى . و . سارابانغ : لمصلحة العوائد والإيرادات .

(و) الهيئة المركزية لمنظمة الجولكار (الحرفيين) :

كلمة الجولكار منحوتة من كلمتين باللغةالأندونيسية وهى جولونغان كاريا Golongankarya أى طائفة أصحاب الحرف وينضوى تحت مفهوم أصحاب الحرف كل من يحترف حرفة يعيش منها ، مثل موظفى الحكومة وموظفى المؤسسات العامة للدولة ، ومحترفى القتال (القوات المسلحة) محترفون أيضاً والصحفيون ومراسلوا الصحف والفنانون والممثلون والرسامون والنحاتون والمغنون كلهم حرفيون ، وضم هؤلاء إلى منظمة أطلق عليها اسم الجولكار ، ابتدع الفكرة ونفذها سوكارنو ، وكثف نشاطها العهد الجديد وأصبح لها رئيس يتولاه الآن اللفتنانت جنرال امير مورتونو ، وفى العهد الجديدفرضت المنظمة فرضا على كل من يتقاضى مرتبا أو أجراً من الحكومة ومؤسساتها ، بل فرض على كل من له صلة بالموظف من زوجة وأولاد وأصهار .

وهكذا نجد الوزراء والمديرين العامين والموظفين وحكام الولايات إلى عمد القرى ، وأسست فى كل ديوان أو مصلحة « نقابة لموظفيها » ، تتقاضى نسبة من مرتباتهم اشتراكا فى النقابة ، ويقال إن كل مشتريات الحكومة تتقاضى منها منظمة الحرفيين نسبة عمولة تقدر بـ ١٠٪ من ثمنها الإجمالى .

وقد نجحت المنظمة فى انتخابات عام ١٩٧١ فى إجبار الناخبين على انتخاب لائحة مرشحيها مما أثار ضجة ما أسرع ما كمت وتلقى مثيروها تهديدا خطيراً.

وهكذا نجد أغلبية المنتخبين من لائحة الجولكار فازت بالتعسف والقسر .

وقد أسفر المؤتمر القومى للمنظمة (لهيئتها المركزية فقط) وقد انعقد بمدينة سرابايا ، وخيل للمشاهدين أنه مؤتمر للقوات المسلحة لما ساد المؤتمر من الضباط وما استخدام فيها من تشهيلات الجيش ومعداته ، فيما أسفر ، عن هيئة إدارة مكونة من ١٧ عضواً ، سبعة منهم أى بنسبة ٤١٪ من البروتستانت والكاثوليك ، ولم تقتصر المناصب على الحكم فقط وإنما تمتاز أيضاً بأهميتها . ومن هؤلاء السبعة نذكر ستة وهم :

١ — البريجادير جنرال آ اى . مانهوروك رئيس ديوان الموظفين ، اختير نائبا لرئيس الهيئة المركزية .

٢ — دكتور أندوس موردوبو : أميناً للشئون المالية .

٣ — يوسف واناندى (صينى اسمه ليم بيان كى) .

أميناً للشئون العامة والتخطيط .

٤ - كوسماس باتوبار : أميناً لشئون الكوادر والتربية .

٥ — دافيد نابى توبولو : أميناً لشئون الطلبة والشباب .

٦ . الدكتور ميحديان سيرابيت : أميناً لقطاع المثقفين .

(ز) الهيئة المركزية للحزب الديمقراطي الأندونيسي :

أسفر ما يمكن أن يعتبر بالمؤتمر الأول للحزب الديمقراطي الأندونيسي عن تشكيل إدارة عليا وهيئة مركزية للحزب الذي أصبح بوتقة صهر لخمسة أحزاب قديمة وهي الحزب القومي الأندونيسي وحزب البروتستانت وحزب الكاثوليك وحزب الموريا (أتباع تروتسكي) — وحزب إيبكي الذي أنشأه في الخمسينيات ضباط الجيش الذين أحيلوا إلى الاستيداع بعد حركة أكتوبر سنة ١٩٥٢ التي قادها الجنرال ناسوتيون وفشلت .

ولقد احتل النصارى (بروتستانت وكاثوليك) مراكز مهمة في قيادة الحزب فقد تقرر عدد مقاعد الهيئة المركزية ٢٩ مقعداً ، توزع على أساس حجم كل من الأحزاب السابقة التي أدمجت في الحزب الديمقراطي ، وبذلك تقرر للحزب القومي ٩ مقاعد ولكل من حزب البروتستانت والكاثوليك ستة مقاعد ولكل من حزب الموريا والأبيكي ٤ مقاعد .

وبالإضافة إلى ذلك قرر جعل مقعد الأمين العام للحزب بيد البروتستانت وأسند إلى السيد سابام سيرابيت .

لقد نال الكاثوليك والبروتستانت ١٢ مقعداً من أصل ٢٩ مقعداً وهذا وحده يمثل ٤١٫٣٪ من المجموع . غير أنه قد احتل النصارى أيضاً مقاعد أخرى من حصة الحزب القومي وكل من حزب الموريا والإيبكي على أساس الاعتبارات الخاصة بالاتجاه الحزبي وهكذا اكتمل عدد المقاعد في الهيئة المركزية للحزب الديمقراطي التي يحتلها النصارى ١٦ مقعدا من أصل ٢٩ أي بنسبة ٥٥٫١٪ من المجموع .

ولا يجوز أن ننسى أن أمثال هؤلاء المسيحيين لهم ولاء مذهل للكنيسة (على العكس من بعض المسلمين الذين لا يرتبطون بأي ولاء إلا لمصالحهم

الخاصة) . ولا يضير هذا الولاء الكنسى الانتماء الحزبى الخاص بكل ، أى أنهم فى ممارستهم لمهامهم لا يغفلون التوجيه الكنسى و تنسيقاته

٣ — فى القطاع الاقتصادى :

من البديهى أن يكون النفوذ السياسى معهداً للسيطرة الاقتصادية . وهكذا كانت سيطرة النصارى فى أندونيسيا على الإدارة والحكم قدوضعت فى أيديهم مقاليد السيطرة على أزمة المال والاقتصاد . فكثير من قروض الاستثمارات الأجنبية استولى عليها البروتستانت والكاثوليك .

ويوجد هناك (البنك الوطنى العام) . (بنك عموم ناشيونال) .

وهو مؤسسة كاثوليكية ، ولذلك يحتل قطب الكاثوليك الأندونيسى اى . ى . كاسيمو مكاناً هاماً فى إدارة البنك وهو شخصية كاثوليكية معروفة بالتعصب .

وهناك الدكتور يوسف بانغلاى كيم (بانغ لاى كيم) Dr. Jusuf Pang Loy Kim وهو بجانب مركزه بمعهد دراسات العلوم الاجتماعية الذى يشغل مبنى شارع تانا بنغ الثالث رقم ٢٥) المعروف أنهذا المبنى هو عرين الجنرال على مورتوبو) يمثل دور همزة الوصل بين شخصيات « بنك أندونيسيا المركزى ، وبين رجال الأعمال الصينيين » وأغلبهم من البروتستانت والكاثوليك) الذين يريدون الحصول على قروض من ذلك البنك المركزى .

بينما يقوم الدكتور يوهانس باتيستا سومارلين الكاثوليكى ، وزير الدولة لشئون ضبط الجهاز الحكومي ، بنشاط آخر وهو تسهيل تزكية مقترحات المشروعات الكاثوليكية والبروتستانتية المعروضة على الهيئة المركزية للتخطيط الإنمائى القومي ، لأن سومارلين نائب رئيسها .

هناك عدد من الأسماء وهى نيوهان سيانغ Nyo Han Siang وليم سيوليونغ والمهندس تشيوبوترا وليم بيان كون وليم بيان كى .

وهى شخصيات عرفت بأنها من عمالقة رجال الأعمال والاقتصاد فى أندونيسيا بجانب ماعرف عنهم بأنهم إما من البروتستانت أو من الكاثوليك « المتدينين » أى أنهم من الأجهزة المطيعة لإرساليات التبشير النصرانى فى أندونسيا .

وتوجد هناك مؤسسة علمية متخصصة فى تطوير وبناء فنون الإدارة ، مقرها بشارع مينتيغ رايا (واحد من أحياء المترفين بجاكرتا) يتم فيها تأهيل الطاقات الإدارية وبرغم أنه يوجد فى هيئة التدريس بهذة المؤسسة عدد من المدرسين المسلمين ، أمثال السيد شفر الدين براوبرا نيقورا Sjafruddni Prawiru Negara رحمت لوليو ميسينو ، (شفر الدين أحد أقطاب حزب مشومى ، ورحمت من أقطاب نهضة العلماء) إلا أن هذه المؤسسة نصرانية ، رئيس هيئتها العام هو الجنرال المتقاعد الدكتور تاهى بونارسيما توبانغ Dr. Tahi Banar Sinatupang (رئيس مجلس الكنائس الأندونيسى ، وعضو مجلس الكنائس العالمى) ، وسكرتيرها بى م . سيما توبانغ ومن أعضائها راديوس براويرو (وزيرة التجارة).وف . اكس سوهارتو F. Y. Soeharto

وكان يعد هذه المؤسسة التعليمية فى أول نشأتها « جمعية الويسيوس » الكاثوليكية فى سيما رانغ ، وياباسان بوربا داناراتا البروتستانتية فى سيما رانغ أيضاً . ومن بين الهيئات الخارجية التى تتعاون معها هى مؤسسة صندوق القروض الاقتصادية الكنسية (EconemicaChurch LoanFund) فى جنيف ، ووكالة ميسوريور Miserlor للمساعدات الإنمائية فى آخن بألمانيا

ونجد فى قطاع النشاط العامل فى شركات التأمين أسماء (نيوهان سيانغ) وليم بيان كون ، وليم كى ورودى وأنادى) أخو ليم بيان كى أيضاً .

وقد بدلوا اسم شركة تأمينهم القديم (ماسكاى باى اسورانسى فاديو) باسم جديد معناه (مؤسسة واهانا تانا المحدودة للتأمينات ويتكون مجلس إدارتها من ؟

نيوهان سيانغ : رئيس مجلس الإدارة المنتدب

دكتور يوسف نانع لاى كيم : نائب الرئيس

سفيان واناندى توماس سوبانتو سوهادى يوسف واناندى	أعضاء مجلس إدارة
سامو سوقيارسو	مدير عام
رودى وانا ندي سى دوى هارسونو	مديرون

ومن فى أندونيسيا لايعرف اسم (ليم سوى ليونغ) أحد المقربين إلى القصر إنه الآن أصبح يستعمل اسمه الجديد سودنو سالم . وقد تردد اسمه بين أقطاب المهربين الذين أفتلوا وهربوا إلى الخارج(اسمه الصينى (Lim Svi Liong) واسمه الأندونيسى Svd no Salim لهذا الرجل ابن أصبح الوكيل الوحيد لسيارات (فولفو) فأصبح الآن اسمه يان دار مادى Jan Darmadi

ومن بين الأسماء اللامعة فى شركة استرا لتجارة السيارات ومصانع تجميعها نجد اسم ليم بيان كى أى يوسف واناندى .

وبجانب القطاع الخاص (الأهلي) حيث نفوذ الصينين المسيحيين قوى ، نجد بعضهم يملك نفوذا فى الوزارات من ذلك فى وزارة الأشغال العامة والطاقة الكهربية ، فبجانب وزيرها المهندس س سوتا مى نجد شخصا يعرف باسم (بو Po)

قوى النفوذ فى الوزارة ، وله اسم أندونيسى هو مورديا .

لقد استطاع هذا الصينى الذى لم يتجاوز العقد الثالث من عمره أن ينال من ميزانية الوزارة مبلغ ٣٢٦ بليون روبية لعام ١٩٧٦ قيمة توريدات لمؤسسة كهرباء الدولة ، وقد بلغ من استفحال نفوذه وتأثيره أنه تسبب فى نقل تأديبى لسبعة من رؤساء فروع إدارة الكهرباء اصطدموا معه . وإذا صادف وجود موظف يجرؤ على أن يبدى اعتراضا على أى مقترح لهذا الصينى فسرعان ما يأتى إليه ويهمس فى أذنه (ألا تزال راغبا فى البقاء فى مركزك أم ترغب فى النقل) وطبعا لايريد أن ينتقل فيلزم أدبه مع الصينى الشاب أنه متبنى معالى الوزير سومارلين .

٤ ـ قطاع الشئون الاجتماعية :

لقد كان للنصارى تجارب قيمة وقدم راسخة فى قطاع الشئون الاجتماعية اكتسبته هيئات التبشير فى مختلف أصقاع أندونيسيا .

ونحن الآن بسبيل تجميع مختلف المعطيات والحقائق الدقيقة لنشاط القوم فى هذا الميدان ، بمساعدة إخوة لنا فى الأقاليم .

على أن نشاط القوم لم يقتصر على عامة الشعب فقط ، بل أستطاع أن ينفذ من خلال أسوار قصور السلاطين ، كسلطان سولو Solo بجاوا الوسطى الذى أنكح بنته للمهندس المسيحى سليفانوس Sylvanus محافظ كاليمنتان الوسطى ويقال إن هذه البنت كانت خطيبة لشاب مسلم وطالب جامعى ، ولكن قوى خفية أجبرت السلطان على اختطاف البنت من خطيبها ليزوجها من هذا المسيحى الذى تجاوز مرحلة الشباب وتم قرانها بقصر أبيها السلطان الذى كان فى يوم من الأيام مقرا « لظل الله فى أرضه » ومركزا لإشعاع الإسلام ، وتم الزواج بلا مراسم كزواج إسلامى واحتفل به احتفالا باذخا

دعى إليه رئيس الجمهورية وعقيلته وكبار رجال الحكومة والسلك الدبلوماسى من جاركتا بالطائرة حيث أرفقت تذاكر الطائرة ببطاقات الدعوة .

٥ ـ بين أيدى الانتخابات العامة :

واليوم فما الذى أعده المسلمون لكى يستطيعوا أن يحافظوا على كيانهم من الاضمحلال ،

يقول المرحوم الأستاذ براووتو مانكو ساسميتو آخر رئيس لحزب ماشومى قبل أن يأمر سوكارنو بحله : مهما كان عدد الجبهة الإسلامية ضئيلا، إذا اتحدت ووقفت صامدة فلابد أن يضطر الآخرون إلى الأخذ بعين الاعتبار واحترام موقفها ورأيها .

ولكن كيف يرجى هذا من الذين وضعوا وضعا على قمة القيادة الإسلامية ومضوا يكتبون فى الإسلام وعن الإسلام مما يكرب ويغثى الناس مثل (كتاب الاسلام والسياسة والاسلام والدولة فى أندونيسيا) يملا بالغث من الكلام والضحل من البحوث عن الإسلام ويفضل أقوال المستشرقين باعتبارهم أعلم بالإسلام ويحث على دراسته فى كتبهم ، ورحم الله القائل :

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله ∴ وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

يقول كاتب هذا الكتاب وهو رئيس حزب الوحدة الإنمائية (بتقديم النون على الميم) إنه لايهمه من الذى سيفوز فى الانتخابات القادمة فالأمر سيان عنده على الأفل) ، أما النصارى فقد استولوا على أربعة مقاعد وزارية ، ثلاثة منها فى غاية الأهمية وهى وزارة الدفاع والأمن القومى ووزارة التجارة ووزارة غربلة الموظفين ، كما احتلوا مراكز هامة فى دواوين الحكومة ومصالحها وفى الهيئات التشريعية .

وكلها مراكز تتيح الفرصة للتوجيه والتحكم ، بجانب ماتدوره من

إيرادات ودخول مشروعة ، فاذا أضفنا إلى ذلك المساعدات الضخمة التى تتلقاها مؤسساتهم المحلية من المؤسسات التبشيرية فى أوروبا التى كسدت فيها بضاعتها سواء المساعدات للتبشير أو للاقتصاد واستثمار الأموال ، فانهم لن يعجزوا عن تحقيق مخططهم الهادف إلى السيطرة الشاملة وبسط النفوذ على قطاعات واسعة ومستويات مختلفة .

وعلى سبيل المثال نذكر أن منظمة (الجولكار) قررت لضمان الفوز فى الانتخابات أن يكون لها مرشحون من منظمة الجنود المتقاعدين ، ويبدو أن النصارى قرروا أيضاً أن يكون لهم مرشحوهم من هذه الفئة وأنه لضمان ذلك يجب أن يتدخلوا فى إنشاء فروع تلك المنظمة فى خارج جاوا تمهيداً للنجاح واحتساباً لكل شىء ، إذ أنه من السهل أن يقدم للترشيح مرشح نصرانى باسم المنظمة إذ قادتها مسيطر عليهم من النصارى . وهكذا أوفدوا كوسماس باتوبار لمنطقةسومطرا ودافيد نايتوبولو إلى شرقى أندونيسيا وكور نيلوس سيمان جو نتاك إلى كاليمنتان،بحجة تشكيل لجان انتخابات لمنظمة الجولكار .

ولكن يبدو أن ما أبطنوه من نيات قد تسربت أخبارها فحدثت ردود فعل معاكسة خطيرة فقامت اعتراضات على كوسماس باتوبارا السكاتوليكى فى آتشيه ، وعلى دافيد نايتوبولو فى أندونيسيا الشرقية .

ولكن مخططهم قد استكمل جوانبه ، فالمرشح الحزبى أو الطائفى لا ينجح إلا بعد أن يوافق على ترشيحه من قبل المخابرات وقائد عمليات إعادة الأمن والنظام (كوم كام تيب) وكلاهما شهاب الدين وأخوه أى من النصارى (بينى موردانى وسو دومو) فيستحيل أن يزكى أحداً إلا إذا كان على هواهم.

ولذلك فقد أثار العجب أن يتقدم أحد أقطاب حزب الوحدة الانمائية يستصرخ الأخوة العرب أن يساعدوا على إنقاذ أندونيسيا من أخطار

امتصاص النصارى للمسلمين وأنه يجب مساعدة حزب الوحدة الإنمائية مالياً حتى يفوز في هذه الانتخابات .

أما أن المسلمين في خطر فهو حق ، وأما أن نقول إن إنقاذهم بتقديم المساعدات المالية لحزب الوحدة الانمائية حتى يفوز مرشحوه في الانتخابات ، فنقول :

هذا كلام له خبيء معناه ليست لنا عقول .

إن المسلمين في خطر منذ عشرات السنين وقبل عشرات السنين ، منذ أيام سوكارنو حين كانوا من بين حوارييه ، فالأجدر أن يكونوا آخر المسلمين الأندونيسيين إدراكاً لذلك الخطر والاستصراخ لنزح جيوب الغيورين من الموسرين. إذن فهي كلمة حق أريد بها باطل وهل من السهل تقديم المساعدة لحزب من أجل مواجهة الإنتخاب والفوز فيه ألا يسبب ذلك قيام الحكومة بجهاز (الكام تيب) صاحب السر الباتع ليقمع كل ذلك ويمضى الإسلام في العمـاء .

الخلاصة : وبعد : فان نفوذ النصارى مستحفل يحدث ذلك بموجب مخطط تضافرت على تنفيذه قوى مؤهلة مجندة ، بل يتوقع أن يزداد استفحالا والعياذ بالله مستقبلا ، والذين على مقاعد السلطة من المسلمين « مستضعفين » أو عملاء وكلما ندت صرخة عن تكالب أخطار التنصير على مسلمي أندونيسيا نجد واحداً يرفع عقيرته مكذباً أن لا خطر على الإسلام في أندونيسيا بخير ، والدليل أنه لا يزال بعمامته وجبته ويتلقى الملايين يقول من يقول بخطر التنصير على الإسلام في أندونيسيا فهو عدو التنمية وعدو الأمة وغيره كثيرون ممن وضعوا على القمة في مختلف المناصب وهم لا يساوون ملء آذانهم نخالة ، كما يقول المازني رحمه الله .

وكل من يجرؤ من الدعاة والمبلغين والخطباء على تحذير الناس من أخطار

التبشير سرعان ما يغل بالأصفاد دور نزوله أو عند خروجه من المسجد حيث لا يعرف له مزار خلال أيام ، (وإن عدتم - رغم هذا الإجراء التعسفي - عدنا) كما يقول لسان حال السلطان .

وحين يجتمع مجلس الكنائس الآندونيسي ترى أسيعيدون النظر أم سيدعمون مخططهم من أجل تنصير أندونيسيا خلال خمسين عاماً ، عن طريق السيطرة على مقدراتها ومقاليد أمورها . علم ذلك عند ربي ورب العباد[1].

والآن أسأل أصحاب البانتشاسيلا بعد وضوح هذه الرؤية ، هل أصحاب هذا النشاط يؤمنون بالفانشاسيلا ؟ ؟ .. !

نافذة أمل :

غير أن هذه الجهود التى صورت رفض المسيحيين للفانشاسيلا كأساس تقوم عليه إندونيسيا العلمانية قد وجدت واحداً من أبناء إندونيسيا أنفسهم يجابهونها وهو الجنرال عالم شاه وزير الشئون الدينية الحالي .

ولقد قابلته مع الوفد الذى أرسله فضيلة مولانا الإمام الأكبر الراحل الشيخ عبد الحليم محمود رضى الله عنه للمشاركة فى أعمال المؤتمر الأربعين للجماعة المحمدية .. وكان الوزير يومها غاضباً مما ينشر عن تنصير أندونيسيا بالصحافة العربية وذكر أنه بصدد قرار ملخصه :

١ — أنه لا يجوز نشر دين من الأديان وسط جماعة متدينة بدين من الأديان .

٢ — أنه لا يجوز نشر الدين بأساليب خداعة تستغل مواقف الضعف البشرى .

---

(١) هذا التقرير قامت به هيئة علمية فى جاكارتا عام ١٩٧٦ م .

٣ — أن كل المساعدات والمعونات التى تقدم لأصحاب الأديان يجب أن تكون عن طريق الوزارة .

٤ — يوجه التبشير بالأديان داخل الجماعة غير المتدينة أصلا ..

وكان الوزير صادقاً فيما وعدنا به فأصدر عدة قرارات وهى :

القرار رقم ٤٤ لسنة ١٩٧١ م ويتضمن :

عدم ضرورة الحصول على إذن مسبق من وزارة الشئون الدينية لإلقاء الأحاديث الدينيه ما دامت هـذه الأحاديث لا تتعرض للتنمية الوطنية ولا تتعارض مع الفانشاسيلا ودستور عام ١٩٤٥م .

يحرم على أى طائفه القيام بنشاط تبشيرى بين معتنقى الديانات الأخرى سواء عن طريق تقديم هدايا أو توزيع نشرات أو الزيارات التى يقوم بها المبشرون للمنازل .

القرار رقم ٧٠ لسنه ١٩٧٨ .

لا تتم مساعدات من الحكومات الأجنبية أو الهيئات الأجنبية إلا عن طريق وزارة الشئون الدينيه

وهـذه القرارات مهمتها تجميد النشاط التبشيرى العلنى وسط الأمة الاسلاميه .. ولـكنها لا تمنع من التبشير السرى الذى يملك فى الدولة سلطة من المخابرات والوزراء والقانونيين وأعضاء مجلس الشعب .

ومع هذا فقد رفض المسيحيون هذه القرارات، وأعلن المسلمون الترحيب بها فى يوم الأحد ١٧ من سبتمبر ١٩٨٧م فقد عقد دولة الدكتور محمد ناصر رئيس المجلس الأعلى الأندونيسى للدعوة الاسلامية مؤتمراً فى مسجد الفرقان بجاكارتا أعلن فيه موافقته على هذه القرارات وأيد مسلك الجنرال عالم شاه

وأهاب بالأمة الإسلامية فى أندونيسيا أن يكون كل بيت من بيوت المسلمين معقلا وحصناً للاسلام الحنيف .

وهكذا يتبخر الأمل من إنشاء دولة إسلامية فى أندونسيا إلى نافذة صغيرة هي تلك القرارات التى تحمي بيوت المسلمين فى أندونيسيا من التنصير الكاثوليكى والبروتستانتى .

فلم يؤخذ المسلمون الرافضون لمبادىء الفانشاسيلا بحد السيف والإعدام والتشريد وهم أصحاب الجهاد المقدس الذى أحرزت به أندونيسيا استقلالها ؟

فى حين أن غير المسلمين شيوعيين أو قوميين أو مسيحيين يعادون الفانشاسيلا سلوكياً ومع هذا فهم المنعمون المالكون المتربعون على عرش الحياة فى أندونيسيا ؟؟؟

أمن العدل أن يعدم المجاهدون فى سبيل الحرية والاستقلال ؟

بينما ينعم الخونة بالحياة فى جو الحرية التى سعى إليها المسلمون المجاهدون ؟

إن نافذة صغيرة تفتح اليوم لتحمى بيوت المسلمين من مشاغبات التبشير سوف تكون فى الغد إن شاء الله شمس الإسلام الحنيف على دولة الإسلام فى أندونيسيا المعززة ...

وإننا انضم صوتنا إلى صوت السيد الوزير الجنرال عالم شاه كمرحلة تضيء الطريق ، ونضم صوتنا إلى صوت دولة الدكتور محمد ناصر لتقوم دولة أندونيسيا الإسلامية والله غالب على أمره إن شاء الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون ..

الحكم الذاتى لمسلمى الفيلبين حق يقرره التاريخ

لم يعرف التاريخ أمة من الأمم تعيش منذ القرن السادس عشر حتى اليوم وهى صابرة محتسبة فى الدفاع عن دينها وعرضها وديارها مثل أمة الإسلام فى جزر : منبولاس التى اغتصبها مسيحيو أسبانيا وسموها باسم ملكهم « الفيلبين » .

ذلك أن الإسلام قد دخل إلى هذه الجزر فى القرون الوسطى قبل اتصال الغرب المسيحى بالشرق الإسلامى الذى عاد منه بروح الصليب تحطم قيم الإسلام ودوله ، وكان من أشد أنواع البلاء التى نزلت بالإسلام فى منطقة جنوب شرقى آسيا ماجره ماجلان على المنطقة من استعمار صليبي يحاول أن يقضى على الإسلام والمسلمين ويستولى الصليبيون على ممالك الإسلام وخيرات بلاده فى هذا الشرق البعيد

وتبدأ القصة بدخول الإسلام إلى جنوب شرقى آسيا منذ القرن التاسع الميلادى حيث بدأت بشائر البناء الإسلامى تبدو فى إقامة دولة فاساى Pasai بسومطرة الشمالية أسسها رجل يسمى : سرى فادوكاجوهن شاه عام ١٢٠٥م وقامت على الشاطىء المقابل لها من مضيق « ملاكا » دولة ملاكا Melaka بماليزيا أسسها الملك محمد شاه فى عام ١٣٦١ م على أحد الأقوال .

وفى جاوا قامت مملكة ديماق Demak أسسها العالم المسلم المجاهد : الشريف فتح الله عام ١٥١٨ .

ثم قامت مملكة جهور Johor جنوب ماليزيا وهى التى تعتبر البوغاز الوحيد لنشر الإسلام فى جزر « ما نبولاس » .

فلقد كادت الروايات تتفق على أن الدعاة إلى الله اتجهوا من «جهور» إلى جزر « مانبولاس » لنشر الاسلام فى هذه الجزر القابعة فى المحيط الهادى، يقول البرفيسور «تن سرى عبدالجليل حسن» عميد الكلية الإسلامية بالملايو سابقاً : من ولاية جهور إحدى ولايات ماليزيا:

خرج الشيخ الشريف محمد بن على بن زيد العابدين لنشر الإسلام فى جزر الأرخبيل بعد أن تزوج وأنجب أولاداً : أحمد ، وعلوى ، وكبغسوان .

* أما أحمد فقد أسس سلطنة إسلامية فى بروناى .

* وأما علوى فأسس دولة فى سولو — بالفيليبين .

* وأما كبغسوان فقد أسس دولة فى منداناو — بالفيليبين .

الدولة الاسلامية فى سولو :

يرجع تاريخ تأسيس هذه الدولة إلى عام ١٣٨٠ م بعد أن وصل الشيخ شريف كريم مخدوم إلى سولو وكانت تعرف باسم : « سيهو نول » وأخذ الشيخ فى نشر الاسلام متنقلا بين الأهالى من جزيرة إلى جزيرة حتى توفى فخلفه رجلان : سيد أبو بكر بن الشريف محمد بن على الذى جاء من المملكة الإسلامية فى جهور، وراج باغندا أحد أمراء « ما نكاو » بسومطرة .

وظل الرجلان يدعوان إلى الله حتى وجد الشريف سيد أبو بكر أن المسلمين أصبحوا فى حاجة إلى مجمع سياسى ونظام اجتماعى موحد فأعان قيام الدولة الإسلامية فى سولو عام ١٤٥٠ م وتزوج من الأميرة : براميسولى ابنة الملك الداعية بأوغندا ... ومن بعد الشريف أبو بكر تولى السلطنة رجال على غراره جسما وورعا وجهاداً وإيماناً ، ولا تزال سولو إلى اليوم تحمى حمى الإسلام الحنيف وسط الزحام الكثيف من حرب الإبادة الذى شنته حكومة ماركوس الحديث .

الدولة الإسلامية فى مندناو :

« مندناو » أو « كوتاباتو » إطلاقان على الجزء الجنوبى الغربى لجزيرة: مندناو .

ويرجع تاريخ بناء الدولة الإسلامية فى هـذه الجزيرة إلى عام ١٣٧٥ مع نزول الشريف كبفسوان الأخ الأصغر للشريف سيد أبو بكر سلطان سولو .

يروى أن الشريف كبفسوان نزل أول ما نزل فى منطقة تسمى : « تيتو ندانان » على مقربة من نهر « مندناو » ، وفى هذه المنطقة التقى مع وجيهاين من رجال الوثنية فاتفقوا جميعاً على الصحبة ، فساروا إلى « ما جنداناو » التى هى الآن كوتاباتوا وبفضل ما نشر كبفسوان من تعاليم الدين الحنيف أسلم أحد الرجلين « تابوناوى » وتزوج الشريف من ابنته « فوترى تونينا » فأنجبت هـذه السيدة ثلاث فتيات وكن زوجات لثلاثة أمراء حكموا ثلاث إمارات هى :

إمارة بوايان التى تعرف الآن باسم : كورونادا .

إمارة كابونتالان التى تعرف الآن باسم : تومباو .

إمارة ما جندانا والتى قامت على أنقاضها مدينة : كوتاباتو حالياً .

ومن هذه الكلمة « ما جنداناو » اشتقت كلمة « مندناو » وهى المنطقة الادارية الثالثة لجمهورية الفيلبين الحالية .

يضاف إلى هذا أن الحكم الاسلامى لهذه الدولة أخذ يوسع رقعة الاسلام فى جزر مانيولاس الكثيرة المتعددة فكانت دولة سياسية وكانت دولة للدعوة فهى دولة للعلم وهى دولة للايمان .

الدولة الاسلامية فى لاناو :

يعود بناء هذه الدولة إلى جهود الداعية العربي المسلم الشريف علوى أحد أبناء الشريف محمد بن على بن زين العابدين سلطان جهور فقد استقر بالشريف علوي المقام فى منطقة « لاناو » واختار مدينة « تاجولوان » مركزاً لنشر رسالته حتى وصل إلى نهر « لاناو » وكان الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً بما وهبه الله لهذا الداعية من البركة وحسن الدعوة وجليل الشمائل .

وإذن فان الاسلام منذ بناء دولة فاساي ١٢٩٥ م ودولة سولو ١٣٨٠ له وجود تاريخى فى منطقة جنوب شرقى أسيا لا سيما الجزر التى كان اسمها قديما: [illegible] إلا بعد الغزو الصليبي فى أوائل القرن السادس عشر الميـــلادى .

الغزو الصليبي :

ليس من هدف التاريخ للغزو الصليبي على المسلمين فى جنوب شرقى آسيا أو على المسلمين فى جزر « مانبولاس » بقدر ما هو من هدف يريد أن يوضح تكأكؤ الصليبيون على الاسلام لدحر الاسـلام وإخراجه من الشرق كما أخرجوه من الغرب .

فلم تكن الكشوف الجغرافية إلا صدى لأحفاد مسيحى شبه جزيرة أسبانيا التى تمخضت عن ثلاث دول بعد خروج الإسلام هى :

- هولاندا .
- البرتغال .
- أسبانيا .

فقد استغل ملوك هذه الدول روح التعصب المسيحى ضد الاسلام فعملوا

على تطويقه ومحاصرته فكانت الكشوف الجغرافية للبحث عن أسباب قوة المسلمين فى كل بقعة للقضاء عليهم .

ولذا نجد الظاهرة الواضحة فى إحتلال الموانى الإسلامية فى هذا الشرق البعيد من أسبانيا ، والبرتغال وهولاندا ... كأنما القسمة كانت معدة وحمل الموج عبر المحيطات بواخر الغزو الصليبي إلى الضيع والممتلكات التى إنتهى إليها التقسيم .

فقد نزلت جنود البرتغال موانى ملاكا بماليزيا عام ١٥١١ م .

ونزلت سفن ماجلان شاطىء مانبولاس عام ١٥٢١ م .

ودخل الهولنديون أندونيسيا عام ١٦٠٦ م باسم التجارة ثم إستعمروها حتى عام ١٩٤٥ م .

والمطالعون لتاريخ الحروب الصليبية فى هذه المنطقة يقفون على حقيقة علمية هى أن ماجلان خرج فى ٢٠ سبتمبر سنة ١٥١٩ وهو يعتقد أنه صاحب الحق الأول فى إمتلاك أرض الله ، وليس لأحد حق فى مقاومته لأنه مفوض من قبل الكنيسة فى نشر المسيحية حسب الصكوك التى كان يبرمها رجال الكنيسة لعلماء الكشوف الجغرافية ، ووصل ماجالان إلى جزر « مانبولاس » فى ١٦ مارس سنة ١٥٢١ وهو لا يعلم أسمها ولا طبيعة البلاد ولا دياناتها غير أنه فوجىء بحرب عنيفة لم تسمح له بالحياة فقد قتل وسط مئات رجاله الذين لقوا حتفهم فى موقعة « ماكتان » وعادت سفينته تلبس ثوب الحداد حزناً عليه وعلى آماله العراض التى ضاعت .

ولكن أسبانيا لم تهدأ فقد أرسلت عدة حملات عسكرية للقضاء على الإسلام الذى سفك دم الغازى « ماجلان » فأرسلوا :

١ ـ حملة عام ١٥٢٥ م بقيادة جارسيادى لوابا

٢ ـ حملة عام ١٥٢٧ م بقيادة الفاروذى سافيدا .

٣ ـ حملة عام ١٥٤٢ م بقيادة روى لوجز دى فيلالوبوس .

وهذه الحملة هي التى أطلقت على ممالك المسلمين المسماه قديماً مانبولاس ، اسم: الفيلبين وهو إسم مشتق من إسم ملك أسبانيا فى ذالك الوقت فيليب الثانى ولم تسقط الحكومة الإسلامية فى جزر الفيلبيين إلا عام ١٥٧١ م بعد أن سقطت أمارتا : توندو ، وباسيج ولكن سولو الإسلامية قاومت الغزو ومازالت تقاوم حتى اليوم .

وفشل الإستعمار الأسبانى فى السيطرة على المسلمين فى الحكومات الباقية حتى جاء الاستعمار الأمريكى وإتخذ من الفيلبين قاعده لأسطولها فى الشرق الأوصى وتجمد الوضع وبقى المسلمون فى مناطقهم لا يخضعون لحكم .

فلم تقع سولو ، ولا منداناو تحت سيطرة سياسه لأى لون من الإستعمار فقد قاوم المسلمون الاستعمار الأمريكى حتى إنتهى الأمر إلى توقيع معاهدة فى عام ١٩١٥ مع سلطان سولو « جمال الكرام الثانى » ومعنى توقيع المعاهدة إعتراف من أمريكا بولاية المسلمين على سولو ومايتبعها من بلاد ولهذا أنشأت أمريكا وزارة خاصة بشئون المسلمين وسميت بوزارت المناطق الإسلامية السبع وهى :

سولو ، لاناو ، كوتاباتو ، زمبوانجا ، أبا آغوش ، بوكيدنون.

وهذا يؤكد حق المسلمين فى وطنهم المستقبل ، ويمنحهم الشرعية فى المطالبة بالحكم الذاتى لأوطانهم التى عاشوا فيها منذ عدة قرون .

ولكن الخيانات السياسية لاتعرف حقاً ولاحقوقا فقد ملت الحكومة هذه الوزارة عام ١٩٢٠ وضمت أعمالها إلى مكتب شئون القبائل غير المسيحية.

وفى يوليو عام ١٩٤٦ م أعلن إستقلال الفيلبين ويفاجأ المسلمون بأنهم

قد دخلوا تبعاً للدولة الجديدة فبدأ الجهاد المقدس ، وبدأت الحكومة فى حرب الإبادة لإجلاء المناطق الإسلامية من المسلمين ووضع مستوطنين مسيحيين فى بلادهم ... ومازالت المعركة دائرة ، وإرتفع صوت الأزهر ينادي المسلمين فى شتى أنحاء العالم ليهبوا لمساعدة إخوانهم المسلمين ولكن إنشغال المسلمين بأحداث معارك العرب مع إسرائيل لم تجعل لأنين المسلمين فى الفيلبين صدى يسمع .

ومازال المسلمون يطالبون بالحكم الذاتى لأنهم أصحاب هذه الأرض من قبل أن يغزوها ماجلان ، لأنهم أصحاب هذا الدين من قبل أن يولد رئيس جمهورية مسيحى ، ولأنهم أصحاب دولة إسلامية من قبل أن يطأ المستعمر الأبيض أرض السمر المسلمين وإن لله فى كل طرفة عين مائة ألف فرج قريب ، ولسوف يمن الله على مسلمى الفيلبين بالنصر المبين إن شاء الله .

الاسراء والمعراج فى تصور الدعوة الاسلامية

والدروس المستفادة منه

أولا : تصور الدعوة للاسراء والمعراج :

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع » البصير . . ـ أول سورة الاسراء ـ

« فأوحي إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى) . . (١٠ : ١٢ سورة النجم » .

« . . . وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنه للناس . . . » .
(من آية ٦٠ الاسراء)

وظيفة الدعوة الأولى هي أن تنشىء نظاما يتبع المنهـاج الإسلامى الذى اختاره الله .

وهذا النظام يحتاج فى انشائه إلى أمة تمثله وتقوم عليه . . . وغاية المنهاج الإسلامى هى عبودية الناس لربهم وحده ، وهذا يستلزم القضاء على الجاهلية ، والجاهلية فى أى عصر هى عبودية الناس للناس ، وأساس العبودية فى كلتا الحالتين هو الخضوع للتشريع . . . .

وعبودية الناس جميعاً لله وحده تكون بتلقيهم منه وحده العقيدة والشريعة والأخلاق وموازين التعاشر الاجتماعى . . . .

« ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وأن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين » . . . (١٨ : ١٩ سورة الجاثية)

والإسلام بهذا المفهوم هو تكريم للانسان وتحرير له من سلطة الانسان المتجبر .

والدعوة الإسلامية فى مكة قد حوصرت وسد فى وجهها الطريق فكان لا بد من بحث عن قاعدة جديدة تنتقل إليها الجماعة التى حققت العبودية لله ، وكان لا بد من التأكد من سلامة كل أفراد الجماعة وصلاحيتهم لهذه النقلة التى ستنشىء منهاجاً جديداً فى مواجهة أعداء الله حتى تنفذ مراحل الدعوة مستقبلا فى جو مأمون من الاضطراب بعيد عن التهم منزه عن المطاعن ، فكان لا بد من اختبار المسلمين عامة فى مكة من أجل انتخاب القيادة الراشدة التى ستنقل مع النبى ـ ﷺ ـ إلى المدينة المنورة ، وكانت مادة الامتحان من نوع غريب يهدف إلى إبراز مدى إيمان الفرد المسلم ومقدار تمسكه بدينه .

لقد كانت غاية هذا الامتحان هى التعرف على مدى استسلام الوجه لله من كل فرد ، واختبار عقله ووجدانه إلى أى مدى يستجيب للنص المعصوم فكان حادث الاسراء والمعراج هو مادة الامتحان ، وإلى ذلك أشار الإمام القشيرى ـ رضى الله عنه ـ فى رسالته بجملة قصيرة قال : فجعل ذلك بالليل امتحانا للخلق .

ولقد كان من الثمار التى جنتها الأمة الإسلامية والتى كانت من مقاصد إذاعة النبأ ، انفصال ضعاف النفوس والشاكين والمترددين ، انفصال كل هؤلاء عن الأمة الإسلامية الناشئة . . . لقد كفر ـ عند سماع النبأ ـ من كفر بعد إسلامه ، وإرتد من إرتد بعد إيمانه وما كان هؤلاء ـ لو بقوا ـ إلا عاملا من عوامل الضعف أكثر من أن يكونوا عاملا من عوامل القوة ، أن

هؤلاء المسكين الذين آمنوا وصبروا على الحوادث القاسية ، على التعذيب وعلى الآلام وعلى الفتنة فى جميع مظاهرها . .

إن هؤلاء المسكين الذين صبروا ، وصابروا ، وتخلصت أنفسهم من جميع النزعات المادية ، ومن جميع الأهواء ، فأصبحت خالصة لله وحده . .

إن هؤلاء المسكيين الذين كان فى تقدير الله سبحانه وتعالى أن تقوم عليهم الدولة فى نشأتها ، والذين من أجل ذلك يجب أن يكونوا مهيئين لأن يصمدوا لكل ما يمكن أن يعترضهم من عقبات .

نقول : أن هؤلاء المسكين يجب أن يصفوا تصفية كاملة ومن وسائل هذه التصفية اعلان نبأ الاسراء والمعراج لينتكس من ينتكس ، وليبقى من يبقى عن بصيرة وبينة وعن إيمان لا يتزعزع مهما كانت الحوادث ، إيمان بصدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى كل ما يأتى به ، يصدقه بمجرد أنبائه . .

والمثل الأعلى فى كل ذلك إنما هو سيدنا أبو بكر — رضى الله تعالى عنه حينما يعلن فى غير تردد ولا فتور :

لئن كان قال قاله فقد صدق ؟ فما يعجبكم من ذلك ؟ فوالله أنه ليخبرنى أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون منه . . .

لقد كان حادث الاسراء والمعراج محور تمحيص للصادقين فى إيمانهم والسطحيين فى تصورهم لحقيقة الايمان،فان من صدق بنبوة سيدنا محمد — ﷺ — فقد آمن باتصاله بالوحى ، والقرآن يأتى من عند الله يحمله الوحى ، والنبي — ﷺ — يتلوه على الناس ويخبرهم بأن هذا القرآن من عند الله سبحانه وتعالى والذين آمنوا يصدقون ذلك مع أنهم لا يرون وحيا ينزل ويصعد ،

ولكنهم يرون آثاره على النبي - ﷺ - وهو يتفصد عرقا فى اليوم الشديد البرد ويسمعون بعد ذلك قرآناً تنجذب إليه نفوسهم وتقشعر له جلودهم وتلين له قلوبهم ، ومقتضى هذا إذن الإيمان بالنبوة وبالوحى وهذا يستلزم الأعتقاد بأن هناك صلة عليا خارقة للعادة بين النبي - ﷺ - وبين ربه جل وعلا ، وإذن فلا ضير أبداً أن تنقلب صورة اللقاء بالوحى وتتبدل الحركة من عل إلى أسفل فتصير من أسفل إلى عل ...

الحركة الأولى يحمل فيها جبريل قرآناً إلى النبي - ﷺ ...

والحركة الثانية جاء ليحمل فيها محمداً ﷺ إلى سدرة المنتهى . . .

فان كلا من الحركتين فى التصور الإيمانى السليم متعادلتان ...

وحركة الوحى مطاقاً نزولا أو صعوداً من ضمنيات الإيمان بالوحى الذى يأتى إلى الرسول - ﷺ - مراراً وتكراراً ، وهى من غير شك حركة فوق تصور العقل حتى ولو تقدمت الأبحاث التكنولوجية لأنه لايمكن للبشر أن يحدد مبدأ حركة الوحى من عل ومبدأ صعوده مرة أخرى .. .

إن تحديد نقطة تحرك الوحى ذهاباً وإيابا فوق جميع المستويات العلمية والعقلية فهى سمعية لاتحتاج إلى دليل .. .

والمؤمن الصحيح يتصور كم من بلايين المسافات والأجواء والأجرام قد قطعها سيدنا جبريل عليه السلام فى أقل من لمحة بصر وهو يسعى إلى النبي - ﷺ - ليبلغه وحياً من عند الله فاذا ماقيل لهذا المؤمن الصحيح أن النبي - ﷺ - صعد فى مثل هذه اللحظة إلى السموات العلا لم يجد فى ذلك غرابة ، وقد قرب سيدنا أبو بكر هذه الحقيقة إلى الناس : إنه ليخبرنى أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون به

فهو أمر لايخرج عن حقيقة ما وعاه القلب الصادق من معنى الإيمان ومداه ومن هنا كانت نقطة الأختبار والامتحان لمن كان له إيمان ثابت ويقين مستقر وإذعان مستسلم فآمن وصدق ورضى ، وكانت نقطة الأختبار والإمتحان كذلك لمن فكر وقدر وعبس وبسر وزين له سوء عمله فرآه حسنا ، فاستبعد وإستكبر وحول هذا يقول ابن هشام : (وكان مسراه وما ذكر عنه بلاء وتمحيصا وأمراً من أمر الله عز وجل فى قدرته وسلطانه ، فيه عبرة لأولى الألباب وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدق ، وكان من أمر الله سبحانه وتعالى على يقين ، فأسرى به سبحانه وتعالى كيف شاء ليريه من آياته ما أراد حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم وقدرته التى يصنع بها ما يريد ..)

لقد كان حادث الاسراء والمعراج إمتحاناً وإبتلاء لتربية الجماعة الإسلامية وتهذيباً لها من ضعاف البصيرة واليقين إستعداداً للهجرة ومنهجاً جديداً يستعد فيه الحق للموقف الفاصل .. .

وهذه قاعدة ينبغى أن تلاحظ دائماً فى تنظيمات الجماعات التى تدعى لنفسها أنها تتصدى لتبليغ دعوة الله ، فكم من منافق يندس ليخرب وكم من ماجن يتسرب ليفسد وكم من واهى العقيدة يفرق ، وكم من دنيوى يسعد أن يبيع آخرته ودعوته ودينه بعرض بخس زهيد ، وكم من شيوعى ملحد يندس وسط المسلمين ليخرب ويشوش .. ؟

وفى ضوء حادث الاسراء والمعراج مايتصل بمرحلة التمهيد الدعوة الإسلامية فان الميثاق الذى أخذه الله على الأنبياء ليؤمنن بمحمد ولينصرنه قد هيأ الله له فرصة يعلن فيها الأنبياء جميعاً إيمانهم بالنبى الخاتم ويأتمون به من صلاة تعلن وحدة الرسالة ووحدة الهدف الذى سعى به هذا الموكب الجليـل .

يقول ابن هشام :

(فمضى رسول الله - ﷺ - ومضى جبريل عليه السلام معه حتى انتهى به إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى فى نفر الأنبياء فأمهم رسول الله - ﷺ - فصلى بهم . . .

وفى الخابية :

(ولما أقيمت الصلاة ببيت المقدس قاموا صفوفا ينتظرون من يؤمهم فأخذ جبريل بيده - ﷺ - فقدمه فصلى بهم ركعتين . .)

« سبحان الذى أسرى بعبده » . .

« فأوحى إلى عبده ما أوحى » . .

لقد حقق سيدنا محمد - ﷺ - مدلول العبودية لله وقابل كل موجات الاعتداء بالصبر الجميل والثبات المكين فهو الربانى الكامل والعبد الكامل فى ربانيته وعبوديته لله رب العالمين ، فما جزاء المحقق للعبودية وقد غاب عنه حبيباه : عمه وزوجه وتكأكأت عليه الأعادى . . ؟

لقد كانت آخر موجة الغضب الجاهلى صبية من بنى ثقيف من الطائف ترميه بالحجارة حتى دمت قدماه الشريفتان ، وسامحهم ودعا لهم بالهدى ، أفلا يستحق هذا العبد الذى وصف وحده : بهذا النعت (عبده) : عبده فى الاسراء وعبده فى سدرة المنتهى فلم يخرج محمد - ﷺ - عن العبودية لله وحده .

أفلا يستحق دون سائر البشر جميعاً أن تحمله الملائكة على البراق ليصلى أماماً بكل الأنبياء ؟ .

ولم يخرج محمد - ﷺ - طرفة عين عن العبودية لله وحده .

أفلا يستحق أن تقف له الأنبياء والملائكة وأهل السموات جميعاً ينتظرون مقدمه عند سدرة المنتهى ، حيث يكون هو وحده « عبد الله » حيث يكون (عبده) .

لقد حقق هذا النبي العظيم العبودية لله .

حققها رأفة وسكينة . . .

حققها قلباً ورحا . . .

حققها صفحا ودماء . . .

حققها صبراً ورضا . . .

حققها تبليغاً وأمانة . . .

حققها سماحة وعفواً . . .

حققها كمالا وخلقاً . . . الخ .

فما جزاء هذا عند ربه الكريم ؟ .

أما الامام القشيري رضى الله عنه فقد أشرق بالجواب اشراقة العارفين يقول : (أن الملك العظيم إذا أراد تخصيص أحد عباده وولى من أوليائه أشهده من أملاكه وخزائنه ما أخفاه عن غيره ليدل بذلك على تخصيصه .

كذلك الحق سبحانه وتعالى لما أراد اكرام المصطفى - ﷺ - أطلعه على كثير من المخلوقات ما لم يشهده غير تخصيصا له وتشريفا ومن ذلك : أنه لما طوى له الأرض فأراه مشارقها ومغاربها ، كذلك أراه : الملكوت والسموات والجنة والنار تلك الليلة إلا ليزداد به اعتباراً على اعتبار واستبصاراً على استبصار . . .

إن مسألة المعراج فى جوهرها عندما نلاحظ العلاقة بين الله و بين نبيه هي كما قالها الأستاذ أبو علي الدقاق رضى الله عنه :

(ليعرفه أنه لا رتبة لأحد فوق رتبته فيكون أبلغ فى باب كرامته) .

ولا يمر الإسراء والمراج كحدثين مضيا فى التاريخ القديم ولـكنهما كانا كمنهج حياة فى العقيدة والأخلاق من جانب ثم يكونان دائما من دلائل النبوة الخاتمة للنبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد أخبر عن أحداث ستقع فى مستقبل هذه الأمة رآها بعينه فى الجنة وفى النار فأخبر عنها ليتقيها الورعون ، وليصلحها المصلحون أو لينتهى عنها الآثمون وليفقهها الداعون لينذروا قومهم لعلهم يحذرون . .

أما النعمة العظمى والتجلي الإلهي الأكبر فى ليلة الإسراء والمعراج فانه الصلاة إن الصلاة هى الشرف الأسمى للانسان فهى تصله بالله سبحانه ، وهى الوسيلة إلى رضوانه ، وباب الفتوح والقبول ، وهي المعراج الروحى الذى تتصل فيه أرواح العباد الأطهار بخالقهم جل وعلا . .

إنها لحظة المناجاة التى لا تحتاج إلى وسيط ولا شفيع ، إنها القربى إلى الله جل وعلا شأنه يأنس فيها القلب بربه وتتصل فيها الروح ببارئها وتستريح من وعثاء السفر فى الحياة ، وتهدأ من صخب الشهوات ، وتنجو من وسواس الشيطان .

وقد شاء الله تعالى أن يشرع تنظيم الصلاة خمس مرات فى اليوم والليلة من عند سدرة المنتهى لأنها فقط العبادة التى تصعد إلى الله مع الملائكة الذين يتعاقبون فى الليل والنهار وهى وحدها ، الصلاة التى تحقق العبودية لله ، تسجد الجباه والأيدى والركب والأقدام ويسجد القلب والعقل والفؤاد إجلالا وتعظيما وتمجيدا لله رب العالمين ، ومنزلة الصلاة رفيعة تهبط شرعيتها من منزلة تساويها من عند سدرة المنتهى . .

إن الصلاة حبل واصل بين الطائعين في الأرض وخالقهم الأعلى والحبل الذى يصل بين الله وعباده هو الذى يرتضيه لهم ونوع الصلاة التى يتعبد بها المسلم لا يملك أن يقترحها إنما تلقى إليه كما يشاء الله .

ولهذا انتدب الله عز وجل حبيبه محمداً — صلى الله عليه وسلم — فى ليلة الاسراء والمعراج ليوحى إليه تنظيم الصلاة خمس مرات فى اليوم والليلة . إعلانا بما للصلاة من منزلة عند الله وما لها من منزلة عند الطائعين وما لها من حقوق يجب أن تراعى ، وهى الفرض الوحيد الذى لا يسقط عن الصحيح والمريض والمسافر والمجاهد ، ولهذا كانت عماد الدين ، من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين ، وهي الفاصل بين المسلم والكافر وهي النور الذى يملأ القلب والمسجد والبيت وهى بركة العمر والرزق والعافيـة والعـــلم .

لقد كانت غاية الحدث الجليل : الاسراء ، والمعراج تصفية لروح الجماعة الاسلامية التى ستتولى القيادة الراشدة قريبا تجهيزاً لنقله بالهجرة من مكة إلى الصادقة حيث تهاجر العناصر القوية التى نجحت بامتياز فى هذا الاختبار الدقيق لأنها — وحدها يوم أن ينضم إلى منهج التبليغ حد السيف — تستطيع أن تبرهن على أن الجهاد بالسيف ليس وراءه طمع مادى ولا شهوة فى شهرة ولا رغبة فى اكتساب أرض أو استعمار قطر ، وإنما فقط لتكون كلمة الله هى العليا ولتكون العبودية وظيفة البشر ، قد وجدت لها مناخا يحقق فيه الناس عبادتهم لله الواحد القهار .

وبعـــد :

فان الدرس العملي الذى ينبغى أن يعيه شبابنا المعاصر هو : أن يتفحصوا أعضاء أسرهم وأفراد معسكراتهم وأساتذة توجيههم حتى تسلم حركة الدعوة

من الدخلاء الذين يبيتون لها بالحقد والمكر كل سوء فقد علمنا القرآن الكريم أسلوب هؤلاء القوم ، يقول الله تعالى فيهم :

« لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين » .

(٤٧ ـ التوبة)

ولقد كان حادث الاسراء والمعراج علامة على طريق الدعوة ليحيا من حي عن بينة فليعتبر الدعاة ، وليستيقظ شبابنا المسلم .

ثانياً — دروس من الإسراء والمعراج :

من أمتيازات خوارق العادات في ظل الدين الخاتم أن المعجزات لا تمر لتقرع العقل في حين واحد من الزمن فتدك أعناق الجاحد وتأخذ بيد المستعدين للهداية وتقوى إيمان الذين صدقوا بلي أن المعجزات في ظل الدعوة الإسلامية تمتدوظائفها امتداد الدعوة فتظل تعطى للمؤمنين وغيرهم على السواء دروساً وعبراً كما ينهدر الماء العذب السلسبيل من علو مرتفع ثم يمضى في طريقه ايروى الاكبـار الظامئة ويسقى الحقول المحترقة ويزين الأرض خضرة وبهجة .

ولقد كان حدث الاسراء والمعراج فعلا خارقاً للعادة وسيظل أمرها فوق تقدم العلم والتكنولوجيا فعلا معجزاً في كل شيء لأنه حدث له دلائل يستشف منها دروس تنفـــع المسلمين مادام على الأرض إنسان يشهد أن لا إله إلا الله .

الدرس الأول : الالتزام والتسليم .

والدرس الأول الذى نستخلصه من حادث الاسراء والمعراج هو الالتزام بمبادىء التصديق الذى أعلنه المسلم أنه يصدق محمداً ﷺ في تلقيه الوحى والرسالة من عند الله ...

فاذا كانت العقيدة صادقة والتزم صاحبها بالاستمرار في هذا الصدق تجاه صاحب الرسالة فانه لا يحوله عن هذا التصديق وهذا الصدق شيء مهما كانت الأحوال والملابسات التى تحاول أن تعوق صدقه وإيمانه وقد ظهر ذلك جليا

فى موقف سيدنا أبى بكر رضى الله تعالى عنه عندما أخبره القوم وهم فى حالة دهشه ، لقد قال لهم : « لئن كان قاله فقد صدق ؟ فما يعجبكم من ذلك ؟ فوالله أنه ليخبرنى أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون منه » أ . هـ .

لقد كان صدق أبى بكر وتصديقه للنبى ﷺ على مستوى التزام لكل ما يترتب على ذلك التصديق وذاك الصدق من شتى الأمور ، ذلك لأنه أستقر فى طمأنية على أن محمداً ﷺ رسول الله حقاً وصدقاً ، فانه يأتيه الوحى وأن خبره صادق ومعصوم .. وعلى هذا فكل ما يقوله فهو حق وهو صدق وما عليه بناء على صدقه وتصديقه إلا أن يؤمن بمجرد أن يقول محمد ﷺ خبراً ما غيبيا أو غير غيبي .

واستقر فى علم الدعوة أن الالتزام هو السمة الخاصة فى تربية القيادة للعمل الإسلامي ، وأن أى جماعة إسلامية لا تضع فى حسابها إعداد القيادة على هـذا المستوى فقد تجافت مع أول الدروس المستفادة من معجزة الاسراء والمعراج .

الدرس الثانى : وحدة العقيدة وأفراد الله بالعبادة :

تقول الروايات المعنية بسرد وقائع الاسراء والمعراج أن النبى ﷺ صلى بالأنبياء جميعاً إماما .

لقد ائتموا به وكان لهم إماماً .. من هذه الامامة نستخلص درساً أساسياً مقصوداً فى حادث الإسراء والمعراج ذلـكم الدرس هو أن عقيدة الأنبياء واحدة ، أنهم جميعاً يدعون إلى توحيد الله تعالى وتنزيهه عن كل ما يغايره ذاتاً وصفات وأفعالا .

إنه جل جلاله هو مالك الملك ، وهو وحده خالق كل شىء ، وهو

وحده الآخذ بنواصى المخلوقات كلها ، وهو وحده جل شأنه على كل شيء حفيظ ..

إنه وحده الأحد الفرد الصمد الذى لا شريك له ولا ولد ..

لقد أتحدت عقيدة الأنبياء جميعاً وصلوا خلف خاتمهم الذى جاء ليصحح ما أفسده الاتباع الذين لم يلتزموا بما يوجبه مبدأ التصديق بالأنبياء ، لقد جاء ليصحح العقيدة تلك العقيدة التى حملها جميع الأنبياء إلى البشرية يقول الله تعالى ..

« واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون » .
(٤٥ ـ الزخرف)

« وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » .
(٢٥ — الأنبياء)

«قالت لهم رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين .

قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم لكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ».
(١٠ — ١١ ابراهيم)

وأهمية هذا الدرس أنه يتواءم تماماً مع دعوة القرآن الكريم أهل الكتاب والعرب إلى تصحيح العقيدة وابطال مزاعم أن لله ولدا سواء كان الولد فى مفهوم العرب الذين قالوا : أن الملائكة بنات الله ، أو فى مفهوم اليهود الذين قالوا : عزير بن الله ، أو فى مفهوم النصارى الذين قالوا : إن

عيسى ابن الله فاذا ما وقف أنبياء هذه الأمم مأمومين خلف سيدنا رسول الله ﷺ في المسجد الأقصى فقد أعلن أنبياؤهم وحدة العقيدة التي جاؤا بها وأنها هي عقيدة الإسلام التي جاء بها خاتم النبيين — سيدنا محمد ﷺ ، ويكون ذلك الدرس أساساً لمناقشات طويلة ستأتي مع أهل الكتاب عند إنتقال الدعوة من مكة بعد الإسراء والمعراج إلى المدينة المنورة التي نزلت فيها السور الطوال التي تعالج قضية التوحيد مع أهل الكتاب في سورة آل عمران والمائدة والنساء والبقرة .. ألخ .

ووحدة العقيدة التي تستخلصها درساً من الإسراء والمعراج تجعل من الأمة الإسلامية رقيباً وحامياً ومنافحا ووكيلا عن إمام الأنبياء في حماية وحدانية الله في قلوب البشر من تأويل الجاهلين وتشكيك الضالين ، والحاد الشيوعيين ، وتحريف المنتحلين ..

ويبقى في عنق الأمة الإسلامية وفي مقدمتها علماء الإسلام في كل قطر وفي مقدمتهم الأولى علماء الأزهر بمصر والعالم الإسلامي . . ويبقى في عنق هؤلاء جميعاً مسئولية الدفاع عن التوحيد الخالص في الاعتقاد والثقافة والسلوك والاجتماع .. فان العقيدة ليست لفظاً يتفوه به بل هي ركيزه في القلب تظهر أثارها علي السلوك والفكر وحياة المجتمع .

وما أفضلها من وظيفة وما أثقلها من مسئولية لو رعاها العلماء لما باتوا يفكرون في قيم الأرض والمادة والمناصب . ولا أحالوا تكبير العداوات والمشاحنات إلى مودة وإجتماع يتألفون من أجل صد تيارات الالحاد والتشويش على صفاء العقيدة ويا ويل قوم يدخلون في هذا الحديث .

(آفة الدين ثلاثة .. فقيه فاجر ، وإمام جائر ، ومجتهد جاهل) .

ولقد حذر الله الأمة الإسلامية من الاختلاف والشقاق ، والتدابر فقال تعالى :

« ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » ويقول النبي ﷺ : -

(لاتباغضوا ولاتحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر اخاه فوق ثلاثة أيام) رواه البخاري في كتاب الأدب .

وأنها لدعوة صريحة أوجهها إلى علمائنا الأجلاء لاسيما الشباب عليكم بالالتزام والاتحاد تأسياً بالسلف الصالح لنبني مما للاسلام جيشا فكريا فقد استنثر الالحاد في الوطن الإسلام الاكبر .

الدرس الثالث : - تنفيذ ميثاق الأنبياء .

في الأزل البعيد أخذ الله على الأنبياء ميثاقا غليظا أن ينصروا محمدا ويبشروا به يقول الله تعالى : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال : أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ؟ قالوا أقررنا . . قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » . (٨١ - آل عمران)

قال ابن كثير في تفسيرها :

(قال ابن عباس ومجاهد والربيع بن انس وقتاده والسدي : يعني عهدي وقال محمد بن إسحاق أي يمينا في الشديد المؤكد . . ثم قال ابن كثير :

قال علي بن أبي طالب وابن عمه ابن عباس رضي الله عنهما : « ما بعث الله نبيا من الانبياء الا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدا وهو حي ليؤمن به ولينصرنه ، وأمر أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه ا.هـ .

وقد وثق ابن كثير هذا التفسير بما رواه من احاديث تفيد أن النبي ﷺ أكد هذا المعنى فقد روى الإمام أحمد عن عبد الرزاق عن جابر الشعبي عن عبد الله بن ثابت قال جاء عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول

الله أنى مررت بأخ لى يهودى من بنى قريظة فكتب لى جوامع من التوراة الا اعرضها عليك ؟ قال : فتغير وجه رسول الله ﷺ قال عبد الله بن ثابت قلت له : الا ترى مابوجه رسول الله ﷺ فقال عمر : رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا ومحمداً رسولا قال : فسرى عن النبي ﷺ قال : والذى نفسى بيده لو أصبح فيكم موسى عليه السلام ثم اتبعتموه وتركتمونى ضللتم انكم حظى من الأمم وأنا حظكم من النبيين .

يقول ابن كثير : فالرسول محمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين ، هو الإمام الأعظم الذى لو وجد فى أى عصر كان هو الواجب الطاعة المقدم على الانبياء كلهم وبهذا كان إمامهم ليلة الاسراء لما اجتمعوا فى بيت المقدس . .

ومن رحمات الله التى لاتحصى أن هيأ الله لأنبيائه الذين أخذ عليهم الميثاق فرصة لتنفيذه فجمعهم الله على وفق علمه وارادته وقدرته فى بيت المقدس لأنه طاهر يومذاك من الاوثان والأصنام وليس غيره بعد المسجد الحرام مسجد بناه نبى من الأنبياء الذين يصطفون فى الصلاة خلف سيدنا محمد ﷺ وعلى جميع الانبياء والمرسلين . . من أجل أن يعلنوا بصورة عملية أنهم صدقوا محمدا وآزروه فقد حملوا أخباره إلى حواريهم كما ينص القرآن فيما بعد حادث الإسراء والمعراج على هذا ، إذ يقول الله تعالى :

« يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » .

وتكون الارهاصات السابقة على الرسالة التى لمح بها بحيرا ونسطورا من الدلائل التى تصدق ميثاق الأنبياء الذى قطعوه مع الله أن ينصروا محمدا وينشروا أخباره بين أممهم ليصدقوه إن أدركوه . .

وآية تنفيذ هذا الميثاق أن الأمة الإسلامية هي الحفيظة على ميراث الأنبياء

جميعا ، وأنها الأمة التى من حقها أن تجعل من نفسها المدافع عن كرامة الأنبياء ولهذا خصها الله بخواتم البقرة :

« آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله ونحن له مسلمون (٢٨٥ـ البقرة)

فنحن أولى الناس جميعا بعيسى ابن مريم وموسى ، هارون ، تضعهم فى موضع النبوة الصحيح لا افراط ولا تفريط ولا حساسية تجاه اتباع يرون الحق السليم .

الدرس الرابع : ـ الاعتراف بخاتم الرسالة والنبوة

لقد تمت تجربة هداية البشر بمناهج عدة بعث الله بها الرسل وكان أخر هذه المناهج هو منهج الرسالة الإسلامية التى حملها سيدنا محمد ﷺ وهو منهج شامل دسم يحاول أن يصحح أخطاء الذين مضوا من الأمم .

« ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولاتتبع اهواء الذين لايعلمون» (١٨ ـ الجاثية)

وأهواء الذين لايعلمون هى التى جعلت من منهاج الدعوة الإسلامية « قيما » على ماسبق من الرسالات يقول الله تعالى :

« وما تفرقوا إلامن بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب ، فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولاتتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لاحجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير؟» (١٤ـ١٥ الشورى)

فهل بعد هذا المنهج تحتاج البشرية إلى شىء سواه !

كان لابد من إعلان ذلك صريحاً ، وكان الإعلان من الإتباع مقبول

لكنه ليس هو الأصل فى الموضوع إذ أصحاب الرسالات هم الأحق بالشهادة على أن البشرية لا تحتاج من بعد سيدنا محمد ﷺ إلى نبي ولا إلى رسول . . . فكانت معجزة الإسراء والمعراج ليلتقى النبى ﷺ بهم إماماً فيعلنون له التبعية ويستقبلوه حيث وضعهم الله فى سماواته العليا ليقولوا له مقالة واحدة فيما يرويه البخارى : مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح ، ومرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح .

فأى نبي يستحق الابتعاث للخليقة من بعد محمد ﷺ الذى أسرى به وعرج به إلى السماء وتهيأت له الاكوان فرحا وحيا وانسجاماً ، وتغيرت له الأجواء والسموات وقوانين الكون عزة وابتهاجا .

والدرس المستفاد من الاسراء والمعراج أن الانبياء جميعا فى بيت المقدس ، وهم السموات العلا قد اعترفوا بأن محمدا ﷺ هو خاتم المرسلين . . وليس من بعد منهجه منهج آخر تحتاجه البشرية إلى يوم الدين .

الدرس الخامس : تمام التصور للتشريع مستقبلا .

من الامتيازات الخاصة بالتشريع الإسلامى أنه يأتى فى غالب أحكامه بناء على حاجات الأمة : ـ قال تعالى : « يسألونك عن الخمر والميسر . . يسألونك عن اليتامى . . يسألونك عن الشهر الحرام . .

القوانين تستمد احترامها من اقتناع المجتمع بها والمحافظة على احترام القوانين تصدر من ثقة الأمة فى عدالتها وتحقق آمالها .

والتشريع الإسلامى يحافظ على هذه الامتيازات فكان تدرج الأحكام وكان تدرج الحكم الواحد على عدة مراحل توطئة لاستقرار تام للحكم حسبما يرغب المسلمون دون شعور مستقبلا فى التمرد عليه .

وقد عافانا الله تعالى من تجارب الأمم السابقة يقول الله تعالى : ـ

« يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم » (٣٦ ـ النساء)

والدرس المستفاد من الإسراء والمعراج في هذا المجال هو المرائى التى رآها سيدنا رسول الله ﷺ ..

لقد رأى : - ملكا بيده صخرة يضرب بها هامة الآدمى فيقع دماغه جانباً وتقع الصخرة جانباً إن ذلك مثال للذين ينامون عن صلاة العشاء الآخرة ويصلون الصلوات لغير أوقاتها .

* ورأى ملكا بيده كلوب من حديد يضعه في شدق آدمى حتى ينتهى إلى أذنه،وذلك مثال الذين يمشون بين المؤمنين بالنميمة ليفرقوا بينهم ..

* ورأى نهراً من دم يفور كالمرجل وعلى حافتيه ملائكة بأيديهم نار كلما طلع طالع قذفوه بها فيقع فى النهر فيشتعل إلى أسفل ذلك النهر أنه مثال للذين أكلوا الربا .

ورأى بيتاً أسفله أضيق من أعلاه وفيه قوم عراة تفور من تحتهم النار ، وقد أمسك النبي ﷺ بأنفه من نتن ما وجده من ريحهم .

وذلك مثال للزناة، أنه مثال نتن فروجهم التى تلذذت بالحرام عن الحلال.

ه ومر النبي ﷺ بتل أسود عليه قوم مخبيون تنفخ النار فى أدبارهم فتخرج من أفواههم ومناخرهم وآذانهم وأعينهم . وهو مثال للذين يعملون عمل قوم لوط .

ه ومر كذلك بنار مطبقة موكل بها ملك لا يخرج منها شيء إلا أتبعه حتى يعيده فيها .. وهو مثال لنار جهنم .

ه وعلى النقيض من ذلك رأى الرسول ﷺ روضة خضراء فيها رجل جميل حوله الولدان فهى صورة لحياة سيدنا إبراهيم .

• ورأى شجرة ورقها كآذان الفيلة وتلك صورة منازل النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

• ورأى نهراً عليه جسر من ذهب وفضة وعلى حافة النهر منازل لا منازل أحسن منها وهذا هو حوض (الكوثر) الذى أعطاه الله له وحواليه منازل أمته عليه أفضل الصلاة والسلام .

* * *

هذه المرائى لها أهمية فى التشريع هى أن الرسول ﷺ يوم أن ينتقل إلى المدينة المنورة ويصبح عدد المسلمين كبيراً وكثيراً سوف يحتاج المجتمع إلى نوع من التشريع يضبط السلوك ـ فكانت هذه المرائى :

١ ـ ليكون التشريع منطلقا من رؤية بواقع فلا يكون التشريع تابعاً من فراغ كما تكون القوانين الوضعية .

٢ ـ لتكون التشريعات متناسبة مع ظروف المجتمع النفسية والعقيدية.

٣ ـ لتكون التوعية الاجتماعية واعية فترتبط بين الشخصية الإسلامية فى الدارين الدنيا والآخرة .

٤ ـ لتستمر آيات صدق النبوة مستمرة إذ لم يتحول السلوك الاجتماعى عن الصورة التى رآها سيدنا رسول الله ﷺ .

٥ ـ لبيان أن أحكام القرآن الكريم جاءت لعلاج أمور تظهر تلقائياً فى المجتمع ، وإن علاج هذه الأمراض الاجتماعية لا يكون إلا بعلاج قرآنى لأنه هو الذى فيه للناس شفاء .

والدرس المستفاد: أن التشريع الإسلامى هو الذى يضمن سلامة الحياة الاجتماعية ، وإن الطمأنينة التى يبحث عنها الإنسان فى الدنيا وفى الآخرة إنما هى فقط فى التشريع الإسلامى الحنيف ..

الدرس السادس : مستوى العلاقة بين الله ورسوله :

فى الحياة العادية يجد الناس عدة أنواع من مستويات العلاقات وكلها تخضع لمستوى الطرفين فى الأحوال الاجتماعية والفكرية .

ومع أن القرآن الكريم استفاض فى توضيح بشرية النبي ﷺ فقال الله تعالى :

• ألم يجدك يتيما فآوى .

• فأنك بأعيننا .

• وإنك لعلى خلق عظيم .

• قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين .

• يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً .

• قل إنما أنا بشراً مثلكم يوحى إلى .

فبشرية الرسول ﷺ ليست كبشرية الناس لأن العاديين معادن ، فما بالنا بالنبوة كيف تكون بشريتها ؟

ولقد وصفها الله فى إطار رعايته وتأديبه وإحسانه وفضله ووحيه .

ووصفها بأنها بشرية نورانية وإن صاحبها نور ، وإنه سراج منير .

ولكن العلماء خاضوا فى أحاديث شتى فيما يتعلق بالإسراء والمعراج ..

هل كان بالروح والجسد معاً أو كان الاسراء بهما معا والمعراج بالروح فقط .. الخ .

ولقد نسى العلماء أن الفعل موضوع فى الدائرة الإلهية « سبحان الذى

أسرى بعبده » .. فكان ينبغى أن يدرك العلماء أن الإسراء موضوع فى جو فاعلية الخالق الذى إذا أراد شيئاً قال له : كن فيكون .

وعلى هذا الأساس فالإسراء والمعراج كانا بالنبي ﷺ لأن الله اصطفاه للرسالة وخلقه مهيئاً لكل ظروفها إن فى الأرض أو فى السماء إن فى النوم أو فى اليقظة .

وهذه البشرية النبوية لا ينبغى أن يخرج عنها النبي ﷺ فى أية مرحلة من مراحل الرسالة .

فهو نبي بشرى النبوة قبل الإسراء وهو كذلك عند الإسراء وعند المعراج .

وهو كذلك بعد الإسراء والمعراج .

والذين يتصورون أن النبي ﷺ عرج به السماء بقانون خاص غير قانون بشرية النبوة يصطدمون مع نص صريح فى القرآن ويقعون فى خطأ جسيم تروى فيه ما نعوا الرسالة للبشر المصطفى ذلك أن الله سبحانه وتعالى وهو يرد على الكفار مقالتهم :

وقالوا لولا أنزل عليه ملك ؟

قال الله تعالى لهم :

* ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون .

* ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون .

(٨ ـ ٩ الأنعام)

فالقرآن يقطع بأن الأنبياء لابد وأن يكونوا من البشر ؟ لأن وظيفة الملائكة مع البشر غير وظيفة الأنبياء مع الناس ولو تنزلت السماء على اقتراح

أهل الأرض فجعلت الرسول ملكا لما صح أن يكون أهلا لحمل الأحكام إذ الأحكام الشرعية تحتاج إلى القيادة والقدوة والأسوة فكان الله يجعل الملك رجلا ليصح التكليف والإرسال فلو خرج النبي ﷺ ليلة المعراج عن بشريته النبوية التي بها يتلقى الوحي عبد الله وكيف يتحمل فرض تنظيم الصلوات خمس مرات في اليوم والليلة . .

أيتلقاها بملائكيته المستجد فيه ؟

أم يتلقاها ببشرية مؤقتة بعد الملائكة التي عرج بها ؟

ولماذا يخرج الرسول ﷺ عن بشريته النبوية وهي التي تسهل على الناس تصور وقوع المعراج .

أن هذا الأمر لاينبغي في تصوير آخر خارق للعادة .

فالأمور الخارقة للعاده لاتبسط وإنما يجب الإيمان بها كما أخبر عنها المعصوم المرسل من قبل الله تعالى . .

والذي يؤكد الإعجاز في معجزة الإسراء والمعراج هو تغيير المسار في طريق المعراج فالله تعالى يغير قوانين الكون في المسار الذي يمر فيه موكب النور تكريماً للنبي المصطفى الخاتم وإبقاء على بشريته النبوية التي بها يتلقى الوحي عن الله ، والتي بها بعث للعالمين رحمة ونوراً وسراجا منيراً ويكون ذلك أبلغ في تصوير معجزة الإسراء والمعراج .

لقد غير الله الكون في مسار موكب المعراج تكريماً لنبيه حبيب حضرته العلية .

وهذا أجل من تغيير النبي بحيث يتلاءم مع قوانين الطبيعة والكون لأن آية التكريم والإعجاز تكمن في تغيير قوانين الكون من أجل مسرى سيدنا رسول الله ﷺ ومعراجه لا أنه هو الذي يتغير .

إذ لو تغير لحق للذين قالوا : إبعث الله بشراً رسولا أن يعترضوا ولقد

أكد القرآن الكريم على لسان جميع الرسل رد هذا الأعتراض باثبات البشرية لهم ، قال الله تعالى :

قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون. (١٧ — إبراهيم)

والذين يصعدون إلى القمر لايغيرون ذواتهم وإنما يغيرون البيئة المحيطة بهم حتى تتلاءم ذواتهم العادية مع البيئة القمرية .

أليس الله ورسوله أولى بالحفاظ على ذات النبي ﷺ وتغيير قوانين الكون لمعراج رسوله المصطفى ؟!

بل أليس للكون الذى تجلى ببهجة ليلة مولده الشريف أن يأنس بمسراه ومعراجه فيتبدل له تكريماً لموكبه اليتيم ؟

إن الدرس الذى نستفيده من الإسراء والمعراج فيما يتعلق بادراك العلاقة بين الله جل شأنه وحبيبه محمد ﷺ هو أن الله إصطفاه وجعله رحمة للعالمين فليس للعقل أن يحدد هذه العلاقة إلا فى إطار النصوص التى تجعل من البشرية لرسول ﷺ بشرية النبي المصطفى الذى أختاره الله للعالمين بشيراً . .

الطريق إلى طابه وخاصية الدعوة

كانت مواجهة الكفار للدعوة قائمة على النظر العقلي المجادل الذى لا يبتغى من وراء الجدل إلا المراء والسفسطة ، وتظهر دلائل هذا المراء فى الادعاءات الكاذبة التى لاتقوم على أساس من العقل الفاهم المنصف .

فلقد أجمع الناس فى مكة على أن محمداً ﷺ هو الأمين ، وإرتضوه حكما فى مدلهمات الأمور وما جربوا عليه كذباً قط فلما جاءهم بالهدى والبينات لماذا كفروا به رسولا ؟ فلماذا كفروا .. ؟ !

لقد اتهموه بالسحر ، وقد حكم عقلاؤهم أنه ليس بساحر فهى دعوى يعارضها منطق حالهم ولا يتفقون عليها جميعاً وليس عندهم دليل عليها لامن الحياة السالفة ولامن الحاضر الذى كانوا يعيشونه .

لأنه لو كان ساحراً لوقع أحد أمرين :

* أما أن يؤثر سحره فيهم فيكونوا له أتباعا .

* وإما أن يقدروا على معارضته بسحر مثله يجعله غير قادر على عمل السحر أو يفسد بسحره فيهم .

ولم يناقشوا إلى أى مدى يستمر هذا السحر . . . فهى دعوى لادليل عليها لأنها هراء .

واتهموه بأنه يؤلف القرآن وطلبوا منه :

* أن يفجر لهم الأرض عيوناً .

* أو أن تكون له جنة من نخيل وعنب تجرى من خلالها الأنهار .

* أو أن يسقط السماء عليهم كسفا .
* أو يأتي الله — إستغفر الله — والملائكة معه قبيلا .
* أو يكون له بيت من زخرف .
* أو يرقى فى السماء ويأتى بكتاب يصدق نبوته .

ولما كانت دعوى تأليف القرآن يمكن مناقشتها بالأسلوب العملي فقد تعرض لها القرآن الكريم فى صورة التحدى وطلب منهم محاولة الإستدلال على الدعوى بالممارسة العملية : فتحداهم بالقرآن على سمته الربانى دون إدعاء الزيف الذى يتقولونه فقال لهم :

« فأتوا بمثله وادعوا من أستطعتم من دون الله أن كنتم صادقين » .
(٢٨ — يونس)

فلما عجزوا عن الآتيان بمثل القرآن فى حقيقته الربانية تحداهم بما وصفوه به من أنه متقول : فقال لهم لئن كان الأمر كما تزعمون فأتوا به على هذه الصورة وهى سهلة فان محمداً صلى الله عليه وسلم وحده أستطاع أن يؤلف مثل هذا القرآن حسب زعمكم فما أيسره عليكم مجتمعين فانكم تقدرون على الأتيان بعشر مفتريات من مثل ماتدعونه مفترى فقال تعالى : « قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين» ،
(١٣ — هود)

فلما عجزوا فى هذه المرة . . . تحداهم مطلقاً بمعنى أن الأدعاء القائل بأن محمداً - صلى الله عليه وسلم — أفترى القرآن مطلوب منه الاستدلال على هذا الزعم سواء كانت الممارسة فى مقابل القرآن بصفة الربانية على نحو مايعتقده الرسول صلى الله عليه وسلم أنه وحى من عند الله ، وسواء كانت الصفة على نحو مدعاهم فقال تعالى فى سورة الطور :

« أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون، فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ».
(٣٣ — ٣٤ — الطور)

فثبت بالممارسة العملية العجز لكل من يحاول أدعاء إفتراء القرآن الكريم[١].

أما طلبات الكفار التي جاء ذكرها في سورة الإسراء من الآية رقم ٩١ إلى الآية رقم ٩٣ فلم يأبه القرآن بمناقشتها لأنها من قبيل الجدل العقيم الذي لا تسعفه أدلة عند المعترضين ولا يجدي معهم نقاش لأن المسألة عندهم مأخوذة من جانب المراء والمجادلة ولذلك نجد القرآن الكريم بعد أن عرض كل طلباتهم رد عليهم في إيجاز بليغ :

« قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا . . . »[٢]

هذه الصورة العملية هي الخاصية التي جاء بها الوحي في الإسلام لينقل الإنسان من المنطق العابث إلى المنطق الهادف ، ومن الجدل المنتهي بالتعطيل إلى المناقشات الموصلة إلى نيل الغايات وشرف العمل ولكن القوم لم يفطنوا ولم يفقهوا هذه الخاصية .. . فعاندوا وأفتروا ..

وبعد ثلاثة عشر عاماً ممتلئة بالتحدي من جانب الكفر العنيد وبالسماحة وحب الخير من جانب صاحب الدعوة ، بعد هذا العمر الطويل في العدد والحساب لم يجد رؤساء مكة صناديد الوثنية وسيلة تريح صماخ آذانهم من الهتافات السامية التي تثير في فطرتهم مذاق الإيمان بالله الحق إلا قتل محمد .

---

(١) راجع الدعوة الإسلامية في عهدها المكي ص ٥٠١/٤٩٣ .
(٢) راجع الدعوة الإسلامية في عهدها المكي ص ٤٠١/٣٨٨ .

وفى ناديهم ... اجتمعوا وهم متفقون على هدف واحد « أنه الخلاص من محمد » ولكن لغة التعبير عن الوسيلة قد اختلفت كلماتها بينهم ، وما كان الاختلاف مناقشات فى جوهر القضية .

ولكنه نقاش يبين لهم منفذ الخلاص من ثأر محمد ، وخلصوا إلى الحيلة . وحددوا الشباب الذى يمكن أن ينفذ لهم المأرب الغالى .

أنهم شباب يتوافر فيهم :

* القوة البدنية الكاملة .

* والكراهية النفسية العنيدة .

* وتذوق حلاوة الشعور النفسى بقتل محمد .

وتم الاختيار على هذه الأسس ، وسلم كل شاب سيفا لا يقل فى حدته ورهافة سنة عن شراهة العشق للشباب فى إتمام جريمة سفك الدم الزكى .

واكتملت القوة المادية بأعلى ذروتها فى ذلك العصر ، وأحاطوا بدار النبوة الكريمة وفى رأسهم خيال رائع الكبرياء .

« أى شرف لهم عندما تتحدث شعاب مكة : شيوخها ورجالها ، وشبابها ثم التاريخ أن فلانا وفلانا هم الشباب الذى ناله شرف اغتيال محمد .. ؟ وتخيل كل شباب كيف يمشى مختالا ووراءه أذيال النصر ورأسه عالية إلى قمة الصنم فخراً وهو يسير فى زهو فاجر فاخر فى شوارع مكة وحديث الناس يفرش له الأرض مجداً ويملأ أسماعه ثناء ويتيه بها إعجاباً ...

... ومع غسق الليل الذى لف جنبات الديار فى مكة بات الجمع يرقب النتائج بقلب مطمئن فقد اكتملت لديهم وسائل القتل جميعاً ، ومعهم بات التاريخ كذلك ليصنع حقيقة أكيدة للبشر فى عالم الفكر والدعوات ...

ولم يكن مع محمد فى داخل دار النبوة إلا شاب ... آثر أن يتحدى

وحده جموع الشباب بجمعه صباه الصغير ، فسجى الفتى نفسه فى فدائية متبرعة متوكلة حيية . وغطاه رسول الله ﷺ ببردته ستراً ووقاية . .

وخطت النبوة فى اللحظات الحاسمة إلى مواجهة المعركة التي صمم الـكفر فيها على تنفيذ هدفه وبيد النبوة الشريفة جمعت حصيات وتليت عليها آيات من « يس » : وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون « وانفتح الباب ورميت الحصيات على رؤوس الشباب . . . فناموا . . .

أين الشباب ؟ أين العزم ؟ أين السيف ؟ .

لقد صار الشباب جثثا ، وأصبح العزم مشلولا ، وباب السيف فى غمده خشبياً . . . ؟ هذا هو محمد ؟ فأين قوة المادة العاتية . . . ؟ .

لقد صارت مع المدد الآلهى هباء .

وهنا يقرر التاريخ أن وسائل النصر ليست المادة ، وأن كانت سبباً ما وإنما وسيلة النصر هي المنح الآلهية والمدد الربانى . يستبصر ذلك المسلم فى فهمه لآيات القرآن الـكريم :

« وما رميت إذ رميت ولـكن الله رمى » .

« وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » .

« ولله جنود السموات والأرض » .

« وما يعلم جنود ربك إلا هو » .

« ومن يتق الله يجعل له مخرجاً » .

ومع هذا الاستبصار الروحى لهذه المعانى المشرقة يمضى التاريخ المصاحب للفتح الإسلامى ليؤكد ذلك فى بدر والخندق والحديبية . . . الخ .

وتستقر القاعدة الأساسية فى سويداء عقيدة المسلم :

« إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

.. ووصل محمد النبي حقا إلى بيت أبى بكر وسأله الصديق الصحبة أن الصداقة ليست فى ظل الرخاء ، وأن المودة ليست فى رحاب السعة وإنما هى بنت المآزق . وهى خلاصة مرارة التجربة القاسية ، أحس بذلك الصاحب العظيم فعرض الصحبة ، وما كانت الصحبة صحبة ذات ، وما كان العرض عرض نفس ، بل كان الأمر تجنيداً كاملا للأسرة والمال والروح .

فقد رأي الصديق — رضى الله عنه — أن المرحلة الحاضرة مرحلة دولة تبنى ودين يقام . ورأى إيمانه يفرض عليه تقديم كل ما يملك فى حياته من الامكانيات : المادية ، والفكرية ، والنفسية . لنصرة هذه الدعوة :

١ — فجهز وسائل السفر .

٢ — وتأكد من فصيلة الامداد والتموين .

٣ — واستأجر دليل الطريق .

٤ — ووثق من المخابرات التى تؤمن لهم الإقامة فى الغار المجهول .. ؟

ومن باب خلفى خرجا - النبي والصديق- وحفظ الرمل آثارهما إلى الغار، الذى نزلا فيه ..

وكانت قريش فى تلك اللحظات قد شربت كأس الندامة لما سقط فى أيديهم ، ولكن هزيمتها فى الجولة الأولى شحذت عزيمتها ثانية لتتبع خطة السير ..

وخرج وقد كان مقتفى الآثار من أكابر المتخصصين فى هذا الفن ، فان قريشا أصرت على أن يتجمع أكابر جهابذة العلم مع سلطان المادة لتصل إلى أن

محمداً وصاحبه قد انتهى بهما المسير إلى هذا الغار ، ولـكن الأوامر الآلهية كانت فى لحظات المكر الخبيث قد صدرت إلى الشجرة البعيدة لتقترب فتخفر الباب ، وإلى العنكبوت أن يغالط حساب الزمن بشبكاته الواهية الضعيفة فى قدم بعيد ، وإلى الحمامة أن تبنى لها عشا تضال به عقول الكافرين . .

ونفذ الكل الأوامر . .

ووقف العقل يصطدم مع نفسه شأن معارفهم الثقافية فى علم القيافة تحتم أن محمداً قد انتهى به الطريق إلى الغار . . ولـكن الذى سد الباب من الشجر والعنكبوت والطير يبرهن على أنه لم يدخل الغار . . ؟ .

فان العقل يحكم بالضرورة على تلاشى هذه المعوقات لتمكن الداخل من الدخول ؟ .

أنه مع وجود علامات الأثر التى يجزم العقل معها بدخول الغار توجد الدلائل المادية والأكثر ثباتاً فى إرتكازها على الأرض أن محمداً لم يدخل الغار .

ومع شهادة الرجل الراعى أنه شاهد رجلين قد دخلا الغار فان المحاورة العقلية التى دارت أمام باب الغار قد انتهت إلى الاقتناع بعدم وجود محمد فى الغار . وانكفأ شيطانهم على أعقابه آيبا إلى مكة . .

ومرة ثانية يفشلون ولا تجدى معارفهم ومقاييسهم شيئاً ما .

« ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً » .

* وبمنتهى التحدى يعيش الركب المسافر فى الغار ثلاثة أيام .

ـ يذهب إليه الزاد .

- وتحمل إليه أخبار مكة .

- ويرسم طريق الرحلة إلى يثرب .

وأصحاب الكفر فى تعصب جاهل يبحثون عن مخرج مادى ثالث ينتصرون به على محمد صلى الله عليه وسلم ، ويقررون جعلا مائة من حمر النعم لمن يقتل محمد .. ؟.

إنه ثراء طائل لا حدلة فى ظل الشبكة الاقتصادية البدائية العربية . . وهنا . . تتصارع الأنانيات وتستحفز المطامع . ويمكر الكفر على نفسه . وتنقلب المعركة إلى تجارة لا شرف فيها . ويأمر سراقة غلامه الرقيق أن يجهز له الأكحل السياق ويخرج به إلى ظهر مكة بحيث لا يراه أحد من الناس ، ويمضى سراقة فيسأله الناس إلى أين ؟ ولكنه يخفى أطماعه ، فانه يود أن يملأ شوقه وأذنيه وأن يحظى وحده بالثراء الباهظ — المائة الحمر من النعم العربى — ويمتطى سراقة الشاب القوى جواده الأصيل وليسرع فى لهفة الطامع العجول ليلحق بخطو النوق الوديعة المسالمة عساه أن يظفر بالثمن الغالى لثرائه الخيالى التافه . ويلحق سراقة فعلا بالركب ولم يكن بينهما إلا بضع خطوات لا تعجز وثبة الفارس من أن ينال شهوته .

ولكن المشهد قد تغير سريعاً فهذه النبوة فى هدوئها الهادى الصفوح تضرع إلى الله أن يعفو عن سراقة .

ماذا حدث ... ؟

فتحت الأرض الصلبة وابتلعت أقدام الفرس مرات ثلاث ، وفى كل مرة يطلب سراقة من النبى العفو وتدعو النبوة ويعود سراقة يداعبه خياله فيحب الاعتداء فتغوص قوائم فرسه فيستنجد بالنبوة . . وتدعو إلى أن استقرت عواطف سراقة على دين الله الحق وآمن بمحمد بعد أن حفظ الدرس الأكبر ،

وذهب ظمؤه الشهوانى للحمر ، وآثر العافية على الهلاك فى جوف الصحراء الملتهب . ورأى بمشهد العين والقلب والوجدان مظاهر النبوة الحقة فشهد أن إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حقـاً وصدقاً فبشره رسول الله صلى الله عليـه وسلم بأفضل من إبل العرب فى موازين الشرف والمجد والمال سوارى كسرى .

وبعد قليل من الأعوام يشاهد التاريخ مشية سراقة بأساور كسرى وهو يروح ويجىء فى محضر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

ويعود سراقة إلى قومه فى مكة وقد عقدوا على رؤسهم رايات الخيبة ، واسودت وجوههم من مرارة الهزيمة ، فينصحهم الرجل ويشهد عندهم بما رأى وينبئهم بمـا حدث ولكنهم سادرون فى نزوع كافر أهوج نحو كراهية محمد ودين محمد والقضاء على محمد ودين محمد .

و للمرة الثالثة تفشل المادة :

وتستقر فى مكة إلى حين ليس بالطويل رؤس للكفر ، ويستمر الركب النبوى فى سيره الطويل إلى يثرب تحوطه عناية الله ، وتنزل عليه السكينة وتحدوه الملائكة وتسوقه المنح الربانية بالظفر والنصر المبين .

وفى يثرب كان الشوق قد بلغ بأهلها مبلغاً عظيما . . فقد طالت بهم الأيام ألما تستنشق صدورهم أضواء النبوه من بعد ميثاق العقبة الأخير .

لقد حانت ساعة الفرصة الكبرى التى ينفذون فيها بيعة العقبة وميثاقها العظيم . . . فحركهم انفعالهم الحار إلى الحرة ينتظرون محمداً كل يوم . وقد زينوا يثرب بفرحة عارمة ، وجهزوا الصدور لضيافة لا نهائية ، وحددوا العزم لمعركة دائمة مستطيلة . . . وهم فى الشوق ينتظرون ، والركب النبوى يتهادى — فى عافية — على الرسل فى خطو وطيد مطمئن طيلة اثنى عشر عاماً . . حتى

وصل إلى قباء فاستراح فيها قليلا يؤسس المسجد الأول ليحدد سياسة الأمة الجديدة فى دور عبادتها .

إن مساجدها مجمع أفئدتها ، ومدارس ثقافتها ، ومحل آمالها ، ودار قضائها ومثابة الخير والرعاية والأمان .

ويطير الخبر على أجنحة الشوق الأمين إلى يثرب . وتموج الفرحة في الصدور . ويقترب الركب رويداً رويداً والجماهير الغفيرة في حبها المشتاق تتلظى .

كل يوم فى الحرة موعد اللقاء ، إلا أن تكريماً خاصاً يشاؤه الله لنبديه أكبر روعة وأجمل مظهراً وآكد حبا من كتل المنتظرين .. فقد انصرف الجمع المتلهف لحظة القدوم الكريم من شدة الحر بعد أن طالت الأيام بالانتظار فى حر الحرة فبدت علامات القدوم للركب النبوى تلمع ، ويشاهدها يهودى فينطلق بها يخبر الأحبة — هذا جدكم ، يعنى حظكم السعيد — فينفر الناس فى سرعة مذهلة ، وفى لحظة شرف بها الزمن امتلأت الشوارع بالقلوب والحب والإخلاص والفداء والكل يهتف لنشيد الوفاء بالذمة والمواثيق :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

فيرحبون ، ويوجبون على أنفسهم تنفيذ الميثاق ثم يعودون فيكررون الترحيب فيسمع التاريخ لأول مرة فى حياة الفقه السياسى أن المواثيق والمعاهدات لا تحتاج إلى توقيعات وإمضاءات وسكوك وقراطيس عند وضعها موضع التنفيذ ، وإنما تحتاج إلى صدق العزم ، وحسن النية ، وسلامة الصدر ، وشرف المفاوضة ووضوح الهدف وإخلاص التطبيق .

* وفى حالات الحب والوفاء والفرحة والنور والبركات يمضى الركب المسافر ويعرض الناس جميعاً بأساريرهم الوضاءة فى ود صادق شرف استضافة

الرسول الكريم . ولكنه فى وسامة مليحة رقيقة وأدب رفيع فريد يشكر ولا يرفض ، وكلما أمسك واجداً بخطام القصواء طلب فى رفق حان :

« دعوها فانها مأمورة » وهناك وفى بستان اليتيمين بركت القصواء واشترى البستان : أول إعلان من الاسلام أن ليس فيه اغتصاب ولا إكراه ولا جبر ، ولا قوة . . ويبنى المسجد العظيم ، وتستقر الدعوة ، وتحمل يثرب لها إسماً جديداً – المدينة المنورة – لتكون وطن المجتمع الجديد مجتمع الوحدة والإيثار والعلم والحضارة والجميل ولتستريح من حرب العمومة – الأوس والخزرج – وتسلم من مخاتلات اليهود ويحل فيها الأمن ويستقر فيها الخير والسلام ، وتبدو أضواء الرسالة فى إشعاعاتها قوية منطلقة نحو الجزيرة لتدعو الناس إلى دين الله الحنيف .

* وبهذه التجربة برزت قواعد التربية الإسلامية للنبوة فعلم سيدنا رسول الله ﷺ شباب الأمة — وهو يهتف بابن عمر .... : يا عبد الله إنى يا عبد الله إنى أعلمك كلمات فاحفظها :

« احفظ الله يحفظك . احفظ الله تجده تجاهك . إذا سألت فاسأل الله . وإذا استعنت فاستعن بالله . واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك . ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك » « رفعت الأقلام وجفت الصحف » فقد شهد النبي فى غمرة أحداث تجربة الهجرة مصرع المادة فى جميع أنظمتها أمام منح الله وعنايته ، فدرب الشباب على هذه العقيدة فانه لا عاصم من أمر الله .

* وتم الله النصر المبين لمحمد ، وسيحفظ المسلمون عبر الأجيال والتاريخ نتيجة الرحلة الميمونة .

«اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً».

لقد أكمل الله الإيمان للمسلمين فلن يحتاجوا إلى زيادة أبداً وقد أتمه عز وجل فلن ينقصه أبداً، وقد رضيه فلن يسخطه أبداً واختار المجاهدون المصلحون فلم يضلهم أبداً.

«والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين».

«إنك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء».

وصلاة دائمة وسلاما عبقريا على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اتبعه باحسان..

الصديقية فى موكب الهجرة

« إلا تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » (التوبة)

إن مقياس الصداقة ليس هو التبعية الجوفاء ، ولا المؤازرة الخرقاء ، إنه ليس الحق فى جانبية السلبي والآيجابى .

إنه تبعية لا حدود لها بقدر ما هو اتباع للثقة فى أداء رسالته . . . وتحمل لمسئولية الأداء من غير أن يوجه طلب أو يقدم رجاء .

وقد شهد التاريخ قديماً وحديثاً عديداً من الصداقات على المستوى العالى لأصحاب الدعوات والنظريات .

وكم من قوم جمعتهم الفكرة التى تحمسوا لها لجر اللقاء ولكنهم تفرقوا بدداً عندما خبرهم مقياس الصداقة .

صداقة الهدف والمصير والرسالة . . أو صداقة الوعاء للمبادىء .

وعلماء الاجتماع فيما قننوه لاستمرار ربط الأتباع بالقائد اشترطوا فى أسلوب العمل مع الجماعة :

وضوح عرض الدعوة .

ووضوح تحديد الهدف المنشود .

وتلك مسألة شاقة فى المستويات البشرية العادية ، عند التنفيذ وعند الاختيار ومن هنا تبرز قيم الصداقة التى يمكن أن تكون المحور الأساسى لأسلوب

العمل مع الجماعة في النفحات التي ورثها سيدنا أبو بكر رضي الله عنه للتاريخ الإسلامي في لحظات العسرة التي تفصح عن معاني الصديقية .

فقد عاش أبو بكر رضي الله عنه مسلما كامل الانقياد للدعوة زهاء ثلاثة عشر عاماً في مكة وكانت كلها مرارات وتعزيرات ... انتهت بالنقلة إلى المدينة المنورة ، وتلك الفترة فترة طويلة بمقياس أنانية الفرد ولكنه لم يختزن في مشاعره شيئاً من هذه الآلام فلما جاءت لحظة الهجرة من مكة :

لم يرتض أن يكون مهاجراً بمفرده ، أو في ركب مع الناس ولو فعل لكان صادقاً في إيمانه ومتحمساً للنقلة لأنه تابع مستسلم .

ولكن الرجل منذ عرض عليه الإسلام وليست له كبوة ، فهو صاحب مستوى خاص .

إنه ليس هذا الذي يقبل منه التبعية وفقط ، ولكنه بسلوكه سوف يكون مقياسا للاتباع الصادق فعرض علي النبي ﷺ الصحبة .

وجهز لذلك وسائل السفر .

وأعد العدة لمناوأة الخصوم دون أن يطلب النبي ﷺ منه شيئاً من ذلك ، يقول ابن هشام :

فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلا لأمر حدث ، قالت — عائشة — فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله ﷺ وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر ، فقال رسول الله ﷺ : « أخرج عني من عندك » فقال : يا رسول الله إنما هي ابنتاي ، وما ذاك فداك أبي وأمي » .

فقال : « إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة » قالت: فقال أبو بكر:

الصحبة يا رسول الله ، قال : الصحبة ، قالت : فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم إن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ .

ثم قال : يا نبي الله إن هاتين راحلتان أعددتهما لهذا .

إنها للحظة عسرة وشدة يهرب منها ذو الأنانية ، ويتردد فيها من يقدم يوم سبته لأحد قادم على ذمة الربح والخسارة .

وهي لحظة في العصر الحديث كافية لاقتناع أحذق سياسي بالهرب من التبعية لقائد يفر من ديار أهله إلى ديار قوم لم تمنحه التجربة معهم بعد عمرا يتعرف فيه على مستقبل الحياة معهم .

ولكن أبا بكر وهو مقياس كامل للمؤمن الصادق لم يفكر مطلقاً في شيء من هذه الخواطر لم يفكر في إن الهجرة قد لا تتم لتكتل أهل مكة من أقارب وأباعد ، شيوخ وشبان وقد احتشدوا لقتل محمد عليه أفضل الصلاة والسلام .

ولم يفكر إن الهجرة قد تتم ولكن الدعوة قد تتعثر ثلاثة عشر عاما أخرى في يثرب كما تعثرت في مكة .

وإذن فالذي ينفقه سوف يكون هباء .

لم يفكر في شيء من ذلك وهو لم يجاذف يوم إن أعد بيته وأهله وماله لهذه النقلة لقد أدرك معنى : إنه اتبع محمداً وارتضاه نبيا ورسولا أن يكون معه بالنفس والأهل والمال .

لأن ذلك هو الحق وما وراءه ذلك من شئون المستقبل فأمره موكول

إلى الله وهو لهـــذا يؤثر رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه فى كل شيء .

لقد آثره فى راحلتى السفر .

يقول ابن هشام :

فلما قرب أبو بكر رضى الله عنه الرحلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم له أفضلهما ثم قال :

أركب فداك أبى وأمى .

فقال رسول الله ﷺ : « إنى لا أركب بعيراً ليس لى » .

فقال : فهى لك يا رسول الله بأبى أنت وأمى .

قال : لا ، ولكن ما الثمن الذى ابتعتها به ؟

قال : كذا وكذا .

قال : قد أخذتها به .

قال : هى لك يا رسول الله .

فركبا وانطلقا » .

وفى هذه اللحظات .. التى يعذر فيها كل من يبخل بماله : يحمل أبو بكر جميع ماله .

يقول ابن هشام :

لما خرج رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر احتمل أبو بكر ماله كله من خمسة آلاف درهم ، أو ستة آلاف ، فانطلق بها معه .

ولو كان أبو بكر يعيش بمنطق القرن العشرين لاحتملها إلى غير هذه الوجهة .

ولكنه الصديق الذى آثر نبيه على نفسه حتى فى لحظة الضيق بالغار وهو يقول :

لو أن أحدكم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه والرسول صلى الله عليه وسلم يقول له : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ كان ثقلا يزن ثقل قريش .

فكانت قريش بخيلها ورجالها بمادتها وكفرها فى كفة الخاصم وكان أبو بكر وحده فى كفة الصديق . يزنها ويزيد عليها ، ويفضلها ، بما لا يقارن من الدرجات .

فلقد كان صديقاً بنفسه .

وصديقاً بأهله .

وصديقا بماله .

وصديق بيقين لا يحد .

وصديقاً بعزم لا يفل .

كان صديقاً فوق المثل كلها .

مثل الإخلاص التى تكون من أجل مستقبل منشود فى الدنيا .

مثل التضحية التى تبذل من أجل الثمن الغالى المساوم عند ساعة الصفر .

مثل المحبة التى قد تكون من أجل عصبوية تحطم المعايير .

إنه : صديق : فوق المثل كلها إلامثال الصديقة التى بها لو وزن إيمان أبو بكر بايمان الأمة كلها لرجح إيمان أبى بكر ، فياليت شعرى . لو تلد

المسلمون هـــذه الصديقة جاءهم النصر كما جاء صاحبي الغار نصر من الله وفتح قريب[1] .

---

(١) من المراجع :

١ ـ السيرة النبوية لابن هشام .

٢ ـ الدعوة الإسلامية فى عهدها المكى .

٣ ـ السيرة النبوية لابن كثير .

٤ ـ تاريخ الطبرى .

٥ ـ الدرر لابن عبد البر .

٦ ـ دلائل النبوة للبيهقى .

٧ ـ الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزى .

٨ ـ حياة محمد هيكل باشا .

٩ ـ الروض للأنف للسهيلى .

١٠ ـ حياة الصحابة الكاندهلوى .

١١ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد .

١٢ ـ المواهب اللدنية القسطلانى .

محـــاولة

التخطيط لسير الدعوة الاسلامية

كثر الحديث عن : التخطيط للدعوة الإسلامية ، والحديث عن الدعوة الإسلامية يغرى الخيال ، والآمال ، والقرائح ... ولهذا تتنوع الأحاديث عن التخطيط للدعوة الإسلامية ... ولـكن الممارسة فى الحقل تحدد ركائز التخطيط فى كلمتين تحقيقها صعب للغاية ..

الـكلمة الأولى : التخلية .

الـكلمة الثانية : التحلية .

ذلك : أن الدعوة الإسلامية تعانى كثيراً داخل البيئات الإسلامية نفسها .

أنها تعانى مثـلا من الاضطهاد بأنواعه الـكثيرة فى أغلب الأوطان وتعانى مثلا من سوء العلاقات داخـــل المؤسسات التى تتهم بأنها حصن للدعوة الإسلامية .

وتعانى مثلا من جوفائية المؤتمرات التى تدعى أنها تعمل للدعوة فى حين أن ملايين من الأموال تنفق على الطائرات وهي شركات غير إسلامية ، وعلى الفنادق وهي منازل غير كريمة ... بينما لا ينال العمل الإسلامى ذاته شيئاً ذا بال من هذه الملايين التى تنفق هباء .

كما تعانى الدعوة الإســـلامية بالدرجة الأولى من سوء كثير من العاملين فيها .

وتعانى أيضاً من زعزعة الثقة فى نفوس كثير من الشباب نحو بعض من قيادات اشتهرت بالعمل للدعوة الإسلامية ثم بدأ للشباب أنها أخفقت فى تحقيق تقدم مرغوب فيه على "الصعيد الإسلامى،ومعاناة الدعوة من سوء المنهج الذى يستخدمه بعض الدعاة يؤذى ويضر أكثر مما يفيد وذلك من أخطر العقبات.

كما أن الدعوة تعانى من الميدان الترفيهى الذى يحجب بريقه أعين الشباب والأثرياء والوجهاء وأصحـــــاب السلطان عن وضاءة الحياة التى تنظمها الدعوة الإسلامية فى رخاء ندى ، وعيش بهيج ، وحياة سوية ملؤها السعادة والرضا .

أن أغنية واحـدة من أغانى المجال الترفيهى ، وأن تمثيلية من تمثيليات الوادى الهابط ، وأن فيلماً واحـداً من أفلام المجون والخلاعة .. ليذهب بكل ما يقدمه الدعاة المخلصون ، ولهذا ... فان التخطيط لسير الدعوة الإسلامية يتطلب بالدرجة الأولي تخلية هذه العقبات .

أولا : حتى يصفو الجو وتتهيأ البيئة الإجتماعية لتقبل الدعوة .

ثانياً : حتى تنضج مظاهر الدعوة فى استخدام مناهجها الأولى التى تتلاءم مع الفطرة التى فطر الله الناس عليها .

ثالثاً : حتى يظهر السبيل السواء لجميع الأقطار والهيئات العاملة فى حقل الدعوة ليمكنها التنسيق فيما بينها من حيث التمويل ، والوظيفة ، والإعداد .

والعقبات التى يجب أن تخلو منها ميادين الدعوة هى :

أولا : إصرار كثير من حكام العالم الإسلامي على إتهام الدعاة أنهم إرهابيون وأنهم يستغلون الدين ستاراً لمآربهم الشخصية ، ووجوب الفصل بين أخطاء بعض العاملين فى حقل الدعوة وبين أهداف الدعوة ذاتها .

ثانياً : العمل علي إزالة مهرجانات الإخلال بالأخلاق والحد من جعل

المجال الترفيهى أساساً من أسس الحياة ، فان ذلك فضلا عن كون مطلبا للدعوة فهو مطلب للحفاظ على مستوى الإنتاج والعمل لصالح الدولة والمجتمع والأمة .

وذلك يكون عن طريق توجيه ميزانية البرامج الترفيهية فى وسائل الإعلام إلى برامج التعليمية والثقافية الجادة والدينية الهادفة لا التقليدية التى تؤدى على أنها ملء فراغ فى أنواع البرامج الإعلامية .

كما يجب أن يوضع فى الحسبان أن المسارح والملاهى والكازينوهات تعمل على إفساد الأخلاق والإقتصاد والدين باضعاف ما يغرس من مثل وأخلاق عن طريق الدعاة ولهذا يجب أن يكون هناك حد فيصل لعمل هذه المؤسسات التى تفسد عمل الدعاة

ثالثاً : خلو مؤسسات الشباب والرياضة من المشرف الاجتماعى الدينى وعدم التفكير فى جعل الإشراف الدينى مهما فى عمل هذه المؤسسات .

رابعاً : تصارع الهيئات العاملة فى حقل الدعوة الإسلامية على المستوى الحكومى حيث لايوجد تنسيق بين هذه الهيئات وإدعاء كل هيئة أنها مصدر ولها سلطان وهى أحق وهى الأول أو هى الأولى، وقد تستغل بعض الهيئات فى العمل السياسى .

وعلى المستوى الأهلى حيث التنازع والخصومات والتضارب فى الأهداف والغايات والوسائل مما يصور عمل هذه المؤسسات بالمشاغبات والفوضى ...

خامساً : عدم التكافؤ بين مؤسسات الدعوة وبين القائمين على رعايتها من حيث قدرة القيادات على تفهم طبيعة الدعوة الإسلامية ، ومن حيث عجز بعض القيادات عن تأهيل أنفسهم لحمل هذا الشرف بالأمانة والإخلاص والمستوى اللائق وبالتالى عدم قدرتهم على تصور مجال الدعوة ونشرها وسيرها .

سادساً : ضعف التمويل وعدم وجود صندوق لدعم الدعوة الإسلامية فى الوقت الذى ينفق فيه الملايين على الهوى والمزاج الخاص .

سابعاً : عدم وضوح مفهوم الدعوة الإسلامية ذاتها فى أذهان كثير من العاملين فى حقلها وفى كثير من الناس مما جعل هناك خلطا كبيرا فى حقلها بين عمل الوعاظ والداعية وعمل الإمام فى المسجد والداعية ، وبين عمل المشرف الاجتماعى والداعية ولم يفهم أن الداعية هو الذى يحمل تنفيذ قوله تعالى « (لتخرج الناس من الظلمات إلى النور باذن ربهم) » .

الأسس الرئيسية للتخطيط

أولا : المستوى الدولى :

أن يعقد مؤتمر فى رحاب الأزهر باعتباره الموئل الأول والأولى لجميع حركات الدعوة الإسلامية يحدد فيه .

أولا : دراسة الدعوة الإسلامية . فى ظل المتغيرات الدولية والمخططات للحركات العالمية الأخرى .

ثانياً : وضع صندوق لدعم الدعوة الإسلامية تقدم فيه الدول الغنية خمس ركازها فذلك حق الدعوة شرعاً .

ثالثاً : توضيح مشكلات العالم الإسلامى واحتياجاته وتحديد أولويات المشكلات وأسلوب التغلب عليها ، والقدر الذى تحتاجه من الزمن والمال .

رابعاً : توضع خطة متوازية لتخريج دعاه إلى العالم الإسلامى بحيث يحقق مناهج كليات الدعوة الإسلامية المستوى المطلوب لكل بيئة أوربية أو أفريقية أو آسيوية.

خامساً : تحرير المساجد من التوجيه الحكومى والعملى وأن يأخذ المؤتمر العالمى للمساجد دوره الإيجابى .

سادساً : توضع خطة تنسيق بين جميع الأقطار العاملة فى حقل الدعوة الإسلامية بحيث تزول الصفة السياسية على العمل الإسلامى للدعوة وبين الوصف الإسلامى عن طريق مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر أو رابطة العالم الإسلامى .

سابعاً : اختيار هيئة دائمة للمتابعة والتخطيط للدعوة محلياً من جميع الهيئات العاملة فى حقل الدعوة فى شتى المناطق الجغرافية للعالم الإسلامى .

ثانياً : على المستوى المحلى :

١ — تدرس مشكلات كل مجتمع محلى على حده :

٢ - تهيأة السبل وللدعاة التى تتفق مع طبيعة كل مجتمع محلى بذاته .

٣ - توظف البعثة فى البيئة التى سترسل إليها بحد إنتاجى لا زمنى بمعنى أن العمل إذا كان يحتاج إلى زمن أطول من زمن البعثة المقررة زمنياً ينبغى أن تستمر البعثة فى عملها حتى تؤتى ثمارها .

٤ — كل نتائج العمل ترسل إلى كليات الدعوة لتحليلها ودراستها والإستفادة منها . كما توضع نتائج هذه الدراسة أمام هيئة المتابعة والمؤتمرات الدولية للدعوة الإسلامية .

ثالثا : المستوى الأكاديمى :

١ - يختار عمداء كليات الدعوة ومديرو معاهدها من أشخاص توفر لهم الشروط التالية :

* الثقافة الشاملة للغات الحية .

والأديان المقارنة

والإسلاميات بأنواعها

فقها وأصولا ، وحديثاً وتفسيراً وأدبا .

٢ — العمل أن يكون الداعية وأسرته قدوة للأسر الأخرى في تبليغ الدعوة ·

٣ — وأن يتحلى بالقناعة التي تغنيه عن طلب الدنيا ولو كانت ملء يديه ·

٤ — وأن يكون خلقه إيثار الجهاد على الراحة ، والتضحية على التبرع .

٥ — وله خبراته الواسعة بمشكلات العالم الإسلامي وقادة الدعوة ومرونته في استخدام مناهج تبليغ الدعوة ·

وأخيراً فإنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء

ذلك قدر فكرى ، والله من وراء القصد

القسم الثانى

تصورات فى الثقافة الإسلامية

* خطأ محاولة تعريف القرآن بالجنس والفصل .
* القرآن والأحرف السبعة .
* الرسم العثمانى واجب شرعى لا يجوز مخالفته .
* مركز السنة الإسلامية فى التشريع الإسلامى .
ومواقف المستشرقين منها .
* منهج العلماء فى ضبط إدراك الحكم الشرعى .
* الإجتهاد والإفتاء .
* تحديد النسل والتنمية الاقتصادية .
* أسس العمل الاقتصادى فى نظر الإسلام .
* أخلاقيات البيع والشراء فى نظر الإسلام .
* أهمية الصوم وأثره فى مجالات الحياة .
* المرأة فى الإسلام .

خطأ محاولة وضع تعريف بالجنس والفصل المنطقى للقرآن الكريم

تدور الدراسات فى علم الكلام حول القرآن الكريم من حيث كونه الصفة القديمة المتعلقة بالكلمات الحكمية أو من حيث كونه الكلمات الحكمية الأزلية .

والقرآن بهذا منزه عن التعدد فهو أزلى والتعدد يستلزم الحدوث ومن هنا فان لفظ القرآن يكون من قبل العلم الشخصى بأى الاطلاقين اختار العلماء .

أما إذا قيل أن المراد به اللفظ المنزل فهنا يكون محك الخلاف لأن مدلولات الآيات الحكمية الأزلية لا يقدح فيها كثرة المتلفظين بها وتعدد القارئين حتى تصيرا أمراً كليامكوناً من أجزاءولهذا فان الرأى السائد هو أن القرآن علم شخصى وهنا تقول لعلماء الكلام وعلماء الأصول هل يصاغ للاعلام تعاريف ؟

يقول فضيلة المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز (ولما كان القرآن بهذا المعنى الأسمى جزئياً حقيقاً كان من المتعذر تحديده بالتعاريف المنطقية ذات الأجناس والفصول والخواص وذلك شأن كل الجزئيات الحقيقية لايمكن تحديدها بهذا الوجه لأن أجزاء التعاريف المنطقية كليات ، والكلي لا يطابق الجزئى مفهوماً لأنه لا يقبل الانطباق على كل ما يفرض مماثلا له فى ذلك الوصف ذهنا وأن لم يوجد فى الواقع فلا يكون مميزاً له عن جميع ما عداه فلا يكون حدا صحيحاً .

ذلك لأن مهمة التعريف هى أن يميز المعرف عن كل ما عداه القرآن ليس كذلك ؟

وتحديد الجزئى يكون بالإشارة إليه حاضراً فى الحس أو معهوداً فى الذهن وعلى هذا فاذا أردت أن تضع تعريفاً للقرآن فلابد وأن تشير إليه مكتوباً فى المصحف أو مقروءاً باللسان .. وهذا غير التعريف بالحد أو بالرسم بالجنس أو بالفصل لأنها خاصة بالأمور الكلية ..

والتعريف دائماً أعرف وأجلى من المعرف فهل القرآن الكريم وهو كتاب الله جل شأنه فى حاجة إلى تعريف بألفاظ البشر ؟

من هنا فانى أحكم بفساد محاولة وضع تعريف للقرآن الكريم .

أولا : لأنه علم شخصى كما سماه الله جل شأنه بل هو قرآن مجيد .

ثانياً : هو أوضح من التعريف لأنه وحى الله المعصوم ..

وفى كلتا الحالتين فالمحاولة فاشلة لأنه شتان ما بين وحى معصوم حق بذاته وجنس وفصل فاشل فى محيط أسرته البشرية التى رغبت عنه منذ أبد وآباد ..(1)

---

(1) راجع النبأ العظيم ص ٨، ٩ مناهل العرفان ج ١ ص ١٤/١٥ .

نزول القرآن على سبعة أحرف

على عادتنا دائماً فى مناقشة الموضوعات المتعلقة بالقرآن والوحى والنبوة وكل ما يتصل بالخبر المعصوم فاننا نعتصم دائماً بالذاتية الإسلامية التى تبدو فى قبول العقل للنصوص الإسلامية مع تدبر دون تفيهق أو تشدق أو تفلسف أو مراء أو جدل.

وقضية : نزول القرآن على سبعة أحرف إذا بحثناها من الناحية الأكاديمية مع الاعتصام بالذاتية الإسلامية نجد لها عدة جوانب نطرحها فى أسئلة ست :

السؤال الأول :

هل نزول القرآن على سبعة أحرف نظرية تناقش فكرياً ؟

أو هل هى أحداث وقعت بالفعل ؟

السؤال الثانى :

هل وقوع هذه الأحداث يساعد على تحديد المراد من (سبعة أحرف) ؟

السؤال الثالث :

كيف يستعمل الحرف فى الاصطلاح العربى . . وهل يمكن استعماله اللغوى من أن يساعدنا فى تحديد المراد من معنى (سبعة أحرف) ؟

السؤال الرابع :

ارتباط الأحرف السبعة .

برأفة النبى ﷺ بأمته وعالمية الدعوة الإسلامية .

السؤال الخامس :

ماهى حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف ؟

السؤال السادس :

آراء العلماء التقليديين فى الحروف السبعة وتخص منهم :

١ — الرازى

٢ — ابن قتيبة

٣ — والقاضى الطيبب

هل هى أحداث أو نظرية :

قبل أن نخوض غمار الحديث فانى أحب أن أنبهكم إلى عدة مسائل

المسألة الأولى : ان الأحرف السبعة ليست نظرية ثقافيه يمكن عرضها على بساط البحث والمناقشة الأكاديمية الجدلية التى يلعب الذكاء والعقل الحصيف فيها دوره ويفعل أفاعيله . . .

وإنما هى أحداث واقعية سنبرهن عليها بالأحاديث الصحيحة إن شاء الله .

المسألة الثانية : ليس المراد من نزول القرآن على سبعة أحرف (قال أبو عبيد ليس المراد) أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات بل اللغات السبع متفرقة فيه (١)

المسألة الثالثة : ليس المراد من الأحرف السبعة القراءات . .

---

(١) فتح البارى حـ ١٠ ص ٤٠٢

قال أبو شامة : ظن قوم أن القراءات الموجودة الآن هى التى أريدت فى الحديث وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة ، وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل (١) .

المسألة الرابعة : نزل القرآن أولا بلغة قريش ثم يسر الله تعالى على الناس أن يقرؤا ماتيسر منه

نقل أبو شامة عن بعض شيوخه أنه قال : أنزل القرآن أولا بلسان قريش ، ومن جاورهم من العرب الفصحاء ، ثم أبيح للعرب أن يقرؤه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم فى الالفاظ والأعراب »(٢)

واذن فلا مجال للرأى فيا يتعلق بالأحرف السبعة اللهم الا فى ضوء الهدى النبوى الكريم.

المسألة الخامسة : لاتناقض بين هذا وبين ورتل القرآن ترتيلا . . .

الأحرف السبعة أحداث واقعية :

١ — روى الإمام البخارى بسنده عن ابن شهاب قال :

حدثنى عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة . وعبد الرحمن بن القارى حدثاه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول :

سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله ﷺ . فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره فى الصلاة ، فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت :

---

(١) فتح البارى حـ ١٠ ص ٤٠٦

(٢) فتح البارى حـ ١٠ ص ٤٠٢

من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأ ؟ قال أقرأنيها رسول الله ﷺ فقلت : كذبت فان رسول الله ﷺ ، قد أقرأنيها على غير ما قرأت . فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : انى سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها . . . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذلك أنزلت ثم قال : اقرأ ياعمر ، فقرأت القراءة التي أقرأني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذلك أنزلت ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ماتيسر منه (١)

٢ — وفى تفسير الطبرى : عن أبى طلحة عن أبيه عن جده قال :

قرأ رجل عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه فغير عليه فقال :

لقد قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يغير على .

قال : فاختصما عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ألم تقرئنى آية كذا وكذا ؟ قال : بلى ، قال : فوقع فى صدر عمر شيىء فعرف النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فى وجهه قال : فضرب صدره وقال : أبعد شيطانا،قالها ثلاثا . . . ثم قال : ياعمر : إن هذا القرآن كله صواب مالم تجعل رحمة عذابا أو عذابا رحمة(٢) .

٣ — ويروى ابن حجر فى فتح البارى ما أخرجه عن أبى قيس مولى عمرو بن العاص أن رجلا قرأ آية من القرآن فقال له عمرو : إنما هى كذا وكذا فذكرا ذلك للنبى ﷺ فقال : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأى ذلك قرأتم أصبتم فلا تماروا فيه » اسناده حسن(٣) .

---

(١) فتح البارى حـ ١٠ ص ٣٩٩/٤٠١ راجع تفسير الطبرى حـ ١ ص١٣

(٢) الطبري ط ص ١٣

(٣) فتح الباري حـ ١٠ ص ٤٠١

٤ ـ ووقع مثل هذا الاحتكاك بين عبد الله بن مسعود وأبى بن كعب فى قراءة سورة النحل . فاحتكما إلى النبى ﷺ فقال لهما : كلاكما محسن ، قال أبى فقلت ما كلانا أحسن ولا أجمل ؟ قال فضرب فى صدرى وقال : يا أبى : أرسل إلى : أن اقرأ القرآن على سبعة أحرف .

٥ ـ وأبى بن كعب يسمع رجالا يقرؤون فى الصلاة قراءة ينكرها عليهم فلما إنتهت الصلاة وخلوا على رسول الله ﷺ فحسن قراءتهما ففى مسلم . من طريق عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبى بن كعب قال : كنت فى المسجد فدخل رجل يصلى فقرأ قراءة أنكرتها عليه ، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ فقلت : إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه فأمرهما فقرآ فحسن النبى ﷺ شأنهما قال : فسقط فى نفسى ولا إذ كنت فى الجاهلية فضرب فى صدرى ففضت عرقاً وكأنما أنظر إلى الله فرقا فقال : ـ يا أبى أرسل إلى أن اقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هون على أمتى فرد إلى الثانية : اقرأه على حرفين فرددت إليه أن هون على أمتى فرد إلى الثالثة : اقرأ على سبعة أحرف .. الحديث[١] .

ملخص هذه الأحاديث :

١ ـ أن خلافا وقع بين عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم فى قراءة سورة الفرقان .

٢ ـ أن أبى بن كعب اختلف مع عبد الله بن مسعود فى قراءة سورة النحل .

---

(١) مسلم جـ ١ ص ٥٦٢ راجع فتح البارى جـ ١٠ ص ٣٩٨ .

٣ — أن أبي بن كعب سمع رجالا يقرءون القرآن على غير الحرف الذى يقرأ هو عليه .

٤ — أن عمر بن الخطاب صحح قراءة رجل فأخبره أنه قرأ ذلك على النبي ﷺ ولم يغير عليه .

٥ — أن عمرو بن العاص كذلك اختلف مع رجل فى قراءة آية .

وكل هذا الاختلاف ليس فيه تغيير المعانى وكل هذه الأحرف التى قرءوا بها رضوان الله عليهم بلهجاتهم أو بلغاتهم أو بأحرف قرائتهم قد أجازها النبي ﷺ وحسنها جميعا وقال لهم : —

أنزل القرآن على سبعة أحرف فأى ذلك قرأتم أصبتم .

ثم نهانا عن الاختلاف فقال :

فلا تماروا فيه . . .

ومعنى هذا أن مبحث نزول القرآن على سبعة أحرف ليس بحثاً نظريا خاضعا لمقاييس الذكاء والعبقرية فى البحث والدراسة وإنما هو أحداث وقعت وعلى المسلم أن يتبصرها فى جو : « أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله » أو فى جو الذاتية الإسلامية حتى يسلم البحث من تهوك المتفلسفين الذين قيل فيهم ثلاث مرات :

هلك المتنطعون ..

ثانيا : هل يمكن تحديد الأحرف السبعة من خلال الأحداث التى وقعت ؟

وإذا تتبعنا الأحاديث التى تصور وقوع تعدد فى القراءات واللهجات والتى كان الصحابة يتلقونها عن رسول الله ﷺ وجدنا عدة أنواع من الأحاديث :

النوع الأول : أحاديث تدل على الاختلاف فى القراءة .

النوع الثانى : أحاديث تدل على الأختلاف فى اللغة .

النوع الثالث : أحاديث تدل على الأختلاف فى أوجه المعانى .

النوع الرابع : أحاديث ناهية عن المراء والأختلاف فى القرآن الكريم .

النوع الخامس : أحاديث ميسرة ومرغبة فى قراءة القرآن الكريم .

نموذج النوع الأول : أحاديث تدل على الأختلاف فى القراءة :

يروى الإمام الطبرى فى تفسيره :

أن أبا جهم الأنصارى أخبره : أن رجلين إختلفا فى آية من القرآن فقال هذا : تلقيتها من رسول الله ﷺ وقال الآخر : تلقيتها من رسول الله ﷺ فسألا رسول الله ﷺ عنها فقال رسول الله ﷺ : إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فلا تماروا فى القرآن ، فان المراء فيه كفر[1] .

٢ ـ فيما مضى من قصة أختلاف عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم إنطلق عمر يقود هشام حتى وصلا إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ أقرأ ياعمر فقرأ القراءة التى أقرأها إياه رسول الله ﷺ فقال له كذلك أنزلت ، ثم قال : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه .

٣ ـ أقرأ النبى ﷺ رجلا من المسلمين : أن شجرة الزقوم طعام الأثيم، فلم يستطيع أن ينطق بكلمة الأثيم فأقرأه « طعام الفاجر ».

هذه الأحاديث والوقائع نماذج للخلاف فى القراءة فهل المراد من سبعة أحرف الخلاف فى القراءة ؟

أو هل الخلاف فى القراءة واحد من سبعة أحرف ؟

نموذج النوع الثانى : أحاديث تدل على الأختلاف فى اللغة :

أورد ابن حجر فى فتح البارى : عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

---

(١) تفسير الطبرى ط ص = ١٩ .

نزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العجز من هوازن قال : والعجز : سعد بن بكر ، وجشعم بن بكر ، ونصر بن معاوية وثقيف .

٢ ـ وأخرج أبو عبيد من وجه آخر عن ابن عباس قال : نزل القرآن بلغة الكعبين : كعب قريش ، وكعب خزاعة قيل : وكيف ذاك ؟ قال لأن الدار واحدة . .[١] .

قال في الطبرى : حدثنى أبو العالية قال : قرأ على رسول الله ﷺ من كل خمس رجل فاختلفوا في اللغة فرد قراءتهم كلهم فكان بنو تميم أعرب القوم[٢] .

٣ ـ روى الأزهري عن ابن عباس أنه سئل عن قوله صلى الله عليه وسلم نزل القرآن على سبعة أحرف فقال :

ماهى إلا اللغات ..

فهل تدل هذه الأحاديث على أن المراد من الحروف السبعة اللغات ؟

أو هل تدل على أن اللغات واحد من الحروف السبعة ؟

نموذج النوع الثالث : أحاديث تدل على الأختلاف في وجوه المعانى :

١ ـ فى تفسير الطبرى : روى عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : كان الكتاب الأول نزل من باب واحد وعلى حرف واحد ، ونزل القرآن من شبعة أبواب وعلى سبعة أحرف : زجر ، وأمر ، وحلال ، وحرام ومحكم ومتشابه ، وأمثال ، فأحلوا حلاله وحرموا حرامه « وافعلوا

---

(١) فتح البارى ج ١٠ ص ٤٠٢ .

(٢) تفسير الطبرى ج ١ ص ١٩ ، ٢٩ .

ما أمرتم ، وانتهوا عما نهيتم عنه وإعتبروا بأمثاله ، وأعملوا بمحكمه ، وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا »[1] .

٢ - ويروى أيضاً : عن أبي قلابه قال : بلغني أن النبي ﷺ قال : أنزل القرآن على سبعة أحرف : أمر ، وزجر، وترغيب ، وترهيب وجدل ، وقصص ، ومثل[2] .

ويعلق ابن حجر على هذه الرواية وأمثالها بقوله :

ومما يوضح أن قوله زاجر وآمر ... الخ ليس تفسيراً للأحرف السبعة ماوقع فى مسلم من طريق يونس عن ابن شهاب عقب حديث ابن عباس الأول . . قال ابن شهاب : بلغنى أن تلك الأحرف السبعة إنما هى فى الأمر الذي يكون واحداً لايختلف في حلال ولاحرام[3].

ونص الحديث في مسلم :

عن ابن شهاب حدثنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : ابن عباس حدثه : أن رسول الله ﷺ قال : أقرأنى جبريل عليه السلام على حرف فراجعته فلم أزل استزيده فيزيدنى حتي إنتهي إلى سبعة أحرف « أ . ه » .

قال ابن شهاب : بلغنى أن تلك السبعة الأحرف إنما هى فى الأمر الذي يكون واحداً لايختلف فى حلال ولاحرام »[4].

فهل هذه الأحاديث تجعل الاختلاف فى الوجوه تفسيراً للحروف السبعة؟

---

(١) تفسير الطبرى ج ١ ص ٣٠ .
(٢) الطبرى ج ١ ص ٣٠ فتح البارى ج ١٠ ص ٤٠٤ .
(٣) فتح البارى ج ١٠ ص ٤٠٥ .
(٤) مسلم ج ١ ص ٥٦١ تفسير الطبرى ج ١ ص ١٤ .

أو تجعلها واحدة من الحروف السبعة ؟

قبل أن نجيب نود أن نتأدب أولا بآداب السنة النبوية فيما يتعلق بنماذج النقطة الرابعة والخامسة .

نماذج النوع الرابع : أحاديث ناهية عن المراء فى القرآن .

١ ـ فى تفسير الطبرى : أن القرآن أنزل على سبعة أحرف فلا تماروا فى القرآن فان المراء فيه كفر اهـ[1] .

٢ ـ أنزل القرآن على سبعة أحرف فالمراء فى القرآن كفر ـ ثلاث مرات ـ فما عرفتم منه فأعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه » اهـ[2] .

٣ ـ اختلف رجلان فى سورة فقال هذا : أقرأنى النبى ﷺ ، وقال هذا أقرأنى النبى ﷺ فأتى النبى ﷺ فأخبر بذلك قال : فتغير وجهه وعنده رجل فقال :

« إقرءوا كما علمتم فانما أهلك من كان قبلكم اختلافهم على أنبيائهم[3] .

٤ ـ قال عبد الله بن مسعود تمارينا فى سورة من القرآن فقلنا خمس وثلاثون أو ست وثلاثون آية .قال : فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ فوجدنا عليا يناجيه قال : فقلنا : انا اختلفنا فى القراءة قال : فاحمر وجه رسول الله ﷺ وقال :

---

(١) الطبرى جـ ١ ص ١٩ .
(٢) تفسير الطبرى جـ ١ ص ١ .
(٣) الطبرى جـ ١ ص ١٢ .

إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم بينهم قال :ثم أمر إلى علي شيئاًفقال لنا علي : أن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرءوا كما علمتم (1)».

٥ ـ عن شقيق قال : قال عبد الله : أني قد سمعت القراء فوجدتهم متقاربين فاقرءوا كما علمتم وأياكم والتنطع فانما هو كقول أحدكم هلم وتعالى(2) .

هذه الأحاديث والآثار تقصي القرآن الكريم عن معركة التهوك والجدل وتيسره لكل لسان وقوم وجنس .

نماذج النوع الخامس: أحاديث تدل على تيسير قراءة القرآن للناس كافة.

١ ـ أن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه ج ١ ص ١٣ الطبري .

٢ ـ أن القرآن كله صواب ما لم تجعل رحمة عذاباً أو عذاباً رحمة ج ١ ص ١٣ الطبري .

٣ ـ القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف ج ١ ص ١٣ ، ١٩ .

٤ ـ نزل القرآن على سبعة أحرف فما قرأت أصبت ج ١ ص ١٤ ، ١٥ ، الطبري .

٥ ـ أن الله أمرني أن اقرأ القرآن على حرف فقلت اللهم رب خفف عن أمتي قال اقرأه على حرفين . . . فأمرني أن اقرأه على سبعة أحرف من سبعة أبواب من الجنة كلها شاف كاف ط ص ١٦ ، ٢٠ الطبري .

---

(1) الطبري ج ١ ص ١٢ .

(2) الطبري ط ص ٢٢ .

٦ ـ أن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ولاحرج ، ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة . جـ ١ ص ١٩ الطبرى ..

٧ ـ قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : ليقرأ كل إنسان كما علم ، كل حسن جميل جـ ١ ص ١٣ الطبرى .

• من هذه النماذج تدرك أنه لا يمكن تحديد الحروف السبعة وليست واحدة مما ذكر من الاختلاف في : القراءة ، والوجوه بالمراد من الحروف السبعة لا هي منفردة ولا هي مجتمعة .

• كذلك من النماذج السالفة تدرك أن طرح موضوع الحروف السبعة لادراك .. ما صدقها فى مجال البحث العقلي الصرف مراء ممنوع منه الخلصاء الذين لهم إيمان صاف وذاتية إسلامية لا تأبه بالعلمانية الاستشراقية الغربية التى تريد أن تميع الذاتية الإسلامية فى البحث العلمى حتى يتخلص المسلمون من أخص خصائصهم وأنهم البانون حضارة الإنسان بمنهج الذاتية الإسلامية التى تعيد كل شيء لله رب العالمين .

• ومع هذا نجد فى النماذج السالفة كذلك حثا وتيسيراً لمن شاء أن يقرأ القران كما تعلم من شيخه دون خروج على ما تعلم .

قال ابن حجر : وحاصل ما ذهب إليه هؤلاء أن معنى قوله ـ عليه الصلاة السلام ـ أنزل القرآن على سبعة أحرف أى نزل موسعا على القارىء أى يقرؤه بأى حرف منها وذلك لتسهيل قراءته[1]

• وليس معنى أن يقرأ الإنسان حسب هواه بغير علم .

---

(١) فتح البارى ط ص ٤٠٣ .

قال ابن حجر : إن الإباحة المذكورة لم تقع بالتشهى :

أى أن كل أحد يغير الكلمة بمراد فهم فى لغته بل المراجع فى ذلك السماع من النبي ﷺ ويشير إلى ذلك — يعنى إلى فهم ابن حجر — قول كل من عمر وهشام فى حديث الباب ... يعنى المروى فى البخارى ، أقرأنى النبي صلى الله عليه وسلم[٢] ا . هـ .

وعلى هذا فانه لاينبغى أن نمارى فى تحديد المراد من الحروف السبعة حتى لا تنقل العمل بالقرآن من الجو الإسلامي البنائى التطبيقى إلى مدرجات وقاعات المحاضرات والبحث دون أن ينفذ القرآن كامام وهاد وصديق وأنيس فى جميع مجالات الحياة وذلك ما كان يحرص عليه النبي ﷺ والصحابة المهديين بنور إرشاده وبركاته .

ثالثاً : استعمال الحرف فى الأسلوب العربى .

وهل يمكن استعماله اللغوى من مساعدة تحديد المراد من الحروف السبعة ؟
أولا : قال فى لسان العرب .

الحرف يطلق على حرف التهجى : أ ـ ب ـ ت ـ وعلى ما يقابل الفعل والإسم فى تقسيم الكلمة إلى :

اسم وفعل وحرف .

ويمكن إطلاق الحرف على اللغة ، وعلى الناقة الضامرة ، وكل كلمة تقرأ على وجه من الوجوه تسمى حرفاً .

وفى القاموس المحيط : الحرف من كل شيء طرفه وواحد حروف التهجى

---

(٢) فتح البارى ط ص ٤٠٣ .

وعند النحاة ما جاء لمعنى ليس باسم ولا بفعل ، ومن الناس من يعبد الله على حرف أى وجه واحد

ثانياً : قال فى أساس البلاغة : ومن المجاز : هو على حرف من أمره : أى على طرف كالذى فى العسكر إن رأى غلبة استقر وإن رأى ميلة فر ، وناقة حرف شبيهة بحرف السيف فى هزالها .

وعلى هذا فالحرف يستعمل فى الحقيقة وفى المجاز .

ه وحقيقة : فى حرف التهجى : أ - ب - ت .

وفى الحرف المقابل للاسم والفعل ، وفى طرف كل شئ .

ه وهو مجاز : فى الناقة الضامرة ، وموقف الرجل المتأرجح وهو الوجه الخاص فى تصرف من التصرفات .

وبعـــد .

أفلا يجعلنا ذلك الاشتراك أن نقول بأن المراد من الحروف السبعة هنا المفهوم الكنائى المجازى لا الحقيقى ؟

إن الإمام ابن حجر يقول : ولفظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة فى الآحـــاد كما يطلق السبعين فى العشرات والسبعمائة فى المئين ولا يراد العدد المعين .

وإلى هذا جنح الإمام عياض صاحب كتاب الشفاء وهـذا هو ما ينبغى أن يستقر عليه الأمر ودليل ذلك :

أولا . أن تفسير الحرف بمعناه الكنائى المجازى يدفع عرض الموضوع فى مجال الجدل والمناقشة وذلك مراء ممنوع منه الفرد المسلم : لا تماروا فى القرآن فان المراء فيه كفر .

• اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم فاذا ما اختلفتم فيه فقوموا .

• كلاكما حسن .

• أى ذلك قرأتم أصبتم .

و تلك كلها توجيهات نبوية تنضم إلى النص القرآنى .

« ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر » .

قال ابن كثير فى تفسيرها : سهلنا لفظه و يسرنا معناه لمن أراده ج ٤ ص ٢٦٥)

ثانيا : يقوى أن المراد بالعدد هنا المعنى المجازى ذكره فى وحدة المائة (بلفظ سبعين)

« استغفر لهم أو لا تستغفر لهم

إن تستغفر لهم سبعين مرة

فان يغفر الله لهم » . (٨٠ ـ التوبة)

فان المراد من العدد هنا كثرة الاستغفار وقد إتفق فى العربية على أن العدد إذا ذكر سليما من الكسور كان مراداً به المعنى المجازى مثل : سبعة،وسبعين،وسبعمائة .

أما إذا كان العدد فيه كسورا مثل: الرؤيا الصادقة جزء من ست وأربعين جزءاً من النبوة « كان العدد » ست وأربعين هذا مقصوداً فقد إتفق العلماء أن مدة الرؤيا الصادقة ستة أشهر والنبى ﷺ عاش بعد النبوة ثلاثة وعشرين عاما فتكون ستة أشهر جزء من ست وأربعين جزءاً من النبوة لأن العام فيه إثنا عشر شهراً ونصفها ستة .

وعلى هذا فالاستعمال العربى والقرآنى معا يقويان وجهة نظر أن المراد من الحروف السبعة المعنى المجازى .

ثالثاً : ــ التعبير النبوى نفسه كاف بحل الأشكال فقد أنزل القرآن على سبعة أحرف ولم ينزل بسبعة أحرف ، ومعنى على يفيد الشرط كأنه نزل مشروطاً بالتسهيل والتيسير .

يقول فضيلة الشيخ الزرقانى : كأنه قال :

أنزل على هذا الشرط وعلى هذه التوسعة .

وإذن فالسبعة أنزل عليها ولم ينزل القرآن بها لقد نزل كما شاء الله . ميسراً سهلا ونزل على هذه السهولة واليسر .

« وأى ذلك قرأتم أصبتم » .

والمهم أن يتدارس المسلمون القرآن على حرف يسره الله لهم مادام ذلك عن شيخ مجود للقرآن مأمون الخلق والعلم والسلوك .

رابعاً :

إرتباط الأحرف السبعة برأفة النبي ﷺ وعالمية الدعوة الإسلامية .

١ ــ الدعوة الإسلامية دعوة عالمية للانسان على وجه الأرض مهما اختلفت لغته وجنسيته ووطنه ، والقرآن الكريم هو النبع الصافى الذى يستقى منه البشر جميعاً مبادىء الإسلام ، ومن خصائص هذا القرآن إن الله يسره للذكر : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » . وهذا التيسير مباح لجميع البشر . . . ونموذج هذا التيسير واضح فى شعب جنوب شرقى آسيا . . ذلكم الشعب الطيب الذى يقرأ القرآن بيسر وسهولة وخشوع دون أن يعرف للعربية نحواً أو صرفاً .

٢ ـ وقد شاء الله تعالى أن تتحمل خصائص القرآن الكريم عالميته للناس جميعاً ... والنبي ﷺ وهو الذى لا ينطق عن الهوى ابدا .. ويدرك خصائص القرآن بسره على لسان المسلم فى كل وطن . ومن هنا فقد شاء الله تعالى أن يمنح امته فى كل جزء من الأرض مندوحة القراءة مع اليسر والتسهيل .

٣ ـ وقد روى الطبرى بسنده قال : سمعت عبد الله بن عمر عن سيار أبى الحكم عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، رفعه إلى النبى ﷺ .. ذكر : أن رجلين اختصما فى آية من القرآن ، وكل يزعم أن النبى ﷺ أقرأه فتقارءا إلى أبى ، فخالفهما أبى فتقارءوا إلى النبى ﷺ ، فقال : يا نبى الله اختلفنا فى آية من القرآن وكلنا يزعم أنك قرأته ، فقال لاحدهما : اقرأ ، قال : فقرأ ، فقال : « اصبت » ، وقال للاخر : اقرأ فقرأ خلاف ما قرأ صاحبه فقال : « أصبت قال أبى : اقرأ فقرأ ، فخالفهما ، فقال » أصبت ، قال أبى : فدخلنى من الشك فى أمر رسول الله ﷺ مادخل فى من أمر الجاهلية، قال : فعرف رسول الله ﷺ الذى فى وجهى ، فرفع يده فضرب صدرى ، وقال : « استعذ بالله من الشيطان الرجيم » ، قال : ففضت عرقاً ، وكأنى أنظر إلى الله فرقاً وقال :

إنه اتانى آت من ربى فقال : إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : رب خفف عن أمتى ، قال : ثم جاء فقال : إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : رب خفف عن امتى ، قال: إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد . فقلت : رب خفف عن عن امتى قال : ثم جاءنى الرابعة فقال : إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ، ولك بكل ردة مسألة : قال : قلت : رب اغفر لامتى ، رب أغفر لأمتى ، واختبأت الثالثة شفاعة لامتى ، حتى إن إبراهيم

صلى الله عليه وسلم خليل الرحمن ليرغب . فيها[1]

٤ — ومن حديث أبي بن كعب قال :

أتى النبي ﷺ جبريل وهو باضاة بنى غفار ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرىء امتك القرآن على حرف واحد ، قال : فقال : اسأل الله مغفرته ومعافاته — أو قال : معافاته ومغفرته — سل الله لهم التخفيف فانهم لايطيقون ذلك ، فانطلق ثم رجع فقال : إن الله يأمرك أن تقرىء امتك القرآن على حرفين ، قال : اسأل الله مغفرته ومعافاته — أو قال : معافاته ومغفرته — أنهم لا يطيقون ذلك فسل الله لهم التخفيف ، فانطلق ثم رجع فقال : إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على ثلاثه أحرف . فقال : اسأل الله مغفرته ومعافاته — أو قال : معافاته ومغفرته — سل الله لهم التخفيف فأنطلق ثم رجع ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرىء امتك القرآن على سبعة أحرف فمن قرأ منها بحرف فهو كما قرأ[2] .

وواضح من هذه النصوص أن النبي ﷺ سأل الله تعالى أن ييسر تلاوة القرآن للأمة الإسلامية في كل صقع من أصقاع الارض .

ولقد يسره الله على القلوب والأذان فقد ذكر بعض الاخوان انهم وهم فى سفرهم إلى أمريكا على باخرة استأذنوا الربان فى إقامة صلاة الجمعة وكان مظهرا فريدا فى عالم الرحلات البحرية أن تتجمع جماعة إسلامية فوق ظهر باخرة فى وسط المحيط ثم يأخذون فى تأدية شعائر صلاة الجماعة والتف الناس حولهم يستمعون للخطبة . . وبعد الصلاة تقدمت سيدة غير مسلمة ولاتعرف

---

(١) الطبرى ج ١ ص ١٨ .

(٢) الطبرى ج ١ ص ٢٠ .

العربية ابدا ولا زارت بلاد العرب مطلقا وقالت للخطيب: كان يتخلل حديثك كلام تقشعر منه نفسي وتستجيب له عواطفي، كنت احس أن نورا ينقذف في قلبي، فما هذا الذي كنت تقوله وسط كلامك؟.. فقال لها الأخ المسلم الكريم سيد قطب رحمه الله ـ وهو الخطيب في هذه الحادثة: انه القرآن الكريم.

هكذا يسر الله القرآن للذكر والتذكر وتلك واحدة من خصائص القرآن وعالميته، وواحدة من بركات سيدنا رسول الله ﷺ.. ولهذا فان الاحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم هي تلك السهولة والتيسير الذي امتاز به القرآن الكريم على اللسان والقلب والمشاعر.

يدور الزمن ويطول العمر ليلقي ظلالا على مفهوم نزل القرآن على سبعة أحرف بعيداً عن التشاكس والعراك المذهبي والكلامي. ليعلم المسلمون إن الله قد يسر لهم أمر دينهم وأفسح لهم رخصة واسعة في تلاوة كتابه العزيز.

وفي المحيط الإسلامي: نجد اخواننا المسلمين هنا.. وخاصة الناس في القرى على اتصال دائم بتلاوة القرآن الكريم دون درايةلهم بالنحو والصرف ودون تعلم اللغة العربية، وهم يتخشعون في القراءة كأنما المعاني تتسرب إلى قلوبهم نورا وضيئا... وتلك هي واحدة من تيسير القرآن للذكر.. وهي من نفحات سيدنا رسول الله ﷺ ورأفته بامته وعالمية دعوته

خامسا: حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف:

١ ـ روى الإمام الترمذي عن أبي بن كعب قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل عند احجار المروة قال. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل «اني بعثت إلى أمة اميين، فيهم الشيخ الفاني، والعجوز الكبيرة، والغلام قال. فمرهم فليقرءوا القرآن على سبعة احرف» قال الترمذي حسن صحيح.

فالحكمة هنا كما وضحناها سالفا هى الرأفة التى قصدها رسول الله ﷺ والتوسعة التى ارادها لأمته فى قراءة القرآن .

٢ ـ بيان حكم من احكام الشريعة

ففى قوله تعالى :

• « وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو اخت فلكل واحد منهما السدس » فى قراءة سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه » وله اخ أو اخت من أم بزيادة (من ام) فتبين بهذه الزيادة ان المراد من الاخوة فى هذا الحكم الاخوة لأم دون ـ الاشقاء ومن كانوا لأب وهو أمر مجمع عليه .

• ومثال ذلك أيضا :

« فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة » هناك قراءة (رقبة مؤمنة) بزيادة (مؤمنة) فتبين بهذا الشرط ان الرقيق الذى يكون كفارة لابد وأن يكون مؤمنا . . . وذلك واحد من أساليب الإسلام للقضاء على الرقيق باسلوب القرآن الخاص فى سياسته الشرعية للتغلب على المشاكل الاجتماعية دون حدوث مضاعفات فيما بعد .

• ومثال ذلك ايضا :

فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن هناك قراءة بتشديد الطاء (يطهرن) فعلى الاولى يفيد انتهاء فترة الانعزال بمجرد انتهاء فترة الحيض ، وعلى الثانى يفيد ان انتهاء فترة الانعزال مشروطة بالطهارة والاستحمام من الحيض فلابد من الإغتسال .

٣ ـ للدلالة على حكمين شرعيين :

« فاغسلوا وجوهكم وإيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم إلى الكعبين » .

قرىء (وأرجلكم بنصب اللام عطفاً على وجوهكم وأيديكم وهذا فى حالة الوضوء عند عدم الحاجة .

وقرىء (وأرجلكم) بكسر اللام وذلك عند الضرورة والمسح على الخفين .

فأفادت القراءتان حكمين شرعيين فى حالتين مختلفتين .

٤ — رفع توهم ما ليس مراداً :

« يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله » .

قرىء (فامضوا) فعلى الأول يمكن أن يفهم أن المراد بجرىء والسرعة فى المشىء عند سماع آذان الجمعة ، وعلى الثانى أفاد أن المراد هو حضور الجمعة مطلقاً فرفعت ما يمكن أن يتوهمه القارىء فى القراءة الأولى .

٥ — تفسير كلمة غريبة :

« وتكون الجبال كالعهن المنفوش » .

قرىء كالصوف المنفوش ، فوضحت القراءة الثانية معنى العهن وأنه مراد به الصوف .

وتلك واحدة من الحروف السبعة التى يسر الله بها للأمة الإسلامية قراءة وتدبر كتاب الله الكريم .

سادساً : آراء العلماء فى الحروف السبعة :

وبعد ما قدمته من عرض قائم على أساس الذاتية الإسلامية ، فانه دون بأس لا أجد مانعاً أن نقف على ما أرتاه علماؤنا الأجلاء من معانى للحروف السبعة .

وفى مقدمة هؤلاء العلماء :

١ — ابن قتيبة .

٢ — أبو الفضل الرازى .

٣ — القاضى ابن الطيب .

٤ — ابن الجوزى .

وقبل أن أعرض آراءهم أحب أن أذكر أنهم جميعاً متفقون على أن الاختلاف المراد هنا هو اختلاف التضاد وليس اختلاف التغاير ، لأنه لا يمكن أن يكون الشيء دائراً بين شيئين متغاير، مع صحة كل منهما كالحل والحرمة، فان ذلك لا يقع إلا فى التغاير وهو خاص بالناسخ والمنسوخ وقدمر أنه قيل:

« لا تختلف فى حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهى »[1] .

قال الإمام الطبرى :

ومعلوم أن تماريهم فيما تماروا فيه من ذلك لو كان تماريا واختلافاً فيما دلك عليه تلاوتهم من التحليل والتحريم والوعد والوعيد وما أشبه ذلك لكان مستحيلا أن يصوب جميعهم ويأمر كل قارىء منهم أن يلزم قراءته فى ذلك على النحو الذي هو عليه[2] .

لهذا فان الاختلاف المراد هو اختلاف التضاد :

أولا : رأى ابن قتيبة :

١ — الاختلاف فى حركة الكلمة من غير أن تتغير الصورة ولا المعنى مثل : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » — قرىء ولا يضار بفتح الراء دون تشديد.

---

(١) الطبرى ج ١ ص ٤٣ .

(٢) الطبرى ج ١ ص ٢٠، ٢١ .

٢ ـ اختلاف في حركة بناء الكلمة من غير أن تتغير الصورة ولكن بتغير المعنى مثل :

« ربنا باعد بين أسفارنا » (١٩ سبأ) . ـ قرىء باعد على صيغة الخبر بالفعل الماضي.

٣ ـ اختلاف في حروف الكلمة دون تغير في الصورة والإعراب و بتغير المعنى مثل .

« وانظر إلى العظام كيف ننشزها (٢٥٩ البقرة) قرء ننشزها فاختلاف المعنى مع حروف الكلمة دون الصورة والإعراب .

٤ ـ اختلاف في صورة الكلمة دون المعنى مثل :

« إن كانت إلاصيحة واحدة» (٢٩ يس) قرىء زقية .

٥ ـ اختلاف في الصورة والمعنى مثل :

قرىء (وطلع) ـ TUNAS ـ وطلح :

٦ ـ اختلاف بالتقديم والتأخير مثل :

« وجاءت سكرة الموت بالحق » (١٩ ق) قرىء : وجاءت سكرة الحق بالموت .

٧ ـ اختلاف بالزيادة والنقص مع اتحاد المعنى مثل :

« وما عملت أيديهم » (٣٥ يس) ـ قرىء : وما عملته أيديهم .

ثانياً : رأى أبي الفضل الرازى :

١ ـــ اختلاف الأسماء : أفراد وتثنية وجمعاً مثل :

« والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » ـ قرىء :

لا ماناتهم ـ بالأفراد .

٢ ـ اختلاف الأفعال : ماضي ، مضارع ، أمر ـ مثل :

« ربنا باعد بين أسفارنا » ـ قرىء :

ربنا بعد ـ على إنه مبتدأ .

٣ ـ اختلاف وجوه الأعراب ـ مثل .

«ولا يضار كاتب ولا شهيد» ـ قرىء : ولا يضار ـ بالرفع على أن لا نافية لفعل مرفوع .

٤ ـ اختلاف بالنقص والزيادة مثل :

«وما خلق الذكر والأنثى» ـ قرىء : والذكر والأنثى ، بدون (ما خلق).

٥ ـ اختلاف بالتقديم والتأخير مثل :

« وجاءت سكرة الموت بالحق» ـ قرىء : وجاءت سكرة الحق بالموت.

٦ ـ اختلاف بالإبدال مثل :

وطلح ممدود (بالحاء) ـ قرىء : وطلع ممدود (بالعين) .

٧ ـ اختلاف اللهجات :

« وهل أتاك حديث موسى » ـ تقرأ بالفتح وتقرأ بالإمالة وهي الكسر المرخم .

ثالثاً : رأي القاضي أبي الطيب :

١ ـ تغير الحركة مع بقاء المعنى والصورة :

«ويضيق صدري» ـ باسكان القاف ـ قرىء :

ويضيق صدري ـ برفع القاف .

٢ ـ تغير المعنى مع بقاء الصورة .

ربنا باعد بين أسفارنا ـ قرىء :

باعد – الأول دعاء – والثاني اخبار – .

٣ – تغيير الحروف والمعنى مع بقاء الصورة .

ننشزها – ننشرها .

الأول بالزاي – ومعناها الخلق .

والثانية بالراء – ومعناها البعث .

٤ – تغيير الصورة دون المعنى مثل :

« كالعهن المنفوش » قرىء : (كالصوف المنفوش) .

٥ – تغيير الصورة والمعنى معا .

طلح منضود .

طلع منضود

الطلح – هو الموز .

والطلع هو البراعم أو الرائحة للطلح .

٦ – التقديم والتأخير مثل :

وجاءت سكرة الموت بالحق – قرىء .

وجاء سكرة الحق بالموت .

٧ – الزيادة والنقص .

له تسعة وتسعون نعجة – قرىء .

له تسعة وتسعون نعجة أنثى – بزيادة لفظ (أنثى) .

رابعاً : رأى ابن الجوزى :

١ – اختلاف في الحركات دون تغيير في الصورة والمعنى مثل :

« إن يمسسكم قرح » (١٤٠ آل عمران) قرىء قرح – بضم القاف .

٢ ــ اختلاف فى المعنى فقط دون الصورة .

وأدكر بعد أمة » (٤٣ يوسف) قرىء .

بعد أمة ــ بالتخفيف ومعناه النسيان .

٣ ــ اختلاف فى الحروف والمعنى دون الصورة مثل :

« هنالك تبدو كل نفس » (٣٠ يونس) قرىء .

هنالك تتلو .

الأول معناه : تتحمل .

الثانى معناه : تقرأ .

٤ ــ اختلاف فى الحروف والصورة دون المعنى مثل .

« وزادكم فى الخلق بسطة » (٦٩ الأعراف) .

قرىء : بصطة ــ بالصاد والمعنى واحد .

٥ ــ اختلاف فى الصورة والمعنى مثل :

« فاسعوا إلى ذكر الله » .

قرىء ــ فامضوا .

٦ ــ اختلاف بالتقديم والتأخير مثل :

« وجاءت سكرة الموت بالحق »

قرىء : وجاءت سكرة الحق بالموت .

« فاذاقها الله لباس الجوع والخوف » (١١٢ النحل) .

قرىء ــ « فاذاقها الله لباس الخوف والجوع » .

٧ ــ اختلاف بالزيادة والنقص مثل :

« أوصى ربك » ـ قرىء : ووصى[1] .

« إن الله هو الغنى الحميد » (٢٦ لقمان) .

---

(١) المراجـع .

١ ـ تفسير الطبرى جـ ١

٢ ـ فتح البارى جـ ١٠

٣ ـ مسلم جـ ١

٤ ـ مناهل العرفان جـ ١ : للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى

٥ ـ مباحث فى علوم القرآن : مناع القطان

٦ ـ التبيان فى علوم القرآن : الصابونى

٧ ـ البرهان للزركشى : بدر الدين الزركشى ٧٩٢ هـ

٨ ـ الاتقان للامام السيوطى

٩ ـ النبأ العظيم : للدكتور محمد دراز

١٠ ـ القرآن والنبي : للدكتور عبد الحليم محمود

١١ ـ تاريخ القرآن : للأستاذ إبراهيم الابيارى

١٢ ـ مدخل لدراسة القرآن الكريم : الدكتور محمد أبو شهبه

١٣ ـ تقريب النشر فى القراءات العشر لابن الجوزى

١٤ ـ سراج القارى المبتدىء : أبو القاسم على بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الحسن القاضى العذرى البغدادى .

١٥ ـ التفسير والمفسرون : الدكتور محمد حسين الذهبي

١٦ ـ المرشد الوجيز فيما يتعلق بالقرآن العزيز: لابن شامه ٩٦٥ هـ .

١٧ ـ مواقع العلوم من مواقع النجوم : جلال الدين

١٨ ـ جمال القرآن للسخاوى ٦٤١ هـ

١٩ ـ الابانة فى القرآن : لابن حموش الاندلسى

٢٠ ـ علل القرآن : لابن على الفارسى

٢١ ـ المصاحف : للسجستانى .

الرسم العثمانى واجب شرعى طريقه الإجماع

النقاط التى تندرج تحت هذا الموضوع أربع :

١ ـ ارتباط الرسم العثمانى بجمع القرآن الكريم .

٢ ـ مفهوم الرسم العثمانى .

٣ ـ هل يجوز الخروج على الرسم العثمانى فى طبع القرآن الكريم ؟

٤ ـ متى بدأ نشر القرآن وطبعه بالرسم العثمانى . . وما هى جهود الأزهر فى ذلك ؟

أولا ـ ارتباط الرسم العثمانى بجمع القرآن الكريم

عرفنا أن النبع الوحيد الذى كان يستقى منه الرعيل الأول ثقافتهم هو القرآن الكريم وكان ذلك عن قصد من الرسول ـ ﷺ ـ وكان كذلك عن قصد من الصحابة رضوان الله عليهم .

ولقد قصد سيدنا رسول الله ﷺ إلى أن يوظف العهد النبوى كله لجمع القرآن الكريم جمعا فى الصدور ، وجمعا فى السطور .

فقد ورد عنه ﷺ : « لاتكتبوا عنى ومن كتب عنى شيئا غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عنى ولا حرج ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

فلم يسمح النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة الأجلاء بكتابة شىء عنه

غير القرآن وذلك حتى يتفرغ المسلمون والزمن الذى يعيش فيه النبي ﷺ لجمع القرآن بالمعنيين :

١ ـ جمع بالحفظ فى الصدور .

٢ ـ وجمع بالكتابة فى السطور .

أما فيما يتعلق بالفقرة الأولى لمعنى الجمع : فان الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يبذلون قصارى جهدهم فى حفظه فى صدورهم ويعلمونه لأبنائهم ونسائهم ، وقد كان النبي ﷺ يمر عليهم ليلا فيسمع لهم بالقرآن دويا كدوى النحل ، وقد أخرج البخارى عن أبى موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه :

(أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : لو رأيتنى البارحة وأنا أسمع لقراءتك ؟ لقد أعطيت مزمارا من مزامير داود) .

وفى رواية مسلم . فقلت :

« لو علمت والله يارسول الله انك تستمع لقراءتى لحبرته لك تحبيرا » .

وفى الشيخين : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« انى لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالليل بالقرآن ، وان كنت لم أر منازلهم بالنهار » .

لقد اشتهر عصر النبوة بكثرة الحافظين للقرآن الكريم حفظا متينا فى فى الصدور وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكى فيهم هذه العناية وكان يبعثهم إلى المدن والقرى يعلمون الناس تحفيظ القرآن الكريم ، قال عبادة بن الصامت : « كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى رجل منا يعلمه القرآن الكريم ، وكان يسمع لمسجد رسول الله ـ ﷺ ضجة بتلاوة القرآن حتى أمرهم رسول الله أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا » .

ومعروف فى التاريخ أن رسول الله ﷺ بعث سيدنا مصعب بن عمير رضى الله عنه إلى المدينة المنورة قبل الهجرة وبعد بيعة العقبة الأولى ليعلم الناس هناك القرآن ، كما بعث بعد الهجرة من المدينة سيدنا معاذ بن جبل رضى الله عنه ليعلم الناس فى اليمن القرآن الكريم .

ومن هنا فان الحفاظ فى العهد النبوى لا يحصون فكل مسلم يحفظ ويسارع إلى الحفظ فأنوار النبوة يشرح الله بها الصدر ويضفى بها على الصدور بشاشة ورقة ورأفة ويفتح الله بها المعارف فيقبل الناس بهذه البركة العامة على القرآن الكريم ، وقد يسره الله للذكر وهداهم لحفظه فكثر الحفاظ وانتشروا فى المدن والأمصار والقرى البعيدة ، ويدلك على هـذه الكثرة أن الجيش العسكرى المحارب فى سبيل الله قد استشهد منه فى معركة واحدة تسمى: (معركة اليمامة) عدد يزيد على السبعين وكلهم من كبار الحفاظ ، كما قتل مثل هذا العدد فى موقعة (بئر معونة) على عهد رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال القرطبى : قتل يوم اليمامة سبعون من القراء ، وقتل فى عهد رسول الله ببئر معونة مثل هذا العدد .

فكانت أسمى خصائص هذا الرعيل أن جمع القرآن فى صدره وحفظه فى قلبه ووعاه بوجدانه تصديقاً لوعده جل شأنه : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

وأما فيما يتعلق بالفقرة الثانية من معنى الجمع ، فقد جهز سيدنا رسول الله ﷺ سكرتارية كافية لتدوين ما يترى به الوحى وسميت هذه السكرتارية بالإصلاح العلمى : كتاب الوحى : فكان كلما نزل شىء من القرآن الكريم أمرهم رسول الله ﷺ بكتابته وعين لهم السورة والموضع الذي تكتب فيها الآية الجديدة .

وكان من مشاهير الكتاب ما رواه الشيخان عن أنس رضى الله تعالى عنه:

جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار : أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت وأبو زيد ، قيل لأنس : من أبو زيد ؟ قال أحد عمومتي .

ومع هذه السكرتارية الخاصة كان هناك كتاب للوحي لذواتهم خاصة مثل سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، والسيدة أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها .

وبهذا يتضح أن معنى جمع القرآن في عهد النبي ﷺ اتخذ طريقتين :

الأولى : طريق الحفظ في الصدور .

الثانية : طريق الكتابة في السطور[1] « المصحف »

ولقد كان العزم مخلصاً وأكيداً في تسخير كل مادة تصلح صحيفة يكتب عليها القرآن الكريم .

لقد كتبوا على العسب : جريد النخل ، الجزء العريض من الأسفل .

وكانوا يكتبون على اللخاف: الحجارة الرقيقة . قال الخطابي : وتسمى صفائح الحجارة .

وكانوا يكتبون على الرقاع وهي قطع من جلد أو ورق .

وكذلك كانوا يكتبون على الأديم . الجلد .

وكذلك كانوا يكتبون على الأكتاف : وهو العظم الذي للبعير أو الشاه .

---

(١) راجع مجلة الأزهر رجب ١٣٩٩ هـ ص ١٣٤٥ حول هذا الموضوع ..

وكانوا يكتبون على الأقتاب : الخشب الذى يوضع على ظهر البعير ،

وكذلك الكرانيف : وهي أصول السعف الغلاظ .

يقول زيد بن ثابت رضى الله عنه : « كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع » رواه الحاكم بسنده على شرط الشيخين .

وكانت هذه الكتابة فى صحف مفرقة ذلك لأن القرآن مادام للنبي ﷺ حياة فهو يترى وكلما نزلت آية كتبت في الموضع الذي أشار به رسول الله ﷺ .. وقد اكتمل فى هذه الصحف كل ما نزل فقد كان جبريل عليه السلام يعارض رسول الله ﷺ بالقرآن كل سنة فى ليالى رمضان . وكان الصحابة رضوان الله عليهم يعرضون على رسول ﷺ ما لديهم من القرآن حفظا وكتابة . . حتى قبض رسول الله ﷺ والقرآن كامل محفوظ فى الصدور محفوظ فى السطور .

ويسمى هذا الجمع : الجمع بالحفظ ، والجمع بالكتابة ، الجمع الأول : أى جمع القرآن فى عهد النبى ﷺ .. وحتى هـذا الحين فالقرآن كامل موجود فى اللخاف والأكتاف والرقاع فى صحف مطهرة لا يجمعها مصحف فهى صحف مصونة عند أهل بيت رسول الله ﷺ عند أم المؤمنين رضى الله عنها السيدة عائشة بنت أبى بكر خليفة رسول الله ﷺ .

الجمع الثانى : فى عهد سيدنا أبى بكر رضى الله تعالى عنه .

واجهت الخلافة الراشدة الأولى حركة تمرد على العدل الاجتماعى الذى جعلت الزكاة وهى عماده أصلا من أصول الإيمـان ومع شهرة أبى بكر رضى الله تعالى عنه بالهدوء واللين والحنان والرأفة فان الخليفة الأول لم يجد من عقيدته إلا أن يكون جلداً مغواراً أمام هذا التمرد المنافق الذى يريد أن يفتح على المسلمين بلاء بعد رحيل النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام .

فجهز الخليفة الأول جيشاً لحروب الردة وكانت موقعة اليمامة واستشهد فيها عدد كبير من كبار الحفاظ للقرآن الكريم ، والحفاظ على القرآن له طريقان : طريق الحفظ فى الصدور ، وطريق الحفظ فى السطور .. وكان استشهاد جمهرة من كبار الحفاظ مثار يقظة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأشار على سيدنا أبى بكر أن يجوز جمع القرآن الكريم فى مصحف واحد حتى ينتقل القرآن الكريم إلى الأجيال المتعاقبة وهو محفوظ التواتر لعدد سوره وآياته على نحو ما حفظه المسلمون وكتبوه فى عهد رسول الله ﷺ . وبعد مناقشات حول الموضوع شرح الله صدر الخليفة الأول ووافق على جمع القرآن فى مصحف واحد ، روى الإمام البخارى :

حدثنا موسى بن إسماعيل عن إبراهيم بن سعد ، حدثنا ابن شهاب عن عبيد بن السباق : أن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : أرسل إلى أبو بكر الصديق مقتل أهل اليمامة فاذا عمر بن الخطاب عنده ، قال أبو بكر رضى الله عنه : أن عمر أتانى فقال : إن القتال قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن . وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن قلت لعمر : كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير ، فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ، ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر .

قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب ، عاقل ، لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ ، فتتبع القرآن فاجمعه ، فوالله لو كانوا كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن ، قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال : هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر رضى الله عنهما .

فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصارى لم أجـــدها مع أحد غيره « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم » — حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ثم عند حفصه بنت عمر رضى الله عنه .

منهج الكتابة :

١ ـ يروى أبو داود من طريق هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر قال لعمر ولزيد ، أقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه .

٢ ـ والمراد من الشاهدين الحفظ والكتابة ، قال السخاوى فى كتابه « جمال القراء » المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدى رسول الله ﷺ .

٣ ـ قال أبو شامة : وكان غرضهم أن لايكتب إلا من عين ماكتب بين يدى النبي ﷺ لامن مجرد الحفظ .

فاذا لاحظنا :

ـ قيمة عمر الاجتماعية ورهبته فى صدور القوم .

ـ وقيمة زيد الثقافية حيث هو كاتب الوحى .

ـ وقيمته الرسمية عند الخليفة حيث هو لايتهم .

ـ وحالته الدينية حيث هو واحد من المختارين لكتابة الوحى فى عهد رسول الله ﷺ بمعنى أن الله قد رضى عنه كاتباً للوحى الكريم .

وإذا لاحظنا مع ذلك شروط الشهادة من عدلين معهما قرآن محفوظ فى الصدور ومكتوب فى الصحف مثل الذى جاء به الصحابى الذى يمليه على سيدنا زيد بن ثابت رضى الله عنه أدركنا أن القرآن الكريم قد جمع فى عهد

كامل : الدولة كلها شاهدة على صدق وكمال ووحدة ما دونه سيدنا زيد بن ثابت فى عهد سيدنا أبى بكر رضى الله عنه وأنه هو هو القرآن الذى دونه سيدنا زيد بن ثابت فى عهد النبى ﷺ .

وجمع القرآن فى هذا العهد كذلك بنفس الوسائل التى كان يسمح بها العصر ذاتة من اللخاف والأكتاف .. الخ . وبقيت هذه الصحف مرتبة كمصحف عند سيدنا أبى بكر حتى وفاته ثم نقلت إلى سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه ويسمى هذا الجمع : الجمع الثانى :

الجمع الثالث :

أو الرسم العثمانى :

لقد طفنا طويلا لنصل إلى بيت القصيد حتى ندرك مسألتين :

الأولى ـ وهى الأصل إرتباط الرسم العثمانى بجمع القرآن الكريم .

الثانية ـ وهى ثانوية ولكنها مهمة وهى : إبراز جهود المسلمين : دولة وعلماء وشعبا فى الحفاظ على القرآن الكريم بمقدار ما يملكون حسب ظروف البيئة والعصر الذى كانوا يعيشون فيه فى عهد سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه . كان الله جل شأنه قد فتح للمسلمين بلادا واسعة وكان الصحابة بعد سيدنا عمر قد انتشروا فى الأمصار ولكل مصحفه الخاص وقراءته الخاصة :

ـ أبو موسى الأشعرى وله مزمار من مزامير داود صوت رخيم ندى حلو النغم جيد الترتيل له قراءة .

ـ وسيدنا عبد الله بن مسعود فقيه عالم سابق بالإسلام مقرىء للقرآن متحد به جحافل قريش منذ الفجر الأول للدعوة له مصحف وقراءة .

والصحابة كلهم ـ كالنجوم بأيهم اقتدى الناس اهتدوا ـ انتشروا فى الأمصار

كالثريات في جنبات السماء وكانت الرقعة للدولة الإسلامية قـــد اتسعت فاختلطت الألسن .

— لقد قرأ أهل الكوفة بقراءة عبد الله بن مسعود .

— وقرأ أهل الشام بقراءة أبي بن كعب .

— وقرأ أناس كثيرون بقراءة أبي موسى الأشعرى .

— فاختلف الناس في القراءة، وكان لا بأس بهذا الأختلاف لو أنهم عرفوا أن القرآن نزل على سبعة أحرف وأنه لا تضاد ولا تنافر ولكن القوم على عادة الشعب الإسلامي فى إدراكه للمشاكل كفر بعضهم بعضاً ، وتضاربوا وأصبحت صورة المجتمع الإسلامى صورة موحشة ليست هى أصوات دوى النحل التى كانت على عهد رسول الله ﷺ ، ولاهى مزامير داود التى تحلى بها أصحاب النبي ﷺ وصادف أن سيدنا حذيفة بن اليمان رضى الله عنه كان غازيا فى موقعة أذربيجان، وأرمينية من أرض الشام فرأى ذلك الأختلاف والتكفير والتضارب فخزن كثيراً أن يصير حال الشعب الإسلامي إلى هذه الحالة ويعود القرآن وهو هدى للناس مثار فتنة بينهم ففزع إلى الخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فشكى له ووضح له البلاء . وكان الخليفة الورع الطيب قد علم بنبأ ذلك ففي المصاحف لأبي داود من طريق أبي قلابة أنه قال :

« لما كانت خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل ، والمعلم يعلم قراءة الرجل ، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين حتى كفر بعضهم بعضا فبلغ ذلك عثمان فخطب فقال :

« أنتم عندى تختلفون فمن نأى عنى من الأنصار أشد إختلافا » .

فالتقى بيان سيدنا حذيفة رضى الله عنه بالمعرفة التى عند الخليفة الثالث فجمع سيدنا عثمان وجهاء القوم وأهل الحل والعقد وكان على رأسهم سيدنا على رضى الله تعالى عنه وعرض عليهم حالةالقوم فأجمعوا أمرهم على استنساخ مصاحف يرسل منها إلى الأمصار يعتمدون عليها فى القراءة ويحرق ما سواها حتى يرأب الصدع ويجبر الكسر وتعود الأمة إلى قرآنها بأصوات كمزامير داود . . والإمام البخارى يؤرخ القصة حديثيا فيروى : « حدثنا موسى حدثنا إبراهيم حدثنا ابن شهاب : أن أنس بن مالك حدثه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب أختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا أختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق »[1] .

وأخذت اللجنة الرباعية برياسة سيدنا زيد بن ثابت كاتب الوحى على عهد رسول الله ﷺ ، وكاتب القرآن على عهد سيدنا أبى بكر فهو هو الذى كتب الصحف التى جاءت من عند السيدة حفصة أم المؤمنين رضى الله عنها ونسخوا القرآن الذى فيها بلسان يتفق مع قراءة كل قطر، وأرسل إلى كل قطر

---

(١) البخارى فتح البارى جـ ١٠ ص ٣٩٠ ، ٣٩٥ .

المصحف الذى يتفق مع وجوه قراءته وكان هدف نسخ القرآن من الصحف التى كانت عند أم المؤمنين السيدة حفصة رضى الله عنها محاولة توحيد الأمة الإسلامية وإنهاء الخلاف بينها فيما يتعلق بالقراءة مع الحفاظ على إمتياز القرآن ونزوله على الأحرف السبعة فالكلمات التى تدل على قراءات متعددة ويمكن كتابتها بطريقة تصلح لكل الأمصار كتبت بهذه الطريقة التى تؤدي الغرض وترفع الخلاف مثال ذلك :

« إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » ، فيها قراءتان :

« فتبينوا » .

« فتثبتوا » .

كتبت بلا نقط هكذا « فىىىوا .

فأمكن قراءتها على الوجهين .

وكذلك « وأنظر إلى العظام كيف ننشزها » .

فيها قراءتان :

« ننشزها » .

« وننشرها » .

كتبت بغير نقط هكذا :

« ىىسرها » .

أما الكلمات التى لا تدل على أكثر من قراءة فكتبت فى مصحف المصر الخاص بهذه القراءة مثل : « ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب » ، فيها قراءة أخرى لمصر آخر «وأوصى» فهى تكتب في مصحف « وأوصى » ، وفى مصحف آخر « ووصى » حسب قراءة المصر التى سيرسل إليها المصحف .

وملخص الموضوع :

١ - أن اللفظ الذى لا تختلف فيه وجوه القراءات كانوا يكتبونه برسم واحد يمكن من القراءات كلها .

٢ – وأن كان اللفظ لايمكن رسمه لعدم إحتماله وجوه القراءات رسموه فى مصحف بشكل خاص ثم رسموه فى مصحف آخر بشكل آخر .

وإذن فالرسم العثمانى مرتبط بجمع القرآن الكريم من ناحيتين :

الأولى : أنه هو نفس القرآن الذى جمع فى عهد أبى بكر رضى عنه .

الثانية: أنه رسم بطريقه خاصة ترفع الخلاف الذى وقع فيه القراء وأحدث بين الناس شغباً .

ولهذا أمر سيدنا عثمان رضى الله عنه باحراق جميع المصاحف التى تخالف الرسم الذى كتبه سيدنا زيد بن ثابت رضى الله عنه حسبما وافقت اللجنة على ذلك .

عن سويد بن غفلة قال . قال على: — كرم الله وجهه ورضى الله عنه — لا تقولوا في عثمن إلا خيراً فوالله ما فعل الذى فعل فى المصاحف إلا عن ملأ منا ، قال : ما تقولون فى هذه القراءة ؟ فقد بلغنى أن بعضهم يقول : أن قراءتى خير من قراءتك ، وهذا يكاد يكون كفراً ، قلنا فما ترى ؟ قال : أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف قلنا : فنعم ما رأيت » أخرجه أبو داود .

وهكذا أحرق عثمان جميع الصحف إلا المصحف التى كانت عند السيدة حفصة رضى الله عنها لأنها المصدر العلمى الأساسى للرسم العثمانى .

وما زالت المصحف عندها حتى توفيت فبعث مروان بن الحكم وكان « غفيراً على المدينة المنورة » فى طلب المصحف فأرسلها إليه عبد الله بن عمر فأمر بهـا فشققت ... أقول ويا ليته لم يفعل فما من وراء ذلك ضير لو بقيت حتى الآن .. فو الله لهى نور وبركة من آثار أصحاب رسول الله ﷺ .

ولكن الحكومة الأموية كان لها عقل مترف بالكبرياء .. ولكم كانت تعارضه السيدة حفصة حين حياتها أن يفعل ذلك[1] .

ثانياً : مفهوم الرسم العثمانى :

بعد هذا العرض يفهم أن المراد من الرسم العثمانى كاصطلاح علمى فى علوم القرآن هو :

طريقة الكتابة التى أوصى بها سيدنا عثمان رضى الله تعالى عنه ونفذها سيدنا زيد بن ثابت باتفاق اللجنة القرشية والتى أجمعت عليها الأمة من أول أكابرها حتى ذاك الحين .

وأن هذه الكتابة هى التى يقرأ بها المسلمين اليوم بعد إدخال تحسينات عليها « بالشكل » تسهيلا على الناس فى قراءة القرآن .

لقد كانت المصاحف العثمانية خالية من النقط والشكل وذلك اعتماداً على على السليقة التى يتميز بها الناس آنذاك أو لأن العرف كان يعتاد ذلك فلما طال العهد بالناس وصعب على الناس قراءة القرآن برسمه العثمانى من غير شكل اجتهد العلماء الذين لديهم غيرة على كتاب الله فى تسهيل قراءة القرآن للناس بوضع علامات مع المحافظة على الرسم الذى أجمع عليه الصحابة فى عهد سيدنا عثمان رضى الله تعالى عنه .

وقد اختلف الكاتبون فى أول من قام بهذا المجهود ولا يهمنا فى هذه الدراسة أن نجهد أنفسنا لترجيح رأى لنعرف من هو أول مجاهد فلكل ثوابه

---

(١) راجع مناهل العرفان جـ ١ ص ٢٥٤/٢٣٢ فتح البارى جـ ١٠ ص ٣٩٦/٣٨٣ مباحث فى علوم القرآن لمناع ص ١١٨/١٠٣ التبيان فى علوم القرآن جـ ١ ص٥٥ ٦٨ مباحث فى علوم القرآن دكتور الصالح ص٩٥/٦٧.

والأولية ليست بذات قيمة ما دام القصد هو اخلاص النية لله فنى الحديث ما معناه: «طوبى لعبد يأتى يوم القيامة أشعث الرأس مغبرة قدماه آخذ بلجام فرسه فى سبيل الله إن كان فى الساقة كان فى الساقة وإن كان في المقدمة كان فى المقدمة ... » .

فالمهم هنا معرفة جهود العلماء فى تحسين الرسم العثمانى أما أيهم الأول ... فهى عند الله وميزانها « إنما الأعمال بالنيات » .

١ — الدور الأول :

١ — يروى بعض العلماء أن « أبو الأسود الدؤلى » نقط القرآن بأمر عبد الملك بن مروان ، والدكتور صبحى الصالح لا يرتاب قط فى أن لأبى الأسود الدؤلى دوراً لا ينكر ولكنه لا يتأكد من الباعث الذى دفعه إلى ذلك .

على حين أن الأستاذ مناع القطان يرى أن أبا الأسود الدؤلى سمع قارئاً يقرأ « أن الله برىء من المشركين ورسوله » بجر اللام فأزعجه هذا اللحن وذهب إلى والى البصرة « زياد » وأجابه إلى ما كان قد طلبه منه أن يضع للقرآن نقطاً وشكلا .

فجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف .

وجعل علامة الكسرة نقطة أسفله .

وجعل علامة الضمة نقطة بين أجزاء الحرف .

وجعل علامة السكون نقطتين .

ويميل الشيخ الزرقانى إلى هذا الرأى[1] .

---

(١) راجع مناهل العرفان جـ ١ ص ٤٠١ مباحث فى علوم القرآن دكتور صبحى ص ١١٧ مناع القطان مباحث فى علوم القرآن ص ١٣١ .

وهناك روايات ينقلها ويضعفها الدكتور صبحى الصالح أن أول من نقط المصحف هو يحيى بن يعمر نقـــلا عن كتاب المصاحف لابن أبى داود .

وأن نصر بن عاصم الليثى لا يستبعد أن يكون عمله فى نقط القرآن مواصلة لعمل أستاذه أبو الأسود الدؤلى ويحيى بن يعمر .

وهذه مرحلة من مراحل تحسين الرسم العثمانى يذكر فيها العلماء أسماء ثلاثة من العلماء :

١ — يحيى بن يعمر .

٢ — أبو الأسود الدؤلى .

٣ — نصر بن عاصم الليثى .

أيهم الأول ؟ ليس مهماً ولـكن كان لهؤلاء جميعاً دور فى خدمة تيسير قراءة القرآن على الناس .

٢ — الدور الثانى :

وكلما يتقادم العهد بالاصطلاحات يحتاج الناس إلى تيسير أيسر وأسهل وضع العالم العلامة الخليل بن أحمد الفراهيدى الأزدى ضوابط للشكل والتشديد والروم والاشمام .

فالفتحة شكلة مستطيلة فوق الحرف .

والـكسرة شكلة مستطيلة تحت الحرف .

والضمة واو صغرى فوق الحرف .

والتنوين زيادة مثلها .. إلى آخر ما شرحه الامام السيوطى فى الاتقان .

والروم بتشديد الراء وسكون الواو هو .

الاتيان ببعض الحركة بصوت يسمعه القريب دون البعيد ويكون فى المرفوع والمجرور .

والاشمام : ضم الشفتين بعد الإسكان بحيث تدع بينهما انفراجاً ليخرج النفس بغير صوت ولا يكون إلا فى المرفوع .

وذلك هو ماورثه المسلمون من علمائهم الأجلاء مع المحافظة على الرسم العثمانى وهو الخط الذى كتبه سيدنا زيد بن ثابت ووافق عليه اجماع الصحابة وارتضاه الناس فى جميع الأمصار .

ثالثاً : هل يجوز الخروج على الرسم العثمانى ؟ :

الحفاظ على القرآن الكريم هو مهمة الشرفاء من العلماء والممتازين من حكام المسلمين .

وقد وضح لنا فى العرض السالف كيف التقت جهود العلماء والحكام فى تقديم خدمة للقرآن الكريم تيسره على الناس دون مساس بما ورثه المسلمون من الجمع الأخير وهو الرسم العثمانى وقد طرح العلماء فى علوم القرآن مبحثاً ما كان لهم الحق علمياً أن يبحثوه من الزاوية التى طرحوها للبحث وهو : هل الرسم العثمانى توقيفى أو توفيقى ؟ .

أن مجرد الاضافة : الرسم إلى العثمانى تمنع طرح هذا الموضوع من هذه الزاوية لأنه لو كان توقيفيا من الرسول الله ﷺ لما صحت نسبته لغير رسول الله ﷺ .

هذا من جانب ومن جانب آخر فى البخارى عن الزهرى قال أخبرنى أنس بن مالك قال : فأمر عثمان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الله ابن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوها فى المصاحف وقال لهم :

« اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش فان القرآن أنزل بلسانهم ففعلوا » (١) .

قال ابن شهاب فاختلفوا يومئذ فى التابوت والتابوه فقال القرشيون التابوت وقال زيد التابوه فرفع اختلافهم إلى عثمان فقال : أكتبوه التابوت فانه نزل بلسان قريش (٢) .

فدل ذلك أن موضوع ارتباط الرسم العثمانى باصطلاح التوقيف أو التوفيق ليس بذى وزن لأنه لو كان توقيفيا لما وقع خلاف ولما أشار عليهم سيدنا عثمان اكتبوه باسان قريش فقد نزل بلغتهم .

ـ اذن مبحث الرسم العثمانى توقيفى أو توفيقى ليس بالجيد علميا لوقوع هذا الخلاف ، وليس معنى هذا أننى أميل إلى الرأى القائل بأنه توفيقى كلا فأنا أمنع المسألتين معا وأقول انه اصطلاح أجمع عليه كبار الصحابة وارتضته الأمة الإسلامية كلها وورثته تركة عن أكابر الصحابة وهم الأعرف بكتاب الله الذين شاهدوا الوحى والنبى وعاشوا حياة النور والهدى والله يصل السماء بالأرض بحبله المقدس فهو اجماع فريد فى نوعه .

لقد أجمع عليه أهل الحل والعقد الذين جمعهم سيدنا عثمان للشورى .

ـ وأجمع عليه كتاب الوحى واللجنة التى نسخت الصحف .

ـ وأجمعت عليه السيدة أم المؤمنين عائشة وحفصة .

ـ وأجمع عليه المسلمون جميعا حتى صار الرسم العثمانى خاصية من خصائص القرآن الكريم وأصبح مألوفا للناس جميعا وميسرا سهلا يقرؤه الناس جميعا

---

(١) راجع فتح البارى جـ ١٠ ص ٣٨٣ .

(٢) فتح البارى جـ ١٠ ص ٣٩٤

والمسلمون في جنوب شرقي آسيا : في اندونيسيا وسنغافورة والفليبين وتايلاند وماليزيا وهم لايعرفون العربية ولكنهم يجودون القرآن ترتيلا وقراءة دون صعوبة أو تعذر . . ذلك لأنهم تمرنوا وتدربوا على الرسم العثماني كصفة خاصة للقرآن الكريم ، والمحافظة على القرآن الكريم في هذا العصر مهمة جدا حتى على كل نقطة فيه ورثها المسلمون من أسلافهم الصالحين ذلك لأن الأعداء العالميين للاسلام يريدون أن يغيروا في القرآن الكريم . فاذا ماتساهل العلماء في الرسم العثماني فقد انفتح باب للشر المستطير لن تسلم منه الأمة في الدنيا ولا في الآخرة،أعود فأقول : الرسم العثماني إجماع شرعي على رسم المصحف لايجوز الخروج عليه مطلقا ، ومهما حسنت النيات فانه يجب على على المسلمين أن يحافظوا على الرسم العثماني لأنه ميراث من السلف الصالح وخاصية مشهورة للقرآن الكريم . ولقد أخطأ خطأ كبيرا القاضي أبو بكر الباقلاني اذا قال في كتابه : الانتصار . . « إذ وجوب ذلك لايدرك الا بالسمع والتوقيف وليس في نصوص الكتاب ولا مفهومه أن رسم القرآن وضبطه لا يجوز الا على وجه مخصوص وحد لايجوز تجاوزه ، ولا في نص السنة مايوجب ذلك ويدل عليه ، ولا في إجماع الأمة » .

لقد أخطأ يوم أن قال : ولا في إجماع الأمة لأن الأمة قد أجمعت على ذلك ونقل عن الأئمة الفقهاء عدم جواز كتابة القرآن بغير الرسم العثماني :

١ ــ قال الإمام أحمد بن حنبل ــ تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ألف أو باء أو غير ذلك .

٢ ــ قال مالك عندما سئل : أرأيت من استكتب مصحفا أترى أن يكتب على ما استحدثه الناس من الهجاء اليوم ؟ فقال : لا أرى ذلك ولكن يكتب الكتبة الأولى [١] .

---

(١) راجع الاتقان للسيوطي جـ ٢ ص ٢٨٣ راجع البرهان جـ ١ ص ٣٧٦ راجع مباحثات علوم القرآن للقطان ص ١٢٨ ــ ١٢٩

٣ ـ والشافعية والحنفية يقولون بهذا كذلك .

٤ ـ وقد أصدر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مؤتمره الرابع قرارا بعدم صحة طبع القرآن الكريم بغير الرسم العثمانى اللهم الا اذا كانت آية يستشهد بها عند التأليف والبحث العلمى الذى ليست له صفة المصحف المستقل .

وبهذا ينتهى الرأى فيما يتعلق بالرسم العثمانى :

١ ـ ليس توقيفيا وليس توفيقيا .

٢ ـ ولكنه اصطلاح مجمع عليه من الصحابة فهو حكم شرعي طريق ثبوته بالإجماع .

٣ ـ انه لايجوز مخالفته أبدا لأن مخالفته تؤدى إلى الخروج على الإجماع .

وعلى هذا فانه لاينبغى طبع القرآن الا برسمه المشهور به حفاظا على خاصية القرآن الكريم .

رابعا : متى بدأ نشر القرآن وطبعه

كل ماسلف من جهود المسلمين فهو تدوين أو رسم للقرآن باليد ، وكان آخر هذه الجهود فى تحسين كتابة القرآن الكريم بالرسم العثمانى المصحف الذى كتبه بخط يده خالد بن أبى الهياج الذى كان مشهورا بخطه الجميل وذلك فى خلافة الوليد بين عام ٨٦ هـ إلى ٩٦ .

ثم شاء الله أن ينتشر كتابه فى الآفاق بواسطة الطباعة الحديثة .

١ ـ ولكن هذه المرحلة مرت كذلك بدرجات ومما يؤسف المسلمين جميعا أن أول طبعة للقرآن الكريم كانت فى بيئة مسيحية غام ١٥٣٠ فى مدينة البندقية وليس من الغريب أن تصدر السلطات الكنسية أمرها باعدام طبعة القرآن حال ظهورها .

٢ — ثم قام بعد ذلك هنكلمان عام ١٦٩٤ . (Hink clamann) بطبع القرآن فى مدينة هامبورغ (Hamburg) .

٣ — ثم قام من بعده مراكى (Marracci) عام ١٩٦٨ بطبع القرآن فى مدينة بادو (Padoue) .

غير أن هذه الطبعات الثلاث لم يكن لها أثر فى العالم الإسلامى ، ولعل التفسير الواضح لذلك أن هذه الجهود قامت أثر نهضة أوربا بعد الحروب الصليبية التى اغتصبت فيها علوم الإسلام ونفائس انتاج علمائه ثم نشرتها فى أوربا . بينما المسلمون كان قد أصابهم المرض بعد الحروب الصليبية وعمت فيهم الجهالة والضعف وما زالوا حتى اليوم فى نوم أو يقظة خلاف عنيد .

أول طبعة إسلامية للقرآن الكريم .

٤ — ثم ظهرت فى سانت بترسبورغ Saint Petersbourg فى روسيا سنة ١٧٨٧ م طباعة هى الطبعة التى قام بها مولاى عثمان وظهر مثلها فى قازان .

٥ — وطهران تقوم بطابعتين حجريتين فى عام ١٢٤٨ هـ ، ١٨٢٨ م والأخرى فى تبريز عام ١٢٤٨ هـ .

٦ — وفى تركيا — بلد الخلافة الإسلامية آنذاك تعنى الآستانة عام ١٨٧٧ م فتطبع القرآن الكريم بعد أن تحرك المخلصون وطبعوا القرآن الكريم .

٧ — ثم تستقر الجهود الإسلامية عندما ألفت لجنة فى الأزهر الشريف للمحافظة على الرسم العثمانى وظهرت أول طبعة رسمية فى عام ١٣٤١ هـ ١٩٢٣ م وقد كتب هذا المصحف وضبط مايوافق رواية حفص لقراءة عاصم ، وكان من كبار هذه اللجنة فضيلة الشيخ خلف الحسينى ، ثم كان من بعده العالم الحجة الشيخ على عامر الذى ما زال حيا وله تلميذ مباشر أخذ عنه فى ماليزيا هو الشيخ توان حسن اسماعيل شيخ معهد القراءات بمسجد تكارا .

ولقد أفنى الأزهر حياته في الحفاظ على الرسم العثماني ، وألف لجنه دائمة تابعة لمراقبة البحوث والنشر لمراجعة جميع طبعات المصحف التي تقوم بها جميع دور النشر في العالم كله . . ولقد أدت هذه اللجنة خدمه جليلة في المحافظة على الرسم العثماني.

فلما كانت الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية تحت إدارة المرحوم فضيلة الأستاذ الجليل الدكتور عبد الحليم محمود كون لجنة من كبار علماء القراءات وعلماء التفسير ورجال الطباعة الذين لهم دراسة في الأزهر قديما وراجعت جميع طبعات المصحف الشريف ثم وضعت طبعة خاصة باسم الأزهر لتكون وحدها المرجع الرسمي للرسم العثماني للمصحف الشريف .

ولما تولي المرحوم الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود مشيخة الأزهر في إبريل سنة ١٩٧٣ م جاهد لاخراج عمل هذة اللجنة وطبع مصحف الازهر حتى يمتلك المسلمون رسميا الرسم العثماني الذى ورثوه عن السلف الصالح فلا تستطيع قوة بعد ذلك أن تحرف في الطباعة أو أن تضلل في الرسم .

ولقد منح الله التوفيق للأزهر الشريف وصدرت أول طبعة من المصحف الرسمى للأزهر في عام ١٩٣٦ هـ الموافق ١٩٧٦ م وتوالت الطبعات حتى الطبعة الثالثة بأحجام متعددة ، بل صار للمصحف الشريف في الأزهر مطبعة خاصة تكلف شراؤها نصف مليون جنيه استرليني .

وهكذا يجيش الله لحماية كتابه العزيز الجهود المخلصة حتى يستمر السند المتصل في الرسم العثماني موصولا بالوحى الإمين .

جزى الله كل من حفظ على المصحف الشريف رسمه العثماني خيرا في الدنيا وفى الآخرة وتقبل أعماله في الصالحين .

مركز السنة الإسلامية فى التشريع الاسلامى

وموقف المستشرقين منها ..؟

١ ـــ مفهومها وحجيتها.

٢ ـــ شبهات حول الحجية .

٣ ـــ وظيفتها ومكانتها .

٤ ـــ المستشرقون وموقفهم مـن السنة النبوية .

١ ـــ مفهوم السنة ومصدريتها :

(ا) مفهوم السنة :

فى الأسلوب العربى تطلق السنة ـــ قبل أن تكون إصطلاحاً إسلامياً ـــ على الطريقة : سواء كانت طريقة حسنة . أو كانت طريقة سيئة ؟

- وقد جرت بعض آيات القرآن الكريم على هذا المعنى فى مقام توضيح موقف الله ـــ جل شأنه ـــ من الأمم السابقة تأكيداً لسرمدية طريقة الله مع معاندى أنبيائه ورسله ـــ يقول الله تعالى :

١ ـــ (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) .

٢ ـــ (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا) الإسراء : ٧٧ .

٣ ـ (سنة الله فى الذين خلو من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) .
(الأحزاب : ٦٢)

٤ ـ (استكباراً فى الأرض ومكر السيء ولايحيق المكر السيء إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين ، فان تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) . (فاطر : ٤٣)

* * *

ـ كما جرت بعض الأحاديث على هذا المعنى . . يقول النبي ـ ﷺ ـ : « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة » .

ـ فيدور مفهوم لفظ « السنة » فى الإصطلاح العربى حول الطريقة حسنة كانت ، أو سيئة . .

(ب) مفهوم السنة فى الإصطلاح الإسلامي :

ـ غير أن المفهوم بعد الإسلام : أخذ وضعاً خاصاً ، كما أخذت أوضاع الحياة الإنسانية كلها بالإسلام الحنيف ـ وضعاً خاصاً ، فأخذت السنة فى حركة هذا النشاط الإسلامي طابعاً جديداً حدد فيه علماء الإسلام على أختلاف مناحى اشتغالهم بالفكرة الإسلامية : تقاسيم السنة . .

ـ فكان للسنة إصطلاح خاص عند علماء التشريع ، والقانون ، والفقه الإسلامي .

وكان لها إصطلاح مغاير عند علماء أصول التشريع ، وأصول الفقه الإسلامى .

(أ) السنة فى إصطلاح المشرعين والفقهاء

١ ـ فالسنه فى إصطلاح الفقهاء .

هى : الفعل الذى دل الخطاب على طلبه طلباً غير جازم » .

فهى تقابل الواجب ، ولا تشمل . . المندوب ، والمستحب ، والتطوع فى دائرة هذا التعريف .

٢ ـ ويعرفها جانب آخر من الفقهاء بأنها : مايثاب فاعلها ، ولايعاقب تاركها » .

ـ فتكون فى مقابل الواجب قسيما ، ولكنها تشمل : المندوب ، والمستحب ، والتطوع .

وهذا المفهوم مرتبط بالسنة من حيث جانبها (العملى السلوكى) والفرق بين المفهومين اللذين ذكرهما علماء الفقه :

ـ أن التعريف الأول : يجعل السنة فى مواجهة الواجب ، فهو خاص بالسنة المؤكدة .

ـ وأما التعريف الثانى : فيجعل السنة شاملة للمؤكد منها ، وغير المؤكد .

(ب) عند علماء أصول التشريع وأصول الفقه :

أما هى عند علماء الأصول ، فانها : كل ماورد عن النبي ـ ﷺ ـ أو صدر عنه من قول ، أو فعل ، أو تقرير . . فهى تقابل القرآن فى مصدريته للفقه والأحكام ، وتشمل الحديث الشريف وأخبار الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ فيا نقلوه عن النبي ـ ﷺ من آثار تحمل تشريعات .

(أ) الفرق بين مفهوم السنة عند الفقهاء ، ومفهومها عند الأصوليين :

ـ ومن هذا التوضيح الموجز لمفهوم السنة عند جماعات العلماء المشتغلين بالثقافة الإسلامية . . نلحظ الفرق بين المفهومين : أن السنة عند علماء التشريع ،

والفقه ، هى : نفس الحكم الشرعى التكليفى فركعتى الصبح . . قبل صلاة الفجر . . هى السنة المرادة عند الفقهاء وصوم ثلاثة أيام من أول كل شهر . . هى السنة التى عرفها الفقهاء .

ـ عند علماء الأصول . . فهى الدليل الذى يستند إليه الحكم الشرعى . . إنما هى : حديث النبي ـ ﷺ ـ الذى يرويه مسلم من طريق الزهرى عن سالم عن أبيه : أخبرتنى حفصة : أن النبي ـ ﷺ ـ كان إذا أضاء له الفجر صلى ركعتين .

ـ ويروى مسلم من طريق يحيى بن سعيد عن ابن جريج ، قال : حدثنى عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة : أن النبي ـ ﷺ ـ لم يكن على شيء من النوافل أشد معاهدة منه على ركعتين قبل الصبح « باب استحباب ركعتى سنة الفجر ، والحث عليها » .

ـ والذى يعنينا هنا من السنة : هو المفهوم الأصولى الذى نقدم له هذا البحث حسبة لوجه الله الكريم .

(ب) مصدرية السنة للتشريع الإسلامى :

الاحتجاج بالسنة على ثبوت الحكم الشرعى .. معناه :

ـ الإعتماد على السنة فى استنباط الحكم الشرعى وثبوت التكليف به . والاحتجاج بالسنة على ثبوت الحكم الشرعى مرتبط بالنبوة لسيدنا محمد ﷺ .

١ ـ فالعصمة صفة لازمة ، وصفة واجبة بالشرع للنبي ـ ﷺ ـ وعليها يترتب حتمية تصديقه ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى كل ماينطق به من :

ـ قرآن كريم تلقاه عن ربه جل شأنه .

ـ أحاديث قدسية بلغها إليه الوحى باللفظ ، أو بالمعنى فقط ، أو بهما معاً .

- أحاديث نبوية يشرح بها النبي ﷺ حكماً شرعياً يبين حله، أو حرمته.
وفى هذا: ثبت عن النبي ﷺ أنه قال:

« ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وماوجدتم فيه من حرام فحرموه. ألا: إن ماحرم رسول الله كما حرم الله ».

والقرآن الكريم نفسه واضح فى هذا الصدد -

(وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا، واتقوا الله إن الله شديد العقاب). (الحشر: ٧)

٢ - بل: إن القرآن ليأمر المسلمين عامة بالطاعة لرسول الله ﷺ.

يقول الله تعالى -

(من يطع الرسول فقد أطاع الله، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً).
(النساء: ٨٠)

٣ - بل إن القرآن ليضع تلك الطاعة للنبي ﷺ فى أسلوب قانونى عام:

(وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله، ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما).
(النساء: ٦٤)

٤ - بل إن القرآن يجعل طاعة رسول الله ﷺ علامة من علامات الحب لله:

(قل: إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم). (آل عمران: ٣١)

٥ - ثم: إن القرآن الكريم .. يقرن طاعة النبي - ﷺ - بطاعة الله فى أسلوب الأمر للجماعة الإسلامية، ويجعل عدم تنفيذ تلك الطاعة مقابلا للكفر!!

ـ يقول الله تعالى ـ :

(قل: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين)
(آل عمران : ٣٢)

(إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) (الفتح : ١٠)

٦ ـ ثم : يهدد القرآن الكريم المشاقين لرسول الله ـ ﷺ ـ بالخزى فى الدنيا والآخرة ـ :

(ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) . (النساء : ١١٥)

« فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ».
(النور : ٦٣)

ـ وحول هذا الحق الواجب للنبي ـ ﷺ ـ يروى الحاكم عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما : أن النبي ـ ﷺ ـ قال فى خطبة الوداع : « إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ، ولكن : رضى أن يطاع فيما سوى ذلك ، مما تحاقرون من أمره فاحذروه ، إنى قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً : كتاب الله ، وسنة رسوله » .

٧ ـ وفى المجال التشريعى : حذر الله جماعة المؤمنين أن يتقدموا على النبي ـ ﷺ ـ فى إثبات حكم ، أو فى اقتراح حكم قبل أن يأتيه الوحى المبين . .

يقول الله تعالى :

(ياأيها الذين آمنوا : لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم) . (الحجرات : ١)

ـ ولم يجعل لأحد رأياً بعد حكم النبي ـ ﷺ ـ (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعصى الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبيناً) (الأحزاب : ٣٦)

٨ ـ بل قبل أن يفوض الله الوجهاء من علماء الأمة الإسلامية في استنباط الحكم الشرعي رد الأمر أولا إلى رسول الله ـ ﷺ يقول الله تعالى ـ :

(وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به،ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لا تبعتم الشيطان إلا قليلا) . (النساء : ٨٣)

٩ ـ ولا يسمح القرآن الكريم للجماعة الإسلامية أن تطيع أولى الأمر إلا بعد إطاعة الرسول ﷺ يقول الله تعالى ـ :

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا) . (النساء : ٥٩)

ـ فكرر الفعل « أطيعوا » في جانب الله وفي جانب الرسول ليفيد : أن طاعة الرسول هي طاعة الله . ولم يكرر الفعل مع أولى الأمر ، ليفيد : أن طاعة أولى الأمر مرتبطة بطاعة الرسول ﷺ .

فطاعة النبي مقدمة على طاعة أولي الأمر ، وطاعة أولى الأمر مرتبطة بدائرة الطاعة لرسول الله ـ ﷺ ـ فان خرج أولوا الأمر عنها ، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

١٠ ـ والمدلول من هذه الطاعة . أو الرد إلى النبي ـ ﷺ يفسره سيدنا ميمون بن مهران ـ رضى الله عنه ـ فيقول :

« الرد إلى الله .. هو : « الرجوع إلى كتابه » ؟ .

والرد إلى الرسول ﷺ هو : « الرجوع إليه فى حياته وإلى سننه بعد مماته » ؟ .

ـ وابن القيم .. يوضح لنا هذا المدلول فى شرحه لقول الله تعالى : (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه) . (النور : ٦٢)

يقول : إذا كان الله ـ سبحانه وتعالى ـ جعل من لوازم الإيمان ألا يذهب المسلمون إذا كانوا مع رسول الله ـ ﷺ ـ فى أمر جامع ـ أى مذهب ـ إلا إذا استأذنوه ، فإنه من الأحرى والأولى أن يكون من لوازم الإيمان ألا يذهب المسلمون إلى مذهب ما من تشريع أو علم .. إلا بعد أن يستأذنوه ؟ .

واستئذانه عليه الصلاة والسلام :

ـ إما بالرجوع إليه فى حياته ؟ .

ـ وإما بالرجوع إلى سنته بعد مماته ؟ .

١١ ـ وقد رجع الصحابة إلى سنة رسول الله ـ ﷺ ـ حال حياته كذلك ؟ .

ـ والقصة مشهورة فى الوسط الفكرى الإسلامى عندما بعث رسول الله ـ ﷺ ـ سيدنا معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ إلى اليمن ..

قال له : بم تقضى إن عن لك قضاء ؟ .

قال : بكتاب الله ..

قال : فان لم تجد ؟ .

قال : بسنة رسول الله . .

قال : فان لم تجد ؟ .

قال : أجتهد ولا آلوا . .

ـ فضرب رسول الله ﷺ فى صدره، وقال : الحمد لله الذى وفق رسول، رسول الله إلى ما يرضى الله ورسوله . .

١٢ ـ وخاتمة الأمر . . فى أن السنة مصدر للتشريع الإسلامى . هو أن الحياة الفاضلة للانسان المسلم هى فى إقامة شرع القرآن .

(إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً) : (الإسراء : ٩)

ـ وأن المفوض من قبل الله ـ جل شأنه ـ فى توضيح هذا القرآن إنما هو النبى ـ ﷺ ـ يقول الله تعالى ـ :

(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ، ولعلهم يتفكرون) . (النحل : ٤٤)

ـ ومن بعد هذه الآية ـ فى شورة النحل ـ تؤكد هذه الوظيفة الخاصة بالنبى ـ ﷺ ـ يقول الله تعالى ـ :

(وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) . (النحل : ٦٤)

ـ وتبيين ذلك من النبى ـ ﷺ ـ إنما هو بالسنة : بقوله ، أو بفعله أو، بتقريره ، وموافقته وبرضاه .

« الرد إلى الله .. هو : « الرجوع إلى كتابه » ؟ .

والرد إلى الرسول ﷺ هو : « الرجوع إليه فى حياته وإلى سننه بعد مماته » ؟ .

ــ وابن القيم .. يوضح لنا هذا المدلول فى شرحه لقول الله تعالى : (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه) . (النور : ٦٢)

يقول : إذا كان الله ــ سبحانه وتعالى ــ جعل من لوازم الإيمان ألا يذهب المسلمون إذا كانوا مع رسول الله ــ ﷺ ــ فى أمر جامع ــ أى مذهب ــ إلا إذا استأذنوه ، فانه من الأحرى والأولى أن يكون من لوازم الإيمان ألا يذهب المسلمون إلى مذهب ما من تشريع أو علم .. إلا بعد أن يستأذنوه ؟ .

واستئذانه عليه الصلاة والسلام :

ــ إما بالرجوع إليه فى حياته ؟ .

ــ وإما بالرجوع إلى سنته بعد مماته ؟ .

١١ ــ وقد رجع الصحابة إلى سنة رسول الله ــ ﷺ ــ حال حياته كذلك ؟ .

ــ والقصة مشهورة فى الوسط الفكرى الإسلامى عندما بعث رسول الله ــ ﷺ ــ سيدنا معاذ بن جبل ــ رضى الله عنه ــ إلى اليمن . .

قال له : بم تقضى إن عن لك قضاء ؟ .

قال : بكتاب الله . .

قال : فان لم تجد ؟ .

قال : بسنة رسول الله . .

قال : فان لم تجد ؟ .

قال : أجتهد ولا آلوا . .

ـ فضرب رسول الله ﷺ فى صدره، وقال : الحمد لله الذى وفق رسول، رسول الله إلى ما يرضى الله ورسوله . .

١٢ ـ وخاتمة الأمر . . فى أن السنة مصدر للتشريع الإسلامى . هو أن الحياة الفاضلة للانسان المسلم هى فى إقامة شرع القرآن .

(إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً) : (الإسراء : ٩)

ـ وأن المفوض من قبل الله ـ جل شأنه ـ فى توضيح هذا القرآن إنما هو النبى ـ ﷺ ـ يقول الله تعالى ـ :

(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ، ولعلهم يتفكرون) . (النحل : ٤٤)

ـ ومن بعد هذه الآية ـ فى سورة النحل ـ تؤكد هذه الوظيفة الخاصة بالنبى ـ ﷺ ـ يقول الله تعالى ـ :

(وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) . (النحل : ٦٤)

ـ وتبيين ذلك من النبى ـ ﷺ ـ إنما هو بالسنة : بقوله ، أو بفعله أو، بتقريره ، وموافقته ورضاه .

وقد حشد القرآن الكريم لطاعة الرسول - عليه الصلاة والسلام - آيات عديدة . ثم وعى المؤمنين إلى امتثال أوامر النبي - ﷺ - .

يقول الله تعالى - :

(يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون) . (الأنفال : ٢٤)

- ولقد جعل القرآن الكريم طاعة النبي - ﷺ - هي الفارق بين سمات الجماعة الإسلامية وسمات المنافقين .

يقول الله تعالى - :

(ويقولون : آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ، ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك ، وما أولئك بالمؤمنين) .

- (وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون) .

- (وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين) .

- (أفي قلوبهم مرض) ؟ .

- (أم ارتابو) ؟ .

- (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) ؟ .

- (بل أولئك هم الظالمون) (النور : ٤٧ - ٥٠)

(إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ، أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) .

« ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون » .
(النور ٥١ ، ٥٢)

— قال الخازن فى شرح هذه الآيات :

(هذا تعليم أدب الشرع على معنى .. أن المؤمنين كذا ينبغى أن يكونوا.. وهو : أن يقولوا : سمعنا الدعاء ، وأطعنا بالإجابة [لباب التأويل فى معانى التنزيل ج ٥ ص ٨٥] .

— لهذا كانت السنة الإسلامية التى ورثها المسلمون عن رسول الله ﷺ مصدراً من مصادر التشريع الإسلامى .

أقوال علماء التشريع ، والفقه الإسلامى فى حجية السنة :

— ولستأنس إلى ما نذهب إليه من مصدرية السنة للتشريع الإسلامى.. بأقوال أئمة التشريع ، والفهم ، والفقه ، الذين من الله عليهم بفضله ، فبلغوا عن رسول الله ﷺ أحكام الشريعة الإسلامية ، حفاظاً على دين الله ، وصيانة للمجتمع الإسلامى من الانزلاق فى عبودية البشر باتباع الأفهام الوضعية !!

١ — يقول الإمام أبو حنيفة — رضى الله عنه — :

(أ) إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ أخذنا به ..

(ب) ويقول : آخذ بكتاب الله تعالى ، فما لم أجد . فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(جـ) ويقول : لعن الله من يخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم به أكرمنا الله .. وبه استنقذنا .

٢ - ويقول الإمام مالك — رضى الله عنه — :

« كل أحد يؤخذ من قوله أو يترك إلا صاحب هذه الروضة .

— وقد بلغ إجلال سيدنا مالك — رضى الله عنه — لسنة رسول الله ﷺ مبلغاً لا يطيقه كثير من العلماء فقد روى أنه كان لا يخرج للناس فى مجلس الحديث بالروضة الشريفة بالحرم النبوى إلا وقد : اغتسل . . وتطيب . . ولبس جديد ثيابه . . وسار خاشعاً إلى مقر درسه فى رحاب النبي — عليه الصلاة والسلام — فى الروضة الشريفة .

— وقد روى أن عقرباً لدغته — رضى الله عنه — وهو فى مجلس الحديث . . فلم يقطع الرواية ، ولم يتململ ، ولما سئل ؟ قال : صبرت إجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣ — ويقول الإمام الشافعى — رضى الله عنه — :

(أ) إذا صح الحديث فهو مذهبي . .

(ب) هل لأحد مع رسول الله — ﷺ — حجة . .

(ج) أى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى . . إذا رويت عن رسول الله — ﷺ — ولم أقل : على الرأس والعين .

(د) مهما قلت من قول ، أو أخذت من أصل وفيه : عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خلاف ماقلت ، فالقول ما قال رسول الله — ﷺ — وهو قولى . .

(هـ) كل شيء خالف أمر رسول الله — ﷺ — سقط ، ولا يكون معه رأى ولاقياس ، فان الله تعالى قطع العذر بقول رسول الله ﷺ فليس لأحد معه أمر ولانهى غير ما أمر به . .

٤ — ويقول الإمام أحمد بن حنبل :

إن الله — جل ثناؤه — بعث محمداً بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ، وأنزل عليه الكتاب بالهدى والنور لمن اتبع ، وجعل رسوله الدال على ما أراد من ظاهره ، وباطنه وخاصه ، وعامه . .

وناسخه ، ومنسوخه . . مافصد له الكتاب . . فكان رسول الله - ﷺ - هو المبصر عن كتاب الله الدال على معانيه .

وخلاصة الرأى من أقوال الأئمة الفقهاء . .

١ - أنهم قدموا لنا دليلا نظريا فكريا على وجوب الأخذ بالسنة كمصدر للتشريع .

٢ - وأنهم طبقوا ذلك عملياً فى مذاهبهم التى استنبطوها من القرآن ، ومن السنة . .

٣ - وأنهم قدموا لنا : الموطأ ، والمسند ، من كتب الحديث النبوى كمرجع لمصدرية السنة فى التشريع الإسلامى .

وظيفة السنة ومرتبتها فى التشريع الاسلامى

١ — وظيفة السنة :

* قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

(لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله) .

فبلغ ذلك امرأة من بنى أسد فقالت :

(يا أبا عبد الرحمن بلغنى أنك لعنت كيت وكيت ؟

فقال : ومالى لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ وهو فى كتاب الله ، فقالت المرأة : لقد قرأت ما بين لوحى المصحف فما وجدته ؟

فقال : لئن كنت قرأتيه وجدتيه قال تعالى :

« ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

* والإمام الشافعى رضى الله عنه يشرح وظيفة السنة بقوله :

(وسنة رسول الله ﷺ مع كتاب الله وجهان :

أحدهما : ما أنزل الله فيه نص كتاب فبين رسول الله مثل ما نص الكتاب.

والآخر : ما أنزل الله فيه جملة كتاب فبين رسول الله معنى ما أراد .

من المقرر أن القرآن الكريم ممتلىء بالقواعد العامة لأنه دستور سرمدى خالد أبداً للأمة الإسلامية والقواعد العامة [illegible] دائماً إلى تفسير لإلحاق الجزئيات باحدى القواعد العامة وذلك ما وكل فيه النبى ﷺ من قبل ربه .

وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم . وقد بين الرسول ﷺ بسلوكه وأقواله وموافقاته للأمة ماتحتاج إليه . يقول عليه الصلاة والسلام:

(ما شيئاً مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به ولا تركت شيئاً مما نهاكم الله عنه إلا وقد نهيتكم عنه) .

يقول الإمام الشافعي رضى الله عنه :

قال تبارك وتعالى : « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً » .

وقال : « أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » .

وقال : « أتموا الحج والعمرة لله » .

ثم بين على لسان رسوله عدد ما فرض من الصلاة وموقيتها وسننها وعدد ركعاتها والزكاة ومواقيتها .

وكيف عمل الحج والعمرة .

لقد كان رسول الله ﷺ أعلم الناس بالقرآن كما يقول مطرف بن عبدالله الشخير عندما قيل له : لا تحدثونا إلا بالقرآن فقال : (والله ما نريدبالقرآن بدلا ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن) .

ومعنى هذا :

إن القواعد الكلية العامة في القرآن الكريم تحتاج إلى عالم بالقرآن ليربط الجزئيات المستحدثة بهذه الكليات العامة ، وكان النبي ﷺ هو أعلم الناس بالقرآن.

وقد ثبت عنه ﷺ أنه فسر كثيراً من أركان الإسلام مثل الصلاة والزكاة وأعمال الحج .

يقول الأوزاعى : « الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب » ويشرح هذا النص ابن عبد البر فيقول : يريد أنها تقضى عليه وتبين المراد منه .

يقول الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه :

« إن السنة تفسر الكتاب وتبينه » .

وتتضح لنا هذه الوظيفة للسنة من خلال التطبيقات العملية التى أتخذها المسلمون عن نبيهم عليه الصلاة والسلام .

أولا : فى مجال العبادة :

١ — فرض القرآن الصلاة والزكاة .

« أقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة » .

ولكن السنة هى التى توضح ذلك : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » .

« ليس فيما دون خمس أوسق صدقة ولا فيما دون خمس ذود صدقة ولا فيما دون خمس أواق صدقة » .

وفى هذا المقام يروون عن سيدنا عمران بن حصين أنه قال لرجل : « إنك امرؤ أحمق ، أتجد فى كتاب الله الظهر أربعا لا تجهر فيها بالقراءة . . ثم عدد عليه الصلاة والزكاة ونحو هذا ثم قال : أتجد هذا فى كتاب الله مفسراً ؟ إن كتاب الله أبهم هذا ، والسنة تفسر ذلك » :

٢ — لما نزل قول الله تعالى : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » أشكل أمر الآية على الصحابة رضوان الله عليهم إذ فهموا المراد من الظلم : مجاوزة الحد والخروج عن القصد فى كل شىء . فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : أينا لا يظلم يا رسول الله ؟ فوضح لهم

عليه الصلاة والسلام : أن المراد من الظلم الشرك وقرأ : « يابنى لا تشرك بالله أن الشرك لظلم عظيم » .

ثانياً ـ فى مجال المال :

١ ـ لما نزل قول الله تعالى : « الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » .

فهم الصحابة رضوان الله عليهم أن مدلول ينفقون بذل كل ما يصل إلى أيديهم ، ففسر النبي ﷺ هذا المدلول بقوله :

« إنما فرض الله الزكاة ليطهر بها ما بقى من أموالكم » .

٢ ـ وعندما تحدثت آية الفرائض عن المواريث لم تتعرض لتوريث الكافر من المؤمن ولا العبد من الحر ولا القاتل لأبيه ، وأن الوصية لا تكون فى أكثر من الثلث وأن الدين يقدم على الوصية . . ولكن السنة هي التى وضحت كل هذا .

يقول النبي ﷺ :

« لا يرث المسلم الكافر .

ولا يرث الكافر المسلم » .

ويقول :

« الثلث ، والثلث كثير انك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس » .

ثالثاً ـ فى مجال الجنانة .

١ ـ نظم القرآن الكريم حدود القصاص :

« كتب عليكم القصاص فى القتلى : الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى » .

وهذه القواعد العامة تفيد عموم وجوب القصاص من كل من ثبتت عليه جريمة القتل العمد ، ولكن الرسول ﷺ يخصص هذا العموم بقوله : (ألا لا يقتل مسلم بكافر) .

٢ ـ وعندما حددت سورة المائدة أن السارق والسارقة تقطع أيديهما ، لم تحدد مكان القطع ولا نوع اليد .

من الكوع أو المرفق .

اليمنى أو اليسرى .

ولكن السنة هي التي حددت اليمنى من الرسغ .

رابعاً ـ فى مجال الأسرة .

١ ـ ذكر القرآن الكريم المحرمات من النساء .

« حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة ، وأمهات نسائكم ، وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ، وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيما » .

وبقى حكم الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها فبينته السنة يقول النبي ﷺ : « لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها » .

٢ ـ امر الله نبيه ﷺ أن يكون الطلاق للعدة فى قوله تعالى : « يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن » .

وكان ابن عمر قد طلق زوجته وهي حائض فقال النبي ﷺ لعمر بن الخطاب : « مره فليراجعها ثم يتركها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس ، فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء » .

فكان ذلك تفسيراً من السنة لما أوجزه القرآن الكريم من الأحكام .

٣ — وعدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرا بنص القرآن الكريم.

« والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشر » .

وعدة الحامل المطلقة وضع الحمل بنص القرآن الكريم :

« وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن » .

ولكن ما حكم عدة الحامل المتوفى عنها زوجها ؟

سبيعة الأسلمية توفى عنها زوجها وهي حامل ثم وضعت بعد نصف شهر من وفاة زوجها فأخبرها النبي ﷺ أن قد حلت وانتهت عدتها فبينت السنة بذلك أن عدة الحامل مطلقا وضع الحمل .

٤ — جاءت الجدة إلى أبي بكر رضى الله عنه تلمس ميراثها فقال : « ما أجد لك في كتاب الله شيئاً وما علمت أن رسول الله ﷺ ذكر لك شيئاً ، ثم سأل الناس ، فقام المغيرة فقال : كان رسول الله ﷺ يعطيها السدس فقال له هل معك أحد ؟ فشهد معه محمد بن مسلمة بمثل ذلك فانفذه سيدنا أبو بكر » .

لقد حددت آية المواريث الفرائض وأصحابها ، ولكن الجدة لأم ألحقتها السنة الإسلامية بأصحاب هذه الفروض .

خامساً ـ الحاجات اليومية :

١ ـ أحل الله الطيبات .

وحرم الخبائث .

وبين هذين الأصلين .

الطيب الحلال .

والخبيث الحرام .

أشياء لم يوضحها القرآن الكريم وتركها للسنة الشريفة ، فنهى رسول الله ﷺ عن أكل كل ذى ناب من السباع ، ومخلب من الطير ونهى عن أكل لحم الحمر الأهلية وقال : انها رجس .

٢ ـ والله سبحانه وتعالى أحل صيدالبحر وحرم الميتة وبين هذين مسائل تتعلق بأحد الحكمين فوضح رسول الله ﷺ : أن السمك الميت من البحر حلال وقال : هو الطهور ماؤه الحل ميتته .

بهذا يتأكد للواثقين من دينهم وعقولهم ومستوى البحث العلمى النظيف أن السنة الإسلامية طبقت عمليا كمصدر أساسى للتشريع الإسلامى يقول سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

« الفهم الفهم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة » .. فأكد بذلك أنها مصدر أساسى للتشريع الإسلامى .

مرتبة السنة فى التشريع :

١ ـ روى أبو داود والترمذى وابن ماجه عن المقدام بن معديكرب قال :

قال رسول الله ﷺ « ألا انى أوتيت القرآن ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال

فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه الا وان ماحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله » .

٢ ـ والقرآن الكريم يأمرنا بنص صريح : « ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

٣ ـ وقد ألحق رسول الله ﷺ أحكاماً بقواعدها الكلية .

لقد حرم نكاح المرأة على عمتها مثل ما حرم الله الجمع بين الأختين .

وحلل رسول الله ﷺ ميته البحر مثلما أحل الله صيده .

فهل الأحكام بالحل والحرمة من النبي صلى الله عليه وسلم تختلف في درجتها عن الأحكام بالحل والحرمة في القرآن الكريم ؟

يجيب الحديث النبوى الشريف على هذا : « ألا وان ما حرم رسول الله كما حرم الله » .

ومغزى هذا أن مرتبة السنة فى قيمة الحكم هى مثل القرآن الكريم فما حاله رسول الله صلي الله عليه وسلم له قيمة الدرجة لما حاله الله تبارك وتعالى ، وما حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم له قيمة الدرجة لما حرمه الله تعالى فى كتابه المجيد .

غير انه عند استنباط الحكم من المجتهد فى عملية الاجتهاد تكون السنة المصدر الثانى بعد البحث فى القرآن الكريم على حد المنهاج الذى رسمه سيدنا معاذ بن جبل رضى الله عنه عندما سأله النبي ﷺ :

« كيف تقضى إذا عرض لك قضاء ؟

قال : أقضى بكتاب الله .

قال : فان لم يكن فى كتاب الله ؟

قال : فبسنة رسول الله

قال : فان لم يكن فى سنة رسول الله ؟

قال : أجتهد ولا آلو .

فضرب رسول الله ﷺ على صدره وقال : الحمد الله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله » .

فحدد سيدنا معاذ أن النظر عند الاجتهاد لاستنباط الحكم يكون أولا فى القران الكريم فان وجد كفى وان لم يوجد يثنى بالنظر فى السنة الشريفة .

وبهذا الاعتبار تأخذ السنة المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم عند النظر فى الأدلة لاستنباط حكم شرعى .

أما قيمة الحكم المستنبط من السنة فهو مثل الحكم المستنبط من القرآن الكريم فى وجوب الأخذ به والإيمان بأحقيته وقد حكم الله جل شأنه .

« من يطع الرسول فقد أطاع الله » .

« وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى » .

شبهات حول السنة

ليس التشدق أو التفيهق من سمات الجماعة الإسلامية أن العمل والشورى هما من خصائص هذه الأمة وقد نعى القرآن الكريم كثرة الكلام إذا صدر من الجماعة الإسلامية يقول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » (٢ : ٣ الصف) .

ويقول النبي ﷺ :

هلك المتنطعون .

هلك المتنطعون .

هلك المتنطعون .

ويقول : إنما أهلك من كان قبلكم كثرة السؤال .

ومع هذا فقد ظهر فى المحيط الإسلامى من يحب التشدق والتفهيق والجدل فى مصدرية السنة للتشريع الإسلامى مع أن الأدلة سندا وعملا واضحة الدلالة فى حتمية اتخاذ السنة كمصدر أساسى للتشريع الإسلامى ولكن صنفا من الناس يحبون الترف العقلى أو المماحكة أو التفلسف أورد عدة شبهات يمكن تركيزها فى ثلاث :

الشبهة الأولى حول تفسير قول تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء» (الأنعام ٣٨) .

فى القرآن كفاية تامة للتشريع

الشبهة الثانية : حول تفسير قوله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » (الحجر ٩)

ففى الآية حصر يفيد أن القرآن وحده دون ما عداه هو المراد بالحفظ فلو كانت السنة مصدرا للتشريع لتكفل الله بحفظها مثل القرآن .

الشبهة الثالثة :

أن النبي ﷺ نهى عن كتابة السنة فى عهده فقال : « لاتكتبوا عنى غير القرآن ، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه » .

فلو كانت السنة مصدرا لأمر بكتابتها مثل ما أمر بكتابة القرآن الكريم.

توضيح وتفسير

وبالجملة فان :

هذه الشبهات هي : مغالطات من جانب :

وهي تحكم فى تفسير آيات القرآن الكريم من جانب ثان .

وهى خلط وعدم تمييز للمواقف غير المتحدة من جانب ثالث .

وللرد عليها نبدأ بها واحدة واحدة

الشبهة الأولى

تتعلق بتفسير قوله تعالى : « مافرطنا فى الكتاب من شىء » . (٣٨ الأنعام)

ومركز الشبهة انهم فهموا : ان المراد من الكتاب هنا القرآن الكريم وأنه احتوى على كل شىء بحيث لاتحتاج الأمة من بعده إلى مصدر اخر فاذا احتاجت . . كان مفهوم هذا الاحتياج ان فى القران تفريطا وهو محال لأن الوحى صادق فى أن القرآن لاتفريط فيه .

الرد عليها

١ – مركز الشبهة فيه تحكم أو مغالطة لأن مجموع الآيات التي تسبق وتلحق هذه الآية تفيد أن المراد من الكتاب هنا اللوح المحفوظ الذي اشتمل على العمر والرزق والسعادة والشقاوة لكل المخلوقات .

قال ابن كثير فى تفسيرها : أى الجميع علمهم عند الله ولا ينسى واحدا من جميعها من رزقه وتدبيره سواء كان بريا أو بحريا كقوله تعالى : « ومامن دابة فى الأرض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين » أى نفصح بأسمائها واعدادها ومضائها وحاصر لحركتها وسكناتها
(ابن كثير ٢ : ١٣١)

قال الخازن : يعنى فى اللوح المحفوظ لأنه يشمل جميع أحوال المخلوقات
(خازن ١٣٢/٢)

وصدر الآية يمهد لمثل هذا الرأى من التفسير بقول الله تعالى : « وما من دابة فى الأرض ولاطائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنافى الكتاب من شىء » .

وعجزها يؤكد هذا المعنى : « ثم إلى ربهم يحشرون » .

فالحديث فى الآية يدور حول شمول العلم الالهى والتدبير الالهى لكل أمم المخلوقات من الطير والدواب جميعا والبشر مثلهم .

والذى اشتمل على كل هذا إنما هو اللوح المحفوظ فقط أما القرآن فهو مشتمل على نظم حياة الإنسان فقط ولهذه الآية نظائر : يقول الله تعالى:

« والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب أن ذلك على الله يسير »
(فاطر : ١١)

« وما سقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين » . (الأنعام . ٥٩)

قال ابن كثير فى تفسيرها : كل ذلك فى كتاب عنده .

٢ — نسلم أن المراد من الكتاب هو القرآن الكريم ويكون حاويا لكل شيء غير أن كل شيء فيه على صفة الكلية محتاج إلى قوله تعالى : « وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم » . (النحل : ٦٤)

والذى يحملنا على هذا التخصيص أمران :

الأول : ان القرآن يصدق بعضه بعضاً كما أرشد إلى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم : « إنما نزل يصدق بعضه بعضاً » .

الثانى : إن كثيراً من الأمور الجزئية المرتبطة بالأحكام الشرعية غير موجودة فى القرآن وإنما وضحتها السنة مستندة إلى الأصل العام الذى لم يفرط القرآن فيه ولا منه شيئاً .

يدل على هذا : إن الصلاة واجبة لقوله تعالى :

« أقيموا الصلاة » .

ولكن : كم عددها فى اليوم ؟

وكم عدد ركعات الفرض الواحد .

وما الذى يقرأ فيها من القرآن ؟

وما هى الصلاة التى يجهر فيها والتى يسر فيها ؟

ثم كيف يجمع الناس ؟

ومتى تؤدى الفرائض ؟

لم تتعرض آيات القرآن الكريم لشيء من هذا مع أنه موصوف : « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » يعنى من المسائل الكلية العامة التى تحتاج إلى تبيين من النبي ﷺ كما تنص على ذلك الآيات الموضحة لوظيفة النبي ﷺ فى وكالته عن الله تبين ما أنزله الله إلى الناس من القرآن الكريم .

وإنما تعرض لتوضيح كل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق تعاليم الوحى الأمين .

٣ — على أننا نقول أن هذه الآية جزء من سورة الأنعام وهى سورة مكية نزلت بجملتها على كبرها وطولها تناقش أدلة التوحيد وتدحض ترهات المخاصمين للحق ، فالآية : « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » فى معرض الرد على طالبي المعجزات حتى يؤمنوا بعد مناقشات فى أول السورة :

« وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانو عنها معرضين » (الأنعام : ٤) .

« ولو نزلنا عليك كتاباً فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين » (الأنعام : ٧) .

فالآية هنا فى معرض توضيح أن الأدلة على الألوهية والوحدانية وصدق رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم مبثوثة فى آى القرآن الكريم وأن الوحى لم يفرط فى إثبات هذه الأدلة بكل أنواع الاستدلال :

العقلى .

والتاريخى .

والوجدانى .

وعلى هذا فالمعترضون بالآية على عدم حجية السنة ليس لهم سند

ولا دليل ، وبقيت السنة مبجلة محتمة كمصدر أساسى من مصادر التشريع الإسلامى .

الشبهة الثانية :

تتعلق هذه الشبهة بتفسير قوله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون » .

ومركز الشبهة : إن الحصر فى هذه الآية يفيد أن القرآن وحده كاف فى مصدر التشريع لأنه وحده الذى وعد الله بحفظه ، ولو كانت السنة كذلك لوعد الله بحفظها وذلك بناء على تفسيرهم الذكر بالقرآن .

الرد عليها .

١ — ونحن نقول ليس بلازم فى الاحتمالات العقلية أن يكون المراد من الذكر القرآن وحده لأمرين :

الأول : إنه لو كان المراد من الذكر القرآن فقط لصرح الله به كما صرح به فى كثير من الموضوعات التى تحتاج صراحة إلى النص على اسم القرآن مثل :

« إن هذا القرآن يهدى للتى هي أقوم » (الإسراء : ٩) .

« وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث » (الإسراء : ١٠٦) .

« ولقد يسرنا القرآن للذكر » (القمر : ٧) .

« بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ » (البروج : ٢١ ، ٢٢) .

« وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » (الزخرف : ٣١) :

« إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه » (النمل . ٩١ : ٩٣) .

فقد صرح فى هذه الموضوعات كلها باسم القرآن .

٢ ـ لو كان المراد من الذكر القرآن وحده لعبر عنه بالضمير (انا نحن نزلناه).

إذ إفتتاح السورة فيه نص وذكر للقرآن «ألر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين » والتعبير بالضمير فى نظر اللغة العربية أجود لأن الضمير أعرف المعارف والعلم فى المرتبة الثانية من الضمير وذلك يكون متفقا مع ما للقرآن من المنزلة الرفيعة وتعتمده الصناعة العربية .

وإذن فليس من الحتم أن يكون المراد من لفظ « الذكر » القرآن ويبقى أن نرشح لتفسير لفظ الذكر أحد معنيين .

الأول : أن يكون المراد من الذكر : الرسالة والشرف الذى استحقه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واتصف به بنزول القرآن والنبوة عليه .

يقوى هذا الاحتمال الآيات المتقدمة على آيتنا هذه حيث صورت تلك الآيات مقالات الكافرين المعتدين على النبوة بأوصـــــاف مفتراة مبعثها الحقد والحسد :

لقد قالوا له : إنك لمجنون .

لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين

وطلبوا منه معجزات .. فرد الله عليهم ووعد بحفظ الرسالة والشرف الذي اصطفى له محمداً صلى الله عليه وسلم ووعد بحفظ رسالته وشرفه .

فرد الله عليهم ووعد بحفظ الرسالة والشرف الذى إصطفى له محمـداً صلى الله عليه وسلم ووعد بحفظ رسالته وشرفه .

أما أن القرآن الذى أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أكسبه شرفا فهذا بالنص القرآنى فيقول الله تعالى : « وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » . (الزخرف : ٤٤)

فهو شرف للنبي صلى الله عليه وسلم .

وهو شرف لأمة محمد صلى الله عليه وسلم .

يدل عليه أن الضمير فى قوله : « وأنه لذكر لك » عائد على القرآن المصرح به قبل ذلك فى قوله تعالى :

« وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم .
(الزخرف : ٣١)

أو المصرح به وضعاً :

« فاستمسك بالذى أوحى إليك إنك على صراط مستقيم » (الزخرف:٤٣).
« وأنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) الزخرف : ٤٤) وبهذا يقوى إحتمال أن المراد من الذكر هنا الشرف والرسالة .

الثانى : أن يكون المراد من الذكر الشريعة مطلقاً ويرشح لهذا الإحتمال ما تناولته السورة بعد ذلك من تصوير لموقف الأمم السابقة من رسلهم .

« ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الأولين » (الحجر : ١٠)

« وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون » (الحجر : ١١)

« كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين » الحجر : ١٢)

« لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين » (الحجر : ١٣)

والأنبياء يكلفون الأمم بالشرائع ، والشريعة كتاب الله وسنة نبيه ،

والذى يستعرض حالات الأمم السالفة مع الأنبياء يقف على مناقشات ومكابرات ومحاجات مع الرسل تدور كلها حول التكاليف التى يأمرهم بها النبى المرسل إليهم وعلى هذا تكون الآية التى معنا « إنا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون » قد نبهت على أمر خطير : هو أنه إذا كان الأمر فى الأمم السالفة ينتهى إلى إلغاء الشريعة بعد معارك عنيفة بين الرسل والسماء من جانب والكافرين من جانب آخر ، فان هذه الشريعة « قرآنا وسنة » قد وعد الله بحفظهما إلى يوم القيامة ولن ينال الكافرون منها شيئاً .

ويقوى هذا المعنى قول الرسول ﷺ : «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على هذا الأمر إلى قيام الساعة » وعليه فيكون المراد من الذكر : الشريعة : قرآنا وسنة .

ولكن بقى أن يقال كيف يعود الضمير فى قوله تعالى (له) على السنة مع أنها غير مذكورة فى القرآن لا بالنص ولا بالصفة ؟ غير أن الجواب من نفس استعمالات القرآن الكريم ، ففى آية الواقعة : « إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً » فتلك صفات الحور العين مع أنه لم يجر لهن ذكر سابق على هذه الآيات فكيف عاد الضمير فى (انشأناهن) على الحور العين ؟ أنه السياق العام والفحوى التى تعطى المعنى المجوز لعود الضمير عليه .

وليست تلك الآية فقط فهناك آية أخرى فى سورة ص يقول الله تعالى :

« إذا عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد » (ص : ٣١)

« فقال أنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب (ص ٣٢) .

فالضمير المستتر فى توارت عائد على الشمس مع أنه لم يرد لها ذكر فى

السورة لا بالنص ولا بالوصف، ولكن السياق العام والفحوى هيأت المعنى الذى يصح أن يعود عليه الضمير مراداً منه الشمس.

وآيتنا فى سورة الحجر عاد الضمير فيها على السنة من هذا القبيل، وإذن فلا مانع من أن يكون معنى الذكر الشريعة مطلقا : قرآنا وسنة وتكون السنة داخلة فى وعد الله سبحانه وتعالى بالحفظ والصيانة.

٣ - يمكن أن يعود الضمير على النبي ﷺ قاله ابن كثير : « ومنهم من أعاد الضمير على النبي ﷺ كقوله « والله يعصمك من الناس »، ويكون المعنى : في مواجهة تحدى الكافرين أن الله يشهد بأنه أنزل القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأنه سيحفظه من كيدهم(٥٤٧/٢ تفسير ابن كثير).

نعم هذا الاحتمال بعيد فى نظر ابن كثير غير أنه احتمال يوهى شبه المتعللين المتعسفين المانعين حجية السنة لشبهة خيالية ليس عليها دليل :

على أن حفظ محمد صلى الله عليه وسلم حفظ لذاته ورسالته ودينه وسنته، فيكون الحفظ شاملا للسنة كذلك وإذن فلا منفذ من الإستسلام لحجية السنة كمصدر فى التشريع الإسلامي.

الشبهة الثالثة

تتعلق هذه الشبهة بالتحامل والتعصب فى فهم حديث شريف : « لا تكتبوا عنى غير القرآن ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه وحدثوا عنى ولا حرج ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ».

ويدعون أن سيدنا أبا بكر رضى الله عنه جمع الناس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال.

« انكم تحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث تختلفون فيها،

والناس بعدكم أشد اختلافاً فلا تحدثوا عن رسول الله ﷺ شيئاً فمن سألكم فقولوا : بيننا وبينكم كتاب الله » .

يقول أصحاب الشبهة بناء على ذلك :

إذا كان الرسول ﷺ نهى عن تدوين السنة وإذا كان أبو بكر منع الناس أن يحدثوا . . فمدلول هذا عدم الاحتجاج بالسنة ، والاكتفاء بما فى القرآن الكريم كمصدر منفرد للتشريع الإسلامى .

الرد عليها

أولا : فى الحديث الذى رويتموه أيها المشتبهون نقطتان :

الأولى : نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة السنة

الثانية : التحديث عنه دون حرج .

ومفهوم هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بحفظ السنة بطريق واحد وهو طريق الحفظ فى الصدور والتحديث والرواية عنه دون الكتابة والتدوين فى القرطاس .

أما بالنسبة للقرآن الكريم فقد أمر عليه الصلاة والسلام بحفظه بالطريقين معا :

١ — طريق الحفظ فى الصدور .

٢ — طريق الكتابة والتدوين فى القرطاس .

وعلى ذلك فلا سند للمشتبهين بالحديث فان عدم كتابة السنة — فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم — لا ينفى حجيتها غاية ما فى الأمر أن الحفظ له طريقان ودرجتان :

الطريقان هما : التدوين بالكتابة والحفظ والرواية

والدرجتان هما : درجه أولى وتتحقق بالجمع بين الطريقين .

ودرجة ثانية وتتحقق بأحدها .

فالقرآن الكريم له درجة عليا أولى تتحقق بالجمع بين التدوين والرواية .

والسنة لها درجة عليا ثانية تتحقق بالرواية فقط .

وعلة ذلك وحكمته أن النبي صلى الله عليه وسلم حرص على أن تبقى ذاتية القرآن الكريم بعيدة عن أدنى شبهة فأفرد العصر النبوى لتدوين القرآن وحده يدل على هذا ما يرويه أبو هريرة رضى الله عنه :

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رآهم يكتبون الأحاديث فقال : ما هذا الذى تكتبون ؟ قلنا أحاديث سمعناها منك . . فقال : أكتابا غير كتاب الله تريدونه ؟ ما أضل الأمم من قبلكم إلا ما كتبوه من الكتب مع كتاب الله ، فقال أبو هريرة رضى الله عنه أنحدث عنك يا رسول الله ؟ قال : « نعم حدثوا عنى ولا حرج ، فمن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

كذلك روى عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم :

« جردوا القرآن ولا تكتبوا فيه شيئاً إلا كلام الله ففى الحديث علة نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن تدوين السنة رسمياً بأمر الدولة فى ظل النبوة وهى نفس العلة التى جعلت عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ وهو أمير دولة الإسلام وأشهر الناس بموافقة الوحى له ـ يتردد فى تدوين السنة بعد أن استخار الله شهراً ثم يصبح وقد عزم الله له ولكنه يقول :

إنى كنت أردت أن أكتب السنة وإنى ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأكبوا عليها ، وتركوا كتاب الله ، وإنى والله لا أشوب كتاب الله بشىء » .

ثانيا : على أن عدم الأمر بالكتابة لا ينفى كون السنة مصدراً من مصادر التشريع الإسلامى إذ مصدريتها غير مرتبطة بالتدوين وعدمه بل هى مرتبطة بالحفظ وحفظ السنة مقرر من النبي صلى الله عليه وسلم بدرجته وطريقه : « حدثوا عنى ولا حرج » فلم يعد لكم أيها المشتبهون علة تتعللون بها غير إنكم يلزمكم معرفة الفرق بين درجتي حفظ القرآن والسنة وطريق هذا الحفظ، وأن هدف النبي صلى الله عليه وسلم أن يسلم الوقت الذى نزل فيه القرآن الكريم من كل تدوين إلا كتابة القرآن الكريم إفرادا العصر ألا يسع سواه بالطريق الرسمى الذى تتوجه إليه الدولة كلها لرعاية كتاب الله .

ثالثاً : أما ما يرويه أبو مليكة عن سيدنا أبو بكر فنحن لا ننازع فيه غير أنه لا يقوم دليلا على عدم الاحتجاج بالسنة كمصدر من مصادر التشريع كل ماهنالك أنه يحافظ على السنة من الدخل لكثرة الألسن والقوميات التى دخلت فى الإسلام فحرص سيدنا أبو بكر على أن تسلم السنة من التحريف فمنع العامة لا الخاصة عن التحديث حتى لا يحدث اضطراب فى ألفاظ الحديث الشريف يدل على هـذا أن سيدنا أبو بكر رضى الله عنه أنفذ ميراث الجدة بناء على الحديث الشريف الذى رواه المغيرة : وشهد معه محمد بن مسلمة ، فلم يعد بعد ذلك للمشتبهين من تشدق .

رابعاً : على أن الحديث الذى نهى عن تدوين السنة لم يكن النهى فيه على الإطلاق بل هو خاص بأن يكون التدوين عاما شائعاً لكل فرد من الأمة بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن بكتابة بعض الأحاديث .

ويجب أن نفهم أن هناك فارقاً كبيراً بين أمر وإذن ، وهو أن الأمر تبعث عليه علة إذا أمنت هذه العلة كان الإذن .

فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بعدم كتابة السنة كان لعلة هى ألا يختلط الحديث بالقرآن ، أو أن يفهم الناس اتحاد الرتبة فى الزمن والطريق .

فلما وضح للناس هذا ولم تعد هنا خشية من هـذا الاختلاط أذن النبي ﷺ لأبي شاة أن يكتب له حديث خطبة الوداع .

«إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليهم رسول الله والمؤمنين ، وأنها لم تحل لأحد قبلي ، ولم تحل لأحد بعدي ألا وأنها أحلت لي ساعة من نهار ، وإنها ساعتي هذه حرام لا يختلي شوكها ولا يعضد شجرها ولا تلتقط ساقطتها إلا لمنشد فمن قتل له قتيل فهو بخير الناظرين : إما أن يقتل ، وإما أن يقاد أهل القتيل .

فجاء رجل من أهل اليمن فقال : اكتب لي هذا يا رسول الله ، فقال : اكتبوا لأبي شاه .

بل إن النبي صلى الله عليه وسلم ليأمر بكتابة العلم ، والسنة هي العلم بعد القرآن الكريم ، يقول صلى الله عليه وسلم : « قيدوا العلم بالكتابة » ويعلق الخطيب البغدادي على هذا فيقول :

وفي وصف الرسول صلى الله عليه وسلم الكتاب بأنه قيد للعلم دليل على إباحة رسمه في الكتب لمن خشي على نفسه دخول الوهم في حفظه .

فدل ذلك على أن الإذن بالكتابة كان موجوداً لطائفة خاصة وأن الأمر بالنهي عن التدوين كان للعامة يؤيد ذلك :

١ ـ ما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه : ما كان أحد أعلم بحديث رسول الله ﷺ مني إلا عبد الله بن عمرو ، فانه كان يكتب ولا أكتب .

٢ ـ وقد اعترض بعض الصحابة على تدوين عبد الله بن عمرو للسنة فقالوا : إنك تكتب عن رسول الله ﷺ كل ما يقوله ورسول الله ﷺ قد يغضب فيقول ما لا يتخذ شرعا عاماً ؟ فرجع ابن عمرو إلى رسول الله ﷺ فقال له : اكتب عني فوالذي نفسي بيده ما يخرج من في إلا حق .

٣ — ويروي أبو هريرة رضي الله عنه : أن رجلا كان يشهد حديث النبي صلى الله عليه وسلم فلا يحفظ فيسألني فأحدثه فشكى قلة حفظه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : استعن على حفظك بيمينك وبذلك تسقط كل شبه المشتبهين وتبقى السنة الإسلامية مصدراً أساسياً من مصادر التشريع الإسلامى .

لها وظيفتها .

ولها منزلتها.

يؤكده المجال التطبيقي فى العبادة والمال والأسرة والحاجات اليومية رغم أنف الجاحدين.

المرضى بالأعصاب يحفظ لهم الطب السيكولوجي تصرفات خاصة وانفعالات ذات طابع معين منحرف عن السلوك السواء والمستشرقون هم أول المرضى بالأعصاب .

فقد كانت أوروبا إلى جوار الأندلس المسلم صورة قاتمة من الفقر والجهل والمرض والعبودية والفوضى والطبقية والاحتكار والظلم . لقد كانت حياتها صورة قبيحة لحياة الجنس البشرى ، بينما كانت الحياة الإسلامية فى الأندلس تعيش حياة العلم الذى ارتفعت مناراته فى قرطبة وغرناطة وأشبيلية ، ومع العلم الأمن والعدل والرخاء والإحترام ، والمجتمع الفاضل الذى يعلم الناس أصول التعاشر الرفيع كأفضل ما تكون الحياة رفقاً وعدلا وحنانا وأخاء وإيمانا .

كانت هذه الصورة لجارتين متجاورتين : أوربا الكافرة الجاهلة المنحطة ، والأندلس الإسلامى العالم المجيد .

لقد كان الأندلس مركز البعث الإنسانى لأنه مسلم ، وكانت أوروبا مركز الظلم والظلمات لأنها كافرة . ولهذا لم يكن الأندلس الإسلامي أنانياً فلم يضيق مساحات جامعاته ولم يقصرها على بنيه وأهله بل فتح جامعاته الإسلامية للعاشقين من شباب فرنسا وأوروبا فى الثقافة والمعرفة فهرع الظامئون للعلم والحرية إلى الأندلس ونهلوا من جامعات الأندلس الإسلامى علماً غزيراً ولكنهم كانوا يحملون صفات خسيسة صفات المجتمع الرقيق فلم يخلصوا للاسلام جميلا بل قابلوا

حسناته بجحافل من الكراهية والسيئات فكانت الحروب الصليبية وكان خروج الإسلام من الأندلس التى صارت دولة أسبانيا المسيحية اليوم .. ولم يكتف المسيحيون الأوربيون بذلك بل نظموا حملات حربية من نوع خاص تتمثل فى :

١ — التبشير .

٢ — الاستشراق .

والتبشير : يعنى التوجه إلى الجماعة الإسلامية كأفراد ليحيلها إلى أفراد مسيحيين .

والإستشراق : يتوجه إلى الأفكار فى المجتمع الإسلامى ليشككها فى تاريخها وثقافتها ليوهى الفكرة الإسلامية حتى لا يجد المجتمع الإسلامى له قيادة تبصره فتسهل عملية التبشير الهادفة إلى تحويل المجتمع الإسلامي إلى مجتمع مظلم كافر .

وكان من أول المجالات التى يهاجمها مرضى الأعصاب المستشرقون : السنة الإسلامية ، وشيخ هؤلاء المرضى هو : جولد زهير ، ولقد اعتمدت الحركة الصهيونية واليهودية من المال ما مكنه من نشر كل أحقاده وخبثه وتضليلاته وتشكيكاته وسمومه تجاه الإسلام والمسلمين .

وقد استطاع بخبثه ودهائه أن ينشر فى المجتمع المثقف أنه باحث نزيه وتلك واحدة من مفتريات المستشرقين عامة ومن شيخهم خاصة .

إن جولد زهير يهودى مسيحى فهو من سلالة خبيثة الأصل ، وينتحل دينا باطلا ، ولا تفتر جهوده لحظة عن تحطيم الإسلام ، وقد ركز هجومه على السنة فى نقاط أربع : قال فيها :

١ — القسم الأكبر من الحديث إنما هو أثر من آثار المسلمين وضعوه فى عصر النضوج .

٢ — الدولة الأموية تدخلت فى وضع الحديث لتأييد وجهة نظرها السياسية وأنهم اضطهدوا العلماء وزادوا فى درجات المنبر على الثلاث .

٣ — الإمام الزهرى من أمثلة العلماء الذين استغلهم العهد الأموى فى وضع الحديث .

٤ — يروى نصوصاً تؤيد آراءه .

٥ — إدعاء أن الموطأ كتاب فقه .

مناقشة هـــذه النقاط :

النقطة الأولى :

يدعى جولد زهير أن السنة وضعت بعد نضوج المسلمين وكلمة نضوج هذه كلمة براقة تخدع المسلمين كثيراً فى العصر الحاضر ، ويتغنى بها الأوروبيون لأنهم عاشوا الحياة فى ذل وفقر .

وإذا سألنا عن أسس النضوج وجدنا الأجابة كاملة فى ظل الدولة الإسلامية الأولى فوسائل النضوج هى :

دستور للدولة.

وقانون يضبط السلوك .

وجيش يحمى الذمار .

وحكومة تقيم العدل .

ومجتمع تقوم الروابط فيه على المحبة والأخوة والتعاون ولقد كان القرآن

دستور الأمة وكانت القوانين تشرعها السنة والعلماء فى ظل الخلافة الراشدة من بعد النبي ﷺ ، وكان الجيش الإسلامى قد أنهى دولة الفرس فى معركة القادسية ودولة الروم فى معارك اليرموك وفتح مصر والاسكندرية وبرقة وتونس .

وكانت الحكومة الإسلامية تقيم العدل لغير المسلمين بينما كان المجتمع فى أوروبا يقوم على الذل والفقر والطبقية والجبروت والجهل والفحش والمرض .

وفى ظلال تلك الدولة التى تملك وسائل النضوج كانت السنة مدونة فى صحائف عبد الله بن عمرو ، وأبو بكر وعلي ، وجلة من كبار رجال الفكر الإسلامى حتى كان الزهرى فى عهد الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز فجمع ما شاء الله من السنة ليهذبها من شوائب الفتنة التى حات بالأمة الإسلامية بعد معارك الخلافة فيما بعد .

وجدير بالذكر أن نستشهد برأى رجل متعصب ضد الإسلام فيما يتعلق بنضوج الأمة الإسلامية : يقول (جون جلوب) وقد أقامت معظم الدول الإسلامية منذ القرن السابع وفى مختلف العهود أنظمة قضائية فعالة ونظمت فرق الشرطة (٦٦٢ الفتوحات العربية)

ففى أقل من خمسين عاماً تمكن بدو الجزيرة العربية من أن يقيموا أعظم امبراطورية عرفها العالم آنذاك ومن أعظم الأمبراطوريات التى عرفها التاريخ ، ولم يسبق لأية امبراطورية بمثل هذه الضخامة وذلك الإتساع أن أقيمت فى مثل هذا الوقت القصير (٦٥٥ الفتوحات العربية)

النقطة الثانية :

يدعى شيخ المرضى بالأعصاب جولد زهير أن الدولة الأموية تدخلت

فى وضع الحديث لتأييدوجهة نظرها السياسية وأن الدولة الأموية فى سبيل هذا اضطهدت العلماء وأنه زاد فى درجات المنبر على ثلاث . وهذا جهل فاضح بحقائق التاريخ لأن معاوية بن أبى سفيان هو أول وال فى ظل خلافة سيدنا عثمان الذى نظم أسطولا بحريا لفتح بلاد شمال افريقيا والجزر الشرقية فى البحر الأبيض المتوسط واستولى على مدينة قبرص وعاهد أهلها ثم عاد إليها عام ٦٥٣ م .

لقد كان رجال بنى أمية مشغولين بالفتوحات فأرسلوا الجيوش إلى أفريقيا وأوربا ليفتحوها للاسلام ورحلات الجيش الإسلامى فى عهد معاوية مدونة ، وفى عهد عبد الملك بن مروان إلى الأندلس وغرب أفريقيا وكان رجال بنى أمية على رأس هذه الحملات فلم يكن عندهم فراغ لمثل ما يدعيه جولد زهير .

أما الحرب التى شنها الأمويون على الشيعة والخوارج فليس ذلك من قبل اضطهاد العلماء فليس فى الإسلام تحزب ولا فرق .

« إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبؤهم بما كانوا يفعلون » (١٥٩ الأنعام) .

« ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » (آل عمران ١٠٥) .

« منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون »
(الروم ٣١ : ٣٢) .

فالشيعة والخوارج أحزاب سياسية ولا تمثل جبهة العلماء التى يدعى جولد زهير انهم اضطهدوا فى عهد بنى أمية .

أما ما يدعيه من أن بنى أمية زادوا فى درجات المنبر على ثلاث كدليل على ما يدعيه أنهم وضعوا أحاديث لنصرة مذهبهم فتلك واحدة من العقليات اللاهوتية المسيحية إذ الزيادة أو النقص فى درجات المنبر لا ترتبط بمبدأ إسلامى فليست حوائط المسجد وأبنيته جزءاً من الصلاة أو شرطاً لها كما هو فى المسيحية إذ تجعل الصلاة فى غير كنيستهم غير صحيحة فالكنيسة جزء من صلاة المسيحية .

وتلك فاضحة لعقلية جولد وواحدة من أدلة جهله بالفكرة الإسلامية .

النقطة الثالثة :

يدعى جولد أن الدولة الأموية استغلت الزهرى فى وضع الحديث .

أما علماء الإسلام فقد كفونا الرد على هذا الافك .

يقول علماء الجرح والتعديل :

١ ـ كان الزهرى ثقة كثير العلم والحديث والرواية فقيها جامعا (الطبقات الكبرى لابن سعد) .

٢ ـ الزهرى أحسن الناس حديثاً وأجودهم اسناداً (ابن حنبل) .

٣ ـ أصح الأسانيد أربعة : أولها الزهرى عن سالم عن أبيه (أبو زرعة).

٤ ـ كان الزهرى من أحفظ أهل زمانه وأحسنهم سياقا لمتون الأخبار وكان فقيها فاضلا . (ابن حبان فى كتابه : الثقات)

٥ ـ حدثنى أبى قال : الزهرى مدنى تابعى ثقة .
(صالح بن أحمد بن حنبل)

ومع هذا فالزهرى أمر بجمع السنة من أصلح خلفاء التابعين وهو عمر بن عبد العزيز ، ولا يشك واحد من المؤرخين المتعصبين أو المتسامحين

فى أن عمر بن عبد العزيز كان من أعدل الخلفاء وكان عهده سلاماً وأمانا ورخاء : لقد خرجت الصدقات فيه ثم عادت إلى خزائن الدولة لأنها لم تجد فقيراً ، فلأى سبب ولأية غاية يضع الزهرى لبنى أمية أحاديث وقد استقرت دولتهم بعد مقتل الحسين فى كربلاء ؟

ومع هذا فلم يحفظ التاريخ لبنى أمية نشاطاً مطلقاً فى جمع الحديث حتى الصحائف التى جمعها الزهري لم تصل إلى عمر بن عبد العزيز لأنه مات قبل أن ينتهى الزهرى منها فليست هناك فرصة ولا مندوحة يمكن أن يتأتى منها اتهام بأن الدولة الأموية استغلت الزهرى فى وضع الحديث .

النقطة الرابعة :

النصوص التى رواها جولد تؤكد جهله وكذبه .

يدعى جولد : إن وكيعاً يطعن فى زياد بن عبد الله ويرميه بالـكذب فينقل نصا ويحرفه عمداً ليصل إلى كذبه وافتراه فيقول :

من قول وكيع عن زياد بن عبد الله من أنه كان مع شرفه فى الحديث كذوباً .

ومع أن النص العربى يأباه فان نص العبارة كما وردت فى التاريخ للامام البخارى ص ٣٢٩ جـ ٢ القسم الأول .

. وقال ابن عقبة الدوسى عن وكيع هو : أى زياد بن عبد الله أشرف من أن يكذب .

ولـكن المستشرق اليهودى بما فيه من صفات الـكذب والخسة يحرف النص ليصل إلى هواه الدنىء .

وللأسف فان ثلة من مفكرى المسلمين يثقون فى علم المستشرقين المبنى على:

١ النص المحرف .

٢ ـ الفهم الخطأ .

٣ ـ التخريب العمد لثقافة الإسلام .

٤ ـ الكراهية للمسلمين .

النقطة الخامسة :

يدعى المستشرقون أن الموطأ كتاب فقه لا كتاب حديث وتلك واحدة أخرى من جهلهم مناهج التدوين للسنة فتدوين السنة له عدة مناهج :

١ ـ منهج الإسناد ، وهو المعروف اصطلاحياً بالمسانيد مثل مسند الإمام أحمد بن حنبل .

وهو أن يدون كل ما رواه راو واحد في مسند واحد .

٢ ـ منهج التبويب، حسب الموضوعات مثل كتاب الطهارة و كتاب الصلاة. وهذا ما فعله مالك ثم تبعه بعد ذلك البخاري ومسلم .

غير أن هـذا المنهج يتبع شخصية المدون . فان كان فقيها علق على كل حديث فيه حكم فقهي وذلك ما فعله مالك رضي الله عنه/و أشفعه بالنص على عمل أهل المدينة في أحاديث الآحاد ، وشروحه لبعض المفردات ولقد كان مالك محدثا وفقيها وكان الموطأ كتاب حديث لا كتاب فقه بدليل أن فيه إسناداً لأبي حنيفة ومحمد بن الحسن وأبو يوسف وهؤلاء أئمة مجتهدون والمجتهد لا ينقل عن مثله رأياً وإنما ينقل حديثاً .

والأوزاعي يروي عن مالك : والأوزاعي فقيه ومالك فقيه ، والرواية لا تكون في الفقه إنما تكون في الحديث .

يقول الإمام الشافعي : ما أعلم في الأرض كتاباً في العلم أكثر صواباً من كتاب مالك .

يقول ابن الصلاح : مقالة الشافعي قبل أن يظهر البخارى .

فالمقابلة دليل على أن الموطأ كتاب حديث لا كتاب فقه .

يقول سفيان بن عيينة : كان مالك لا يبلغ من الحديث إلا صحيحاً ولا يحدث إلا عن ثقات الناس .

وقال يحيى بن سعيد : كان مالك إماماً فى الحديث .

وهكذا ترون جهل المستشرقين وغباءهم وكذبهم ليوهوا ثقة المسلمين بثقافتهم وآراء علمائهم وصدق الله العلي العظيم .

« ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق » . (البقرة ١٠٩)

« يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين » . (آل عمران ١٠٠)

« ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم » (البقرة ١٠٥).

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون » . (آل عمران ١١٨)

الغرانيق والمستشرقون

الغرنيق هو الشاب الأبيض الجميل الذى يدل بعوده الفارع وبدنه القوى وتقاسيمه الوسيمة .

وصاحبنا السير وليم موير أحد رجال الفكر الاستشراقى الذين يتصدون للدراسات العليا وهو أحد رجال الغرانيق فيما مضى أيام شبابه ، وهو من ذوى القد والقدر فى الجمال والأفهام . وهذا الغرنيق وليم موير . واحد من المفكرين الغربيين الذين يتلمسون الهنات للطعن فى الإسلام مستخدما ادعاء البحث العلمى .

ان غاية البحث العلمى فى أصل ذاته وأسس منهجه هى الوصول إلى الحق . . مقدمات تبحث وتناقش وتجرب وتعاد تجاربها وتختبر من أجل أن تسلم عند الاستنباط منها نتيجة مسلمة عند الحق فى ذاته ، وعند الناس . . وعند الفكر .

وقد ادعوا أنهم لهذه الغاية السامية فى البحث العلمى يشترطون الحيدة عند البحث : يتجرد الباحث من كل عاطفة خاصة ، من كل مؤثر على الفكر نفسى أو اجتماعى أو ثقافى ليبحث حرا فى جو متعادل الزوايا والاتجاهات لتسلم المقدمات وتصح النتائج .

ادعوا هذا وخالفوه عندما بحثوا بعضا من مسائل الحياة الإسلامية ومن ذلك مثلا :

قصة الغرانيق .

نعم : أورد ابن سعد في طبقاته الكبرى ، والطبرى في تاريخ الرسل والملوك وكذلك المفسرون حديث الغرانيق .

وأوردوه وحصوه من نواح :

١ — مستوى الرواة .

٢ — المفهوم اللغوى لمعنى (تمنى)

٣ — المعنى في السياق العام

٤ — تكامل النصوص وتضافرها في حلقة البحث الإسلامى عن وجوب العصمة للانبياء جميعا :

وانتهوا إلى أن الرواية ضعيفة وأن الحادثة منكرة وأن الآيات لها جو دينى عام بعيد غن هذه الفرضية المدعاة . .

يقول القرطبي في افتتاحية هذه المسألة :

الأحاديث المروية في نزول هذه الآية . . ليس منها شيء يصح [1]

ثم ينقل بعد ذلك أقول العلماء :

١ — قال النحاس ، وهذا حديث منقطع وفيه هذا الأمر العظيم ، فيصف الحديث بأنه منقطع وأنه يحمل بهتانا عظيما ..

٢ — ويروى عنه كذلك :

قال النحاس ، وهذا حديث منكر منقطع [2] :

٣ — قال ابن عطية :

---

(١) ص ٤٤٧٢ جـ الشعب

(٢) ص٤٤٧٣ جـ ١ الشعب القرطبى

وهذا الحديث الذي فيه : هي الغرانيق العلا وقع في كتب التفسير ولم يخرج البخاري ولا مسلم ولا ذكره عالم مصنف مشهور[١].

٤ — قال القاضي عياض :

أما المأخذ الأول: فيكفيك أن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه بسند سليم متصل ثقة وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون الولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم .

قال أبو بكر البزاز : وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بإسناد متصل يجوز ذكره[٢] .

٥ — وكذلك فعل ابن كثير لقد أنكر كل رواية وردت في مستهل حديثه عن هذا الأمر العظيم الذى افتراه السوقه فقال :

ولكنها من طرق كلها مرسلة ولم أراها مسندة من وجه صحيح والله أعلم[٣] .

ومع هذا فان السير وليم موير يحاول أن يضيف إلى الروايات الضعيفة الواهية السند ، حجة يراها في نظره مقوية لشبهته .

تلك الحجة هى ، أن عودة المهاجرين من الحبشة بعد ثلاثة أشهر كانت نتيجة لما سمعوه من خبر الصلح بين النبي ﷺ وبين قريش عندما تلا سورة النجم وقرأ الآيات أفرأيتم اللات والعزى . . ثم ألقى الشيطان عبارته : تلك الغرانيق العلا وأن شفاعتهن لترجى ثم سجدوا جميعاً ومعهم المشركون لأنهم

---

(١) المرجع نفسه .

(٢) ص ٤٤٧٤ المرجع نفسه .

(٣) ابن كثير مجلد ٣ ص ٣٢٨ .

سمعوا ثناء على آلهتهم بعد أن كانوا يساءون بسبها وتسفيهها ، فحدث اللقاء بين الإسلام والمسلمين من جانب وبين الشرك والمشركين من جانب آخر .

هكذا شفى سير وليم موير غيظه بهذه الطعنة الخيالية للاسلام .

وسؤالان يوجهان إليه :

الأول ما هو رأيكم يا جماعة الغرانيق من المستشرقين فى سنة الرسول ﷺ هل تقبلونها بالإطلاق ؟ هل ترونها مرفوعة إلى النبي ﷺ مباشرة ؟ أو أنها من عمل المسلمين بعد نضوجهم الفكرى ؟

لقد ادعى المستشرقون أن السنة وضعت فى عصر النضوج الإسلامي ويريدون بذلك أن يقطعوا سند السنة المتصل ويوهوا عروتها الوثيقة المرتبطة بنبيها عليه أفضل الصلاة والسلام تلك السنة المطهرة التى ورثها إلى الأمة بألفاظها وأحاديثها ورجالها .

وحملها من بعده العدول الثقات المخلصون .

فلم يا مستر وليم موير قبلت حديثاً لم يرتضه علماء الإسلام بل أنكروه وضعفوه وردوه . . ؟ ألا يجوز فى احتمالات العقل أن مثل هذا الحديث المكذوب المردود وضع فى عصر النضوج على حد ادعاءاتكم ؟

ولم يكون احتمال عودة المهاجرين هو هذا السبب فقط ؟

ألم يكن فى عالم الدعوة حدث أكبر خطراً من هذا .

حادث إسلام عمر بن الخطاب الذى حول الحياة الإسلامية فى مكة من الاستخفاء إلى التظاهر بموكب يقوده النبي صلى الله عليه وسلم إلى ظلال الكعبة المشرفة . . وعلى طرفيه يمينا وشمالا عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب .

ألا يكون هذا الحادث كافيا فى شعور المهاجرين بالعودة ليكثروا سواد المسلمين فى مكة ؟ .

السؤال الثانى : نسلم لك جدلا بصحة الحادثة ؟

فلم لم ينته الخلاف بين الإسلام والشرك فى مكة ؟

لم كانت قطيعة قريش لبنى هاشم فى شعبهم ثلاث سنوات ؟

ثم لم كانت الهجرة من مكة إلى المدينة ؟

ثم لم كانت بدر وأحد والخندق .. الخ .. ؟

أنى سأعلمك يا مستر وليم موير كيف تفهم البحث فى قضايا الحياة الإسلامية . .

أولا : ترتكز قصة الغرانيق هذه على تفسير كلمة (تمنى) .

وعلى صحة سند الرواية لهذا التفسير .

وعلى تعدد الروايات الواردة فى تصوير القصة .

ثانياً : ارتباط الروايات بالنصوص الإسلامية الأخرى المتعلقة بهذا الجزء .

ثالثاً : المستوى الذى يرضى به الطرفان معا فيما يستقبل من العلاقات الدينية بينهما .

أولا : أما فيما يتعلق بتفسير كلمة تمنى فان إشكال الغرانيق يتأتى لو كان معناها قرأ فقط .

وقد قال صاحب الابريز : أن تفسير تمنى بمعنى قرأ والأحقية بمعنى القراءة مروى عن ابن عباس فى نسخة عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس

ورواها على بن صالح ، وقد علم ما للناس فى ابن أبى صالح وأن المحققين على تضعيفه وأذن فتفسير التمنى بالقراءة فاسد الرواية لضعف الراوى .

ثم هناك معنى آخر لكلمة تمنى وهو حدث نفسه .

قال القرطبي :

وقد قيل : أن معنى تمنى حدث لا تلا ، وروى على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله عز وجل « إلا إذا تمنى » قال : إلا إذا حدث . . وهذا التفسير سليم السند والرجال فهو أولى بالقبول ويكون المعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم يتمنى لقومه أن يشرح الله لهم صدورهم ويود أن يجرهم سريعاً إلى رحاب الإيمان ويريد الشيطان أن يوئسه فيبطل الله هذا الوسواس .

وإذن فاختيار تفسير تمنى بقرأ أو تلا تمحك يخالف منهج البحث المحايد ويفسده ضعف الطريق والسند ورد العلماء له .

وأما عن الروايات المصورة للحادثة فقد تعددت تعدداً يردها لقد قالوا فيها :

تلك الغرانيق العلا وأن شفاعتهن لترجى .

الغرانيق العلا أن شفاعتهم ترتجى .

أن شفاعتهن ترتجى ـ دون ذكر الغرانقة أو الغرانيق .

وأنها لهى الغرانيق العلا .

وإنهن لهن الغرانيق العلا وأن شفاعتهن لهى التى ترتجى[1] .

---

(١) ص ١٦٥ حياة محمد هيكل باشا .

وأما الذى سجد على التراب : فرواية تقول هو :

الوليد بن المغيرة .

وأخرى تقول هو :

أمية بن خلف(١) .

وعدم الاتفاق فى الرواية يردها .

ذلك منهج عنـــدنا يا مستر وليم موير وعليك أن تقبله .. فرب الدار أدرى بما فيها ..

ثانيا : أما فيما يتعلق بالنصوص الأخرى .

فان الموقف فيما يتصل بالمساومة من أجل الحل النصفى قد رفض منذ اللحظة الأولى .

لقد جاء القوم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعرضوا عليه المـال والجاه والرياسة والعلاج فرفضها جميعاً وقال :

« والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه .

والقرآن الـكريم نفسه يسجل هذا الرفض فى سورة أطلق عليها اسم « الـكافرون » .

« قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون .... الآيات » .

---

(١) ٤٤٧٣ جـ ١ الشعب القرطبى .

فما قيمة حادث الغرانيق لو صح بالنسبة لهذه النصوص المتعلقة بأسس الدعوة (توحيد الله) .

وهل المرسلات يا وليم موير تقبل عندنا فى الأحكام والقوانين حتى نسلم بها فى العقائد . . . . ؟

إن البـاحث فى نظر الشريعة الإسلامية لا عليه أن يرفض الأحاديث المرسلة فى الأحكام فـكيف تقبل فى مسألة العقيدة التى تحددت بمئات من الآيات الواضحة الصريحة .

أبعـــد .

« قل هو الله أحد ، الله الصمد،لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » تـكون هناك مساومة ؟ .

أبعد : « فاعلم أنه لا إله إلا الله » تكون هناك مصالحة . . . . ؟ ؟

ثالثاً : أما فيما يتعلق بالمستوى الذى يرضى به الطرفان فقد صورته آية سورة الأنعام .

قل أى شىء أكبر شهادة ؟ .

قل : الله شهيد بينى وبينكم ، وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ، ائنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ؟ .

قل : لا أشهد .

قل : إنما هو إله واحد .

وإننى برىء مما تشركون .

وبعـد :

فان العربية لم تعرف إطلاق هذا الإسم الغرانيق على الأصنام لا من قبيل الاسم ولا من قبيل الوصف ولم يتداوله العرب فى شعرهم ولا فى نثرهم ، وكل ما يحمله القاموس لهذه الكلمة « الغرنيق » إنه اسم طائر الماء الطويل العنق وقد يطلق على الشاب الأبيض الجميل ولذلك دعوتك به ياسير وليم موير لأنك أبيض وجميل فهل بقى لديك شيء عن الغرانيق ؟

(أ) بقى أن نقول : لهذا يرى ابن اسحق وقد سئل عنها فيقول: هى من وضع الزنادقة ويقول الإمام أبو بكر بن العربى : أن جميع ما ورد فى هـذه القصة لا أصل له .

على أن آية الحج التى تعتمد عليها فى الاستدلال على قصة الغرانيق لم تسعف الباحثين متلقفى الهنات المتربصين بالطعنات للحياة الإسلامية .

إن هذه الآية نزلت أيام الهجرة بين مكة والمدينة ، وسورة النجم من أوائل السور التى نزلت قبل الهجرة فهى فى الترتيب للسور المكية مكانها الثالث والعشرون من ست وثمانين سورة مكية هى مجموع ما نزل بمكة وسورة الحج مدنية ومكانها السابع عشر من السور المدنية التى نزلت بالمدينة وعددها ثمانية وعشرون .

فأى علاقة بين مايدعيه الغرانيق المستشرقون فى سورة النجم وحقيقة عامة فى كل الرسالات فى سورة الحج وبين نزولها سنوات طويلة ؟؟؟

(ب) على أنك يا غرنيق سير وليم موير وأصحابك تستعملون دائماً مع المسلمين منهج المباغتة تهاجمون أحداث الحياة الإسلامية بتضليل مفضوح فليس فى النص ذاته ما يشير إلى وجود حادثة فردية حتى يتمحل لهـا كل هذا الإفك .

فالنص يقرر أن هذه قاعدة عامة في الرسلات كلها مع الرسل كلهم

« وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته » فلابد أن يكون المقصود أمراً عاماً يستند إلى صفة الفطرة مشتركة بين الرسل جميعاً بوصفهم من البشر مما لا يخالف العصمة المقررة للرسل .

إن الرسل عندما يكلفون حمل الرسالة إلى الناس يكون أحب شيء إلى نفوسهم أن يجتمع الناس على الدعوة ، وأن يدركوا الخير الذي جاءوهم به من عند الله فيتبعوه . . ولكن العقبات فى طريق الدعوات كثيرة ، والرسل بشر محدودو الأجل وهم يحسون هذا ويعلمونه ، فيتمنون لو يجذبون الناس إلى دعوتهم بأسرع طريق .

يودون مثلا لو هاودوا الناس فيما يعز على الناس أن يتركوه من عادات وتقاليد وموروثات فيسكتوا عنها مؤقتاً لعل الناس أن يفيئوا إلى الهدى ، فاذا دخلوا فيه أمكن صرفهم عن تلك الموروثات العزيزة . ويودون مثلا لو جاروهم فى شيء يسير من الرغبات وجاء استدراجهم إلى العقيدة على أمل أن تتم فيما بعد تربيتهم الصحيحة التى تطرد هذه الرغبات المألوفة ..

يودون . . يودون . . على حين يريد الله جل شأنه أن تمضى الدعوة على أصولها الكاملة التي قدرها وحدد موازينها الدقيقة ، ثم بعد ذلك فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .

فالكسب الحقيقي للدعوة فى تقديرها الباقى الكامل هو أن تمضى الدعوة على أصولها وفق الموازين الإلهية التى قدرت لها ولو خسرت أشخاصاً فى أول الطريق ، فنى نهاية المطاف إذا استقامت الدعوة

على أصولها فسوف ينثنى هؤلاء الأشخاص أو من هم خـير منهم إلى أصول الدعوة .

وتبقى الدعوة سليمة لا تخدش من عوج أو إنحناء .

ولكن الشيطان يريد أن يكيد للدعوة بمـا يجد من تلك الرغبات البشرية ومن تصرفات يترجم عنها لتحويلها عن قواعدها وإلقاء الشبهات حولها ولكن الله يحول دون كيد الشيطان وكيد أعوانه .

وكفى بربك هادياً ونصيراً .

فأين غرانيقك يا مستر موير من هذه القاعدة العامة ، ولو صحت عندك فقد طعنت بها دينك وكل دين من قبل ومن بعد ..

وصدق الله العلي العظيم :

«وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً»

إنها ليست غرانيق الشيطان فحسب تلك التى تشوش على دعوة الله .

ولكنها مع ذلك غرانيق المفترين والمستشرقين جميعاً .

ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم .

وملخص الموضوع :

أن المستشرقين اعتمدوا على حديث مردود عند علمـاء الإسلام ، وهو مغالطة علمية يرفضها البحث الإسلامي وأنهم تصوروا خيالا واسعاً فجعلوها فى مشهد عام فتكون لها صفة التواتر عند الرواية مع أن الأحاديث المروية ليست كذلك .

إن معنى « تمنى » ليس قرأ ولا تلا على القطع بأحد المعنيين فهناك احتمال لغوي رابع بمعنى حدث نفسه ، وهذا المعنى الأخير يتفق مع السنة العامة لحالة الأنبياء وهم يدعون أقوامهم : إنهم يحاولون هداية أقوامهم ويحاول الشيطان

أن يصدهم عن تلك الهداية والله يصور ذلك فى حياة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام « لعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » .

على أن آية الحج ليست مكية وهى الآية التى يعتمد على تأويلها الفكر الاستشراقى بل هى مدنية نزلت يوم الهجرة بين مكة والمدينة والحادثة المدعاة وقعت ادعاء فى مكة فكيف يستدل بآية نزلت بعد الهجرة على واقعة يدعى أنها وقعت أمام جمهرة بمكة المكرمة ؟

لعل الفكر الإسلامى المعاصر يستيقظ ويعى ويلتزم ويستمسك بالذى أوحى إليه من عند ربه ، فالعاقبة للمتقين .

منهج العلماء
فى ضبط إدراك الحكم الشرعى

(أ) التشريع وسياسته فى الاسلام

أولا : فى ظل النبوة الإسلامية:

كان المجتمع العربى قبل الرسالة المحمدية مجموعة من القبائل التى يسيطر عليها حكم العرف القبلى المسنون من العادات والتقاليد الموروثة . فلم تكن عندهم فكرة التقنين ، لسهولة الاتصال اليومى ، وتقارب أفراد المجتمع فى الدم ، والعصبية .

والقوانين تظهر دائماً عندما يتركب المجتمع تركيباً معقداً يصعب معه احترام العادات والتقاليد الموروثة كنظام يملى إرادته ، ويحدد سلوك الناس داخل منطقة التعاشر اليومى .

فلما جاءت رسالة الإسلام الإنسانية ارتفعت بالجنس البشرى من دائرة الحكم الخاضع للتقاليد التى تحدد دائرة المجتمع بالصغر والذاتية ، والقومية العنصرية ، إلى دائرة الحكم الإلهى العام لجميع الناس ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم أصرهم والأغلال التى كانت عليهم .

وكان الصحابة رضوان الله عليهم بما مارسوه فى بدء الدعوة من تدريب على عالمية الحكم الإسلامى ، وارتفاعهم بدينهم فوق العصبية ، والعنصرية

إلى عالمية الإنسانية بالإسلام الحنيف قد أدركوا أن الفكر التقنيني العادل لمجتمع الإسلام مرجعه الأساسي : الله ، ورسوله فاستقبلت صدورهم المشرقة بنور الإيمان كل حكم يحل حلالا أو يحرم حراماً بعقيدة ثابتة أنه هو ذلك المستوي الفاضل لحياة الإنسان فمن أصدق من الله حديثاً ؟ فالقرآن يترى به الوحي آنافآنا ، والأحداث تتولد مع نمو المجتمع ، والرسول ﷺ يشرع بما يوحي إليه ، وبما يفسره ويبينه بالسنة لجانب من الذى أوحى إليه « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » .

ومع هذا فقد أخذت عملية التشريع منهجاً فريداً يدرب النفوس على استقبال الحكم . فبعد أن ثبتت العقيدة درج الله وقسط فى الأحكام .

ومع التدريج والتقسيط هيأ الله النفوس لتقبل الحكم الشرعي : فأخذت الأحكام تتوزع مع وجود الحاجة خطوة بعد خطوة ، وكلما أشرفت أنوار الإيمان فى الصدور حج الناس إلى رسول الله ﷺ يسألونه :

يسألونك عن اليتامى ؟

قل : إصلاح لهم خير .

— يسألونك عن الخمر والميسر .

قل : فيهما أثم كبير ومنافع للناس .

— يسألونك عن المحيض ؟

قل : هو أذى اعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن .

— يسألونك ماذا ينفقون ؟

قل : ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين .

— يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ؟

قل : قتال فيه كبير .

— يسألونك عن الأهلة ؟

قل : هي مواقيت للناس .

فالمجتمع يسأل ، والوحي يترى ، والرسول ﷺ يجيب ، وينبوع إجابته وحي الله ، « ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » .

وعلى قدر طاقة العباد منح الله الناس الدين والشريعة بالتقسيط والتأني « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » . (النساء)

« يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم » . (النساء) .

« لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » (البقرة) .

فقد استمرت الدعوة في عصر وجودها المكي زهاء ثلاثة عشر عاماً تحرر القلوب والعقول من الشرك الحجري ذلكم الذي يحقر كرامة الإنسان ، ويبعده عن الكيان البشري وتخرجهم إلى الحق والعدل والنور بشهادة التوحيد ، فلما تجمع للدين طائفة موحدة وقيادة أمينة بعد أحد عشر عاماً في مكة فرض الله الصلاة كوصلة تشرف الإنسان في اتصاله بربه وتكون ركيزة الأسس للعلاقات الاجتماعية لتستمر الرقابة الاجتماعية التي هي مصدر حماية القوانين متصلة بالله الحق حتى يكتمل للبشر أساس حريتهم فالكل لله عبد والكل ينبغي أن يراقب الديان الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، وذلك وحده هو عصب العدل والخدمة الاجتماعية التي تبذل حسبة لله وابتغاء مرضاته :

« إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً » (الإنسان).

ثم انتقلت الدعوة إلى المدينة بعد جهاد ثبت قواعد الحرية والعدل « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » ، ليهيئ المجتمع الذي رغب بنفسه في قبول الإسلام

كنظام للدولة ، وبايع على هذا مرتين للمسئولية التاريخية فكان التشريع القانوني الذى درجه الله وقسطه :

فرض الجهاد فى السنوات الأولى من الهجرة : حماية للدعوة ، والمجتمع ورداً للمعتدين :

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير » .

فرض الله الزكاة وفرض أحكاماً عدة ثم فرض الله الحج فى الأعوام الأخيرة للرسالة :

« ولله على الناس حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا » (آل عمران) .

وهي أحكام لا تتنافى مع سلوك موروث فى المجتمع ، ومع هذا فقد خفف الله عن الأوائل حتى تتهيأ نفوسهم بعد رسوخ العقيدة لتقبل شريعة الله بالهنيهة بعد الهنيهة ليثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة.

أما الأحكام التى لها صفة الجبرية لأنها تغير سلوكاً موروثاً فقد أخذت منهجاً خاصاً فى عملية التدرج والتهيئة فالأساس العام الأكبر « يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً » .

فالخمر : كانت عادة عالمية درج عليها جل المجتمع العربى مثل كيفية المجتمعات العالمية التى اتخذتها شراباً مألوفاً ، فلما جاء الإسلام لم يهدف باديء ذيء بدء لكشط تلك العادة التى تلغى عقل الإنسان الذى يعد فى العرف المنطقى الميزان الفاصل بين الإنسانية فى البشر ، والحيوانية فى البهيم ، فانه مع فحش آثار الخمر من وجهة نظر المنطق السوى لكرامة الإنسان كان من العسير على الأمزجة أن تتقبل دفعة واحدة تحريم الخمر ، رغم أن فى التحريم تبجيلا ، وتكريماً لمنزلة الإنسان ، ولكن الله رأف بالعباد فدرج فى التدريج ؟ :

١ — فعندما سئل منها النبي ﷺ نزل الوحى يتلو :

« يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس » .
(البقرة)

فقال الناس : قال الله فيها إثم ولم يقل حرام ؟ واستمروا .

٢ ـ فلما خلط الناس صلاتهم بشرابهم ، قال عمر : اللهم أرنا بياناً فى الخمر ؟ فأنزل الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » .
(النساء)

فامتنع بعضهم عنها بتاتاً ، وتناولها بعضهم فى غير أوقات النهى الموضحة في الآية .

فتهيأت بذلك نفسية المجتمع كله للحكم الأخير .

٣ ـ فأنزل الله تعالى ـ فى أواخر حياة التشريع بالمدينة .

إنما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون .
(المائدة)

فانتهى المجتمع كله انتهاء تحميه تلقائيـة الرقابة الدينية التى مردها « اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » ، وتزكيه النفس الراضية ، ويسعد به العقل الذى تبجل ، وتنشرح به الصدور التى استقر فيها الإيمان بالإرادة .

ومثل هذا من الأحكام التشريعية التى تغير تقاليد المجتمع القديمة : الزواج من زوجة الابن الدعى ، فقد شب المجتمع على تقاليد أسرية لا تتفق مع مقررات الإسلام .

فالتبنى قد ألغاه الإسلام :

« أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في في الدين ومواليكم » . (الأحزاب)

فأبطل بذلك علاقة البنوة ، واستبدلها بعلاقة الإخوة الدينية التي هي كرم في نظر العقيدة والحق ، والأقوى في سياج التشريع إذ الأخوة الدينية أساس التضامن الإنساني في داخل التعاشر الاجتماعي :

« المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم ».

« المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً » .

غير أن آثار ذلك الإلغاء يحتاج إلى تهيئة خاصة ، فاختار الله لهذه التهيئة أرقى أسرة في المجتمع الإسلامي تملك ضبط حدة إنفعالات التجربة التي تجابه نظاماً موروثاً منذ الآباء صار له حكم العادة الجبرية اللازمة فكان زواج زيد بن حارثة مولى سيدنا رسول الله ﷺ من ابنة عمة النبي ﷺ زينب بنت جحش :

(أ) رفض أخوها عبد الله أولا خطبة النبي ﷺ زينب لمولاه زيد حسب التقاليد الأسرية المتوارثة فنزل قوله تعالى :

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » . (الأحزاب)

فقال عبد الله : سمعنا وأطعنا يارسول الله .

(ب) وتزوج زيد من زينب ، وأخذت العلاقات الزوجية مستواها الطبيعي من الود تارة والخلافات أخرى ، حتى شاء الله واحتدم النزاع ، وطلقت زينب.

(ج) فأمر الله نبيه ﷺ أن يتزوجها إعلاناً بتشريع جديد يلغي أفك التقاليد القديمة .(ولم يكن في الأمر شيء أكثر من ذلك ومن زادفقد ابهت) .

يقول الله تعالى :

« فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا » .

وهكذا كانت حكمة الله جل شأنه اختيار الأسرة الأولى فى المجتمع الإسلامى لتتحمل مسئولية تغيير العادات التى دأب عليها المجتمع أحقاباً قديمة من الزمن لأنها وحدها التى تملك القدرة على ضبط إنفعالات التجربة القاسية .. وتزيدها أوامر الله شرفاً فترضخ لحكم الله بلا تفلسف ، إذ غيرها من الأسرات لا يقدر أن يواجه أحداث تجربة مهمتها تغيير عادة لازمت العقول ، وخالطت السلوك حتى صارت واحدة من فقه اللزوم الاجتماعى منذ مئات السنين وصارت ديناً وخلقاً وقانوناً .

ومع تلك الرحمة الإلهية فى التشريع كان الصحابة رضوان الله عليهم حريصين على تلقى العلم من رسول الله ﷺ ، وكان يكفى المحتاج منهم لحكم من الأحكام أن يسمع القرآن من النبى ﷺ فيغنيه حاجته من التلاوة فالقرآن عربى ولسان الرجل عربى ، والذكاء العربى عربياً خالصاً على الفطرة ، كما كانوا رضوان الله عليهم يستفسرون فى كل ما يعن لهم ، ويتبعون الرسول فى كل ما يرونه منه من فعل ، يروى القاضى عياض فى شرحه لاشفاء عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ يصلى بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعها عن يساره فلما رأى القوم ذلك ألقوا نعالهم فلما قضى صلاته قال : ما حملكم على إلقاء نعالكم ؟ قالوا : رأيناك ألقيت نعليك ، فقال : إن جبريل أخبرنى أن فيها قذراً » .

وبهذا الاتباع المحمود كان للمسلمين فى رسول الله أسوة حسنة فانتفعوا بالإسلام ومكنوا لدين الله فى دولة تحمى العدل وتحمى كرامة الإنسان من موت الجاهلية الأولى ؟

ثانياً ـ في ظل الصحابة :

تحمل الصحابة من بعد النبي ﷺ مواريث الدولة الإسلامية . . فاتسعت رقعة الدولة ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، فكان على عاتقهم ـ وهم أمناء ـ أن يوضحوا للرعية أحكام الله ، وهم لذلك رأوا أن الحيطة في الحكم الشرعي تستلزم التثبت من نسبة رواية الحديث إلى النبي ﷺ فأخذت هذه الحيطة أسلوباً خاصاً حسب رأي وبصيرة الإمام رئيس الدولة :

١ ـ فسيدنا أبو بكر رضي الله عنه يراها مع الشاهد الآخر كما جاء في حديث توريث الجدة : ما كان يعلم أبو بكر رضي الله عنه أن لها شيئاً ثم استفتى الناس فروى المغيرة أنه سمع النبي ﷺ يعطيها السدس فطلب أبو بكر معه شاهداً فشهد معه محمد بن مسلمة ، فقويت نسبة الرواية إلى رسول الله ﷺ فأنفذه أبو بكر رضي الله عنه .

٢ ـ ومثل ذلك الصنيع من التثبت بالشاهد عمل سيدنا عمر رضي الله عنه إذ سلم عليه أبو موسى ثلاثاً فلم يجبه فرجع فسأله عمر : لم رجعت ؟ فروى أبو موسى حديثاً عن النبي ﷺ « إذا سلم أحدكم ثلاثاً فلم يجب فليرجع » فطلب منه عمر بينة وإلا نكل به فذهب أبو موسى إلى أصحابه ممتقع اللون وسألهم الشاهد فأرسلوا معه من يشهد له بصحة الرواية .

٣ ـ وكان للامام على رضي الله عنه منهج خاص فقد كان يكتفي بالقسم يحفظ تاريخ السنة عنه كرم الله وجهه « وكان إذا حدثني غيره ـ يعني غير النبي ﷺ استحلفته » .

مع هذا الجو من الرياسة الإسلامية الأمينة الواثقة في شخصية رئيسها كان الناس يستقون الأحكام من الصحابة رضوان الله عليهم وهم جميعاً عدول أعدل ما تكون العدالة ، وأمناء أدق ما تكون الأمانة بأيهم اقتدى الناس اهتدوا وفازوا .

ومن ألمع مايحمله التاريخ ويورثه للعلماء الذين احتسبوا أنفسهم للدعوة أن الفتوى فى ظل الصحابة أخذت ثوباً فكرياً فريداً بالتعاون ، والعودة إلى الأدق في الحكم والاختلاف فى الرأى لايفسد وحدة الأمة فقد روى أن رجلا قتلته أمرأة أبيه وخليل لها فرفع الأمر إلى عمر ، وهو رئيس الدولة ، فتردد ، هل يقتل الكثير بالواحد ؟ فعرض القضية على فقيه الدولة ومفتيها على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكرم الله وجهه وقال له : أرأيت لو كان نفراً اشتركوا في سرقة جزور فأخذ هذا عضواً وهذا عضوا أكنت قاطعهم ؟ قال عمر : نعم ، فقال على : فكذلك ، فعمل عمر برأيه فاقتص من الكثير للواحد .

وإذا كانت هذه الفترة من التفكير تمتاز :

١ - بالحيطة فى الحكم الشرعى .

٢ - وبالحيطة فى دليله .

٣ - وبالتعاون فى الفتوى .

٤ - فهى كذلك تمتاز بمراجعة الفتوى والعدول عنها إذاً بان أن الحق فى غير جانبها .

فقد رفعت إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه مسألة فى الميراث تسمى (المسألة المشتركة) .

وهى التى مات فيها امرأة وتركت : زوجاً ، وأما ، واخوة لأم ، واخوة أشقاء قسم عمر الميراث حسب الفروض المحكمة : للزوج النصف ، وللام السدس ، وللاخوة للام الثلث ، وعلى ذلك فلم يبق للأخوة الأشقاء شىء من الميراث ، فقالوا لرئيس الدولة عمر : هب أن أبانا كان حجراً فى اليم ، ألسنا أبناء أم واحدة ؟ فعدل عمر عن فتواه وأشركهم فى الميراث .

وكان عمر دائماً يقول : لولا على لهلك عمر « وبهذا يرث العلماء فى العصر الحديث هذه المواريث عساهم يقدموا لدين الله شيئاً من الواجب المقدس.

ثالثاً : بعد الفتح الإسلامى :

ومع اتساع الفتوحات الإسلامية فى شمال أفريقيا ، وشرق آسيا وغيرهما انتشر العلماء من الصحابة فى الأمصار والبلاد التى حقق لها الإسلام آمالها فى الحق والعدل والكرامة فألتف الناس حولهم ينهلون من فيوضات علمهم وأبحر فقههم ويسألون فيفتون فيعلمون بما انتفعوا به من الهدى فيحيون حياة الكرامة التى أرادها لهم الإسلام الحنيف .

ـ فكان فى (المدينة المنورة) أبو هريرة . وأبو سعيد الخدرى ، عبد الله بن عمر ، وزيد بن ثابت .

ـ وكان فى (مكة) عبدالله بن عباس .

ـ وكان فى (الكوفة) عبد الله بن مسعود .

ـ وكان فى (البصرة) أنس بن مالك .

ـ وكان فى (مصر) عبدالله بن عمرو بن العاص صاحب الصادقة .

ـ وكان (فى الشام) معاذ بن جبل [بعد انتهاء مدته فى اليمن] .

رضى الله عنهم جميعاً .

فحملوا للناس السنة ، وعلموا الناس فقه الإسلام كما تحملوه هم من رسول الله ﷺ وافتوا بما أطمأنت إليه النفس ووثقت فيه الذمة وأرضى الله ورسوله ونصح للأمة فكانت دولة الإسلام التى خلفها محمد ﷺ ماتزال فى ثوبها الموحد وثقافتها الرفيعة التى ترطب كبد الحرية ، وتقوى أزر الصديق

وتوفر العدل للبشر جميعاً كما أمر الله وأرشد نبيه ، ووصى به القرآن والسنة والخلفاء الراشدون من بعد .

وكان لهؤلاء الإساتذة والشيوخ الكبار تلاميذ وأبناء حملوا عنهم العلم والفتوى والفقه والفهم ، فانتقلت على أيديهم رسالة الدين يعلمون ، ويهذبون البشر فلما اختلط الفكر الإسلامي الصافى بالفكر البشرى القديم ذي الحضارة العتيقة واختلطت الأنساب والدماء ظهرت ثقافة جديدة خليط من ثقافة الكهوف التى احتفظت بها النفسيات اللاشعورية من أبناء القوميات العريقة فتميعت :

١ ـ عروبة الخاطر واللفظ السليق وامتزجت الفكرة الإسلامية بخليط من الثقافات الأولى التى دخل أهلوها فى دين الله أفواجاً ، ومع حلاوة الإيمان استبقوا طلاء ثقافتهم الأولى فلم يستطيعوا الخلاص منها فقد استقرت فى الدم استقرار المواريث الأخلاقية والصفات .

٢ ـ كما خفت الرقابة الدينية ، ووهت العزائم ، وصار للدنيا طلاب ألهتهم حياتهم عن العمل والفقه ، وساعد على هذا اللهو ، ضعف القدرة المعرفية ، وبلادة الذوق والتذوق للقرآن ، والسنة ، بالإضافة إلى خليط العبث السياسى الذى منيت به الأمة وتميزت به أحقابا من الزمن ليست بالقليلة فى عمر البناء فأخذت العبادة المحل الثانى فى النفوس ، وصار الإسلام ملكاً عضوداً يحتاج ملكه إلى المؤازرة ، والتعضيد فصارت الإمامة للدنيا وجعل الدين تابعاً فنسى الناس رسالة الحق وابتعدوا عن الدين روحاً وسلوكاً وهنا ألحت الظروف : الفكرية والسياسية ، والاجتماعية ، على وجود العبقرية العابدة الطاهرة الأمينة الزاهدة الجرئية ، لتدرك للناس الحكم الشرعى من أصوله الرئيسية : القرآن ، والسنة الصحيحة ، بعد أن عالج الناس سوء الحياة فلجوا فى أخطارها وولغوا فى طهر المياه بما اخترعوه بهتاناً فأفسدوا حقائق

العلم التى يرتوى بها فكان ذلك مبدأ فجر جديد صادق لاتجاهات الفقه الإسلامي بذل فيها الأمناء الصادقون النصيحة لله ولرسوله وللأئمة المسلمين وعامتهم أقصى الجهد لتقديم الحكم الشرعى :

-- ثابت الدليل .

-- مؤسساً على الحجة .

ليأخذ الناس أحكام الشريعة من مدارك الفقهاء الذين وظفوا أنفسهم فى سبيل الله لا من أجل دنيا أو جاه أو رزق بل ابتغاء مرضاة الله وخدمة للدين الحنيف وتأدية للواجب ورعاية للمجتمع الإسلامى الذى يجب له النصح والتوجيه على سنة الله ورسوله .

وفى خلال عملية إدراك الحكم الشرعى من مصادره الأصلية أخذت الوسائل عدة أنواع : تعددت وتنوعت عند العلماء الكبار بناء على ظروف العصر ومقتضيات الفكر فى المنطقة .

* فالإمام أبو حنيفة رضى الله عنه فى العراق يسند دليل النقل برأى العقل لأن البلد الذى هو فيه بلد حضارة مارسوا الأدب والنقاش والتفكير والذين تمرنوا على هذا الأسلوب يعوزهم فى إدراك الحكم وتقبله إدراك العلة العقلية ليتسق مع الوجدان اقتناع العقل .

* والإمام مالك رضى الله عنه فى المدينة المنورة يحترم عمل أهل المدنية كواحد من وسائل استنباط الحكم الفقهى لأنهم المخالطون العارفون الأقربون من سنة النبي ﷺ .

* والإمامان الشافعى وابن حنبل رضوان الله عليهما فى الحجاز بلد الحديث ومواطن الدعوة يشدون أيديهم على السنة لأن المجتمع مجتمع مولد

الرسالة فتح عينيه القانونية والثقافية على نور النبوة لاغير ومن قبل كانت أمة أمية .

والكل ملتزم في عملية الأجتهاد والأستنباط بأصول التشريع : القرآن والسنة والإضافات فى الوسائل التى بها يدرك الحكم إنما اقتضتها ظروف البلد دفاعاً عن الدين لاحباً فى هوى ، ولاأساساً للاختلاف بين الناس ، ولامشاحة فى هذا الأختيار ولايمكن لأحد أن يطعن فالأئمة فى مركز من الطهر لم يبلغه واحد من علماء العصر الحديث : هم أرادوها لله ، ونحن نريدها للدنيا . وهم أحاطوا بالأصول ونحن مازلنا نحبوا فى روضتهم وبعـــد لم نبلغ الدرجة الصغرى .

وفى خلال العمليات الأدراكية الأستنباطية للحكم الشرعى ظهرت قواعد ضبط إدراك الحكم الشرعى الفقهى التي جعلت منهجاً للعلماء فى عملية الأجتهاد والتى أشتهرت فى العلم بين الناس بأنها علم (أصول الفقه) .

وإذن :

فأسس التشريع الإسلامي : القرآن ، والسنةالإسلامية الصحيحة وطريقة الأجتهاد : هي : عملية إدراك الحـكم الشرعى القائمة على شروط خاصة فى المجتهد .

وآلات الأجتهاد : هى : الاجماع ، والقياس بالإتفاق غالباً ، وبزيادات تخضع لظروف بلد الإمام : مثل: عمل أهل المدينة ، والاستحسان والمصالح المرسلة ... إلخ .

وعلى هذا النمط عرف الفكر الإنسانى :

منهج العلماء فى ضبط إدراك الحكم الشرعى حتى شهد الخصوم لعلماء الإسلام بالسند المتصل ، وبفضلهم فى تحمل الأمانة العلمية .

(ب) حول تدوين منهج العلماء فى إدراك الحكم الشرعى

أولا : المبدأ :

الأحكام الفقهية :

هى نتائج البحوث المكتسبة من الأدلة التى فصلت هذه الأحكام ، والبحث للوصول إلى هذه الأحكام له أصول : هي مصادر إستندت الأحكام إليها وهذه المصادر هى :

القرآن ، والسنة

وعملية البحث لاكتساب هذه الأحكام الفقهية من مصادرها الأصلية هى الطاقات الفكرية الأمينة التى بذلت خدمة لدين الله للتعرف على هذه الأحكام رعاية لسلوك المجتمع على شريعة الله ، وآلات البحث الكاشفة عن هذه الأحكام التي تستخدم فى عملية البحث : إما أن تكون الإجماع ، أو القياس ، أو أنواع أخرى من آلات الإستدلال التى أقرها العلماء أو وثق فيها الإمام المجتهد .

والأحكام الفقهية بهذا المعنى متأخرة فى مولدها عن عصر النبوة والصحابة.

إذ فى الصدر الأول لم يكن المسلم فى حاجة للحصول على حكم شرعى أكثر من الرجوع إلى النبي ﷺ ، أو أن يسمع القرآن ، فيفهم المراد ، أو يبلغه الحديث فيكتفيه العلم بالسند ليدرك مبلغ صلة الحديث بالنبى ﷺ لقرب الزمان ، ووضوح الأحوال ، وشدة الرقابة الدينية فى النفوس .

وقد سمح رسول الله ﷺ للمبعوثين من قبله إلى المسلمين فى البلاد البعيدة أن يفتوا بما أطمأنت إليه نفوسهم على نحو ماهو مشهور فى حديث سيدنا معاذ بن جبل رضى الله عنه ، حين ذكر للنبى صلى الله عليه وسلم أنه سيقضى بين الناس بما فى القرآن فان لم يجد فيها فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

فان لم يجد فسيجتهد ولايقصر ، فان إدراك المعانى من ألفاظها ، وإستنباط الحكم من أدلته ، ومراعاة الروح الإسلامية فى بناء الدولة وإقامة العدل ، جبلة فى نفوس الصدر الأول اشرقت بها الصدور إشراقة الحلاوة بالعقيدة فكانوا على نور وهدى من الله ، ومن يهدى الله فهو المهتد .

ثانياً : المولد :

فلما انقرض السلف ، وانقلبت العلوم صناعة ، وإختلطت الملكات ، وضعف الفكر ووهيت القريحة وصار العلم مستورداً بمشاغل الدنيا وأقبل الناس على الحياة يلهون ، وأحدثت فتن كالليل المظلم ، ولدت اضطرابات فى فى المرويات ، وأدخلت الهوى المتبع على الحق الأبلج حتى تشككت الأحوال ، فاضطر الناس إلى قواعد تعصم إدراك الحكم الشرعى من مظنة الخطأ فعمد إلى ذلك الفقهاء فمزجوا الحكم بقاعدته فنشأ عن ذلك أسلوب فقهى ممزوج بجم من قواعد الأستنباط ، يضبط كل أمام بهذه القواعد إدراك الحكم الشرعى على قدر بصيرته وغاية جهده :

- فكتب الإمام أبو يوسف ، وصاحبه الإمام محمد بن الحسن الشيبانى جملة من تلك القواعد .

- وأشار إلى قدر منها فى موطأ الإمام مالك بن أنس .

فكانت تلك الكتابات المبدئية المختلطة بالفقه مرحلة المولد لعلم أصول الفقه الإسلامى من غير أن يكون له الاسم الرسمى المشهور به حالياً ، أو له كتاب خاص بقضاياه وحده .

ثالثاً : النمو :

فلما كان الإمام الثبت محمد بن أدريس الشافعى رضى الله عنه تطور به

المولد إلى علم مستقل كامل أملته ظروف الحياة في ذلك العصر الذى هاجم فيه الملاحدة كتب السنة، وأسرف المتشرفون بالكلام في موضوعات تفاضل بين تقديم القياس على خبر الواحد ... الخ

فانبرى لهم الإمام الشافعي كمنافح عن مصادر التشريع الإسلامي ومدافع عن حياض السنة ، وينابيع الثقافة الإسلامية ، ووسائل إدراك الحكم الشرعى فان الشريعة الإسلامية شريعة الحياة مدى الأجيال البشرية ، والأزمان كلها ، وجوهر عالميتها ، ولاستمرارها هو: القرآن والسنة ، وغلاف هذا الجوهر هو: ضوابط إدراك الحكم الشرعى التى تضمن للتشريع الإسلامي السلامة من اتباع الزيغ ، وشطط الأهواء في عملية الاجتهاد . فيتبع الناس باسم الحق أهواء الضلالة والذين يضلون ... فيتدرب المجتمع على جحود الشمس وهي في كبد السماء .

فجمع الله بجهود الشافعي مدخرات الأولين من العلمـــاء ، وصنف فيه المراجع العلمية الأمينة وسماه « أصول الفقه الإسلامى » فكان بدء إزدهار التصنيف والكتابة في هذا العلم الذى يمنع الله به ضلالة الفكر عن الصراط المستقيم ، لمن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا ؟ .

وأول ما وصل إلى الفكر الإسلامى من مادة علم أصول الفقه هو مادونه الإمام الشافعى ومن قبل كانت المادة مجموعة من القواعد منشور في ثنايا قضايا أحكام الفقه على أنها أدلة إدراكها ليلمح منها المسلم أصل الحكم الشرعى فجزاه الله وجزى معه السابقين من أئمتنا خير الجزاء على ما قدموه من علم يحرس الله به مستقبل شريعته وينفع به من يشاء من عباده السالكين إليه طريق المحجة البيضاء .

رابعاً : من ثمار النمو :

ثم انفتح باب التدوين والكتابة في علم الأصول حتى كانت له ثمار جمة الأنواع والتصانيف كان في مقدمتها :

١ — رسالة الإمام الشافعي التي تكلم فيها عن القرآن ، وعن السنة ومنزلتها من القرآن وتكلم عن الناسخ والمنسوخ ، وعن علل الحديث والإجماع ، والقياس ، وخبر الواحد . .

٢— ومن بعده تتابع المنافحون عن الشريعة : فكتب الإمام أحمد بن حنبل في موضوعات أصول الفقه ثلاثة كتب: كتاب طاعة الرسول ﷺ وكتاب الناسخ والمنسوخ وكتاب العلل .

٣ — ثم انهمر سيل الفكر : فكتب علماء الأحناف وأطنبوا في الكتابة والتحقيق بمنهج خاص لهم .

وكتب معهم علماء علم الكلام وعمدوا إلى تحقيق المسائل الأصولية بمنهج خاص لهم فورث الفكر الإسلامي منهجين :

المنهجان :

(ا) أما الفقهاء :

فقد تناولوا قضايا أصول الفقه بالشرح والتحليل المبنى على الاستشهاد من قضايا الفقه كتطبيق عملي للقاعدة مع فرعها المنبثق منها ، فهم يذكرون القواعد الأصولية أولا ثم يأتون بأصل الدليل من مصدره الأمين : القرآن والسنة ، ثم يفسرون كيفية إدراك وإستخراج وإستنباط الحكم الفقهي من دليله الأصلي بناء على قاعدة الأصولية .

(ب) أما المتكلمون :

فقد ارتفعوا بقضايا الأصول عن موطن التطبيق ، فبحثوا قضاياه مجردة عن الفروع الفقهية مكتفين بالاستدلالات العقلية ، والبرهنة الفكريه .

٤ - ومن مواريث الثمار ، وكنتائج لطريقى المنهجين سلك العلماء فيما بعد طريقة التأليف :

(ا) فعلى طريقة الفقهاء كتب جمع من علماء الأحناف منهم :

- أبو بكر الرازى المتوفى سنة سنة ٣٠٧ هـ .

- أبو زيد البدسى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ .

- شمس الأئمة السرخسى المتوفى٤٣٨ هـ .

- فخر الإسلام البزدوى المتوفى سنة ٤٨٢ هـ .

(ب) وعلى طريقة المتكلمين كتب جمهرة من علماء الشافعية ، منهم :

- أبو الحسين البصرى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ (كتاب المعتمد) .

- أبو المعالى الجوينى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ (كتاب البرهان) .

- أبو حامد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ (كتاب المستصفى) .

خامساً : مرحلة الجمود والتعقيد :

لم يكن علم أصول الفقه مادة علمية هدفها ذاتها ؟ نعم الفقه مادته من حيث هو علم الأحكام السلوكية التى تبين للناس الطريق السوى إلى الله ولكن أصول الفقه ليس بهذه المثابة ، بل هو قواعد وآلات تسعف المجتهد فى فى إدراك الحكم الشرعى من مصدريه الأساسين : القرآن والسنة .

إنه فى أدق مداركه : منهج الإمام المجتهد،وهو وحده الذى يملك أن يقرر القواعد الأصولية التى يحاجج بها ، يزيد أو ينقص منها ، ذلك لأنه هو وحده المسئول أمام الله عن نتائج بحثه التى يترتب عليها عبادة الناس لله رب العالمين ، فمن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة .

ومعنى هذا : أن الخلف غير المجتهدين إنما حظهم من أصول الفقه النظر في قواعد الاجتهاد ووسائله هو التعلم ، وإدراك الدقة العلمية التي ضبط بها العلماء الأول عملية الاستنباط ليحصل من التابعين لهم التبجيل وفاء لما بذلوه لوجه الله من جهد هو عليهم ضريبة ، ولهم من الله منحة ، دون أن يزيد الإتباع فيه شيئاً بالتقرير أو بالحاشية ، إذ رأى غير الإمام في قواعد الأصول ليس بذى معنى وليس بذى غاية .

وإذا تجاوزنا نحن الإتباع حد هذا الحق إلى الزيادة أو الأختزال ، أو الأختصار فقد عقدنا الأمور ، وصعبنا السهل ، وأظلمنا النير دون ما فائدة أو حسنة ، وذلك هو مامنيت به دراسات أصول الفقـــه التي هي في جوهرها « منهج المجتهد في أستنباط الحكم الشرعى » ولكن الخلف من بعد الرعيل المجاهد تدخلوا بالرأى : تقريراً ، وتحشية وتخطئة وتصويباً ... إلخ فأطالوا في شرح المختصرات ، واختصروا شروح المطولات وجمعوا الكتب في مختصر ، آخر حتى خفيت المعاني بين أحجار العبارات التي عجت بها — في غير تساسل وأنسياب — كتب الأقدمين .

وكان ذلك نتيجة للمرض الفكرى الذى أصيب به الشرق الإسلامى بعد الانتكاسات السياسية ، والاجتماعية ، التي أعيت الفكر ، وأذبلت العزيمة ، وأضعفت الإرادة ، وثبطت الهمة .

فكان من محاصيلها مجموعة من المختصرات ، والمجموعات لمـــا سبق من التصانيف والتآليف ومن بين ذلك :

١ — اختصر النسفى م ٧٩٠ هـ كتاب فخر الإسلام البزدوى م ٤٨٢ هـ .

٢ — واختصر صدر الشريعـة م ٧٤٧ هـ كتاب البزدوى ، وكتاب ابن الحاجب في كتاب واحد سماه « التنقيح » ثم شرحه هو بكتاب سماه « التوضيح »

٣ — واختصر الرازى م ٦٠٦ هـ ثلاثة كتب في كتاب واحد :

الكتب الثلاثة هي :

البرهان لإمام الحرمين « الجوينى » .

المعتمد لأبى الحسين البصرى .

المستصفى للامام الغزالى .

وسمى هذا المختصر من هذه الكتب الثلاثة « المحصول » .

ثم جاء من بعد ذلك محمد بن الحسن الأرموى م ٦٥٦ هـ فاختصر المحصول فى كتاب سماه « الحاصل » .

ثم جاء من بعده القاضى عبد الله البيضاوى م ٦٥٨ هـ فاختصر الحاصل فى كتاب سماه « المنهاج » .

فأنظر كيف تختصر ثلاثة كتب فى كتاب واحد ، ثم يختصر الكتاب الواحد هذا فى كتاب آخر ، ثم يختصر هذا الأخير فى كتاب آخر ؟ .

كيف يفى مختصر المختصر من المختصر الأولى بمراد واحد من الكتب الثلاث بله كلها أجمع ؟ .

يعنى : كيف يفى المنهاج الذى اختصره القاضى البيضاوى من الحاصل الذى اختصره الأرموى ، الذى هو مختصر من المحصول الذى هو مختصر من الكتب الثلاثة الكبرى : المعتمد ، البرهان ، المستصفى ؟ .

وعلى نفس الطريقة يلخص سيف الدين الآمدى م ٦٤١ هـ الكتب الثلاثة السالفة فى كتاب سماه « الأحكام فى أصول الأحكام » .

ثم يأتى ابن الحاجب المالكى م ٦٤٥ هـ ويختصر كتاب الآمدى فى كتاب سماه منتهى الوصول ، ثم اختصره هو بنفسه مرة ثانية فى كتاب سماه « مختصر المنتهى » .

وتختتم الحلقة بمختصر تاج الدين السبكي م ٧٧١ هـ الذى سماه « جمع الجوامع المشهور بالتعقيد والصعوبة وخفاء المعنى فى بطون أمهات الكتب التى جمع منها وهى : كما يقول هو - تزيد على السبعين كتاباً » .

وبهذه المرحلة يتجمد البحث في علم أصول الفقه الإسلامى اللهم إلا رسائل جديدة فى بعض قضاياه ألفت على نمط الإحصائيات التاريخية أو على نمط التفلسف والتبحر فى بعض قضاياه .

وآخر أبحاث موضوعية معاصرة قدمها فضيلة الأستاذ العلامة الشيخ الفاضل بن عاشور إلى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى المؤتمر الأول لعلماء المجمع فى عام ١٩٦٤ م وكذلك أبحاث قدمها لفيف من كبار العلماء منهم فضيلة الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن الوكيل السابق لمشيخة الجامع الأزهر وفضيلة الشيخ الوزير السابق محمد فرج السنهورى .

على بدء نعود :

وظيفتنا هنا هى أن نعود بعلم الأصول إلى غايته حتى نقف على أسس البحث الفقهى عند السابقين من أئمتنا فنشرحها كما حققها الأئمة على أنها قواعد منهج تضبط علمية استنباط الحكم الشرعى دون ما زيادة منا أو تعمق « حشرجى » أو اتباع لمن زاد وأطنب .

أما من وهبه الله طهراً فى القلب ، وإخلاصاً فى النية ، وعلماً واسعاً بالقرآن والسنة وصح منه العزم ، ورغب فى الله ورسوله وجهاد فى سبيلها فليتبوأ مقاليد هذه الخطوة وليضف للقواعد ما أطمأنت إليه نفسه حتى ينافح عن الدين بالسلطان والخبرة والعلم والحكمة فان النبى ﷺ قد تفاءل لهذه الأمة أن يحيا فيها طائفة تجدد الدين للناس وتحمى الشريعة من البلاء

لنبي يقول ﷺ « يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » .

وهو فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

أن الأمر دين يصان وواجب يؤدى فمن استأنس واستبرأ لعرضه ودينه فليخضها على بركة الله فمن أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر ولكل درجة .

الاجتهاد والافتاء

مفهومه وضرورته

من خصائص الشريعة الإسلامية أنها عامة شاملة سرمدية لأنها أحكام الله التي تحقق للانسان سعادته فى الدنيا والآخرة .

وسرمدية الشريعة وصلاحيتها للزمان والمكان مرتبط بالحاق جزئيات الأحكام المستحدثة بكلياتها العامة المتعلقة بأصول التعاشر الإنسانى : العقل ، والنفس ، والمال ، والنسل ، والعرض . ومركز ذلك هو : الاجتهاد .

والاجتهاد : هو تفويض فى السلطة التشريعية من صاحب الحق المطلق فيها وهو الله ورسوله :

« يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم »[1] .

وقد نفى الإسلام أن تكون هناك أدنى سلطة بعد ذلك فيما يتعلق بتشريع الأحكام.

قال ابن عباس : إن أهل الجاهلية كانوا يحرمون أشياء أحلها الله من الثياب وغيرها فأنزل الله : « قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالا ، قل الله أذن لكم ، أم على الله تفترون » (٥٩ يونس)[2].

---

(١) الحجرات .

(٢) تفسير الطبرى جـ ١١ ص ١٢٧ .

وفى تفسير ابن كثير عن ابن عباس ومجاهد والضحاك . . نزلت إنكاراً على المشركين فيما كانوا يحلون ويحرمون من البحائر والسوائب والوصايل[1].

فالقرآن الكريم ينكر على المشركين أن يتدخلوا بعقولهم فى عملية التشريع لأن العباد جزء من ملكوت الله وكل ما فى الملكوت يجرى على سنن أودعها الله وقوانين بثها فى الكون ، والإنسان كواحد من هذا الملكوت ليس له الحق فى أن يخرج على قانون الله : « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون » . (يس ٤٠)

فكذلك الإنسان ينبغى أن يسير على قانون الله الذى شرعه الله له .

ومصدر سلطة الحكم الشرعى هو الله ورسوله يقول الله تعالى :

« فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » . (٥٩ النساء)

« وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما » .
(٦٤ النساء)

ذلك هو الأصل فى السلطة التشريعية : الله ورسوله .

ولما كانت الأمة الإسلامية قد ورثت شرف تبليغ الدعوة الإسلامية وحماية الدولة الإسلامية حسبما أمرت فى كتاب الله تعالى :

« فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين » .
(الأنعام)

---

(١) الطبرى ج ٢ ص ٤٢١ .

« ثم أورثنا الكتاب الذين أصطفينا من عبادنا » . (فاطر)

فقد أذن الله لجماعة الحل والعقد وهم العلماء والمتفقهون فى دين الله أن يبحثوا بجهد جهيد مع الإخلاص والحرص والورع على أن يكون ربط المرء الحادث لحكم ما بكليته العامة على نحو مما يرضى عنه الله ورسوله .

وإذا استعرضنا تاريخ الاجتهـاد وقفنا على خاصية فريدة للأمة الإسلامية وهي :

أن الاجتهاد ليس تصيداً للحكم لإرضاء شهوة وليس تسلطاً على الناس لضياع حق ، ولكنه تهيئة فرصة ليعبد الناس ربهم بحكم صحيح وإقامة العدل الذى يرضى الله عنه .

وفى سبيل ذلك كان الاجتهاد له صبغة العمل العلمى التعاونى .

فقد روى أن رجلا قتلته امرأة أبيه وخليلها فرفع الأمر إلى عمر بن الخطاب وهو عندئذ رئيس الدولة فتردد هل يقتل الكثير بالواحد ... ؟

تلك حادثة جديدة قاعدتها الكلية : « ولكم فى القصاص حياة » .

فعرض سيدنا عمر رضى الله عنه القضية على فقيه الدولة ومفتيها سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه فقال له :

« أرأيت لو كان نفراً اشتركوا فى سرقة جزور فأخذ هـذا عضواً وهذا عضواً أكنت قاطعهم ؟

قال عمر : نعم .

قال على : فكذلك .

فعمل عمر بفتوى على فاقتص للواحد من الكثير .

ومثلها المسألة المشتركة وهى التى مات فيها امرأة وتركت زوجاً : وأما : وإخوة لأم : وإخوة أشقاء : فقسم عمر الميراث حسب الفروض المحكمة :

للزوج : النصف .

وللأم : السدس .

وللاخوة من الأم : الثلث .

فلم يبق بعد ذلك للاخوة الأشقاء شيء فقالوا : ياعمر : هب أن أبانا كان حجراً فى اليم ألسنا أبناء أم واحدة فعدل عمر عن فتواه وأشركهم فى الميراث[1] .

ومن هنا يظهر أن الاجتهاد هو بذل أقصى الجهد لاستنباط حكم شرعى أو تطبيقة لهدف هو أن يرتبط سلوك المسلمين دائماً بأصول الشرع الإسلامى الحنيف فليس الاجتهاد للخروج من حكم فيه مشقة حسب ظروف عصر ما أو مكان ما إلى حكم يتخيل أنه جائز الاجتهاد لأنه أخف الضررين .

والاجتهاد قسمان :

١ — اجتهاد فى استنباط الأحكام من مصادرها الأولى : القرآن والسنة والإجماع .

٢ — اجتهاد فى تطبيق الأحكام الشرعية والمحافظة على سلامة المجتمع من قانون دخيل يغير سلوك المسلمين إلى نظام آخر .

والمجتهد هو العالم المسلم الورع المستجمع صفات الاجتهاد وهي :

١ — العلم بالعربية لأنها لغة القرآن .

وقد قال الإمام الغزالى فى تحديد القدر الكافى للاجتهاد إنه القدر الذى يفهم به خطاب العرب وعاداتهم فى الاستعمال حتى يميز بين صريح الكلام وظاهره ومجمله ومجازه .

---

(١) راجع حاشية البنانى جـ ٢ ص ٣٨٣ .

٢ — العلم بالقرآن وأسباب نزوله وآيات الأحكام والنسخ والمنسوخ ، وقد اشترط الشافعي – رحمه الله تعالى – ورضى الله عنه حفظ القرآن كله واستيعاب معانيه .

٣ — العلم بالسنة الإسلامية : القولية والنقلية والتقريرية .

٤ — معرفة المسائل التى حظيت بالإجماع من العلماء السابقين .

٥ — معرفة القياس وأوجه طرائقه لأنه وسيلة الاجتهادفي استنباط الحكم أو فى تطبيقه .

٦ — معرفة المناهج التى سلكها السلف الصالح .

٧ - معرفة مقاصد الشريعة الإسلامية وإدراك الفرق بين موضع يكون أخف الضررين هو الأليق بالفتوى وبين موضع يكون فيه صيانة الحكم هي الأوفق .

٨ — صحة الفهم وحسن التقدير .

٩ — سلامة النية وسلامة الاعتقاد .

١٠ — أن يكون للمسألة نصيب من عرضها للاجتهاد فيها .

١١ — لا يكون الاجتهاد لإرضاء حاكم فى مسألة يراد زجها فى العادات والتقاليد الإسلامية .

متى يكون الاجتهاد ؟ :

١ — يكون الاجتهاد واجبا على العلماء الذين توفر فيهم شروط الاجتهاد إذا وقعت حادثة ناشئة عن علاقات المسلمين فى مجتمعهم ولم يكن لهـا حكم معروف وهي مسألة يخاف فواتها .

٢ — ويكون كفائياً إذا كانت الحادثة لا يخاف فواتها .

٣ — الندب لمن شاء أن يستخرج الأحكام من قواعدها رغبة فى خدمة الدين والأمة الإسلامية .

محل الاجتهاد :

والاجتهاد بشروطه ومواصفاته له محل خاص بعيداً عن :

كل نص قطعى من القرآن أو من السنة .

وكل حكم فيه إجماع منقول عن السلف الصالح .

ومعنى ذلك أن محل الاجتهاد هو استنباط حكم المسألة المستحدثة من السلوك الإسلامي فى المجتمع الإسلامي وليس لها حكم معروف .

« قال أبو إسحق الشيرازى » :

ما لا يسوغ فيه الاجتهاد علي ضربين :

أحدهما : ما علم من دين الرسول ﷺ ضرورة بأن تشترك فى معرفته الخواص والعوام من غير قبول فى التشكيك كالصلاوات والزكاوات .

والثانى : كالأحكام التى تثبت باجماع الصحابة وفقهاء الأمصار[1] .

إذن فالاجتهاد هو وسيلة استمرار الشريعة فى إصلاحها الزمان والمكان ،

وهو واجب العلماء لحماية المجتمع الإسلامى عند تطبيق الشريعة ، وحماية الشريعة من الاعتداء عليها وهو خاصية هذه الأمة قال الله تعالى :

« وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطون منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا » . (٨٣ النساء)

---

(١) نزهة المشتاق شرح اللمع للشيرازى ص ٨٠٣/٨٠٤ .

ولهذا وجبت الحيطة والحذر فى استخراج الحكم ولهذا قال النبى ﷺ :
(أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار) . رواه الدارمى مرسلا .

قال العلقمى : لأن المفتى موقع عن الله حكمه من حلال وحرام وصحة وفساد فان لم يكن عالماً بما أفتى به أو تهاون فى استنباطه من الأدلة إن كان مجتهداً كان إقدامه على ذلك سبباً لدخوله النار »[1] .

الإفتاء والاجتهاد :

الإفتاء نوع من الاجتهاد ولكنه أدق لأنه تحمل مسئولية تحديد الحكم لمسألة معينة بذاتها ، ولهذا شدد العلماء فى شروط المفتى وقد ذكرها الإمام أحمد بن حنبل فى خمس خصال :

- أن يكون له نية ليكون عليه نور والمراد الإخلاص لوجه الله .
- أن يكون عليه وقار وله سكينة .
- أن يكون قوياً قادراً على ما هو فيه وعلى معرفته .
- الكفاية والفقه .
- معرفة أحوال الناس .

وقد ذكر العلماء أن عمل المفتى دائر بين ثلاث مسائل :

(أ) ألا يختار قولا متهافتاً فى دليله .

(ب) أن يكون حسن القصد فى كل ما يختاره .

(جـ) أن يكون فى فتواه مصلحاً لحال المسلمين وشئون دينهم .

ولهذا ألزموه :

(أ) بأن يردف القول بدليله .

---

(١) السراج المنير شرح الجامع الصغير جـ ١ ص ٥٠ .

(ب) وألا يتخير المذهب الأضعف .

(جـ) وألا يخرج عن المجمع عليه .

(د) وألا يتبع هوى الناس .

(هـ) وأن يأخذ هو بما يفتي به فلا يبيح أشياء لنفسه دون الناس فإن فعل سقطت عدالته[1] .

اختيار المفتي :

يقول الله تعالى : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » .

والرجل العامي مكلف بأحكام الشريعة وهذا التكليف يلزمه بالتعرف على أحكامها ولهذا فقد أجمع الصحابة على إفتاء العوام وعدم تكليفهم بالاجتهاد .

غير أن العامي لاينبغي أن يسأل من العلماء إلا من عرف بالتقوى والورع والصلاح ثم بالفقه والذكاء والعدالة وقد اختار الغزالي إلزام العامي باتباع أفضل العلماء ديناً وفهماً .

وللمفتي أن يفتي العامي بغير مذهبه إذا كان ملماً بمآخذ أحكام المذهب الآخر . لأن العامي غير ملتزم باتباع مذهب معين . إنما مذهب العامي هو مذهب مفتيه[2] .

ذلك هو مفهوم الاجتهاد : « بذل أقصى مافي وسع العالم الورع لاستخراج الأحكام الشرعية من مصادرها الأولى القرآن والسنة أو المحافظة على تطبيق الشريعة صيانة لدين الله والمجتمع الإسلامي .

وضرورة الاجتهاد لاستمرار الشريعة الإسلامية في أداء رسالتها تصون الناس من عبث البشر وتعطيهم فرصة العبادة الصحيحة لله ولربط سلوك المسلمين

---

(١) راجع أصول الفقه فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة ص ٤٠١ .

(٢) أصول الفقه الخضري بك ص ٣٨٣، ٣٨٤ .

فى المستقبل بطريق السلف الصالح الذى تحمل شرف اللقاء بهذا الوحى الصادق الأمين . وإن تبعتنا اليوم لهى أخطر من كل خطر فى الوجود الإنسانى لأن حياة المسلمين إما أن تتبع الجو الربانى الذى يرضاه الله ورسوله وإما أن تتخاذل وتندهش بما للشيطان من أفانين وزينات فتنحرف عن سواء السبيل .

وإن الأمل كبير أن يكون العلماء دائماً على استعداد لإعطاء الدليل على عن أنهم علماء أفضل أمة هى أمة القرآن الكريم .

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » . (آل عمران ١١٠)

والله يوفق ويهدى إلى سواء السبيل والسلام .

تحديد النسل والتنمية الاقتصادية

* «والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون

* وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين

* وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم » .

١٩ ــ ٢١ الحجر

تجتاح الأمة العربية والأمة الإسلامية موجة «عارمة» من الدعاية لتحديد النسل وقد تتطور هذه الموجة من دعوة للاصلاح إلى واجب قومي يجعل فى مستوى رفيع من مستويات أهداف الدولة العليا، ومن يدرى لعل هذا التطور ربما يصل إلي درجة التجريم أو الخيانة العظمى، فقد خرجت أصوات تنادى بعقاب من يزيد فى نسله عن ثلاثة كحد أعلي.

ولقد إنجرف فى هذا التيار جماعة من بعض العلماء وشقشقوا ألفاظهم جريا وراء براعة عليا فى صياغة الفتوى، أو مظنة أنهم يحاولون الهرب من المسئولية الدينية التى إستقرت فى سويداء قلوبهم كعلماء مسئولين عن الحق والعدل الدينى فقالوا أنه تنظيم للنسل وليس تحديداً ...!!

ومن المعلوم المعروف أن دعوة تحديد النسل أو تنظيم النسل مرض خبيث نقل من الفكر الأوربى الذى يسيطر عليه: الدهاء الصهيونى، والحقد الصليبي وأصبح الوطن العربى والإسلامي مريضاً بهذا الداء الوبيل الذى غلف فى ثوب اقتصادى مستغلا الظروف الاستثنائية فى الوطن العربى والإسلامى، والتى هى من أفعاله ومكره وإستعماره الطويل وكراهيته للعرب والإسلام.

ومادام الغرب الصهيونى الصليبي يحتمى خلف ساتر اقتصادى فى نشر ميكروب تحديد النسل فانه لمن أيسر السبل وأقصر الطرق أن نعالج قضية إرتباط التنمية الاقتصادية: صناعة أو زراعة أو تجارة بالقوى البشرية زيادة أو نقصا من خلال الظواهر التاريخية التى يحتفظ بها تاريخ أوربا الاقتصادي.

ثم نوضح فى إيجاز موجز عوامل الفقر فى العالم العربى والإسلامى.

ثم نقرر الحكم الشرعى فى قضية تحديد النسل أو تنظيمه من خلال النصوص الرئيسية للشريعة وهى: القرآن الكريم والسنة المطهرة.

أولا : حاجة التنمية إلى الأيدى العاملة .

* فى حكاية تاريخ أوربا الاقتصادى ظواهر واضحة تدلل على أن الأيدى العاملة هى عصب التنمية الاقتصادية . فعندما قسم العلماء مراحل التطور الاقتصادى الأوربى فى العصور الوسطى قالوا :

يمكن تقسيم التطور الاقتصادى فى العصور الوسطى الأوربية إلى أربع مراحل :

المرحلة الأولى : بين القرنين الخامس والسابع الميلادى حيث شاهدت أوربا هجرة واسعة استفادت البلاد منها إقتصاديا حيث اشتغلت الأراضى فى الزراعة ونشطت الصناعة فلولا زيادة عدد السكان عن طريق الهجرة ماتم لأوربا استغلال أراضيها المعطلة بدليل أن :

المرحلة الثانية : كانت مرحلة توقف فى العمـــل الاقتصادى بسبب الاضطرابات التى إجتاحت أوربا من جراء الحروب الإسلامية فى القرن السابع الميلادى التى وجهت إلى بلاد أوربا فراحوا يدافعون عن بلادهم أو يهربون من أوطانهم خوفا من الحرب .

المرحلة الثالثة : فلما ضعف المسلمون وصار أمرهم فى القرن الحادى عشر إلى الرابع عشر تحت سيطرة الحروب الصليبية تقدم الاقتصادى الاوربى فاستصلحت مساحات واسعة من الاراضى البور ، واتسعت التجارة ، حتى بلغ ذروته فى الفترة من ١١٥٠ م إلى ١٣٥٠ م .

المرحلة الرابعة : لكن لما قلت الأيدى العاملة بسبب إنتشار وباء الطاعون الاسود ، وكثرت الحروب أواخر القرن الرابع عشر إنكمشت التنمية وارتفعت الأجور وكثرت الضرائب ، ففشت المجاعات .

فالاقتصاديون فى تأريخهم لاقتصاد أوربا فى مرحلة القرون الوسطى

يعلنون ظاهرة بينة فى التنمية الاقتصادية هى: أن الأيدي العاملة هى العصب الأصيل فى النمو الاقتصادى طرداً وعكسا .

* ولم تتغير هذه الظاهرة في مرحلتي التطور الاقتصادى وأعنى بهما :

— مرحلة التجهيز ١٤٥٠ — ١٧٥٠ م .

— مرحلة التقدم ١٧٥٠ — إلى اليوم .

وتتميز مرحلة التجهيز الأوربى بكفاح الجماعة الأوربية للكشف عن أسرار الطبيعة والبحث عن الوسائل التى تكفل الآفادة منها ، ومن هنا نتج مايسمى بكفاح الفرد وكفاح الدولة ضدالأقطاع والكنيسةوحكومةالمدينة، فاندفع النشاط الاقتصادى فى أوربا قدما إلى الأمام بفضل نشاط الأفراد وحماية الدولة وبفضل :

(أ) زيادة عدد السكان .

(ب) الكشوف الجغرافية التى فتحت آفاقا جديدة للتجارة والعمل .

(جـ) والتوسع الإستعمارى الذى أضاف وسائل للانتاج .

(د) قيام الدولة القومية التى تنافست فى مجال الكشوف الجغرافية لمزيد من الإتساع فى رقعة العمل الأقتصادى ومزيد من الإستعمار لبلاد إسلامية .

ولهذا يقول الاقتصاديون المؤرخون لهذه المرحلة :

حقاً لقد استمرت الزراعة حتي القرن التاسع عشر هى الأساس الذى يقوم عليه الأقتصاد الأوربى ولـكن الصناعة قد تنوعت وازدهرت ولبت مقتضيات الحياة الجديدة ، وسدت حاجة الأسواق النامية في أوربا ، وكسبت لها أسواقا جديدة فى خارج أوربا : فى آسيا وفى أمريكا حاملة منها فى الوقت نفسه ماتحتاج إليه من المواد الأوليةوعلى هذا النحو ازدهرت التجارةواتسع نطاقها فكان ذلك من أهم مظاهر التطور الاقتصادى الحديث فى أوربا .

وخرجت أوربا من عزلتها وتسابق الأوربيون لامتلاك المستعمرات وتكوين الامبراطوريات وحرصت دول أوربا على أن تهيمن على هذا النشاط الاقتصادى لتتخذه وسيلة لتزويدها بالقوة المادية التى تكفل لها التغلب على الدول الاخرى فقد كان العصر عصر منافسة وصراع بين الدول .

ولهذا نجد أوربا تتجه إلى بناء الدولة القومية لمواكبة النهضة الاقتصادية فتحولت انجلترا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال وهولندا من نظام الاقطاع إلى دول يحكمها ملك يوجه سياسة الدولة واقتصادياتها ، وكان ذلك التحول حسب الظروف التى تعيشها كل دولة ، ولقد كانت انجلترا أسبق الدول فى تأسيس الدولة القومية ، ولذلك كانت أكثر انتشارا فى المستعمرات ولهذا الاتجاه : اتجاه تأسيس الدولة القومية التى تسعى إلى تحقيق القوى المادية بتوفير الثروة عن طريق السياسة التجارية فانها لم تجد لذلك سبيلا الا بالعمل على زيادة السكان .

يقول الكاتبون فى اقتصاد أوربا :

تطلعت الدولة القومية الحديثة لتحقيق سيادتها إلى زيادة القوى المادية ، والقوى البشرية :

* فالقوى المادية أرادت أن تحققها بتوفير الثروة عن طريق السياسة التجارية .

* أما زيادة القوى البشرية فيكون بتشجيع زيادة السكان بالزواج المبكر ومنح الإعانات لتكثير النسل حتى تتوافر الأيدى العاملة فيزداد الانتاج ويجند العدد اللازم للجيش .

ويقول الكاتبون فى اقتصاد أوربا كتعليق على نتائج هذه المرحلة : « وقد قابل ازدياد السكان ، واتساع الاسواق التجارية وكشف بقاع جديدة

بها مصادر متنوعة للثروة الطبيعية فتطلع هؤلاء ـ فى ظل الأحداث الجديدة ـ إلى الهجرة إلى ما وراء البحار سعيا وراء العمل والانتاج وكان هؤلاء المهاجرون عونا لدولهم من الناحيتين السياسية والاقتصادية .

* ونقول : ان مرحلة الاقتصاد الأوربى فى دور التجهيز احتاجت إلى الايدى العاملة مثل بدء الاقتصاد الاوربى فى مرحلة ماقبل القرون الوسطى من أجل :

(أ) استغلال الأراضى .

(ب) اكتشاف الموارد الطبيعية

(ج) بناء الدولة القومية الحديثة .

(د) تطور الصناعات .

(هـ) الكشوف الجغرافية .

يقول الاقتصاديون فى ايجازهم لمقومات مرحلة التجهيز الأوربى :

ان أهم مقومات التجهيز الاوربى لبناء الدولة القومية عدة عوامل منها :

(ا) التوسع الاوربى عن طريق الحروب الصليبية ، والكشوف الجغرافية.

(ب) السياسة التجارية التى تنظم أراضى الدولة كلها تحت حكم ملك واحد ، والعمل على زيادة ايرادات الدولة بتدخلها فى أمور التجارة لتحتفظ لها بنصيب من أرباح الذهب والفضة .

(ج) الاكتفاء الذاتى .

(د) الصناعة .

(هـ) المناجم .

(و) الزراعة .

(ز) التجارة .

(ح) القوة البحرية .

(ط) المستعمرات .

(ى) زيادة السكان .

فقد رأي الاقتصاديون أن كل المقومات فى حاجة إلى عدد كبير من السكان فالفرد عدة العمل فى الحقل وفى المنجم وفى المصنع وفى الباخرة وفى القطار فان تستقيم سياسة انتاجية فى الزراعة أو الصناعة أو التعدين الا بوفرة السكان وتنظيم جهودهم والأمة تحتاج اليهم فى تكوين الجيوش وبناء الأساطيل وتعمير المستعمرات ولهذا تحرص الدولة على زيادة عدد سكانها بالتشجيع على زيادة النسل برصد الاعانات والمكافآت حتى يتوافر للدولة مزيد من سواعد أبنائها وينخفض أجر العمل فتقل تكاليف الانتاج ويستطيع العامل أن يحظى بحاجته من الغذاء والكساء بأسعار رخيصة تتناسب وأجره ويستطيع الصانع أن يشترى المواد الأولية اللازمة لصناعته بأسعار معتدلة فيقل سعر التكلفة ويمكن تصديرها إلى الاسواق الخارجية بأثمان معتدلة تمكنها من منافسة مثيلاتها من السلع الاجنبية أما قلة عددالسكان فيصحبه - فى رأى التجاريين - ارتفاع اثمان الحاجات وانكماش التجارة وقلة حصيلة الدولة من المعادن النفيسة وهبوط الدخل القومي .

ولهذا السبب لم تعد الدولة القومية تثق فى الأجانب كقوى مساعدة للتنمية فقد شاع الاعتقاد أن الأجانب دائما يعملون لمصلحة بلادهم وأنهم لايمارسون نشاطهم داخل البلاد التى يقيمون فيها الاريثما يجمعون المال ، ثم يعودون إلى وطنهم ومعهم الذى جمعوه مما يؤدى إلى تسرب النقد إلى الخارج .

، ولا يقل الفيزيوقراط: الطبيعيون في الدعوة إلى كثرة النسل عن خصومهم التجاريين لأنهم يدعون إلى حرية العمل والانتاج والاستهلاك والغاء الضرائب الجمركية .

وبهذا يبدأ في تاريخ الاقتصاد الأوربي مراحل جديدة للتطور الاقتصادي :

الأولى : من ١٧٧٩ - ١٨٤٨ م برز فيها مبدأ الاقتصاد الحر بفضل الثورة الصناعية والسياسية .

والثانية : من ١٨٤٨ - ١٨٧٠ م برز فيها انتشار القومية والنظم البرلمانية.

والثالثة : من ١٨٧٠ - ١٩١٤م تأسست الامبراطورية الألمانية التي صارت قدوة في الاقتصاد لباقي دول أوربا .

ولا ينفك عامل زيادة السكان عن ارتباطه بالتنمية الاقتصادية طردا وعكسا ومن أمثلة ذلك :

أ - في الزراعة .

كانت الزراعة هي العنصر الأساسي الذي قامت عليها اقتصاديات أوربا قديما ، وكان أكثر الأوربيين يقيمون في القرى ويعملون في الزراعة فقد كان ٩٠ ٪ من سكان انجلترا يعملون في الزراعة أو الرعي أو الصيد مما يدل على تحكم الريف في ثروة البلاد القومية ، لكن الزراعة التي تعتمد على زيادة السكان قد انهارت بسبب الحروب الأهلية في انجلترا التي عرفت بحرب الوردتين في القرن الثاني عشر ، ومثل الحروب بين انجلترا وفرنسا التي سميت بحرب المائة عام من ١٣٣٧ - إلى ١٤٥٣ وبسبب قلة السكان التي كانت نتيجة الحروب وكذلك كانت نتيجة انتشار الطاعون الذي قضى على ثلث سكان أوربا ما بين عام ١٣٦٠ - ١٤٠٠ م

وهذا كله أدى إلى نقص الأيدى العاملة فى الزراعة :

لذا فان كتاب التاريخ الاقتصادى الأوربى عندما يتحدثون عن الثورة الزراعية يدرسون من عواملها : مشكلة المحافظة على خصوبة الأرض ومشكلة الصرف ثم مشكلة الايدى العاملة فيقولون فيها :

ومن المشكلات التى واجهتها الأرض والزراعة فى أوربا مشكلة الأيدى العاملة المشتغلة بالفلاحة ، فان نمو الصناعة واتساع المدن ومغرياتها وزيادة أجور عمال الصناعة على أجور عمال الزراعة كل هذا قد أغرى عدداً كبيراً من أهل الريف على الهجرة إلى المدن فكان لزاما على أصحاب الأراضى أن يواجهوا النقص الكبير فى الأيدى العاملة فى الريف باستخدام آلات الحرث والرى .

وعلى العكس من ذلك يتحدث كاتبوا الاقتصاد الأوربى عن الزراعة فى بريطانيا فيقولون :

أصاب الاقتصاد البريطانى انتعاش كبير فى الفترة السابقة التى دعوناها فترة التجهيز الأوربى ١٤٥٠ — ١٧٥٠ م فقد تضاعف عدد السكان وانتشرت المحصولات الزراعية التى تستخدم للتجارة فأصبح لدى انجلترا فائض من القمح تصدره إلى أوربا .

أن الزراعة تتأثر طرداً وعكسا بالقوى العاملة فاذا ما توفرت الأيدى العاملة انتعشت الزراعة ودرت خيراً كثيراً وإذا ما قلت الأيدى العاملة تعطلت الأرض وفسدت وقل المحصول وعمت المجاعات .

وبصورة جليلة عن الزراعة فى بريطانيا فى الفترة من ١٧٥٠ - ١٩٥٠ — يقول الكاتبون :

إن الأطراد فى زيادة السكان كان المخفف من ضيق إهمال الأراضى وتركها

نتيجه الحرب وهبوط ثمن البوشل من القمح المحلي عن ١٠ شلن فلم يكن ازدياد عدد السكان عبئاً وإنما كان عامل تخفيف للورطة التي أصابت انجلترا لكثرة سكانها إلى جلب عمال من الخارج مثلما فعلت فرنسا عام ١٩١٣ حيث كان النقص في الأيدي العاملة سيئاً فاستوردت عمالا من جنسيات مختلفة ففي عام ١٩٢٩ م كان من بين كل ٢٠ من الأيدي العاملة في الزراعة واحد من جنسية أجنبية .

(ب) في الصناعة :

إذا كانت الظواهر الاقتصادية في عالم الزراعة تعطينا فكرة أساسية عن عن ارتباط التنمية بزيادة السكان طرداً وعكسا ، فان هذا المفهوم يكاديكون مقلوبا إلى حد ما في عالم الصناعة ذلك أن الصناعة في أوربا أول فجرها كانت تكفي حاجات الإنسان ولا تزيد إلا بمقدار ضئيل .

فلما كانت الكشوف الجغرافية ، والحروب الصليبية واتسعت رقعة المستعمرات في آسيا وأفريقيا وأمريكا ، اتسع تبعاً لذلك نطاق السوق الشرائية لا سيما بعد أن أقبل الناس على المنتجات الصناعيـة من الأقمشة والمنسوجات القطنية والحريرية مما ساعد على التفكير في تطوير آلات الصناعة لتواجه تزايد الطلب من الأسواق الجمة وراء البحار فـكانت الثورة الصناعية على نحو ما يصفه علماء الاقتصاد وكان من جراء ذلك ظهور طبقة من العمال لا عمل لها بعد أن فقدت المصانع اليدوية فاعليتها في مواجهة الصناعات الحديثة، كما جنح أصحاب العمل إلى استخدام الاطفال والنساء بأجر أقل واستغل العامل طوال ساعات اليوم وأمىء له في حياته ومعاملته حتى ظهر ما يسمى بالمشكلة العمالية[1] .

---

(١) لو كان لدى أوربا فقه سليم بقيمة الإنسان وكرامته على نحو ما هو

وكان من أول من تصدى لحلها (سيرروبرت بيل) صاحب مصنع للقطن وسياسي بريطاني محنك فعمل على حل جزء المشكلة عام ١٨٠٢ فحدد عمل الصبية باثنتي عشرة ساعة فقط وعين مفتشين : أحدهما قاض والآخر قسيس للاشراف على تنفيذ القانون في المصانع ، ثم صدر عام ١٨١٩ م قانون يحرم استخدام الاطفال في المصانع ، وحرم أن يشتغل العامل أكثر من ١٢ ساعة في اليوم ، ولم يقبل أصحاب المصانع بهذه القوانين فحدثت مشكلات أدت إلى البطالة بين العمال وتضخمت المسائل حتى عجت خلية الإصلاح الاجتماعي بنظريات كثيرة خاصة بالعمال وكان من بين هذه النظريات تحديد النسل .

فقضية تحديد النسل ظهرت في جو الصناعة وتطورها وتطور آلاتها والاستغناء عن بعض العمال بفضل الآلات الحديثة .

رأي قدامى الفلاسفة :

لقد كانت نظرة الفلاسفة قديماً إلى زيادة السكان نظرة عادية لا يرون فيها بأسا ولا خرابا إلى ذلك يذهب الفيلسوف Bvffodn والفيلسوف مونتسكيو Montesguiev .

فقد كانا يريان أن الزيادة في السكان مفيدة ونافعة للبلاد ولا خوف منها ، لأن تعداد السكان منظم بطبيعته حسب طرق المعيشة * وهو نفس الاعتقاد الذي كان يذهب إليه المركيز ميرابو Mirabeu .

---

* مقرر في الإسلام لوضعت خطة صناعية لاستيعاب كل العاملين في حقل الصناعة : احتراماً لإنسانيتهم ، ونشراً للرخاء ، ولكن المسألة كانت على خلاف ذلك .

ولكن الذى أفسد هذه النظرة العادية جودون Godwin عندما ذكر فى كتابه « العدل السياسى سنة ١٧٩٣ م أنه يشك فى أن نسبة المحصولات قد لا تزداد بنسبة تتلاءم مع عدد السكان » .

مالتوس الانجليزى : ١٧٦٦ م .

* وهنا برز فى حلبة التشكيك قسيس اقتصادى هو مالتوس الانجليزى الذى وضع كتابه المشهور :

رسالة عن تعداد السكان عام ١٧٩٨ م ثم إعاده عام ١٨٠٣ م وفيه يقول: إن تعداد السكان يزداد طبقاً لنظام متواليات هندسية .

١ - ٢ - ٤ - ٨ - ١٦ - ٣٢ - ٦٤ - ١٢٨ . وهكذا بينما لا تزداد حاجات المعيشة - الإنتاج - إلا حسب متواليات حسابية :

١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩ - ١٠ - ١١ - وإذن :

فتكون نسبة السكان إلى الإنتاج بعد جيلين كنسبه ٢٦٥ إلى ٩ وبعد ثلاثة أجيال كنسبة ٤٠٦٩ إلى نسبه ١٣ وسيكون الفرق خارقا لحد التصور بعد آلاف السنين .

لكن مالتوس لم يتعصب لهذا الرأى بل قال أنه افتراض .

وقد تكون الأمور المفروضة غير صحيحة أحيانا ، وقال : ربما صار حظ الإنسان فى المستقبل أسعد مما هو عليه الآن إذا استبدلت طرق القمع بوسائل الوقاية أى إذا استبدل بالحرب تنظيم أمور الزواج .. ألخ .

ومع ذلك فان رأى مالتوس مع أنه ظهر فى بيئة عمالية عاطلة وكانت ظروف الحياة فى القرن الثامن عشر سيئة للغاية إلا أن رأى مالتوس علق بأذهان كثير من الاقتصاديين حتى جر هـــذا الوبال على شرقنا العربى والإسلامى .

يقول المستر جروف ساموئيل فى نقد رأى مالتوس

— أن مالتوس لم يستطع أن يتنبأ بمخترعات العصور الحديثة تلك التى زادت مقادير المواد الغذائية ، وكذلك أساليب الزراعة فان التقدم فى هذه الآلات قد ساير ازدياد عدد السكان وأربى عليه .

— كذلك مالتوس لم يدخل فى حسابه قدرة الإنسان على التعاون والحصول على مزايا تعظم كلما ازداد عدد السكان وازدحموا ، ذلك أنه كلما زاد عدد السكان استطاع الإنسان أن يوزع العمل بأساليب اقتصادية أبلغ من سواها ، واستعمل فى تصريف العمل طرقاً تفضل غيرها كثيراً وبفضل المخترعات والمستكشفات الحديثة تمكن الإنسان من زيادة الانتاج.

ويقول جروف :

من ذلك يرى أن الإنسان يستطيع دائماً أن يجعل مقدار انتاجه أكثر فى مدة من الوقت أقصر[1] .

يقول جروف :

إن مجرد الارتفاع فى عدد المواليد لا يفيد فى زيادة عدد السكان فالجدير بالاعتبار هو الناتج الختامي : أي رجحان المواليد على الوفيات ، ولابد كذلك من تقدير العوامل الأخرى كالهجرة ، والحروب ، والأمراض والكوارث الطبيعية .

ريكاردو الهولندى ١٧٧٢ م :

وعلى غرار مالتوس كان ريكاردو ١٧٧٢ م فقد ذهب إلى أن مستقبل

---

(١) المجتمع ومشاكله ص ٤٧ .

العمال مظلم لأنه كلما ازداد السكان كثر عدد العمال ومتى كثر عدد العمال قلت أجورهم ، وإذا قلت مساحة الأراضي الزراعية قل المحصول ، وإذا قل المحصول ارتفع ثمنه ، ففي كلتا الحالتين مستقبل العمال في خطر ومنعا من وقوع هـذا الخطر يجب رفع أجورهم بنسبة ارتفاع لوازمهم ، وعلى فرض إمكان حصولهم على هذه الزيادة فلن يكونوا سعداء لأن ثمن القمح وغيره يزداد أيضاً وإنما الحل الوحيد لسعادة العمال هو ألا يكون لهم أولاد إلا بنسبة مكاسبهم وأن يحدد لكل صناعة عدد معين من العمال .

يقول الدكتور حسين علي الرفاعي : لا شك أن هذه النظرية اندثرت ولن تجد في حياتنا الاجتماعية الحالية مجالا للنجاح ولقد أصبحت في عداد النظريات العتيقة فان حالة التقدم الصناعي الهائلة التي يعيشها العالم اليوم لا تجد لمثل هذه الأفكار بيئة وسط العاملين والمستثمرين .

والخلاصة :

أن قضية تحديد النسل نشأت وسط مجتمع صناعي بدائي تحيط به عناكب اليأس والأسى ، عنـدما كانت أوربا تتيه في بحر من الفقر والجوع والحرب والدمار .

وكان التشاؤم هو السمة السائدة على الفكر العلمي الذي لم يستطع أن يتنبأ بتقدم صناعي هائل يغطي حاجات الإنسان ولم يجد الفكر الأوربي له من الدين الذي يعتنقه مساعداً له على تفهم قضية الرزق والعمل .

(أنظر حولك) .

ولننظر الآن من حولنا لنرى رد الفعل للدول التي أخذت قديماً بنظام تحديد النسل فماذا نرى ؟ ..

(ا) في إنجلترا :

* في الحرب العالمية الأولى ١٩١٦ م ألفت في انجلترا لجنة لاستعراض نسبة المواليد وكانت تتألف من ٣٢ عضواً كلهم من رجال الطب والاقتصاد والعلوم التجريبية والخبراء بفن الإحصاء والعلوم الدينية كما اشترك معهم ممثل عن الحكومة هو الدكتور استفنسون Stevenson -- المسئول عن الاحصائيات ، والسير آرثر نيوزهوم AURTHER NEWSHONE — وهو الرئيس الأعلى للشئون الطبية - ووضعت هذه اللجنة تقريراً جاء فيه :

على بريطانيا أن تراقب بغاية من الحذر والاضطراب النقص المتزايد في هبوط نسبة الولادة القومية وعليها مواجهة هذا النقص وتغييره بالزيادة إلى حد إمكان أن تتخذ كل ما يأتي في دائرة قدرتها من التدابير الفعالة، وتكررت هذه النصيحة في عام ١٩٤٣ إبان الحرب العالمية الثانية فقد قال المستر هربرت مارسين وزير الداخلية :

إن بريطانيا إذا كانت تحب المحافظة على مستواها والتقدم في سبيل الرقي والازدهار في المستقبل فمن اللازم أن يتزايد فيها عدد كل أسرة بنسبة ٢٥ ٪ على الأقل وفي عام ١٩٤٤ م شكلت لجنة من الحكومة لدراسة المشكلة من كل نواحيها وقد صدر عنها توصيات أهمها :

* تعديل قانون الضرائب بحيث تخفف عن المتزوجين الذين لهم عدة أطفال .

* أن تمنح كل أسرة مكافأة مالية على قدر ما يكون لديها من الأطفال .

* والآن في انجلترا يمنح الأطفال مكافآت مالية وتمنح النساء أجازة ولادة مع مكافأة مالية خاصة .

(ب) وفى فرنسا :

أصدرت الحكومة قانوناً يحرم تعليم منع الحمل ونشر المعلومات عن طرقه ووسائله .

وأن الأسر ذات الأطفال تمنح مكافآت مالية وتعفى من بعض أنواع الضرائب .

ونتيجة لذلك ازداد عدد سكان فرنسا بنسبة ٢٦ ٪ فى السنوات بين ١٩٣٨ م إلى ١٩٥٤ م .

(د) وفى السويد :

قال الوزير تراى جر TRYGGAR إن الشعب السويدى إذا كان لا يريد لنفسه الانتحار فعليه أن يتخذ التدابير المؤثرة لمقاومة انخفاض نسبة المواليد فى وطنه .

لقد أصبح انخفاض نسبة المواليد خطراً للغاية ينذر بالويل منذ سنة ١٩٢١ م اهـ .

وكان من تأثير هذا التنبيه الذى ألقاه الوزير فى المجلس النيابى أن الحكومة ألفت لجنة خاصة فى مايو ١٩٣٥ م لدراسة المشكلة وانتهت اللجنة إلى :

١ — الرقابة على بيع أدوية منع الحمل .

٢ — تخفيف الضرائب عن الوالدين إذا كان لهما أطفال أقل من ١٨ سنة .

٣ — المحافظة على الصحة وإعداد الأدوية المجانية للاطفال .

رأى الطب

وتقول الدكتورة ميرى شارليب Dr: Mary Scharlieb أن وسائل تحديد النسل سواء كانت هى اللولبيات المعدنية أو الأقراص أو العقاقير

القاتلة للحيوانات المنوية أو حواجز المطاط وغيرها ، وإذا كانت المرأة لاتتعرض باستخدامها لضرر فورى ظاهرى ولكنها إذا ظلت تستخدمها لمدة من الزمان فلابد أن يصيبها أنهيار عصبي قبل أن تبلغ سن الكهولة .

ومن النتائج اللازمة لاستخدام هذه الوسائل - التبرم - والتذمر - والقلق وضعف القلب والتشويش والهموم ونقص الدورة الدموية وشلل اليدين واضطراب العادة الشهرية .

ويقول الدكتور رينيل ديوكس : أن المرأة عندما تتناول هذه الحبوب لمنع الحمل فهى لاتتعرض للصداع والآلام العصبية فحسب بل لا تأمن على نفسها أن يصيبها مرض عضال كالسرطان .

الأثر الأخلاقي

أما الأثر الأخلاقي فانه يفتح بابا للفسوق لا حد له مادامت عواقب الانحراف مأمونة ومادام الخط الاقتصادى لايسعف على بناء بيوت للزوجية فلتأخذ الابليسية حظها فى فكر الشابات قبل الشبان .

فهل التنمية الاقتصادية فى مجال : الزراعة ، والصناعة والتجارة فى فى حاجة إلى مثل هذه العاهات والامراض ؟

أو أنها فى حاجة إلى أيد تعمل وتبنى وتشيد ؟

ولله در المرحوم العلامة الاستاذ الدكتور أحمد زكى حين هتف بالأمة العربية : تناسلوا تكاثروا حتي تملئوا البحر والبر عربا .

ومن جهة أخرى :

فان الاستعدادات العسكرية التى يتسابق عليها الشرق الشيوعى والغرب الامبريالى وكلاهما مستعمر غاشم قد جعلت قضية الأخلاق فى الشرق العربى والإسلامى قضية فى حرج شديد إذ بهذا التسابق يتأرجح العرب والمسلمون

فى حيرة بين جاذبية كلتا القوتين ، وعندئذ لاتوجد شخصية أخلاقية للعرب والمسلمين ، ويبقى فى تفكير العرب إلى أى القوتين تضمن لهم السلامة ، ولا سلامة إلا فى الاعتصام بحبل الله المتين ويوم أن تفقد الشعوب شخصيتها الاخلاقية تنهار وتندك حصونها وتذهب شيعـا بددا فى صحراء التيه والضياع .

ثانيا : عوامل الفقر فى العالم العربى والإسلامى

أن الثروة التى يملكها العالم العربى والإسلامى هائلة جدا فى مجال الزراعة يملك ملايين الافدنة الصالحة للزراعة والتى تكتنفها الأنهار والامطار على امتداد الوطن العربى .

فى السودان مائتا مليون من الأفدنة يجرى من حواليها النيل الابيض والازرق وهما حزينان لأنهما يمران مر الكرام وسط هذه الملايين دون أن تشرب مائة مليون منها شربة من ماء النيل .

وفى العراق ثلاثون مليونا تهطل عليها الامطار وتجوس خلالها مياه دجلة والفرات .

وفى سوريا وفى فلسطين وفى مصر ملايين الأفدنة الصالحة للزراعة والكافية لسد حاجات مئات الملايين من الانس خارج الوطن العربى . . ولكنها لاتجد يدا عاملة ولا مالا يساند فى فلاحتها، والمناجم وآبار البترول والغاز الطبيعى ، والمحاصيل الزراعية التى تصدر إلى الخارج كلها ثروات تغطى حاجات العالم العربى والإسلامى ولكن الفقر هو سمة غالبية هذه الشعوب فلم . ؟

ان الاجابة اركزها فى هذه النقاط

أولا : الابتعاد عن ذاتيتنا الإسلامية إلى أيديولوجات شرقية أو غربية

لفت الأمة العربية فى أثواب خانقة من السياسة الاستعمارية التى انهكت كل قواها .

ثانياً : تلك الصراعات العربية التى لم تعرف لهـا نهاية ولم تجد لها من يلم شملها .

ثالثاً : تلك الحروب التى طحنت الأمة العربية دون أن تدرك لم حاربت ومن حاربت ، واعتمادات عسكرية باهظة لم تحقق للقضية القومية شيئاً .

رابعاً : بعثرة الإمكانات الاقتصادية والأحجام عن استخدام المال العربى فى ازدهار الأوطان العربية وهى حقل التنمية المرغوبة .

خامساً : تيه الاقتصاد العربى والإسلامى وسط جاذبية الاقتصاد العالمى .

سادساً : التبذير والإسراف فى النفقات السرية والإعلامية والترف المعيشى الخاص بالمظاهر الفضفاضة التى تضيع فى الهواء .

ومن هنا فرضت هـذه المشكلات أسباب الفقر فمالت الأذن العربية إلى وسوسة الغرب الصهيونى الصليبى وسمعت همسه : أن حل المشكلة فى تحديد النسل ، وهم كاذبون آثمون .

رأى العلامة ابن خلدون :

والعلامة ابن خلدون يربط التقدم الحضارى والرخاء الاقتصادى بزيادة السكان لأن هـذه الزيادة تدفع إلى التعاون على العمل الذى هو أساس التقدم الحضارى فيقول :

ثم إذا اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم ذلك إلى السكون والدعة ، وتعاونوا فى الزائد على الضرورة واستكثروا من الأقوات والملابس والتأنق فيها وتوسعة البيوت

واختطاط المدن والأمصار للتحضر ثم تزيد أحوال الرفه والدعة فتجيء عوائد الترف البالغة مبالغها فى التأنق فى علاج القوت واستجادة المطابخ ، وانتقاء الملابس الفاخرة .. ومعالات البيوت والصروح .. الخ .

فنظرية ابن خلدون وهو سيد أهل علم الاجتماع : أن الحضارة تحتاج إلى عنصر الوفرة فى الأيدى العاملة التى تقوم بأعباء أنواع حاجات الحضارة فالبدو ينتج ما يكفيه أما الرجل الحضرى فهو دائماً يتطلع إلى العلا وحاجاته مرتبطة بكثير من الفنون وشئون الصناعة وذلك لا يتأتى إلا عن طريق الزيادة فى السكان .

يقول ابن خلدون :

ومعناه الحاضرون أهل الأمصار والبلدان ومن هؤلاء من ينتحل فى معاشه الصنائع ، ومنهم من ينتحل التجارة وتكون مكاسبهم أنمى وأرفه من أهل البدو لأن أحوالهم زائدة على الضرورى ومعاشهم على نسبة وجدهم .. فقد تبين أن أجيال البدو والحضر طبيعة لابد منها .

والأمة العربية وهى الأمة التى برز فيها عالم الاجتماع العربى ابن خلدون فيها من الإمكانات ما يحقق نظرة اكثار النسل ثم هو أولى أن تميل فى اجتماعياتها إلى نظرية ابن خلدون لا مالتوس ولا ريكاردو .

ثالثاً : الرأى الإسلامى فى تحديد النسل :

تنشأ فكرة تحديد النسل كآثار لقضية أثارها الاقتصاد الفيزيوقراطى الذى يدعى أن موارد الطبيعة لا تكفى لتمويل البشر إذا زادوا فى المستقبل . وهى قضية عقدية قبل أن تكون اقتصادية ، فهل حقا الموارد الطبيعية غير قادرة على كفاية البشر .. ؟

إن الله تعالى يقول :

« والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيهـا من كل شيء موزون . وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين » .

(١٩ - ٢٠ الحجر)

« وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين » .

(١٠ - فصلت)

« وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ».

(٢١ - الحجر)

« ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل » . (١٠٢ - الأنعام)

« له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم » . (١٢ - الشورى)

« إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » . (٥٨ - الذريات)

فهذه النصوص ترفض الادعاء الأوربى القائل بأن الموارد الطبيعية غير قادرة على كفاية البشر إذا زاد عدد السكان والنبي ﷺ يحذر الأمة من تحديد النسل فيقول :

* (إذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء) رواه مسلم

* (اصنعوا ما بدا لكم فما قضى الله تعالى فهو كائن وليس من كل الماء يكون الولد) . رواه مسلم

* (لو أن الماء الذى يكون منه الولد أهرقته على صخرة لأخرج الله منها ولداً وليخلقن الله تعالى نفساً هو خالقها) . رواه أحمد

* أعزل عنها ما شئت فانها سيأتيها ما قدر لها . (رواه مسلم)

* اعزلوا أو لا تعزلوا ما كتب الله تعالى من نسمة هي كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة . (رواه الطبرانى)

* ما قدر فى الرحم سيكون . (رواه أحمد والطبرانى)

* ما قدر الله لنفس أن يخلقها إلا هى كائنة .

(رواه أحمد)

* ما عليكم أن لا تعزلوا فان الله قدر ما هو خالق إلى يوم القيامة .

(رواه مسلم)

* لا عليكم إن لا تفعلوا ذلكم فانها ليست نسمة كتب الله أن تخرج إلا هي خارجة . (رواه البخارى)

* كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء .

(رواه مسلم)

ولا أدل على رغبة الإسلام فى زيادة النسل من دعوة النبي ﷺ إلى الزواج من المرأة الولود الودود .

* ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة :

الودود الولود العوود التى إذا ظلمت قالت هـذه يدى فى يدك لا أذوق غمضا حتى ترضى . (رواه الطبرانى)

* تزوجوا فانى مكاثر بكم الأمم ولا تكونوا كرهبانية النصارى .

(رواه البيهقى)

* تزوجوا الودود الولود فانى مكاثر بكم . (أبو داود والنسائى)

* تزوجوا الولود تناسلوا فانى مباه بكم الأمم يوم القيامة .
(رواه البخارى ومسلم)

* انكحوا أمهات الأولاد فانى أباهي بكم يوم القيامة . (رواه أحمد)

وبعـــد :

فان القدماء المصريين كانوا أكثر ذكاء فى تصورهم للذرية من أغلبية كثيرين من دعاة تحديد النسل .

فقد ورث التاريخ عن قدماء المصريين إنهم كانوا يحبون الأطفال لدنياهم ولآخرتهم . وساعدتهم طبيعة أرضهم وأوضاعهم الاجتماعية والدينية على أن يستزيدوا من العيال دون أن يتوقعوا عنتا كبيراً و إملاقا[1] .

وأخيراً ..

رأى مجمع البحوث الإسلامية فى المحرم عام ١٣٨٥ هـ الموافق مايو سنة ١٩٦٥ انعقدت الدورة الثانية لعلمـاء المسلمين فى رحاب الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية ، وفى هـذا المؤتمر الثانى صدرت قرارات تتعلق بتحديد النسل قالوا فيها :

يقرر المؤتمر ما يلى :

١ — أن الإسلام رغب فى زيادة النسل وتكثيره لأن كثرة النسل تقوى الأمة الإسلامية اجتماعيا واقتصادياً وحربياً وتزيدها عزة ومنعة .

٢ — إذا كانت هناك ضرورة شخصية تحتم تنظيم النسل فللزوجين أن يتصرفا طبقا لما تقتضيه الضرورة وتقدير هـذه الضرورة متروك لضمير الفرد وتدينه .

---

(١) الأسرة فى المجتمع المصرى القديم دكتور عبد العزيز صالح ص ٣٤ .

٣ — لا يصح شرعا وضع قوانين تجبر الناس على تحديد النسل بأى وجه من الوجوه .

٤ — أن الاجهاض بقصد تحديد النسل أو استعمال الوسائل التى تؤدى إلى العقم لهذا الغرض أمر لا تجوز ممارسته شرعا للزوجين أو لغيرهما .

ويوصى المؤتمر بتوعية المواطنين وتقديم المعونة لهم فى كل ما سبق تقريره بصدد تنظيم النسل .

إن تحديد النسل : مجافاة للفطرة ومجافاة للطبيعة العربية .

وهو خرافة ، لأن الله فعال لما يريد .

ولأن الله غالب على أمره فهل من مستجيب ؟

التصور الإسلامى

للمـال ووظيفته

[يا أيها الناس :

إن هذه الأمة لم تختلف فى ربها ولا فى

نبيها ولا فى كتابها

وإنما اختلفت فى الدينار والدرهم وإنى

— والله — لا أعطى أحداً باطلا ،

ولا أمنع أحداً حقاً

أطيعونى ما أطعت الله فاذا عصيته

فلا طاعة لى عليكم] .

عمر بن عبد العزيز

١ — حوادث الحياة تشرح آيات القرآن :

تضغط حوادث الحياة على حركة العقل المفكر ... ليدرك فى أعقابها المتلاحقة معنى مؤكداً هو ..

* أن الحياة بكل ما فيها من متع سامقة فى رقى الحضارة المادية تافهة ...

* وأن هذه التفاهة التى يدركها العقل أخيراً قد وضحها القرآن الكريم للبصيرة المستعدة للايمان قبل البصر المناقش للقضايا .

وينتهى العقل : إلى أن الحياة بأحداثها ، إنما تفسر محكم آيات القرآن الكريم التى قضت فى حكم نهائى أنه لا يمكن لواحدة من الأحداث أن تمر فى نهرها دون أن تفسر هذا المعنى :

مادية الحياة تافهة وأن الآخرة هى دار الحيوان . وهى خير وأبقى ..

ويستقر فى فكر العلماء بعد هذا أن إعجاز القرآن له منطق ذاتى هو : أن الحركة البشرية فى جلابيب إيمانها أو إلحادها ، وزحمة أفكارها ، وحمأة وطيسها ، أنما تجرى على نظام مألوف لدى فقه الآيات الصادقة بذاتها فى كتاب الله القرآن الكريم .

ومن هذه القضايا التى انتهى النشاط البشرى الطويل فيها إلى حقيقة ما حكم به الإسلام .

قضية المال

فقد فشل فلاسفة الاقتصاد جميعاً فى إبراز تخطيط عادل لعملية التوزيع الاقتصادى وشهدت الحياة صخب المناقشات بين موائد فلسفة التوزيع

الشيوعى والتوزيع الرأسمالى ولم يجد كلاهما مسوغاً له يحمى مخططاته إلا رهبة الحديد ووهج النار ، وأخرج التعصب حدود التفكير فى كل من المعسكرين عن الوضع الطبيعى لمعنى الكرامة الإنسانية .

ونشأت مشكلات فى كل من المذهبين : الشيوعى ، والرأسمالى ، لاعلاقة لها أصلا بفكرة المال أو الاقتصاد ، ولكنها اقتحمت وسارت كنتيجة شبهطبيعية لدافع التعصب الردىء فى عمهه فكان الإلحاد قرين المبدأ الشيوعى ، كرد فعل لما لاقاه الكادحون فى ظل القيصرية الروسية القديمة من السطو الكنسى الذى سخر عرق الشعب ظلما لترفيه البلاط القيصرى .

وفى المذهب الرأسمالى ، ولدت العنصرية ، والأنانية الفردية ، واستغل قانون العرض والطلب فى خلق طبقات متناحرة على المادة فى قرصنة تجارية جائعة حتى خرج الإنسان عن حدود الإنسانية وأنزل نفسه من درجات السمو فى علاقاته البشرية إلى أحط ما تكون العلاقات بين عوالم الحيوان الأعجم الذى لم يشهد التاريخ أن واحداً من أجناسه قامت بينها عداوات أو أحسن كالتى يشهدها دائماً بين طوائف البشر من أجل المادة والمال .

وكان مرد هذا الفشل أن فلاسفة الاقتصاد لم ينتبهوا إلى أن مسألة التوزيع عملية خاصة بالتنظيم الإلهى للسلوك الإنسانى . فكانت حصيلة الثقافة الاقتصادية بمذاهبها المتعددة، وكانت الزحمة الحديدية التى خلقت لتحمى المخططات الفلسفية للتوزيع المتجافية مع الطبع الإنسانى ، كانت هذه العمليات كلها تفسيرات لمحكم آيات القرآن الكريم :

١ — « إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر » .

(٣٠ — الإسراء)

٢ — « نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا .

(٣٢ — الزخرف)

٣ - « ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض » .

(٢٧ — الشورى)

٤ - « وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها » :

(٦ — هود)

فيرد القرآن الكريم عملية التوزيع الاقتصادى إلى الله وحده ، وهذا هو سر فشل — الابحاث الاقتصادية كلها فى نظرية التوزيع .

ويعلل القرآن الكريم رد عملية التوزيع الاقتصادى إلى الله وحده بعلتين :

الأولى : إن الله وحده هو المتكفل بأرزاق العباد وهو المسخر للأسباب النفسية والمادية للكسب والعمل (وهذا القانون لم يتوصل إليه بعد علماء الاقتصاد) .

الثانية : إن الله لو بسط الرزق لعباده لافسدوا فى الأرض (وهذه العلة توصل إليها أخيراً جداً فلاسفة الاقتصاد فى القرن التاسع عشر الذين ذهبوا إلى أن الكم يؤثر فى الكيف وهو المعبر عنه بلغة القرآن « إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى » .

٢ — الكم والكيف ووظيفة المال :

ويمضى القرآن الكريم بعد هذا يصور الانفعالات النفسية والسلوك البشرى المنتظر تجاه ملكية المال وعدمها فتتلوا الآيات :

١ — يحسب أن ماله أخلده . (٣ — الهمزة)

٢ — فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن .

(١٥ ، ١٦ — الفجر)

٣ — وتأكلون التراث أكلا لما ، وتحبون المـال حبا جماً » .

(١٩ ، ٢٠ — الفجر)

٤ — « وما أرسلنا فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثر أموالا وأولاداً وما نحن بمعذبين » .

(٣١ ، ٣٥ — سبأ)

ومع عملية الـكشف عن نزعات النفس التى تتأثر بالمال كثرة وقلة وتفسر السلوك المترقب نتيجة لذلك ، فان القرآن الـكريم يحدد وظيفة المال ، ويبين ملـكيته الأصيلة فيقول :

١ — « المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا » .

٢ — « وانفقوا مما جعلـكم مستخلفين فيه » . (٧ ـ الحديد)

٣ — « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » . (٣٣ ـ النور)

٤ — « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى » .

(٥ : ١٠ الليل)

فيجعل القرآن وظيفة المـال ثانوية فى الحياة ، فهو فقط وسيلة لتعمير الأرض لإقامة العدل الطبيعى من أجل حياة أفضل سرمدية فى المستقبل عند الله .

ويرجع الملكية كلها إلى الله وحده ، ويحدد مقدار تسلط يد البشر على المـال بمقدار ما يكون للوكيل من يد فى مال موكله .

وتفسر السنة الإسلامية هذه النصوص الرئيسية فتقول :

« إن هـذا المـال خضرة حلوة فمن أخذه عن طيب نفس بورك له فيه ، ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه وكأنه كالذى يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى وأبدأ بمن تعول » .

٣ — العدل الاجتماعى وسياسة الإنفاق :

ومع هذه القواعد التى تحدد قيمة النظرة إلى المـال ، فان القرآن الـكريم يحفل .

١ — بقواعد التوزيع الإلهى التى تحترم القدرات الخاصة فى البشر وتساند ذكاءه فى عملية الإنتاج وتخلق منه طاقة هائلة تحترم مبدأ الـكفاية والعدل لتحقيق التكافل الاجتماعى .

٢ - كما يحفل بسياسة الإنفاق الفردى فى ظل فكرة ثانوية المـال حتى لا يتكالب الناس على جمعه فيعطلون وظيفته الطبيعية ويسيئون استعماله .

(ا) فيبين خطوطاً رئيسية للرعاية الاجتماعية ، تحقق العدل المعيشى للمتخلفين ، كما تسد خللا طارئا لبعض الأثرياء كأسعاف لحالاتهم التى ولدتها ظروف خاصة ، وبذلك يصون القرآن الـكريم فى المجـال التطبيقى وحدة الأمة النفسية ، ويقرب بين طوائفها الذين خلقوا على تباين فى الذكاء والقدرات والمهارات ، والاستعدادات ... الخ .

فيبرأ المجتمع من الطبقة المادية التى تخلخل أركانه وتزنم نفسيته . يقول الله تعالى :

« إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » .
(٦٠ : التوبة)

إلى جوار هذه الضريبة الأساسية يوصى القرآن الكريم كل مسلم بأصحابه في كل اتجـاه مع وصيته بضعفاء السـابلة وجميع المحاويج ، فيما تتلوه سورة النساء ؟

« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً ، وبذى القربى ، واليتامى ، والمساكين والجار ذى القربى، والجار الجنب ، والصاحب بالجنب، وابن السبيل ، وما ملكت إيمانكم إن الله لايحب من كان مختالا فخوراً».

(٣٦ ـ النساء)

وتجعل آيات سورة آل عمران البذل والإنفاق من كمال صفات المؤمنين :ـ
« وسارعوا إلى مغفرة من ربـكم وجنة عرضها السموات والأرض أعـدت للمتقين ، الذين ينفقون فى السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » (١٣٣ - ١٣٤ ـ آل عمران)

كما تشترك فى هذا التفسير آية سورة الأنفال : ـ

« إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون،الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون»
(٣/٢ الانفال)

وهذا المنهج الواضح لايحتاج إلى تخطيط أو تنسيق بأكثر من حاجته إلى قيادات تتفهم سبيل تطبيقه ، وتهرع إلى تحقيق العدل والكفاية على نظام طبيعى تألفه الفطرة وتحميه العقول ، وتسرع به الأيدى مع العواطف إلى درجة أسمى من الكرم وأكبر من المشاركة والمعاونة ، درجة الايثار وبذل التضحية .

« ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » . (٩ ـ الحشر)

(ب) و تتسق مع الفكرتين السالفتين :

١ ـ فكرة نظرة الأعلام إلى المـال .

٢ ـ وفكرة التوزيع للرعاية الاجتماعية ، وتحقيق الكفاية والعدل .

تتسق مع هاتين الفكرتين (فكرة الإنفاق) فيوصى القرآن الكريم بنى البشر فى قواعد عامة ترتبط بالسلوك الدينى المفوض إنابتـه إلى الله تعالى وحده فيقول :

١ ـ ولاتجعل يدك مغلولة إلى عنقك ، ولاتبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسوراً . (٢٩ ــ الأسراء)

٢ ـ وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً .
(٢٦ ـ الإسراء)

ويضع القرآن الكريم هذا التحذير داخل إطار لصورة تقشعر منها نفسية المؤمن الصادق فيقول ــ تكملة للاية :

«أن المبذرين كانوا أخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا » .
(٢٧ ــ الإسراء)

وفى لحظات الإيقاظ العفيف للعواطف يخاطب الله عباده فى مجال تحديد صفات عباد الرحمن فيقول :

(. . . والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواما).
(٦٧ـ الفرقان)

وتوضح السنة الإسلامية المطهرة فقه هذه الأسس فى قول سيدنا رسول الله ﷺ « المؤمن يأكل فى معاً واحداً ، والكافر يأكل فى سبعـة أمعـاء »
(رواه البخارى)

وملخص الحديث في الجو الاقتصادى — إن المؤمن يتناول من متع الحياة الحلال بقدر التوسط الذي لايخرجه عن الإعتدال الطبيعى إلى شراهة فى الإنفاق بالإسراف أو إلى شح فى الجمع بالتقتير .

فهو يتناول من المال بالقدر الوظيفى له ، والذى يجعله عبداً تقياً :

١ — يبر بالولدين .

٢ — ويحض على طعام المسكين ورعاية اليتيم .

٣ — ويرعي بحساسية إجتماعية جميع المحاويج .

٤ — ويسعف ذا النكبة والجار والملهوف .

٥ — ويجهز جيش الإسلام ويكثر صفوف المسلمين .

٦ — ويقى نفسه شر الفاقة والعوز .

وهذا كله فى ثوب الإيمان بالله الذى يقوى رباط التماسك الاجتماعى ويصفى هموم القلب من الأحقاد التى يجيشها فى الصدر العوز والحاجة ، ويمكن عناصر الوحدة فى كنف الإخوة الحانية من الدوام ، فان جوع الفرد وسط الجماعة يدفعه الشعور به إلى السطو أو الإنفصال عن الجماعة فى الفكر والذوق والشعور ... الخ .

وحول هذه المعانى يمكن أن يفهم ذلك — أدبا — من قول الله تعالى :

« كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » . (٧ — الحشر)

وتكون النتيجة الحتمية الطبيعية لهذه التشريعات .

١ — عدالة فى التوزيع تحترم الظروف النفسية والأحداث الزمنية .

٢ — رعاية متكاملة الجوانب للمحتاجين .

٣ ـ هدوء النفس من الفقراء ، واطمئنان على مستقبلهم المعيشى .

٤ ـ سماحة ورضا وإسهام من جانب الأثرياء .

٥ ـ وحدة متماسكة للأمة فى المشاعر والفكر ، والعمل والإنتاج ... إلخ الفرد فيها وحده أمة ، والأمة فيها معقل نضال ، وقلعة أمن ، للخير والسلام :

٤ ــ القرآن وضع الحد الطبيعى لقضية المال ... ولكن :

وبهذه الخطوط :

١ ـ النظرة إلى المال على أنه ثانوى فى الحياة .

٢ ـ وتحليل السلوك البشرى نتيجة الشعور بالغنى أو الفقر .

٣ ـ وتوزيع يحقق العدل والتكافل :

٤ ـ وتنظيم للحياة الفرد الاقتصادية على نظام التوسط والاعتدال .

بهذه الخطوط القليلة فى الكم الكتابى انتهى القرآن الكريم من مشكلات (قضية المال) ، وانتهى منها فى سرعة تتلاءم مع الفطرة الحقيقية للمال دون احتفال به على وجه أو نظام فسيح قد يبرز أهميته أكثر من وظيفته الثانوية ولكن فلاسفة الاقتصاد أنفسهم قد أتبعوا تفكيرهم كثيراً فى تحديد تخطيط ولو شبه عادل لعملية التوزيع والانفاق، حتى الجأهم إلى حماية آرائهم بالحديد والنار ، فقد نسوا :

١ ـ أن مسألة التوزيع مردها إلى الله تعالى وحده .

٢ ـ وأن المال تافه فى ذاته ، فان المال قد يذهب من أجل متعة رخيصة أو يرجى أن يدفع كله لدفع مصيبة ؟ .

وإذا كانت عظمة الشىء فيما ينتجه فان المال لا ينتج إلا شيئاً رديئاً ، فهو حقير تافه حقارة نتيجته وتفاهتها ... ؟

إن المال ليس بذى قدسية ذاتيه ، لأنه وسيلة . وإذا أخذت الوسيلة قدسية الغاية فقد ضل الناس الطريق .

وصدق سيدنا رسول الله ﷺ (تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش » . (رواه البخارى)

وصدق الله العظيم « المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا » . (٤٦ - الكهف)

« ما عندكم ينفذ وما عند الله باق » (٤٦ - النحل)

وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد الله رب العالمين فى وجه كل من يجعل المال فوق القيم ويجعل الإنسان عبداً للمال والمادة ويمسك بتلابيب الغرب فى نظرياته وأساليب حياته .

أسس العمل الاقتصادى فى الإسلام

أسس العمل الاقتصادى فى الإسلام

الدراسات الأقتصادية الحديثة تتنوع إلى عدة شعب ولكل شعبة هدف ومنهج خاص فى البحث .

فالنظريات الأقتصادية : تبحث فى آثار الندرة النسبية .

وعلم الأقتصاد : يبحث فى سلوك الفرد المعيشى

وتاريخ الأقتصاد : يبحث فى الأحداث التى تؤثر فى السلوك الاقتصادى ومجالات الإنتاج والتوزيع .

والأقتصاد السياسى : يبحث فى تأثير العلاقات السياسية بين الدول على العمل الأقتصادى .

ولهذا فان الدراسات الأقتصادية يمكن أن تتركز فى :

الثروة .

والإنتاج .

والتوزيع .

وما يتصل بهذه الأنواع من تفصيلات فانما هي خاضعة للظروف المحلية والدولية .

ولهذا فان الدراسات الأقتصادية المعاصرة لايمكن أن تتصف بالثبات والإستقرار لأنها تخضع للعوامل البيئية المتغيرة . فاذا ما أراد المسلمون أن يتعرفوا على نظام أقتصادى من القرآن فانما عليهم أن يتعرفوا على أسس

العمل الاقتصادي التي تشكل قواعد كلية يخضعون ظروف البيئة الاقتصادية لها لا أن يخضعوا القرآن لظروف البيئة الاقتصادية لاسيما إذا كانت ظروف البيئة الأقتصادية من عمل وتقاليد وعادات فكر غير إسلامي .

وبوجه عام فان القرآن الكريم كتاب الله المعصوم وتطبيقه يكفل السعادة للفرد والأسرة والمجتمع والدولة والأعراض عنه يكسب المسلمين شقاوة :

« من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون . . »

« ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . . » .

وقد أقر علماء الاقتصاد بوجه عام أن هدف الاقتصاد هو تحقيق الرفاهية للناس جميعاً ، ولكن هذا الهدف لم يستطيع علم الاقتصاد ولا علماؤه أن يحققوه . وقد كان الأمل عند علماء الاقتصاد أن يصل هذا العلم إلى غايته بالثورة الصناعية ولكنه فشل كذلك .

لقد فشل علم الاقتصاد فى تحقيق السعادة بين العمال وأصحاب العمل .

لقد فشل علم الاقتصاد فى تحقيق السعادة بعد قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ م .

لقد فشل علم الاقتصاد فى تحقيق السعادة بعد قيام الثورة البلشفية فى عام ١٩١٧ وهانحن نرى فى روسيا ثورة عمالية ضد النظام نفسه . كما نرى فى بولندا تحديا للنظام الماركسي .

وهذا دليل على أن العمل الاقتصادي يخضع لقانون آخر ليس فى مقدور الإنسان أن يحققه ذلك القانون . . هو :

«له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر إنه بكل شيء عليم . . » (١٢ الشورى)

وإذا كانت النظريات الاقتصادية تقوم على ثلاث دعائم ...

الإنتاج ، والتوزيع ، والقيمة

فقد جاء القرآن الكريم بجملة قواعد تؤلف أسسا لهذه الدعامات منذ نزول القرآن على سيدنا محمد ﷺ وقبل أن يوجد أجداد أصحاب هذه النظريات في الوجود الإنساني . .

بل إنفرد القرآن وحده بحل المشكلة الأقتصادية من ناحيتين :

الأولى : إنه وقى المجتمع من تفاقم المشكلات . .

الثانية : معالجة الانحرافات التي تهدد كيان المجتمع ...

ولا يصدر هذا عن القرآن إلا لأنه وحي غير مسبوق البتة : وسأتحدث هنا عن :

١ — الحاجات الأساسية للانسان عند علماء الاقتصاد وفي القرآن وعن العمل ودوافعه والأجرة والأجير . .

٢ - وعن التوزيع الثروة في نظر الإسلام . . وعن القيمة .

٣ — وعن رأس المال ومفهومه في الاسلام . .

٤ - وعن الندرة الاقتصادية وموقف الإسلام منها . .

وعندئذ يظهر لنا الأسس التي يقوم عليها العمل الاقتصادي في الاسلام . .

أولا : — الحاجات الأساسية للانسان . .

السلوك الاقتصادي أثر للتحرك الانساني بناء على الدافع Motive أو

الرغبة Desire في الحصول على ما يحقق له العيش والدوافع أو الرغبة هو الحاجة التي يشعر بها الإنسان لمواد المعيشة ... وقد ناقش علماء الاقتصاد هذه الحاجات وأصالوا فيها .

فرأى ماسلاو Maslow أن الحاجات الأساسية للانسان خمس مستويات.

١ ـ الطعام ، الماء ، الاخراج ، النوم ، الحرارة ، الحنين .

٢ ـ الأمن المادى : الملبس ، السكن ، تجنب مصادر القلق . .

٣ ـ الأمن النفسى : عطف الآخرين ، الاطمئنان على فرص العمل ومستقبل الأسرة ، صيانة الحقوق والمركز الاجتماعى . . .

٤ ـ التقدير الاجتماعى : الثناء ، العقوق ، إخفاء العيوب .

٥ ـ تأكيد الشخصية ، الإبداع ، الانتاج الأعمال النافعة .

ويتلخص هذا كله فى مسألتين : .

حاجات دنيا هى فى المستوى الأول والثانى .

وحاجات عليا هى فى المستوى الثالث إلى الخامس .

ويرى علماء الاقتصاد أن الحاجات العليا لاتوجد إلاعند التقدم الحضارى.

أما الحاجات الدنيا فهى اللازمة لبقاء الإنسان وهى · أصل الحديث . .

ولعلماء الاقتصاد نقد ملخصه أن المستويات التى ذكرها (ماسلاو) مكررة ومتداخلة وأن بعضها لا يصلح أن يكون حاجة أساسية لأن الحاجة الأساسية هى : كل ما يلزم لحياة الإنسان بغض النظر عن درجته الاجتماعية أو العلمية أو السيرة فاذا ما قلنا أن الطعام حاجة أساسية كان ذلك معقولا لأنه يضم جميع الأفراد تحته . أما إذا قلنا أن المدح والثناء حاجة أساسية كنا مجافين صفة العموم فبعض الناس يعتبر المديح نقصاً .

٢ — أما مالينوسكى Malinowski

فقد قسم الحاجات إلى ثلاثة أقسام رئيسية

١ — حاجات أساسية .

٢ — حاجات متفرعة .

٣ — حاجات ثقافية .

وهذا الرأى كسابقه كذلك لا يحدد القاسم المشترك بين أفراد الإنسان ويلاحظ كل هذا مع أتكال الفرد على ما تبذله له الدولة من خدمات .

أما القرآن الكريم فقد حصر الحاجات الأساسية للانسان كقواعد للحياة فى أربعة عناصر ،ودفع الإنسان إلى الحصول عليها والعمل بجد لاكتسابها وقرر الإسلام أن العمل فى سبيل تدبر المعاش واجب شرعى وأن المسئول مسئولية واجبة عن توفر هذه الحاجات الأساسية للأسرة هو الرجل ، والمرأة لها أن تعمل تطوعا وذلك كلا فى آية واحدة : « أن لك إلا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ بها ولا تضحى» .

الجوع و الأكل .

العرى الكساء

الماء الشراب .

المأوى السكن .

وهذا هو القدر المشترك بين جميع أبناء البشر ، وقد سوج الإسلام هذه الحاجات الأساسية بسياجين :

الأول : ضرورة العمل للحصول عليها . .

الثانى : إطلاق حرية الأفراد فى نشاطهم من أجل الحصول عليها فالمسلم لا يكون إلا منتجا .

والمسلم حر لاتقيده غير قوانين الشريعة وهي شروط لا تقلل من نشاطه وعمله أو تعطل من إنتاجه أو تفرض عليها لوناً خاصاً من المشروعات الإنتاجية ، قال تعالى : « وهو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » (الملك)

« فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره

ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » (الزلزلة)

وقد حذر الإسلام من الكسل والبطالة ـ فلقد كان النبي ﷺ يستعيذ بالله من العجز والكسل ، وكان ينصح طالبي الصدقات بالاحتطاب والبيع فى الأسواق .

(ب) العمل ودوافعه :

العمل : هو كل إجهاد ذهنى أو عضلي يهدف به الإنسان إلى إيجاد شيء يسد به بعض حاجاته .

والعمل بهذه الصفة واجب إسلامى يقول الله تعالى :

« وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » . .

« فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور» . .

« من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه .

حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون .

وأفعلوا الخير لعلكم تفلحون . .»

فاستبقوا الجزاء إلى الله وحبكم . . .

وفى الحديث:

« أن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملا أن يتقنه » .

« أن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها إلا الهم فى طلب المعيشة » .

« من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسألة وسعيا على عياله وتعطفاً على جاره لقى الله ووجهه كالقمر ليلة البدر » .

« ما هذا الذى أرى بيدك ؟ قال من أثر المسحاة أضرب وأنفق على عيالى فقبل رسول الله ﷺ يده وقال :

هذه يد لا تمسها النار . .

والعمل بهذه الصورة وظيفة أساسية فى أن يجد الإنسان حاجاته الأساسية فى الطعام والكساء والشراب والمأوى . .

فتلك الحاجات هى الحاجات الفطرية التى لاغنى منها للانسان أى ثم هى تأخذ مستواها الحضارى بعد ذلك .

فالأكل حاجة أساسية : ونوع العمل ومقداره هو الذى يطور مستوى هذه الحاجة الأساسية .

والشراب حاجة أساسية : ونوع العمل ومقداره هو الذى يطور شكل ومستوى هذه الحاجة .

والكساء حاجة أساسية : ونوع العمل الذى يبذله الإنسان ومستواه هو الذى يطور هذه الحاجة الأساسية .

والمأوى حاجة أساسية : وظروف الإنسان الاجتماعية والعسكرية

وحالاته فى أيام السلم والحرب هى التى تحـــدد مستوى عمله فى تطوير هذه الحاجة الأساسية .

فالمسلم مثلا يجد أن الله سبحانه وتعالى حدد له الغاية من الطعام وهى المحافظة على حياته وفى سبيل ذلك .. جعل له فى حالات الاضطرار أن يأكل ما يجده من المحرمات .

ثم فى جانب اليسر جعل له كل ما أخرجه له من الطيبات يقول الله تعالى: « يا بنى آدم كلوا واشربوا ولا تسرفوا إن الله لا يحب المسرفين » (الأعراف)

قل من حرم زينة الله التى أخرجها لعباده والطيبات من الرزق ... :

فأكل الرجل المسلم حاجة أساسية أحاطها القرآن فى سورة الأعراف فى لحظة العسرة وفى سعة اليسر ورخاء العيش وقد جعل الإسلام النفقة على العيال واجبة وجعل الحفاظ على حياة الإنسان واجبة وهنا تبرز حكمة الإسلام فى تحريم الانتحار وقتل النفس بغير حق .

والشراب أو الماء بصفة عامة مطلب أساسى للانسان فى حياته وفى عادته فعليه أن يشرب ماء نقياً وتنقية الماء تتطلب منه جهداً تحدده مستويات العمل الاقتصادى، وعليه أن يتوضأ ويغتسل وهذا يوجب عليه أن يسعى اقتصادياً لتبادل هـذه الحاجة الأساسية على أرفع مستوى ليحيا وليعبد الله لأن الماء الملوث والنجس لا تصح به الصلاة ولا الغسل وهى أمور أساسية فى الدين .

والـكساء حاجة أساسية ثم هـو واجب شرعى لستر العورة وللصلاة والحج فعلى المسلم إذن أن ينشط اقتصادياً ليكفل لحياته هذه الحاجة الاساسية وليستطيع أن يؤدى الصلاة صحيحة ، ولباس الابيض يوم الجمعة شىء ولباس الفاخر من الثياب وجديدها أيام العيد سنة والسنة هنا سلوك إسلامى مرغوب فيه .

وإذن فالمسلم مطالب بالنشاط الاقتصادي الذي يحقق له هذه الحاجة على مستويات الواجب والسنة ليكون متأسيا حقيقة بالسلوك الإسلامي الذي سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم والحديث يقول :

(من رغب عن سنتي فليس مني ..) .

والمأوى : حاجة أساسية وهو مأوى الإقامة ومأوى الترحال ولقد سبق القرآن الكريم الفكر الاقتصادي حتى الآن في جعل المأوى قسمين : مأوى ثابت ومأوى انتقال . يقول الله تعالى : « والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين » . (٨٠ النحل)

فالحاجة الأساسية في المأوى للمسلم مرتبطة بحياته الشخصية وحياته الدينية.

« وهو مهاجر في سبيل الله فلابد وأن يكون له مأوى .

« وهو حاج لابد وأن يكون له مأوى كذلك :

مأوى في الطريق ومأوى في الإقامة ..

والمأوى يحتاج إلى مواد بناء ومرافق للحياة .. كالمياه والأسواق وغيرها ... والعمل للحصول على هذه المطالب الأساسية ليس حقاً مشروعا فقط كما يذهب إلى ذلك المشرعون للقوانين الوضعية ولكنه واجب شرعي .

وفي سنن الترمذي

* « لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره فيتصدق منه ويستغني به عن الناس خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه ذلك فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى وابدأ بمن تعول .. »

ويقول : إن المسألة كد يكد بها الرجل وجهه .

وفى مسلم :

* دينار انفقته فى سبيل الله .

ودينار انفقته فى رقبة

ودينار تصدقت به على مسكين

ودينار انفقته على أهلك ، اعظمها اجراً الذى انفقته على أهلك .

* لايتصدق أحد بتمرة من كسب طيب الا أخذها الله بيمينه فيربيها كما يربى أحدكم فلوه أو قلوصه حتى تكون مثل الجبل أو أعظم .

* وعن مسلم :

مايزال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة وليس فى وجهه امزعة لحم .

* أفضل الكسب كسب الصانع بيده . .

* أن المسألة لاتحل الا لأحد ثلاثة :

رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك .

ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش .

ورجل اصابته فاقة حتي يقوم ثلاثة من ذوى الحجا من قومه لقد أصابت فلانا فاقه فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش فيما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتا يأكلها صاحبها سحتا . .

* وفى مسلم :

على كل مسلم صدقة قيل أرأيت إن لم يجد ؟
قال يحتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق .

بهذا يخلص الفرد المسلم من الذلة ومن الكسل ويحقق لوجوده حياته بالعمل الشريف وبارادته المنطلقة فى اختيار مايحبه . .

* * *

ولما كان العمل للحصول على مطالب الحياة الأساسية شأنها وكان واجبا فقد اعفى الله المرأة من هذا الوجوب وجعله خاصا بالرجل يدرك المسلم هذا فى قوله تعالى : —

«فقلنا ياآدم : إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . وجه الخطاب إلى آدم وحواء معا فيما يتعلق بتحذيرها من ابليس حتى لايخرجا من الجنة فان خرجا كانت الشقاوة والتعب لآدم لأنه هو المسئول عن تهيئة وسائل العيش له ولزوجته وأولاده .

وليس فى هذا منع للمرأة من العمل ولكن فيه إيجاب العمل على الرجل وحده يوضح هذا جليا : لا نسقى حتى يصدر الرعاء .

فبنتا شعيب تسقيان الغنم لأن والدهما شيخ كبير لا يقدر على العمل وليس لها أخ ذكر يعمل عملهما ولكنهما لم يستطيعا مزاحمة الرجال فوقفنا بعيدا حتى ينتهى الرجال من سقى انعامهم وذلك سعى ونصب فى سبيل الحصول على واحد من مقدمات الحياة الاساسية وهو الماء .

فدل ذلك على أن العمل للمرأة مباح فى حدود تدبير المعاش وبناء الأسرة إن كان طالب الرزق حاجة اليها لعدم وجود من يعطيها أو لعجزه أن كان موجودا

هذا بالإضافه إلى الاعمال التى يوجبها الإسلام على المرأة . .

والاسلام يوجب على المرأه أن تكون طيبه ترعى مصالح النساء

إذ ليس من المباح على إطلاقه أن يداوى الطبيب المرأة الا عند عدم وجود طبيبة من النساء لهن . .

والإسلام يوجب على المرأة أن تدرس الفقه للنساء فان فى مسائل الفقه قضايا لايجيز الإسلام للرجل أن يشرحها لها بالاسلوب العادى فان الحياء شعبه من الايمان .

والاسلام يوجب على المرأة أن تكون ممرضة لاقسام النساء فى المستشفيات إذ لا يبيح الاسلام مطلقا أن تنكشف عورات النساء على الرجال . .

وذلك كله عامل اقتصادى فى ادخار الشعور بالأمن فى المجتمع وذلك أساس أصيل فى ضمان سلامة الانتاج . . .

مستوى العمل :

والعمل الذى يوجبه الاسلام على الفرد المسلم إنما هو العمل الطبيعى الذى تنعته كل صفة إنه العمل المتقن المناسب وليس العمل الردىء السيء .

والعمل من الفرد المسلم طاعة لله فالرقيب هنا هو الله وحده . . وفى هذا الجو ترتبط مشاعر العامل المسلم بالله دائما .

لأن الله هو الذى يطلب إليه أن يعمل : وقل اعملوا . .

والله سبحانه هو الذى يراقبه : اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك . .

وفى الحديث :

إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملا أن يتقنه . .

وذلك القدر هو الذى يعجز عند جميع علماء الاقتصاد . .

أن يقنعوا العامة والخاصة بقيمة العمل على هذا النحو الإسلامي الذى

تحترم فيه الإنسانية ويكرم فيه الإنسان ، حتى ولو ملأوا المكتبات ، بالفقه والنظريات إذ النفس بفطرتها لا تذل إلا لخالقها ، والتمرد على سلطان البشر أمر مألوف .

وبهذا فقد قرر الإسلام ..

إن العمل هو السبيل الطبيعى لكسب المعاش ..

ولبقاء الإنسان على قيد الحياة ..

وأنه لا يجوز أن يهبط العمل عن الحد الذى يكفل تحقيق الحاجات الأساسية للفرد المسلم فى الحالين : الفردى والدينى ..

ولا يسمح الاسلام للفرد المسلم أن يعيش عالة أو أن يعطل غيره عن العمل أما الناحية الادارية لتنفيذ هذه القواعد فترجع إلى السلطة الإدارية فى الدولة الإسلامية لأنها تتطور حسب الظروف والأحوال وهى جزئيات تتغير وتنقص وتزيد .

وملخص هذا الجزء :

١ - إن العمل واجب .

٢ - وإن الدولة أو الفرد فى المجتمع ليس من حقه أن يمنع أحداً عن طلب هذه الحاجات الأساسية بالأسلوب الحلال المشروع بل على الدولة الإسلامية . أن توفر فرص العمل لكل فرد ليحصل لنفسه ولأسرته على هذه المطالب الأساسية .

٣ - وليس من حق أحد أن يقيد نشاط العامل بحد محدود أو عمل معين .

وعلى هذا فكل مال يحصل عليه بغير جهد لا يسمح به الإسلام لأن العمل هو أساس الحصول على الثروة ...

الأجرة والأجير :

لا تتغير العلاقة بين العامل الأجير وصاحب العمل لمجرد تغير التسمية كما جنح إلى ذلك بعض علماء الاقتصاد فغيروا اسم الأجير إلى عامل لأن فى نظر الإسلام من حق كل فرد بل واجب على كل فرد أن يعمل فمطالب الحياة لا تغلب فهى تقهر النفس الإنسانية وتجبرها على السعى للحصول عليها .

ولقد فشل النظام الرأسمالى والسنوي أو الاشتراكى بوجه عام فى وضع نظام عادل للعمال .

فى الرأسمالية قد يحصل الأجير على أجر يسمح بمستوى مناسب يطيب به العيش ولكنه لا يملك شيئاً من وسائل الإنتاج . وفى الشيوعية قد يملك العامل جزءاً من وسائل الانتاج ولـكنه لا يحظى بمستوى مناسب من العيش ومن الحرية الشخصية فى اختيار الذى يعمل له .

.. أما فى الإسلام فقد قسم الفقهاء الأجير إلى قسمين :

أجير خاص وهو الذى يقف وقته وجهده على صاحب العمل كالمدرس والموظف الادارى .

وأجير مشترك وهو الذى يعمل فى جهات متعددة ومثله الطبيب والمهندس الحر والخياط ..

وفى كلا الحالتين : فان الإسلام يأمر باعطاء الأجير أجره قبل أن يجف عرقه فى الحديث الشريف .

أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه ..

ثلاث أنا خصمهم يوم القيامة ومن كتب خصمه .. خصمته :

رجل أعطى بى ثم غدر .

ورجل باع حراً فأكل ثمنه .

ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يوفه .

عـدالة الأجر :

وإذا كانت الأجور فى الغرب تقوم على أساس الخدمة التى يؤديها العامل بغض النظر عن احتياجاته ويرون العدالة فى أجور العمال هى التساوى فى الأجر نظير نوع العمل المتساوى أو المتشابه ..

فان الإسلام يعتبر العدالة فى الأجر هى عدالة الكفاية ..

يقول الله تعالى :

«والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء» .

فى الآيات نص صريح على تفاوت الأرزاق وعدم قبول النفس التنازل عنه إلى العبيد بناء على اختلاف متطلبات الحياة لكل من الصنفين وهذا ابتلاء من الله تعالى لينجز ويمتحن عناصر الجنس البشرى ..

* وتفاوت الأرزاق ظاهرة طبيعية فى جميع أنواع المجتمعات قديماً وحديثاً — لأنها تتبع التفاوت فى الذكاء والقدرات الخاصة وبالظروف التعليمية والاجتماعية والسياسية بل إن مصلحة المجتمع وتطوره وبقاءه مرتبطة بهذا الاختلاف والتغاير .

فيقول الله تعالى :

«أهم يقسمون رحمة ربك ..

نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ..

ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون » . (٣٢ ـ الزخرف)

فالتسوية نسبية لا حسابية فاذا زيد أجر عامل متزوج ليواجه متطلبات أسرته فان أجره يزيد على نظيره العزب الذى يشترك فى العمل ومع هذا فانه يقال بحق إن تحديد الأجرين روعيت فيه التسوية وتقوم هـذه العدالة على أساس وجدانى تأمر به المبادىء الإسلامية قال ﷺ : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) . . فرعاية حقوق العمال أو الإجراء فى نظر الإسلام لا تقوم على أساس من العمل فحسب ، بل على أساس من الانسجام الوجدانى الذى يقوم على الحب الخالص لوجه الله .

وفى الحديث : (ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وافترقا عليه) وذلك ما لا يستطيع أن يعمل به المشرعون الاقتصاديون أو السياسيون .

وبذلك فقد ضمن الإسلام مستوى إنسانيا لمعيشة الأجير يقوم على المودة النفسية والحب فى الله . .

ثانيا : توزيع الثروة :

« كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » . (٧ - الحشر)

يعترف الصادقون فى بحوث الاقتصاد إن الاقتصاد المعاصر يرتكب خطأين بارزين .

الأول : التعسف فى تحقيق العمالة الكاملة .

الثانى : التوزيع التحكمى الغاشم للثروة والدخل على نحو لا يحقق العدالة .

يقرر ذلك اللورد ميا نينارد كنز فى كتابه :

« النظرية العامة » الذى صدر فى عام ١٩٣٦ . . وذكر أن انجلترا أخذت نظام الضرائب الذى يساعد على حل المشكلة غير إنه أبدى تأسفه الشديد لأن

كثرة الضرائب تؤدى إلى التهرب منها . ولذا فقد حكم بأن حل المشكلة عن طريق فرض الضرائب غير مأمون العاقبة .

وقد قرر اللورد ماينارد كنز : إن العضو المستثمر الذى يقدم أمواله للصناعة والتجارة ويقعد عن السعى والعمل لا يعتبر عاملا فى المجتمع بل هو عضو مشلول .

وذهب إلى أن تحقيق العمالة الكاملة فى نظره لا يتأتى إلا إذا جمعت المدخرات وفائض الإيرادات وسلمت إلى الدولة لتتصرف فيها فى وجوه الإصلاح لتحقيق العمالة الكاملة . . وهو بهذا لا يتفق مع المذهب الاشتراكى الذى يقول بتمليك أدوات الانتاج للدولة .

كما عكف جانب كبير من علماء الاقتصاد على دراسة هذه الظاهرة ومنهم : ايفان دوريه الذى استمر أكثر من عشرين عاماً لاحظ أن ١٠ ٪ من البريطانية يحصلون على ٤٥ ٪ وإن ٩٠ ٪ يحصلون على ٥٥ ٪ .

وأعاد سبب هـذا التفاوت إلى نظام المواريث الإنجليزى الذى يعتمد على الوصية لا سيما تلك الظروف التى سببت دخلا كبيراً لأصحاب المصانع .

ولذا فقد كانت الوصية التى استخلصها هؤلاء الاقتصاديون :

خفض الأرباح .

ورفع الأجور .

والاتجاه الأمريكى حول هـذا يقول : ليس فى وسعنا أن ننتج بالعمل الرخيص سلعة تجمع بين الجودة وانقاص التكاليف فهو إذن لا يوافق على خفض الأرباح لأنها تؤثر فى نوعية الإنتاج وإن كانت النظرية الأمريكية توافق على رفع الأجور لأنها تؤدى إلى حرص العامل على جودة الإنتاج . .

فاذا مارجعنا إلى القرآن الكريم والسنة النبوية وجدناهما يقرران توازنا بين الربح والأجر وعدم اجهاد المستهلك .

فيما يتعلق بالربح والأجر : « إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا » .
(٣٠ ـ الكهف)

فحسن العمل مرتبط به الأجر .. فالأجر نسبي بين جودة الصناعة وكفاية حاجات العامل .

يقول النبي ﷺ : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .

١ ـ وقد حرص الإسلام على ذلك منذ بدء بناء المجتمع الإسلامي ففي غزوة بني النضير قسم رسول الله ﷺ المال وأعطاه كله للمهاجرين لأن الأنصار لهم أملاك وثروة .

لقد قال رسول الله ﷺ للأنصار :

« إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة ، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة ؟ فقالت الأنصار : بل نقسم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ونشاركهم فيها[١] » .

والدليل على صحة هذا المبدأ إن رسول الله ﷺ أعطى رجلين فقيرين من الأنصار قسما كذلك للدلالة على أن المراد هو عمل تعاذل في توزيع الثروة على المسلمين[٢].

وبهذا وضع الإسلام في هذا الفجر الصادق لكل مجتمع إسلامي ناشيء مبدأ توزيع الثروة على المستحقين حتى لايكون المال دولة بين الاغنياء فقط.

---

(١) في ظلال القرآن جـ ٣٠ ص ٣١ مجلد ٨ ص ٣١١ حياة محمد .
(٢) العدالة الاجتماعية في الإسلام ص ١١٧ .

٢ – وينظم الإسلام داخل المجتمع الإسلامي عدة مبادىء اقتصادية تساعد على توزيع الثروة على جميع فئات الأمة :

١ – فقد أقر الرقبي والعمرى ففى البخارى :

قضى النبي صلى الله عليه وسلم بالعمرة انها لمن وهبت له والعمرى هي .

تمليك منفعة لا جل تعود بعدها العين إلى المالك أن مات المنتفع أو يملكها المنتفع أن مات المالك قبله .

٢ – والهبة ، ففى البخارى : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها .
وفى سبيل ذلك فقد شرع الإسلام مسألتين :

الأولى : عدم العود فى الهدية ففى البخارى . العائد فى هبته كالكلب يقىء ثم يعود فى قيئه . .

الثانية : واحتقار كمية الهدية ففى البخارى

يانساء المسلمات لاتحضرن جارة لجارتها ولو فرس شاه . .

وفيه أيضاً :

لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت ولو أهدى إلى ذراع أو كراع لقبلت .

٣ – الزكاة وهي تنظيم متكامل للقضاء علي الفقر فى المجتمع الإسلامي . .

١ – إذ الإسلام يحدد أن هذا الجزء يخرج لواحد من الاصناف الثمانية

٢ – وأن الإسلام يحذر من البطالة .

٣ – ويحذر من عدم إخراج الزكاة . .

ففيما يتعلق بالنقطة الأولى يقول الله تعالى :

« إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ».
(٦٠ التوبة)

وأما فيما يتعلق بالمسألة الثانية ففى مسلم :

لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله ، وليس فى وجهه مزعة لحم .

من سأل الناس أموالهم تكثراً فإنما يسأل الجمر فليستقل أو ليستكثر من كان عنده مال لم يؤد زكاته مثل له شجاعاً أقرع فيقول أنا كنزك .

وأما فيما يتعلق بالمسألة الثالثة ففى مسلم :

يا ابن آدم إنك أن تبذل الفضل خير لك ، وإن تمسكن شر لك ، ولا تلام على كفاف وأبدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى .

٤ — ثم هو يحث على الصدقة والعمل من أجلها : ففى مسلم:خير الصدقة عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وأبدأ بمن تعول .

— إغاثة المحتاج ففى سنة بن داود عن فاطمة بنت قيس عن النبى ﷺ : أن فى المال حقاً سوى الزكاة .

٥ — وجعل الوصية ونظامها عاملا من عوامل منع الترف .

٦ — وكان الميراث أحد أركان هذا النظام .

٧ — ومن أجل توازن عادل فى إستقرار توزيع الثروة جعل هناك نظاماً .

١ — للعاريه

كنا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ عارية الدلو والقدر .

٢ ـ العقيقة ففى البخارى مع الغلام عقيقته فأهريقوا له دما .

٣ ـ الكفارات : الظهار ، اليمين ، والقتل الخطأ .

٤ ـ النذور .

٥ ـ حقوق الجوار : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه .

٦ ـ القرض الحسن : من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسنا .

بهذه الأنظمة :

١ ـ الأجر المناسب .

٢ ـ العمل الجيد .

٣ ـ توزيع الثروة عن طريق تشريعات هي من عبادة الله سبحانه وتعالى يظهر جانب من الاقتصاد الإسلامى فى جانب توزيع الثروة والأجر والعمل .

ثالثاً : ١ — رأس المال فى نظر الإسلام .

رأس المال فى نظر الإسلام ليس هو النقود وحدها ولكن رأس المال ثلاثة عناصر .

١ ـ الأرض وما فيها .

٢ ـ الإنسان وماله من قدرات .

٣ ـ والنقود وهي حاصل العمل ويمكن إستثمارها فى إتجاهات أخرى .

ويلحوط أن عمل البنوك فى المال لايقوم على إدخارها فقط بل هو يربحها عن طريق التجارة أو المشاريع الاقتصادية الأخرى .

١ ـ أما فيما يتعلق بالأرض كجزء من رأس المال فالقرآن الكريم يقرر:

« الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » .

« وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » . (١٢/١٣ الجاثية)

وإذا كانت هذه الآيات مكية فمعنى هذا أن القرآن منـذ فجر الدعوة وهو يوجه المسلم إلى حقيقة أساسية هى : أن الوجود هذا كله سخر للمسلم ليطوعه لوجه الله الكريم .

ويقول الله تعالى : « هو الذىجعل لكمالأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » (١٥ — الملك)

« هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعاً » . (٢٩ — البقرة)

« وماذرأ لكم فى الأرض مختلفاً ألوانه أن فى ذلك لآية لقوم يذكرون » وهو الذى سخر البحرلتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون .

(١٣ - - ١٤ النحل)

٢ — أما فيما يتعلق بالقوى العاملة :

فقد جعل الإسلام الذكاء والقدرات الخاصة من نعم الله على الإنسان ليستخدمها فى كل ما ينفع وفى كل ما هو خير . .

يقول الله تعالى :

« والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » . (٧٨ ـ النحل)

ويقول النبي ﷺ :

« المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير »

المؤمن كيس فطن . .

٣ ـ وأما فيما يتعلق بالنقود فقد نظم الإسلام عملية التبادل فى القرآن الكريم : « لكى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » .

وأن صح أن يشمل هذا كل ماله قيمة مالية .

غير إننا نستخدمه هنا لأنه هو الأثر الظاهر فى العصر الحديث لمعنى الثراء والمال .

وبهذا فان الأمة الإسلامية بما وضعها الله فيه من أرض لها إمكانيات كثيرة هى أنفس ما تعتز به الدولة الحديثة من البترول والمطاط والخشب والذهب والفضة والحديد والفحم والقصدير والثروة المائية . . الخ .

وبما تملكه من إعداد هائلة من البشر ليس لها عذر فى تأخرها عن التقدم الاقتصادى وما عليها إلا أن تأخذ بسبيل الإسلام فيما هيأه لها الله من الثروات فتعمل بما أتاها من عند الله « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب » .

(ب) وظيفة المال :

لقد حدد القرآن وظيفة المال يقول الله تعالى : ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً . .

فالمال هو وسيلة العيش وهو أصل تقوم عليه الحركة المعيشية ولهذه الوظيفة حرص الإســـلام على المال حتى تضمن الأمة الإسلامية عيشاً مستقراً لهـا .

وجعل الله فى هذا المال حقوقاً :

« وأتوهم من مال الله الذى أتاكم » (٣٣ النور)

« والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » (٢٤/٢٥ المعارج)

وحفاظاً على المودة والأخوة الإسلامية فقد أكد الإسلام على المسلم فى إخراجه للصدقة أن يراعى مسألتين :

الأولى : النوع الذى يخرج منه الصدقة فقال :

« ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون » (٢٦٧ البقرة)

الثانية : طريقة إخراج الصدقة فقال :

« وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لـكم » (٢٧١ للبقرة)

وقد جعل الإسلام للفرد ذاته وللأسرة والفقراء والمساكين والأيتام حقا فى المال يقول الله تعالى :

« وأتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وفى الرقاب » (١٧٧ البقرة)

ويقول النبي ﷺ :

أفضل دينار ينفقه الرجل : دينار ينفقه على عياله ، ودينار ينفقه الرجل على راتبه فى سبيل الله ، ودينار ينفقه على أصحابه فى سبيل الله (مسلم)

وعند مسلم عن جابر قال : اعتق رجل من بنى عذرة عبداً له عن دبر فبلغ

ذلك رسول الله ﷺ فقال : ألك مال غيره ؟ فقال : لا فقال : من يشتريه مني ؟ فاشتراه نعيم بن عبد الله العدوى بثمانمائة درهم فجاء رسول ﷺ فدفعها إليه ثم قال : ابدأ بنفسك فتصدق عليها فان فضل شيء فلأهلك فان فضل من أهلك شيء فلذي قرابتك فأن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا . .

فوظيفة المال إذ هي : إشاعة الرخاء فى المجتمع الإسلامى عامة . .

وبهذا العرض الموجز يتضح أن الاقتصاد الإسلامي يقوم على دعائم منبثقة عن العقيدة بالله سبحانه وأول هذه الدعائم .

١ ـــ أن المال أساس للحياة الإنسانية وأن العمل حق واجب يأثم كل مسلم لا يقوم بواجبه على قدر ما منحه الله من الذكاء والقوة .

٢ ـ أن الحركة الاقتصادية حركة تجميع مستقر له سيادة على جميع أفراده وبلاده . .

٣ ـ وأن الثروة الطبيعية هي جزء أساسى من رأس المال الذى يجب على المسلمين أن يطوروه حسب مقتضيات الزمن والبيئة .

٤ ـ وأن وظيفة المال وقيمته لإشباع حاجات الإنسان الضرورية وأشاعة الخير والرخاء فى المجتمع الإسلامى .

ومايخص هذه الأسس كما يلى : ـ

يقوم الاقتصاد الإسلامى على عدة دعائم :

١ ـ الجهد الإنسانى .

٢ ـ السيادة والاستقرار للدولة والمجتمع .

٣ ـ الثروة الطبيعية التى تملكها الجماعة الإسلامية . .

٤ ـ إسهام المال فى إشاعة الرخاء لجميع طبقات المجتمع الإسلامى . .

فهل للمسلمين اليوم ملجأ يهرعون إليه فى طلب العدالة الاجتماعية بعد دين الله الحقيق ؟

أما الله فقد أنذرنا : « فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا » .

وقد وقع المسلمون فى هذا الضنك فهل يفيقون ويرجعون إلى شرع الله ودينه الإسلام الحنيف لعلهم يرجعون ؟؟

رابعـا : الندرة الاقتصادية :

يدعى الباحث الاقتصادى (بيجو) أن وظيفة الدراسات الاقتصادية هي تحقيق أعلى المستويات الممكنة عملياً لرفاهية الإنسان ومعنى ذلك فى العرف الاقتصادى :

زيادة ما يخص الفرد من السلعة الاستهلاكية والخدمات التى تشبع حاجاته مع تخفيف الجهد الذى يبذله فى طلب الرزق .

ويستدعى هـذا الكشف عن الموارد الطبيعية التى تساعد بتصنيعها على تحقيق هـذا الهدف ولكن الواقع المشاهد الآن هو : إن قوى العالم الغربى والشرقى قد اتجهت إلى توسيع الصناعات العسكرية وأبحاث الفضاء بما لا يدع مجالا للتفكير فى حل الندرة الاقتصادية .

فالنفقات العسكرية التى تستغل فى زمن السلم بلغت أكثر من ٥٠٠ مليار جنيه استرلينى (خمسمائة مليار جنيه استرلينى) فى عام ١٩٨٠[1] . . أما نفقات

---

(١) راجع التقرير السنوى لمركز دراسات السـلام الذى نشر فى جريدة الأهرام يوم الأثنين ٣ من شوال سنة ١٤٠١ هـ الموافق ٢ من أغسطس سنة ١٩٨١ م العدد رقم ٢٤٥٦٧ لسنته ١٠٧ ص ٥ .

أبحاث الفضاء فقد بلغت أرقاماً مذهلة وكل ذلك على حساب عيشة الإنسان على وجه الأرض .

وبذلك فإن النـدرة الاقتصادية قد عقدها الغرب والشرق ولم يعد قادراً على حلها بعد أن تورط في السباق العسكرى والفضائى ..

أما موقف الإسلام عن هـذه القضية : النـدرة الاقتصادية فقد قدم لها الحلول منذ الزمن البعيد :

أولا: وجه الإنسان إلى الثروة المائية بكل ما في البحر من معادن وحيوانات يقول الله تعالى :

« ومايستوى البحران ، هذا عذب فرات سائغ شرابه ، وهذا ملح أجاج ، ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها ، وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » . (١٢ فاطر)

« الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون، وسخر لكم ما في السموات والأرض جميعاً فيه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » . (١٢-١٣ الجاثية)

فالقرآن يوجه الفكر الإنسانى خاصة الفكر الإسلامى إلى الاستفادة من البحر فى حل النـدرة الاقتصادية التى يبنى عليهـا بقـاء عيش الإنسان فى الأرض . .

ثانيـاً : كما حث على عمارة الأرض وأرشد المسلمين إلى معالجة اقتصادهم عن طريق إضافة أرض جـديدة صالحة للانتاج وحدد لذلك مـدة ثلاثة أعوام ، لأنها المدة التى يراها الإسـلام كافية للعمارة والتملك يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

من أحيا أرضاً مواتا فهى له .

وليس لمحتجز حق بعد ثلاث سنين .

ثالثاً : استخراج المعادن من باطن الأرض .

ففى الحديث : المعدن . جبار وفى الركاز الخمس [رواه البخارى ومسلم].

وفيها خمس ما يستخرج كزكاة وأربعة أخماسه لمن استخرجه .

رابعاً : قانون الإنفاق أباح الله الأكل والشرب ولكن بقانون « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، إن الله لا يحب المسرفين » (٣١ الأعراف)

وجعل التبذير علامة على التبعية للشياطين .« إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين » . (الإسراء)

وجعل الاعتدال من صفات المتقين .

« والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواما ». (الفرقان)

ثم أمر الفرد المسلم أن يكون معتدلا فى كل أحواله : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك . . ولا تبسطها كل البسط ، فتقعد ملوما محسورا » . (الإسراء)

وذلك القانون له أثره فى حل الندرة الاقتصادية إذ رفاهية الإنسان خاصة إلى الإنتاج والانفاق معا ، فكثرة الانفاق مع الإنتاج ، لا تحقق الرفاهية واتزان الانفاق مع اعتدال الانتاج ولو غير كثير يحقق الرفاهية لأن كل فرد سيجد ما يحتاجه دون جهد وبذلك تبرز قيمة من قيم الاقتصاد الإسلامى وهى القضاء على الندرة الاقتصادية .. بكثرة الإنتاج واتزان الإنفاق .

خامساً : حرم الإسلام جميع الأنظمة المالية التى تعطل الدورة الاقتصادية مثل ١ ـ كنز المال : «والذين يكنزون الذهب والفضة لا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » . (التوبة)

٢ ـــ الربا : « يا أيها الذين آمنوا أتقوا الله وذروا ما بقى من الربا » .
(البقرة)

٣ ـــ الاحتكار : يقول النبي صلى الله عليه وسلم .

لا يحتكر إلا خاطيء .

(مسلم وأحمد وأبو داود)

« من احتكر حكره يريد أن يغلى بها على المسلمين فهو خاطيء » .
(رواه أحمد)

« من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس » .
(ابن ماجه)

٤ ـــ والغش : من غشنا فليس منا .

٥ ـــ والغصب : لا يأخذن أحدكم متاع أخيه جاداً ولا لاعبا .

(أحمد وأبو داود)

لا يحل مال امرىء مسلم إلا بطيب نفس . (الدارقطنى)

٦ ـــ والسرقة : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » .

(المائدة)

٧ ـــ وحرم الرشوة : « لعن الله الراشى والمرتشى والرائش ولا تأكلوا
« ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام » .
٨ ـــ الميسر : يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثماً كبير ..

سادساً : وأباح كل نظام استثمارى فيه فائدة للأمة الإسلامية فأحل الله . .

١ — السلم :

يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

من أسلف فليسف فى كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل . .
(رواه الجماعة)

٢ — والقرض :

« من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة .. » .
(البقرة)

وفى الحديث :

(ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ..) .

٣ — والشركة والمضاربة :

عن رويفع بن ثابت قال :

إن كان أحدنا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأخذ نضو أخيه على أن له النصف مما يغنم ولنا النصف وإن كان أحدنا ليطير له النصل والريش وللاخر القدم .

ولو طبق ذلك النظام لانتهت المسئلة الاقتصادية كمشكلة فى المجتمع الإسلامي وقدمنا للحضارة الحديثة اقتصاداً جديداً سمته : اقتصاد الرخاء

فهل من صاحب لب حصيف . . يخلص النية لله ويأخذ بيد الأمة إلى حياض الإسلام الحنيف . . لعل الله يرحمنا من بلاء الاقتصاد الذى أنهكته حقول التجارب بين أضابير النظريات الشرقية المتداعية والغربية المتعجرفة . . ؟

لعل فينا رجلا شديداً يأوى بنا إلى ركن الإسلام الحنيف يومها نجد الله قد رضي عنا وجعل من بعد عسر يسراً . . فانه وحده جل شأنه يبسط الرزق لمن يشاء .. ويرزق من يشاء بغير حساب .. ؟

أهمية الصوم

وأثره فى مجالات الحيـــــاة

* شاء الله أن يخلف الإنسان مواكب الملائكة فى عمارة هذه الأرض . وحسب الخطوط المدونة فى علم الله لحركات الإنسان على هذه البسيطة نشأت الجماعات وكونت المجتمعات والدول ، وأحتاج الناس فى إجتماعاتهم التى ينشطون فيها بالحركة وتنشأ فى ظلالها أنماط العلاقات السلوكية . احتاج الناس إلى قانون ينظم لهم هذه العلاقات لتسير عمارة الأرض على أساس العدل والإحسان والرحمة والرفق ... ومن غير شك ليس فى الحياة أدق حكمة ولا أصوب تقديراً ومعرفة لرغبات الناس إلا الله سبحانه وتعالى ، فأرسل الله الشرائع تترى بها الرسل المصطفون لهداية الناس إلى أقوم الطرق الموصلة إلى إقامة العدل فى الحياة لتكون عمارة الأرض بحركاتهم قائمة على السبيل القويم الذى تهفو له البشرية فى عمق عواطفها .

* وقليل من عباد الله الشكور أخذ بهذه الشرائع .

* وكثير من عباد الله الذين فتح الله لهم أبواب توبته ورحمته واسعة على مصارعها ينادون إلى ساحته بالليل والنهار، وإن كثيراً من عباد الله المخطئين قد انحرفوا وضلوا فوضعوا قوانين ظنوا فيها العدل لإقامة مجتمع سليم فعجت الحياة بالمظالم والنكسات والتهافت .

* والقوانين حسب الظواهر التاريخية لاتنجح إلا إذا إكتمل لها شروط ثلاثة :

١ - صدورها عن رغبة الجماعة فى الأمة : والقوانين لن تصدر كذلك إلا إذا أحست الأمة بالمشكلة فتسن لها قانوناً ينظمها .

٢ - معالجتها للمشكلات عن طريق الرحمة والعدل معاً .

٣ - تلقائية القوانين باحترام الشعب لها من عمق ضميره لا خوفاً من السجن. ولا رهبة من السجان .. بل حباً فى أن يأخذ الإنسان نفسه بالسلوك على منوالها فتفيض نفسه إحتراماً لها .

* وفرق كبير بين القوانين الوضعية وشرائع السماء .. فانها إن اشتركت على سبيل الفرض والمثال فى الشرطين الأولين . . فانها لن تشترك فى الشرط الثالث . . ذلك لأن تلقائية القوانين الوضعية مرتبطة بالسلطة التنفيذية التى لا تقبل توبة ولا تحترم اعتذاراً فهى شبه تلقائية سطحية شكلية لا إتصال لها بالقلب والعقل والفكر والإيمان .

* أما الشرائع السماوية فقد قالت :

« إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات » .

* بل هى تذهب إلى أبعد من ذلك فى قبول الإعتذار وحب التوبة فتختم الآية السابقة بقوله تعالى : « وكان الله غفوراً رحيما » ويغذى هذا الأختتام قول الله تعالى هاتفاً بعباده :

« يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم .. لا تقنطوا من رحمة الله .. إن الله يغفر الذنوب جميعاً .. إنه هو الغفور الرحيم » .

* ويكفى المؤمن طمأنينة أن الله يناديه بياء النسب إليه : « يا عبادى » ففيها من الله التهدئة والطمأنينة مايحقق إيحائياً استقرار النفس وثقة الأمل والجرى السريع نحو الله .. نحو السلام .. والأمن .. والبركة .. والرخاء ..

* هذا من جانب .

ومن جانب آخر :

فان تلقائية القوانين تحتاج إلى تدريب سلوكي يحقق هـــدف القانون والإسلام وحده هو الذي يمتاز بأنه زواج بين التشريع التقنيني وبين الوسائل التدريبية ليربي الأمة على تنفيذ الشريعة تنفيذاً تلقائياً .. ولذلك فان الله سبحانه قد سلب من البشرية كلها سلطة المراقبة العليا على الأعمال والطاعات وردها إليه وحده جل جلاله .. فيجيب سيدنا رسول الله ﷺ على سؤال جبريل ما الإحسان ؟ فيقول :

« الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » .

* فالإسلام إذن : عالج بحكمة ربانية جميع الميادين التي تنشط البشرية لعمارة هذه الأرض .. معالجة بالتشريع المصاحب (بفتح الحاء) بالتدريب فجعل الله في العبادة تدريباً للجماعة الإسلامية تنتظم بها ميادين حياتها الذاتية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتاريخية بل والترويحية أيضا ..

* وكان من تلك العبادة التدريبية التي يحقق بها الإسلام تطبيق القانون السماوي في جميع الميادين التي تقوم عليها حياة شريعة « الصوم » .

* والحديث عن الصوم كتغذية لمجالات الحياة يتخذ له الإطار التالي :

١ ـ الصوم في المجالات التربوية .

(ا) الصوم في ميادين التربية أساس متين لخلق الشخصية المستقلة :

فبينما تقوم ضجة في أندية علماء التربية بأوربا حول تربية المواطن الصالح ويشرعون من المبادىء التي يحفظها المدرسون وتلقن بالتالي إلى التلاميذ وحسب ، بينما نرى الإسلام يجعل من الصوم تدريباً على الشخصية المستقلة التي

تقبل أن يتنازل عن إشباع شهواتها الجوفية والوجدانية طوال النهار طال أم قصر . وليس عليها من رقيب إلا ربانيتها لله ولا عليها من سلطان إلا رضوان الله والإشفاق من وعيده والرجاء في وعده . ولا يحاسب إلى جبروت الله .. ولذا يقول الله تعالى في الحديث : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فانه لى وأنا أجزى به » .

إن الصوم الإسلامي الذى أضافه الله تعـالى إلى جلاله في الحديث هو الصوم الذى يعلم الفرد المسلم أن يكون ذا شخصية مستقلة في التفـكير صائمة عن الفساد الفـكرى والاجتماعى مراقبة لله في عملها فلا هى دنيئة محتاجة إلى رشوة ولا هى بليدة محتاجة إلى مراقب ولا هي خائنة ولا هى خبيثة محتاجة إلى تشجيع .. بل هى شخصية حبيب إليها أن ترضى الله حبيب إليها أن تعمل في صوم طاهر لم يدنس عملها الصائم رشوة ولا طمع في مكافأة ولا رجاء الشكر والثناء . يقول النبي الـكريم : « الصيـام جنة فان كان يوم صوم أحدكم : فلا يرفث .. ولا يجهل .. وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل : إنى صائم .. إنى صائم .. والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » .

(ب) الحساسية الاجتماعية وبطلان نظرية الصراع :

وإذا استمعنا إلى أحاديث علماء أمريكا في التربية قالوا إن المواطن الصـالح هو الذى يتميز بالحساسية الاجتماعية . ويحدد هؤلاء العلماء تلك الحساسية بأضلاع ثلاثة :

١ ــ أن يحس بآلام المواطنين وأن يندفع بعاطفة جياشة نحو حلها .

٢ ــ أن يحاسب نفسه في سلوكه حتى لا يسلك سلوكاً معادياً يضير الآخرين .

٣ ــ أن يضحى في سبيل الجماعة التى يعيش معها .

تلك هي الأضلاع الثلاثة لمثلث الحساسية الاجتماعية . ولكن أين هو الميدان التدريبي التربوى الذى يصنع المواطن الصالح ليدفعه سلوكيا إلى تحقيق تلك المبادىء حتى تكون الحساسية عنده عاطفة سيكولوجية مكتسبة يستعملها المواطن الصالح فى غرضها النبيل تلقائياً عند اللزوم .

فشلت المنظمات الأوربية فى إيجاد ميدان تدريبي يجعل الحساسية صفة تلقائية فى سلوك المواطن الأوربى .. بينما الإسلام شرع الصوم تدريباً على خلق عاطفة الحساسية الاجتماعية — المشتركة بين الفقراء والأغنياء لإيجاد مجتمع تتحقق فيه الكفاية والعدل والحنان .. فالصالح الغنى عندما يكون صائماً لله إيماناً وإحتساباً ويتذوق مرارة الصوم ويحس بآلامه وعنده كل ما تشتهيه النفس وتقر به العين ولا يستطيع أن يمد يده إليه طوال فترة الصوم التى حرم الله عليه فيها أن يتلذذ بشىء ما من نعمه الحلال ويقبل أن يتمنع إيماناً واحتساباً هذا المرء تندمث نفسه الطيبة المسلمة وهي تستشعر من نفسها مواضع الحنان فتتصور بؤس الفقير ورقة حاله . فتنساب نفسه حناناً فياضاً وتمتد يده بخير الله الواسع . . فتملأ بيوت الفقراء بنصيبها من خير الله الذى وكل فيه الأغنياء فيدرب الصوم المسلم الغنى على إعمال الحساسية الاجتماعية تدريباً كله إيمان بالله واحتساب عند الله ويتضح بالصوم ميدان عملى للتشريع الاجتماعى لاغاثة الفقراء والبائسين تفتحاً إنسيابياً طبيعياً تلقائياً .

وأيضاً يتذوق الفقير مرارة الصوم ويحتسب صومه عند الله ويصوم إيماناً واحتساباً لله . ثم تسعى إليه خيرات الله على يد الأغنياء الصائمين المسلمين فيستشعر بالصوم فى نفسه الأمانة على أموال الأغنياء ويحمد الله على كل خير جاءه . ويفتتح بالصوم ميدان عمل لحماية المجتمع من السرقة ، والانحرافات حفاظاً على أمن الدولة وسلاماً على أموال أصحابها . فتثبت الدورة الاقتصادية فى مأمن من التعطيل والتعويق والتسيب ويحل محل الصراع الطبقى الإخاء الإسلامى والحنان الدينى .

وهكذا .. يؤاخى الإسلام بين الأغنياء والفقراء المسلمين بالصوم فى تربية الحساسية الاجتماعية فيترك فى كل نفس حساسية اجتماعية إيجابية ويتعلم كل من الأغنياء والفقراء عملا إيجابياً بالصوم : « إنه البذل والإنفاق عن حب وطاعة لله من جانب الموسر » .

« وإنه الحمد والثناء والرضا وحماية أموال الأغنياء امتثالا لأوامر الله من جانب الفقير » . وتحل بركة القناعة والرضا على كل طوائف المجتمع فينتشر الحب والإخاء بين المسلمين .

فأية أمة استطاعت أن تشرع قانوناً أو تربى مواطناً صالحاً كأمة الإسلام ؟ وذلك لأن دينها دين الطبيعة البشرية الحق . . ومن كان كذلك إلا لأنه من عند الله وصدق الله العلى :

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » .

« استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » .

« ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

٢ — الصوم فى المجال الاجتماعى :

(أ) السمو الخلقى :

تتسابق الأمم فى تشريعاتها القانونية لخلق مجتمع سام فى خلقه تقوم العلاقات فيه على أساس من الحق والصدق والنبل وتسرى فيه المودة مسرى

الدم الصالح فى العضل القوي . وقد تظفر أمة فى تشريعها بالسمو النظرى . ولكن الإسلام وحده هو الذى يمتاز فى تشريعه للجماعة بأنه دربها على السمو الخلقى بالصيام .

فالصيام جنة ووقاية للفرد من الانحراف وحماية للمجتمع من الاسفاف لأن الفرد لبنة فى بناء المجتمع ..

« فمن لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » .

إن الصوم الحقيقى فى الاسلام يعلم الفرد أن يتعامل بالحق مع مساكينه .. وأن يتحرك فى المجتمع على أساس من الفضيلة الواضحة ليست الملتوية أو المنطوية .. فمن لم يستجب بكل جوارحه لغايات الصوم فلا يرفث ولا يجهل حتى ولو اعتدى عليه غيره .. فعليه أن يستحثه بقوله إنى صائم .. إنى صائم .. فيبعث فيه سمو الخلق ونبل العتاب كما أنه لا يحيد عن الحق بشهادة الزور وأحاديث الاعراض .

من لم يستجب بكل جوارحه لغايات الصوم السامية التى تخلق مجتمعاً فاضلا فى خلقه متحاباً فى أفراده متعاوناً فى معيشته فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه أو شرابه لأن الصوم فى الإسلام ليس ترك الطعام أو الشراب ولكنه شيء أسمى من كل هذا .. إنه إنشاء سمو فى خلق الأفراد وبعث حب فى قلوب الناس وتعويد على الطاعة لولى الأمر المسلم وبذل التعاون فى سبيل الخير والاحسان والمعروف ونشر للفضائل فى حياة المجتمع .. مجتمع المودة ، والبر ، والأخلاق الجيدة .

(ب) الصوم والوحدة :

وليس هذا فحسب .. بل إن الصوم ، فى مظهره إمساك من كل الناس

فى وقت معين ثم إذا ما هتف الداعى من فوق المـآذن الشامخة عزاً فى ملك الله : (الله أكبر .. حى على الفلاح) حوقل المسلمون فى بقاع الأرض. وهللوا وقالوا فى زمن واحد : اللهم لك صمت .. وبك آمنت .. وعلى رزقك أفطرت ، ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر والحمد لله » .

فأية أمة فى الغابرين والحاضرين لها من تماسك الوحدة التى لا انفصال فيها أبداً .. بمثل ما للأمة الاسلامية التى وحد الله بينها بالصوم ؟ .

فتذوق الغنى الطافح باليسار آلام الفقير فى غياهب الفقر .. وأحس المتعلم الممتلىء بالمعارف حاجة الجاهل الخالى من أي شيء .. أحسوا جميعاً بحالة نفسية واحدة طوال فترة الصوم . ثم اجتمعوا فى لحظة واحدة على حمد الله والايمان به وسد رمقهم جميعاً لقمة واحدة : أية لقمة ...

وابتلت العروق بماء أى ماء ... وكل ذلك إيماناً واحتساباً لوجه الله الكريم .

أن أمة فى الحياة لها هذا المظهر الجماعى لتتحدى القوانين والأمم أن يكون لغيرها مثل هذه الوحدة قوة وتماسكاً وتصميماً على القوة والتماسك وصدق الله العلى العظيم :

« لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم » .

فهل يترك المسلمون الاحساس بهذه الوحدة التى ضمن الله بقاءها .. وسلامتها إلى أسلوب آخر من ألوان الارتباط السياسى ؟

(حـ) الصوم والرعاية الاجتماعية :

ليست الرعاية الاجتماعية هى أن يؤخذ من الأغنياء ليعطى الفقراء . . .

فان مجرد الأخذ والإعطاء ليس رعاية . بل قد يولد علاقات البغض والحقد فى كلا الطرفين . . ولكن الرعاية الاجتماعية هى أن يعيش الفقراء فى ظل حنان الأغنياء عن إيمان مشترك من الطرفين . . إن للفقراء حقاً معلوماً وإن الأغنياء أمناء على هذا الحق من قبل الله الكريم .

والصوم فى مجال الميدان الاجتماعى هو «دربة» عملية على تمرين الأغنياء على الحنان الانسانى وتعويد للأثرياء على الانفاق والبذل عن طيب خاطر ورضا نفس . . وهو اعتراف صريح من الاغنياء بأنهم أمناء على حق الفقراء فـ : « صوم رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع إلا بزكاة الفطر » .

فيعلق صوم الصائم بين السموات والأرض حتى يؤدى زكاة الفطر وهكذا يفهم المسلمون من أحاديث رسول الله ويعتقدون فيندفع الاغنياء الذين صاموا لله إيماناً واحتساباً لاخراج حق الفقراء وهو زكاة الفطر ليفك صومهم من العقال الذى علقه بين السماء والأرض ويتقبل الصائم الغنى فى حلاوة الإيمان هذا العمل الإنسانى النبيل بمنتهى اللذة النفسية والفرح القلبى : كما يشعر الفقير صاحب هذا الحق أن الله رد عليه حاجته التى ائتمن الغنى عليها فتبدوا فى المجتمع روابط الرعاية الاجتماعية « البذل عن حب فى جانب الغنى والرضا والقناعة والحمد عن حب فى ذلك من جانب الفقير » .

وينجح الإسلام فى وسائله التدريبية فى إعداد مجتمع تسوده عواطف البر والحنان من غير قهر ولا جبروت . والإسلام بذلك إنما يخاطب عواطف البر فى طبيعة الإنسان البشرى فهو كمثل يطالب اللبن من الضرع إنه يطلب الحنان من مصدره الطبيعى وغير ذلك من القوانين الغربية والشرقية جافة صلبة تطلب الماء من الصخر وهيهات أن يجود الصخر بالماء .

وبذلك يتقرر أن الإسلام قد ضمن تنفيذ قوانين التكافل الاجتماعى

تلقائياً فقد أوجد بالصوم التدريبي رابطة البر الاجتماعي بين أفراد البشر فهل بعد تلك الرعاية من سبيل .

إن الاسلام قد نظم لنا شئون حياتنا بأضعاف ما نظم لنا أخرانا لأن الله صاحب هذا الدين حملنا رسالة الهدى لهذه البشرية :

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » .

فعلينا نحن جماعة المسلمين أن نعدل سلوكنا على نمط قواعد الإسلام حتى لانكون نحن معياراً فاسداً يقيس المبغضون لنا به قواعد ديننا . . وقد بلغت . . والله يشهد .

٣ ـ فى الميدان السياسي :

(ا) الحرية والمساواة :

تحتاج كل أمة فى حياتها الإنسانية إلى الشعور بالحرية وإلى الشعور بالمساواة ولكي يستمر وجود الأمة ويستمر فيها شكلها السياسى وأنماطها السياسية لابد أن يشعر الشعب بالحرية والمساواة وقد علم الإسلام أمته ممارسة الحرية فى كثير من ميادينه التدريبية على نحو ماهو موضح فى دراسات نظام الحكم فى الإسلام . ولكن الصوم له منزلة خاصة يتضح فيها شعور الأمة بالحرية وشعورها بالمساواة فعندما يبيت الكل صائماً وقد كان في وقت السحر ، كل فرد من أبناء الأمة يجهز ما يتناوله استعداداً للصوم أيا كان لون هذا الطعام . وأيا كان هذا الفرد ، فالكل ينوى « نويت صوم غد لله العظيم » عندما يسرح خاطر أى فرد من هذه الأمة يشعر بالحرية الإنسانية ، فالكل من رئيس دولة إلى أصغر فرد فيها قد نوى الصوم لله العظيم وإذن فالحرية الإدارية مكفولة والكل حر فى ظل احترام قوانين الجماعة ولن يعرقل إلا المارقون على قوانين الجماعة لأن القانون أنظمة أقرتها

الجماعة لتنظيم بها حياتها ، فعلى كل فرد أن يحترمها لأن احترام القوانين احترام لرغبة الجماعة ، وهنا تبدو جليا وظيفة الشرطة إنها ليست تلقين المجتمع القانون لأن القانون هو رغبة المجتمع . بل عمل الشرطة هو رد المارقين عن القانون أو على « رغبة الجماعة » إلى حوزة الجماعة والاعتراف بحرية رغبتها . ذلك هو فقط اختصاص البوليس « الشرطة » انه خدمة الجماعة واصلاح الخارجين على رغبتها . . والجماعة هى صاحبة الحق الأساسى فى ممارسة الشرطة ذلك الاختصاص ، وفي الجو الإسلامى يأتى دور الصوم ليرفع يد السلطة عن إرادة البشر المسلم .

فالصوم الإسلامى تدريب للجماعة والفرد معاً على ممارسة الحرية ممارسة تكفل حرية الفرد والجماعة فى تحقيق رغبة الكل فى سبيل الصالح العام. إذ الصوم درس عملي يجدد معنى الحرية ومعنى المساواة ، ومثل هذه الحرية التى يشعر بها المسلمون الصائمون يشعرون كذلك بالمساواة فالكل قد تساوى فى امتثال الأمر الإلهى ، لأن الكل صائم لله فهم متساوون أمام القانون الإلهى والذين يفطرون أيا كانت رتبهم خارجون على مشاعر الجماعة ويجب معاقبتهم . والتاريخ القديم والحديث لم يعرف أمة تساوت فيها جميع الطبقات مثل الأمة الإسلامية فقد تساوى فيها الرئيس مع أقل أفراد الدولة فى الحقوق والقضاء أمام القانون ويؤكد هنا المساواة قول سيدنا عمر بن الخطاب : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتص من نفسه . ويقول : أخطأ عمر وأصابت امرأة .

وإن الصوم الإسلامى أداة تدريبية لشعور الشعب بالحرية وشعوره بالمساواة وهو بذلك قد ضمن لدولة الاسلام الاستمرار والبقاء فى ظل القوانين الاسلامية التى شرعها الله وآمنت بها الجماعة وائتمنت على تبليغها للناس .

(ب) الصوم والاكتفاء الذاتي :

تحتاج الأمم فى بعض ظروفها السياسية إلى قطع العلاقات مع دول أخرى ، فيتسبب عن ذلك نقص فى بعض الحاجات التى تستوردها الدولة وقد عاش الاسلام فى فجر حياته على أرض مقفرة جدبة فكان لابد له أن يعلم أبناءه الاكتفاء الذاتى على المواد المحلية . فدربهم الإسلام بالصوم على الاكتفاء الذاتى لمنتجات الجزيرة فى ظروف الحصار الاقتصادى أو الضغط السياسى لا سيما وقد مارس أعداء الدعوة لوناً من المجابهة ، الاقتصادية فى شعب بنى هاشم .

فبينما تقبل الأمم غير المسلمة مبدأ الاكتفاء الذاتى رغم أنهـا لم تدرب طوال حياتها على هذا العمل . نرى المسلمين قد دربهم الصوم طوال ثلاثين يوماً كل عام على مبدأ الاكتفاء الذاتى وذلك تأكيداً لمعنى الشخصية المستقلة التى تقرر مبدأ سياستها بناء على رأيها وظروفها هي غير متأثرة بضغط ولا بحصار . ولا باملاء من أجنبى . وذلك أيضاً من أساليب الحفاظ على حرية المسلمين وبقاء إرادتهم كاملة فى حرية تصريفها على أساس من التشريع الذى ارتضته من الله دينا .

٤ ـ فى الميدان الاقتصادى :

(ا) الكم يؤثر فى الكيف :

وبعد جهاد وصلت الأبحاث الاقتصادية إلى القانون الاقتصادى « الكم يؤثر فى الكيف » فاذا كثرت المادة في يد فرد كانت سبيلا إلى تغيير أوضاعه السلوكية ، وكذلك إذا قلت المادة فى يده تغيرت أوضاعه السلوكية كذلك .

ولكن الإسلام من قبل قد أدرك هذه العلاقة بين المادة والسلوك فهتف :

« إن الإنسان ليطغى . أن رآه استغنى »

« يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله .

فالقوى ووسائل الإنتاج هبة الله إلى الناس ، فالإنسان فقير في حاجته إلى هذه الوسائل فعليه أن يؤدى ضريبتها لتستمر هبة الله له ، ومن هنا يظهر معنى دعاء الرسول ﷺ :

« اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » .

إنه دعاء إلى الله بسلامة أدوات الإنتاج وحتى يشعر الفرد بحاجته إلى تلك الأدوات فى الإنتاج فرض عليه الصوم لتقلل فيه قوته على استمرار الانتاج فيدرك أن أدوات الانتاج فيه هبة من الله وأن سلوكه الانتاجى مرتبط بقوتها وضعفها فيعطى من إنتاجه حقوق الفقراء لتستمر هبة الله له أو تبقى أدوات الانتاج له سليمة ، فنحن نرى أن الإسلام قد عالج قانون الكم يؤثر فى الكيف من زاوية توجيه الكم إلى الخير واعتقاد صاحب الكم ووسائله من الله هبة ، وأنها هبة نظير ضريبة . والصوم وحده هو الوسيلة التدريبية التى تدفع المسلم الصائم إلى الايمان بهذا التوجيه وإلى الاعتقاد بهذه الهبة و بضريبتها .

وأن المسلم ليرفع رأسه عالياً بين علماء الاقتصاد لأنهم وضعوا قانوناً فى أوراق لا تعينه عاطفة ولا تحميه عقيدة ولا توقظه موعظة، ولكن الاسلام وضع ديناً يوقظ المسلم إلى الكمالات والخير فى جميع الميادين ، ولا ريب فان الاسلام أغلى هدية من الله إلى الناس . . وأكرم به من هدية وأعظم به من دين .

٥ — الصوم فى الميدان الترويحى :

لم يرد الاسلام أن يقيم احتفالاته القومية على نظام راقص فوضوى ، يسبح فيه الناس أشتاتاً صائحة هائمة ، بل نظم الاسلام مواسم الاحتفالات تنظيماً يبقى للجماعة الإسلامية طهر ذكرياتها ، ويحفظ عليها كبرياءها ، ويجدد فيها العزم ويشحذ فيها الهمم .

١ — ففى رمضان نزل القرآن الكريم وهو دستور هذه الأمة :

« إنا أنزلناه فى ليلة القدر » .

وهى ليلة واحدة فضلها الله فى عبادتها على ألف شهر كانت فى الماضى لأمم قبلنا .

٢ — وفى رمضان كانت غزوة بدر الكبرى وهى أول حرب إسلامية نزل فيها مدد الله إلى جيش الاسلام وسمعت العرب لأول مرة بأن محمدا الذى هاجر إلى مكة فريداً قد صار له جيش هزم قريشاً . وفى بدر وضع أول قانون دولى للمقاصة من أموال المعتدين ، فكان الاسلام أسبق من العالم الحديث فى وضع القانون الدولى الذى يحترم سيادة الدولة على أملاكها وحقوقها المشروعة .

٣ — وفى رمضان أتم الله على المسلمين فتح مكة فدخلت العاصمة التى بها كعبة الاسلام فى حوزة الدولة الاسلامية فاكتمل للاسلام مقومات الدولة الرسمية .

تلك مواسم كلها ذكريات تهيج فى قلوب المسلمين فرحة النصر وفرحة الهبة الكبرى « دين الاسلام » فشرع الله الصوم إحياء لتلك المواسم واحتفالا

طاهراً عبقاً زكياً بتلك الأعياد . ليعلم الاسلام الشعوب نظافة الاحتفالات بالمواسم . وفي ظلال هذه الابتهالات المربية للشخصية والجامعة للوحدة المدربة على السلوك الاجتماعي والسياسي والاقتصادي تبرأ الأسقام وتصح الأبدان والأمة قوية الأبناء أعز سلطاناً من الأمة التي صفر فيها بكروش الاستسقاء أو أصابهم شحن التخمة والاعياء .

ويلاحظ المشرعون أن الله أعفى المرضى والمسافرين من الصوم لأن الميدان التدريبي لا تكمل نتيجته إلا حيث تكون أدوات الادراك كاملة التفرغ وقد شغلها المرض والسفر فبات المريض والمسافر في حل من حتمية هذا التدريب ، والمشرعون إذ يلاحظون هذا إنما يقفون موقف الاعجاب والاكبار لانسانية القرآن السامية التي تحترم ظروف البشر ، ويقدرون في عجز منهم دقة السياسة التشريعية للاسلام وإصابته للهدف عن قرب قريب .

وبهذا العرض الموجز جداً على طوله تتفتح معاني هذه الآيات الكريمة « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخرى وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ».

« شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » .

وبذلك تتضح معالم الاسلام الحنيف في حديث سيدنا رسول الله ﷺ

« إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض لنفسك عبادة الله فان المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » .

وأخـــيراً :

فهذا هو الصوم تهذيب وتربية للفرد فى خلقه وعزيمته وشخصيته وتربية للحساسية الاجتماعية وتمرين على عواطف البر الاجتماعى وتدريب على الاكتفاء الذاتى وتوجيه إلى تأثير الكم فى الكيف إلى نواحى الخير والاحسان واحتفال طاهر بمراسم الخير والدستور والنصر وهو أخيراً عبادة إلى الله يكافىء الصائم إيماناً واحتساباً بفيضه الربانى الواسع .

هذا هو الصوم الذى أراده الله فى شريعته وهو الصوم الذى صامه سيدنا محمد ﷺ – نبى هذه الأمة . وصامه أصحابه أعلام الجهاد الصادق ، صوم يخلق مواطناً ويوحد شعوباً ، ويربى قيادة ، وينظم عاطفة ، ويوجه إلى الخير ، ويدعو إلى التعاون ، ويرغب فى البذل والعطاء ، ويحث على الفضيلة والود: إنه العمود الرابع فى بناء هذه الأمة وهو السياج الحصين لشخصية أبنائها ، وهو الاعلام الطاهر للاحتفال بأعيادها . فصوموا كما أراد الله .. يغفر الله لكم ذنوبكم .

لقد أكمل الله هذا الدين .. فلن ينقصه أبداً .. وارتضاه للناس ديناً فلن يسخطه أبداً . وأنزل كتابه للبشر دستوراً فسوف يحفظه أبداً .

« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

« ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمناً ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار » .

رد الله على المسلمين دينهم وأخـذ بنواصيهم إلى رياض شريعته ، وأضاء لهم طريق الحياة في زحمة الظلمات . ووفق القادة إلى دينه . . ففيه العزة . . وهو الحياة .

وأختم هذا الحديث بقول سيدنا رسول الله ﷺ :

« أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة . . من أن ينزل على غضبك أو يحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى . . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أخلاقيات البيع والشراء
فى الاسلام

إن الأخلاقيات الاقتصادية فى نظر الإسـلام هى غايتنا من هذا البحث ليتعرف المسلمون على أسلوب الحياة الإسلامية التى يريدها القرآن الـكريم وذلك لأن الحياة فى أى مجتمع تقوم على أساس تبادل المنافع بين الناس فيه لأن القاعدة التى تنبع من ظاهرة التحرك اليومى للعلاقات الإنسانية فى المجتمع هي : (أن الإنسان لا يمكن أن يعيش وحده)[1] .

— والتبادل المنافع فى نظر الإسلام لا يمكن أن يخضع للمنفعة فقط من حيث هى منفعة ، لأنها قد ترتبط بالمعصية ومن ألوانها سلوك القائلين بأن الغاية تبرر الوسيلة .

— وقد ترتبط بالأنانية ، ومن ألوانها ايثار الذات على مصلحة الجماعة .

وقد تجر كثيراً من المفاسد إذا كانت المنفعة هى الحيثية التى يتبادل الناس على أساسها مصالحهم فى علاقاتهم الاجتماعية ، فتبتعد الإنسانية بذلك كثيراً عن مميزات كرامتها .

— ولذا تبادل المنافع فى نظر الإسـلام مرتبط طرداً وعكساً بالقانون الاسلامى الذى يعتبر النية أساساً فى تقبل الأعمال الصالحة عند الله ، والذى

---

(١) نرجو أن يرجع القارىء إلى بحثنا عن (المشكلة الاقتصادية فى ضوء الاسلام الحنيف)

حدد ألواناً من التعامل كسلوك مرغوب فيه ، وحرم أشياء كممنوعات يعاقب كل من انتحاها فى سلوكه !؟

— القانون الاسلامي قانون سلوك ، لا قانون عقوبات ، فهو يرسم للفرد وللجماعة كل خطوة فى الحياة ويترك التنفيذ لوازع الدين فى نفس كل مسلم (أعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) .

إنه لا يركن إلى رهبة المجتمع من الحاكم ، إنما يركن إلى حب الله ورسوله وجماعة المؤمنين .

(لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) «رواه البخاري»

(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) «رواه البخاري»

— « إنما المؤمنون إخوة » (الحجرات)

— أما القانون الوضعى : فهو صورة إرهاب ، لأنه لا يتحدث إلا عن المخالفات ، ولا يضع فى اعتباره أنه سلوك ولا توبة فيه ، ولا عفو عنده للجاهل !؟

— ولهذا : فان القانون الإسلامى يعتبر الأخلاق عنصراً أساسياً عند التشريع :

(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[1] .

(ادرءوا الحدود بالشبهات)[2] .

---

(١) رواه الحاكم ، والبيهقى فى شعب الإيمان ، والبخارى فى الأدب حديث حسن .

(٢) رواه ابن عدى فى الكامل .

ـ أما القانون الوضعي : فانه يأخذ بالشبهات وأكثر ما يدعيه أنه لحماية الأخلاق ولكن الذى سنه فى هذا الصدد هو عقوبات للمنحرفين .

* * *

وإذا سلطنا الضوء على الجانب التجارى : البيع ، والشراء . . وجدنا أن القانون الاسلامى يحدد عدة قضايا ، منها :

الأولى : السعى إلى طلب الرزق :

ـ فقد روي عن رسول الله ﷺ : « باكروا طلب الرزق والحوائج فان الغدو بركة ونجاح »[1] .

ويقول :

« إذا صليتم الصبح فلا تناموا عن طلب أرزاقكم ، فان نوم الصبح يمنع الرزق »[2] .

ـ وقد اتخذت هذه القاعدة إلى التنفيذ أجل طريق فيما يرويه سيدنا أنس رضى الله عنه : « أن النبي ﷺ دخل على فاطمة رضى الله عنها بعد صلاة الصبح فوجدها مضطجعة ، فحركها ، ثم قال : يا بنية قومى فاشهدى رزق ربك ولا تكونى من الغافلين ، فان الله يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس » .

ـ ويوجهنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا فى دعائه لنا : « اللهم بارك لأمتى فى البكور »[3] .

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط ، وابن عدى فى الكامل .
(٢) رواه الطبرانى .
(٣) رواه أحمد ، وابن حبان ، وأصحاب السنن .

الثانية : أن التجارة خدمة إجتماعية للمجتمع الإسلامى ، وليست وظيفة مالية مهمتها إنماء الثروة الاقتصادية فحسب . يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما » . (النساء)

ـ فليست التجارة فى نظر الإسلام وظيفة مالية بالدرجة الأولى ، وإنما هى خدمة إجتماعية لمصالح المجتمع الإسلامى بالدرجة الأولى والأولية .

ـ وعلى هذا تنبنى عدة أخلاقيات :

الأولى : أنه لا غش :

ـ يقول النبي ﷺ « من غشنا فليس منا »[1] .

ويقول : « من غشنا فليس منا ، والمكر والخداع فى النار »[2] .

ويرسم النبي ﷺ صورة نفسية للتاجر الغاش فيقول : « من باع شيئاً فيه عيب لم يبينه لم يزل فى مقت الله ، ولم تزل الملائكة تلعنه »[3] .

ـ فأى مغامر هذا الذى عنده من الجرأة ما يجابه رب العزة ، مقسم الأرزاق ، ومالك الملك ؟

ـ ومن ذا الذى يستطيع أن يتحمل مقت الله ويطيق لعنة الملائكة ؟

تلك صورة النفس التى يتاجر صاحبها فى غضب الله على المسلمين بالغش والخديعة والنبي ﷺ يعظ معاشر التجار فيقول: «التجار يبعثون يوم القيامة فجارا ، إلا من أتقى وبر وصدق » .

---

(١) رواه الترمذى .
(٢) الطبرانى ، وأبو نعيم فى الحلية .
(٣) رواه الترمذى .

فيرسم النبي ﷺ بطريق هز المشاعر فيهم وبعث حرصهم على مستقبلهم يوم القيامة ، أمثل الطرق التى تؤدى بها التجارة وظيفتها كخدمة إجتماعية للمجتمع المسلم .

ـ ويحدد النبي ﷺ أسلوب التعامل فى البيع ، والإعلان فيقول : (أن صدق البيعان ، وبينا ، بورك لهما فى بيعهما وإن كتما وكذبا فعسى أن يربحا ربحا ما ، ويمحق بركة بيعهما) .

ـ وقدم النبي ﷺ على رجل يبيع طعاما فأدخل يده فاذا هو مبلول ، فقال : (من غشنا فليس منا)[1] .

وقد كان بعض الصحابة رضوان الله عليهم يتعوذ من التاجر فيقول : (اللهم لا تطمع فينا تاجراً ، فان التاجر يحب الغلاء) .

الثانية : أنه لا أحتكار ..

ـ يقول النبي ﷺ : (لا يحتكر إلا خاطيء) .

ويقول : من أحتكر علي المسلمين طعامهم ، ضربه الله بالجـــذام والأفلاس[2].

ـ ويقول : (من دخل فى شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان على الله أن يقعده بعظم من النار) .

الثالثة : أنه لا حلف .. من أجل ترويج السلعة .

ـ يقول النبي ﷺ « الحلف منفقة للسلعة ، ممحقة للبركة »[3].

---

(١) ابن ماجه ، حديث حسن .

(٢) أحمد ، وابن ماجه ، ورواه بلفظ آخر الحاكم ، وأحمد بن حنبل ، حديث حسن

(٣) رواه الشيخان ، وأبو داود ، والنسائى .

ولم تبلغ التجارة فى مجتمعنا الاسلامى المعاصر مستواها المعهود اليوم إلا لأنها تخلصت من ربقة النظام الاسلامى وتجافت مع أخلاقياته :

ـ أنه لاغش .

ـ أنه لا أحتكار .

ـ أنه لاحلف .

ـ ومن جليل ما يشرعه الاسلام .. كسلوك أخلاقى بين البائع والمشترى:

١ ـ السماح : يقول النبي ﷺ :

(رحم الله عبداً سمحاً ، إذا باع وإذا أشترى ، وإذا أقتضى)[1] .

ويرسم النبى ﷺ صورة رائعة للمتسامحين المتساهلين فى تبادل منافعهم بالبيع والشراء فيقول :

(ألا أخبركم بمن حرم على النار وتحرم عليه النار ؟ كل قريب هين ، سهل إذا باع ، سهل إذا أشترى ، سهل إذا أقتضى ، يقول الله تعالى يوم القيامة له . أنا أحق بذلك منك ، سامحوا عبدى وتجاوزوا عنه كما كان يسامح فى دار الدنيا) .

٢ ـ الوزن بالقسط: يقول الله تعالى«وأقيموا الوزن بالقسط ولاتخسروا الميزان » .

ـ وقد هدد الله المطففين فى الكيل .

« ويل للمطففين : الذين إذا أكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم » (سورة المطففين) .

---

(١) البخارى ، وابن ماجه .

٣ ـ تحريم الربا : يقول الله تعالى:-

ـ « يمحق الله الربا ويربى الصدقات » (سورة البقرة) .

ويقول : « يا أيها الذين آمنوا أتقوا الله . . وذروا مابقى من الربا » (سورة البقرة) .

ـ إن الربا يصور جريمة بشعة في نظر الأخلاق التى يحرص الإسلام على نقائها وتنقيتها ، ولهذا فالربا هو الذنب الوحيد الذى لم يقترن بالتوبة مثل سائر الذنوب ، بل على العكس ، فقد أقترن الربا بالتهديد والوعيد بالحرب من الله ورسوله « فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورســـوله » (سورة البقرة).

ولهذه العلة ـــ ذاتها ـــ وضعت آية تحريم الربا فى سورة آل عمران وسط مجموعة الآيات العسكرية التى تصور معركتى بدر وأحد إيذاناً بأن الربا خلقية إنحرافية لايشفى منها المجتمع إلا بمثل هذا الأسلوب .

أسلوب الحرب الذى توسطته آية « يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة » .

وأسلوب الحرب الذى توعد الله به آكل الربا « فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله » (سورة البقرة) .

ـ إن التجارة وظيفة إجتماعية من ثلاث نواح :

الأولى : أنها خدمة المجتمع فى تيسير الحاجات ،وقضاء المصالح ، وتسهيل تبادل المنافع بين الناس .

الثانية : أنها نبض للدورة الاقتصادية ، ولذلك حارب الإسلام كنز المال، لأنه معطل لها يقول الله تعالى :

« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم ، فذوقوا ما كنتم تكنزون » . (التوبة)

الثالثة : أنها رفد للزكاة يخرج منها قدر محدود بالقانون الإسلامي لتحقيق جانب من الرعاية الإجتماعية التي ينفذها المجتمع الإسلامي . . حسبة ، وعبادة ، ورعاية لحقوق الله وإخوانه المسلمين في المجتمع .

هذه النواحي الثلاث ، مضاف إليها جانب الفرد نفسه (جانب التاجر) فانها تدر عليه ربحا وهو حلال إذا استعمل المنهج الإسلامى وأخلاقياته في البيع والشراء فتكفيه مؤنة العيش ، وتدفع عنه مذلة الحاجة ، بل أنها تقوية على أداء حقوق أسرته ..

ـ وقد شرف الله تعالى التجارة فكانت عمل ثلة من الأنبياء الأكرمين .. ومشهور أن النبي ﷺ كان يتاجر للسيدة خديجة أم المؤمنين الأولى رضى الله تعالى عنها ، وقد كان الربح الذى در عليه من عند الله . . واتخذ من أرهاصات النبوة ، كما هو محفوظ في كتب التاريخ والسيرة ؟

ـ ولهذا فان التشريع التجارى في الإسلام بالإضافة إلى أنه وحى من عند الله فقد صدر عن أخصائى كبير ، وخبير أمين مارس التجارة ، وخبر مدارك التجارة ، وعرف سيكلوجية المشترى ! ؟

وقد ذخر التشريع الإسلامى بعدة قضايا . . هى حصيلة خبرة رائدة ، وقمة كتشريع معصوم .

الأولى : أحل الله البيع وحرم الربا .

الثانية : لا محاقلة ـ بيع الزرع في سنبلة

الثالثة : لا مخاضرة ـ بيع الثمار والحبوب قبل أن يتم صلاحها .

الرابعة : لا ملامسة ـ أن يقول البائع للمشترى : إذا لمست الشيء فقد اشتريته دون خيار .

الخامسة : لا منابذة ـ جعل طرح الشيء ونبذه .. بيعا ـ

السادسة : لا مزابنة ـ بيع الرطب بالتمر ، وبيع العنب بالزبيب .

السابعة : لا تتلقوا الركبان : وهو عبارة عن : مقاطعة طريق التجار قبل التعرف على سعر السوق .

الثامنة : لا يبيع حاضر لباد (لا سمسرة) .

التاسعة : لا يبيع الرجل على بيع أخيه !؟ .

* * *

تلك هى موازين البيع والشراء كسلوك سوى فى العمل التجارى الحلال .

وهى تتضمن :

الحفاظ : على تبادل المنافع التى يحتاج إليها المجتمع على مستوى فاضل يحقق الأخلاق الفاضلة وهى فى أدق مفهومها عند المسلم أنها عبادة لله بامتثال هذا القانون .

والحفاظ .. على استمرار الدورة الاقتصادية دون شره أو طمع أو غش ، ودون تضخم فى الميزان التجارى ، ودون أرهاق بأسلوب العرض والطلب للقوة الشرائية .

والحفاظ .. على جانب من حصيلة الرعاية الاجتماعية : الزكاة التى يقدمها المجتمع عن طيب خاطر وقاية للضعفاء وإبتغاء مرضاة الله .

* * *

ـ فهل هناك بعد هذا تشريع ؟؟

ـ فمن أصدق من الله حديثاً ؟!

ـ فهل يفيق المسلمون ؟؟

ومتى ؟ ؟

ـ لعلهم يستيقظون ـ إن شاء الله .

أيديولوجية الدولة الاسلامية

حتى بداية القرن السابع الميلادى - وقبل بزوغ شمس الإسلام - لم تعرف الدنيا أسلوب الدولة الأيديولوجية ، كما لم تقم دولة بناء على رغبة من الأمة وإجتهاد فى إكمال بنائها بشكل مرتخص وغال .. حتى كان الوحى إلى سيدنا محمد ﷺ وكانت مواسم الخير فى شهر رمضان تؤذن لأول مرة فى تاريخ البشرية بمولد دولة ذات أيديولوجية .

فالدولة القديمة كان أسلوب بنائها أحد أمرين :

* الوراثة عن الأجداد والآباء ، والأمة تخضع فى ولاء مقدس يحيط بها الخوف والرعب من هيبة الحكم ، وطغيان الحاكم مثلما كان الحال فى دولة فارس المجوسية .

* والغلبة العسكرية تلك التى تغتصب الحكم بالجبروت العسكرى فتهلك الحرث والنسل والناس تبعاً لصاحب السوط والصولجان لاحول لهم ولاقوة مثلما فعل قسطنطين ثم شارلمان من بعده .

وهذه الدول تتسم بالديكتاتورية والقسوة والعنف والكبرياء للحاكم والذلة للشعب ، لكن الإسلام لما نزلت آياته فى شهر رمضان كانت تنشىء لأول مرة فى حياة الإنسان البشري معنى جليلا لقيم دولة أيديولوجية .

* تحترم الفرد وهي تأخذ بيده إلى الغاية العليا من حياته وهي أنه بإيمان بالله سيصير سيد هذه الأرض ، وصاحب شخصية خالدة ممتدة فى آثارها وأعمالها على طول السنين ومن بعد موته ، ثم هو صاحب حياه أبدية بأعماله

الصالحات فى الآخرة ، ومن خلال تربيته بالوحى الحكيم ترشد له عقله وتدفعه إلى التفكير والتدبر ، وتنصحه ألا يكون مقلداً وتدعوه إلى الحركة والعمل والإنتاج من أجل نفسه وأخوانه فى يومه ولغده .. ثم لمستقبله .

وسبيل التربية التى تدعو إليها دولة القرآن : العلم ، والقدوة ، والمحبة والعالمية الإنسانية التى تربط الناس جميعاً برباط واحد هو الإخاء الإنسانى الذى يلغى من حسابه موازين الطبقية ، اللون ، واللغة ، ويجعل الميزان فى عالم القيم هو طاعة الله وتقواه .. « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » .

ه وتجعل الجماعة جسداً واحداً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر والجماعة الإسلامية جماعة مسئولة عن العدل والقسطاس والاحسان والمعروف والعفو عن اللمم وأداء الأمانات .. «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين »
« إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

« إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » .

والجماعة الاسلامية هى الصورة الراقية للمفهوم الانسانى فى محفل العلاقات، «ولايجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى» ـ « قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله » . « ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » . « ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » .

ولم تكن الجماعة الاسلامية صاحبه اعتزاز بالذات فوق البشرية بل كانت

مصدر تقدير وتكريم للناس كافة : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر وزرقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

فهى جماعة العدل ، والعفو ، والكرامة ، ثم هى جماعة تحمل المسئولية فالمسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم . وهى جماعة تحترم تصرف الفرد فيها وتتحمل مسئوليته فالمرأه فى الاسلام تجير من إلتجأ إليها والجماعة الاسلامية تلتزم بمن تجيره (نحن نجير من أجارت أم سلمة) مالم يكن ذلك فى حد من حدود الله تعالى .

ولا تقوم علاقات الأفراد والجماعات على المصلحة الخاصة بل هى تقوم على عنصري الأخوة والأخلاق . « إنما المؤمنون أخوة » ـ « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم » .

* وتلتزم الدولة الايديولوجية فى تبليغ أهدافها بمنهج وأسلوب خاص : هو : « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » .

وهذا المنهج له أسلوب قد تكون الحرب واحدة من مفهوم الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن،فاذا ما قدمت الدولة أيديولوجيتها بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة والحجج المتينة ثم ركب الناس رؤوسهم فوقفوا حجر عثرة فى سبيل نشر لواء التوحيدوهى غاية الغايات فى أيديولوجية الدولة الاسلامية موقف دولة الإسلام ؟ .

أنها وضعت أسلوباً لذلك لا يعتدى فيه على متعبد ولا شيخ ولا طفل ولا امرأة آمنة ولا تهلك حرثا ولا نسلا ولكنها تعمد بجيوشها المسلمة لتحطم صناديد الطغيان وحماة الكفر فتقيم حرباً عادلة أما للتأديب ، وإما للدفاع ، وإما للوقاية من عدوى طغيان الظلمة والفاسقين .

ودولة القرآن ليست عرقية خاصة بقوم ولا محلية خاصة بجنس ولـكنها عالمية منذ أسست فيها تساوى السيد والعبد وتآخى العربى والفارسى، وصارت عقيدة الإسلام هى الوطن والجنس وهى الآصرة والقرابة والنسب .

* والحـكم الذى ترتضيه أيديولوجية دولة القرآن هو الشورى وهى ليست سنة ولا هى واجب فقط بل هى صفة لازمة للجماعة الإسلاميـة أنها صنو الصلاة وصنو الطاعات اللازمة لوصف الجماعة بالإسلام « والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون، والذين استجابوا لربهم، وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » .

وهى صفة لا تسقط حتى ولو أخطأت الجماعة كما حدث فى أحد فقد نزل « فأعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر » .

وعندما يأتى رمضان تبرز قيمة الأيديولوجية الإسلامية لمفهوم الدولة تلك التى أسسها الناس برغبتهم فى مكة حيث واجهوا صنوف ألوان التحدى والتنكيل وفى المدينة حيث لم يهاجر الرسول ﷺ إلا بعـد أن عقد مع أهل يثرب معاهدتين : الأولى معاهدة أخلاق وسلوك ، والثانية معاهدة تناصر عسكرى فلما حل بالمدينة المنورة وجد أمة مسلمة فآخى بين مهاجريها وأنصارها ، وكان ذلك بإرادة تامة للناس أجمعين من الذين شاهدوا مولد هـذه الدولة ولذلك كانت الحماسة شديدة الإرادة للدفاع عن أيديولوجية الدولة الإسلامية .

المرأة فى الاسلام

موضوع المرأة فى الإسلام شىء له أن يقلب على كل الوجوه وأن يعرض فى مظاهر شتى كأنما هو موضوع خطير ومعضل لما ينته الإسلام من بحسمه وانهاء الرأي فيه ... وهكذا شىء لهذا الموضوع أن يطرق كثيراً بل شىء له أن يقام له مؤتمر خاص أو مهرجان فكرى خاص لغرض نحن لا نحسن النية تجاهه وإن حسنت نيات المشتركين فيه لأنه لا رأى لمسلم ولا لمسلمة إذا قضى الله ورسوله أمراً .. وقد انتهى منذ أربعة عشر قرناً من موضوع المرأة فى الإسلام وطبق شرع الإسلام فى حكومات شتى وبلاد شتى ، وعصور شتى وأزمان شتى ولم تظهر قضية المرأة فى مجتمع الإسلام على أنها مشكلة إلا بعد أن ظهر الغزو الفكري الأوربى ، وأصغر الفكر الشرقى أمامه فأصبح الفكر الغربى هو الوجه للفكر العربى المسلم وتسلل موضوع المرأة كموضوع من موضوعات المشكلات الاجتماعية لأهداف كثيرة أقلها خلخلة الإعتقاد فى صحة النظام الإسلامى للأسرة فى العصر الحديث ، والمطالبة بتطوير التشريع الإسلامى على سنن النظام الغربى ... وبذلك يكسب المخطط الاستعمارى الثقافى مكسباً ضخماً وهو أن حول فكر المسلمين فى أدق عناصر حياتهم فى موضوع الأسرة وأبعدهم من النظام الإسلامى .

ومن الغريب جداً أنه فى اللحظة التى نرى فيها الفكر الغربى يتهافت فى نظام الأسرة : نرى ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية تطالب جمهرة نسائها بالنص على وجوب تعدد الزوجات فى الدستور الألمانى .

وفى اللحظة التى نرى فيها إيطاليا حالياً وهي عرين الفاتيكان تبيح

الطلاق . . . فى هـذه اللحظات نرى أن سموم الفكر الغازى القديم التى سرت إلى النشاط النسائى العربى ما زالت عالقة بجدران التفكير للحركة النسائية كما زالت هناك مطالبات بتقييد الطلاق وتعدد الزوجات .

والغريب فى الموضوع أن الحركة النسائية العربية المعاصرة قد أغلقت عينها عن نور الإسلام وفتحت كل أبصارها على ظلام الفكر الغربى تعب من ضلاله لتسقى روضها بالمياه الملحة من المحيط الأطلنطى مقتنعة بأنها أصفى من ماء النيل الذى يهب للحدائق عطر الورود ورياض البساتين وأعنى (بالنيل) هنا هدى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

ومن هنا أيها الإخوة فان الحديث عن المرأة فى الإسـلام سوف يكون منطلقه هو الإسلام نفسه إظهاراً للصورة الرائعة للحياة الكريمة التى هيأها الاسلام الحنيف للمرأة لتحيا موقرة بعيدة عن مشاغبات الحياة وهواجس النفس .. وتقنين المغترين .

وسوف نعالج الموضوع على النحو التالى :

أولا : الطور الأول :

قبل المولد.

كان الشعور السائد فى المجتمع العالمى أبان ظهور الاسـلام التأفف من خلف البنت .

وكان الاسلام فى المدينة المنورة يجاور - عن كثب - اليهود والفرس والرومان والنصارى وهؤلاء لهم فقه خاص ونظام خاص عن المرأة .. فلما جاء الاسلام أراد أن يضع ذاتيته التشريعية فى مواجهة ذلك المنطق البشرى كله فمهد الاسلام الحنيف بمدخل سيكولوجى نفسى عند الرجل ليستقبل المرأة

فى الوجود الدنيوى بنفس راضية وصدر حنون ومشاعر طيبة . فربطها الاسلام برضوان الله وأنسه يقول النبي ﷺ :

(إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ من القطيعة ، قال : نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى ، قال : فذاك لك) .

« رواه مسلم فى باب صلة الرحم »

فيضع الاسلام منزلة المرأة وهى ما تزال فى رحم الغيب بجوار مقام العائذ بالله أي فى مقام السلطان والعزة وهي فى جوار آمن ، وهي فى جوار صاحب الملك والتدبير والسلطان فمن ذا الذى يغضب الرحمن ؟

ولا تقف التهيئة الوجدانية عند هـذا فقط ، بل إنها لتسير فى خط يثير الوجدان الطموح ويدفعه إلى التلذذ بخلف البنت فيجعل الإسلام دخول الجنة مرتبط بصلة الرحم ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

(لا يدخل الجنة قاطع رحم) . « رواه مسلم »

ويقول عليه الصلاة والسلام :

(من سره أن يبسط عليه رزقه أو ينسأ له فى أثره فليصل رحمه) .
« رواه مسلم »

وإذا أساءت المرأة ـ فرضا ـ وأصلها ، فان الاسلام لم يحرمها من هـذه المكرمة ـ فنى البخارى :

(ليس الواصل بالمكافيء ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها) .

وبذلك يضع التشريع الاسلامى المرأة فى كل أحوالها ومن قبل أن تولد على بساط التكريم والاحترام .

فأرونى مثل هذا الشرع شرعا جعل للمرأة مثل هـذه الحظوة وهى فى الغيب المحجوب ما تزال شيئاً ما .

ثانياً : الطور الثانى :

طور طفولتها .

كانت وما تزال — البيئة البشرية تشمئز من البنت وكان وما يزال الرجل متعلقا بانجاب الذكر لأنه حسب تفكيره امتداد لحياته واستمرار لإسمه وإحياء لذكره .

وكان ومايزال الرجل يرى أن البنت مصدر عار ، إنها تحمله مشقة نفسية فى التربية وتحمله مشقة اقتصادية فى النفقة . . الخ وذلك عبء . . عبء ثقيل عليه .

أما الولد فيما يزعم الرجل فهو أخف ثقلا ، لأنه مصدر عمل وعون .

ثم جاء الإسلام وقلب الفكرة وجعل مولد البنت مولد كرامة جديدة ، ففى الأثر :

أخرجى وأنا عون أبيك .

وجعلها الله لوالدها ستراً من النار ، ففى مسلم :

(من ابتلى من البنات بشىء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار) .

وجعل الإسلام الإحسان إليهن من مفاتيح الجنة .

فقد روى الإمام أحمد والبزار والطبرانى :

(من كان له ثلاث بنات يؤدبهن ويرحمهن ويكفلهن وجبت له الجنة ، قيل : يا رسول الله فان كانتا اثنتين قال : وإن كانتا اثنتين) .

وجعل الإسلام إنجاب البنات عطية الله الأولى ومنحته السامية فقدمهن على الذكور فى قوله تعالى :

« لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء إناثاً ، ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير » . (٤٩ ، ٥٠ الشورى)

فجعل إنجاب البنات هبة من هباته وعطية من عطاياه جل شأنه وجعله فى جوار « يخلق ما يشاء » فالعطية منه مقبولة لأنه لا معطى لما منع ، وجعل الخلق فى سلطان ملكه وقدم هبة الإناث لتكتسب الأنثى شرف الجوار للخالقية الموضوعة فى إطار الملكية الإلهية فهى ألصق بها لجلاله من كمال السلطان فأكسب هبة الإناث بهذا علو منزلة على عطية الذكور .

وليس هذا فحسب بل جعل النبي ﷺ أب الإناث صاحبه يوم القيامة - فى مسلم عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : -

(من عال جاريتين جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين - وضم أصبعه) .

ويواجه التشريع الإسلامى منكرات العادات الجاهلية التى تأخذ بوأد البنات ، فينعى القرآن الكريم على المشاعر المتحجرة .

« وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون » . (٥٨ ، ٥٩ - النحل)

فتصحح الآيات القرآنية الفكرة الخاطئة وتضع بديلها حكمة الله التى جعلت تهيئة لأن تنشأ من زوجين : ذكر وأنثى بينهما تمام التكامل والمودة لا تعارض فيه ولا تشاحن .

والأنثى فى نظر الإسلام أصيلة فى نظام الحياة « يا أيها الناس إنا خلقناكم

من ذكر وأنثى » وإذا كان أمر الحياة كذلك فكيف يغتم رجل إذا بشر بالأنثى . . . ولهذا عالج القرآن قضية البنات بصورة ترهب العتاة وتحمى النسمة الطيبة التى يعبق بها الوجود أنساً ومودة وحناناً .

فيضع مسئولية هذه الفعلة الشنيعة فى سياق الهول الهائج المائج يوم القيامة كأنما هو حدث كونى من الأحداث العظام يضمه مع الشمس إذا كورت .

والنجوم إذا انكدرت .

والجبال إذا سيرت .

والعشار إذا عطلت .

والوحوش إذا حشرت .

والبحار إذا سجرت .

والنفوس إذا زوجت .

والموءودة إذا سئلت بأى ذنب قتلت .

فى هذا الإيقاع الحركى الجائح المروع المذهل يضع القرآن الكريم قضية الموءودة إحدى الموضوعات ليوم الحساب ومن هنا من شريعة القرآن الكريم فقط تنبع كرامة المرأة دون من أو تحايل أو مغالاة .

فأرونى مثل الشرع شرعا جعل للمرأة مثل هذه الخطوة من التكريم ؟ والإحترام ؟ .

ثالثاً : الطور الثالث :

إلى البيت السعيد .

الحياة الزوجية آية من آيات وحدانية الله وعظمته .

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (٢١ الروم) .

فالناس يعرفون مشاعرهم تجاه الجنس الآخر وتأتى هذه الآية فى إيقاعها الرفيق اللطيف الموحى لتلقط هذه الصورة من أعماق القلب ونور الحسن وتبرزها فى صورة (لتسكنوا إليها) لا لشيء آخر .. وهو سكن مطمئن عفيف هادئ رائق ممتلئ بالبهجة والسعادة والأنس والسرور ...

« وجعل بينكم مودة ورحمة » أبراز لحكمة الخالق يدرك بها العقلاء وحكمة الله جل شأنه فى تلبية الحاجة الفطرية فيهما معا .

وكأنما الآية تهمس بيد الحنان على مشاعر البشر أفلا تذكرون قدرة الله التى أودعت فى نفوسكم رجالا ونساء هذه العواطف والمشاعر وجعلت فى الصلة سكنا للنفس والأعصاب ، وراحة للجسم والقلب واستقرار للحياة والمشاعر وأنساً للروح والضمائر واطمئناناً للذكر والأنثى وعلى السواء ، ولذلك حفظ الله بيت الزوجية بهذه الضمانات :

١ - رأى المرأة فى الزواج :

وكان البيت السعيد فى الإسلام باذنها فى الحديث الشريف :

(لا تنكح البكر حتى تستأذن قالوا يارسول الله ، وكيف إذنها قال : أن تسكت) . (رواه مسلم)

ويقول عليه أفضل الصلاة والسلام :

(الأيم أحق بنفسها والبكر تستأذن واذنها صماتها) .

وإذا كان فى المجتمع المعاصر سلوكا غير هذا فهو ليس من الإسلام ولا من تقاليده ففى البخارى :

(إن خنساء بنت خدام أنكحها أبوها وهي كارهة فرد النبي ﷺ ذلك النكاح[1]) .

وفي عهد النبي ﷺ رفضت بريرة مغيثا ولم يأمرها النبي ﷺ بقبول الزواج منه مع أنه كان يمشي وراءها في الطرقات باكياً .

٢ — مهرها نحلة :

والزواج عقد كالعقود ولكن الله لم يسم الممنوح للزوجة ثمناً كما سماه في البيع ولا عوضاً بل سماه نحلة ، والنحلة هي العطية التي لا تتقابل بعوض ولكنها تنحل للتكريم دون مقابل فهي رمز للمعنى السامي الذي لا تستطيع اللغات أن تعبر عنه ، إنه رمز المودة والنقاء والهناءة في سكن جعل رحمة ومودة وقد سماه الله نحلة تقريراً لمبدأ يجب أن يراعى في تقديم المهور .

ذلك أن نحلة النحل عسل مصفى فيه شفاء للناس ونحلة النحل هذه يطلبها النحل من أعلى الزهور نسبة في السكر .

وإذا ارتشف النحل رحيق الزهر لم يترك عليه أثراً ولا ضرراً يقدمه ولا من شفتيه فهو أخذ بلا أضرار فاذا عاد النحل أخرج من رحيق عسلا بهيج اللون حلو المذاق .

فاذا ما قدم للانسان قدم شفاء وضمت فيه بركة الله .

فكذلك المهر ينبغي أن يكون كذلك من مصدر حلال .

لا يرتبط به أذى ولا منه .

---

(١) إرشاد الساري ج ١٠ ص ١١١ .

وأن يقدم بيد الحنان .

وأن لا ينتظر في مقابله عوض .

ولهذا لم يجعل الإسلام له حداً محدوداً فالرمز فيه كناية عن الرضا ، وأعظم النكاح بركة أقله مؤونة .

٣ ـــ لا يجمع عليها قريبتها :

ولما كانت الزوجية سكناً ومن مستلزمات السكن السعادة والطمأنينة فقد حافظ الله على مشاعر الزوجة وحافظ علي حسن العلاقات داخل الأسرة والنسب فحرم الله أن يجمع الرجل مع زوجته واحدة من قريباتها المذكورات في سورة النساء الآية ٢٢ من كل سيدة تمت لها بصلة القرابة أو النسب .

أماً أو خاله ، أو عمه أختاً أو بنتاً لأحـــــد الأخوين أو أختاً من الرضاعة ... الخ .

٤ ـــ كما حرم الإسلام أن تسعى أمرأة فى طلاق أختها من زوجها لتحل مكانها فى البخـارى :

(لا يحل لأمرأة تسأل طلاق أختها لتستفرغ صفحتهافانما لها ماقدر لها) .

فليست الزوجية إشباع شهوة وإنما هى قضية ود وسكن ، ولهذا فقد حرم الإسلام على المرأة أن تستعمل بعض مميزاتها التى وهبها الله إياها لتفتن الرجل عن زوجته فتحل محلها بعد أن يطلقها .

وبذلك فقد برزت إحدى مفارقات التشريع الإسلامى عن التشريع الوضعى الذى تعانى منه المرأة فى النظام الأوربى وهو ما يسمى بنظام (العشيقات) فضلا عن الأنظمة الأخرى التى جعلت من المرأة زجاجة عطر تتناولها جميع الأيدى دون حساب .

٥ — وكما حظر الإسلام على المرأة أن تعتدى على أختها فتطلقها لتحل محلها كذلك حرم الإسلام على الرجل أن يخطب على خطبة أخيه حفاظاً على المودة التى بدأت بين الخطيب وخطيبته وحفاظاً على المودة بين أبناء المجتمع الاسلامى القائم على الأخوة وأن يحب المسلم لأخيه مثل ما يحب لنفسه فقد روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : —

(نهى رسول الله ﷺ أن يبيع بعضكم على بيع بعض ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له الخاطب) .

٦ — تحريم الشغار:

ليست قاعدة الحياة الزوجية مثل قاعدة البيع ، ولا مثل قاعدة العلاقات العامة فى المجتمع التى تقوم على تبادل المنافع ، أنها أسمى من ذلك كله لأنها آية من آيات وحدانية الله وعظمته تذكر الناس بحكمة الخالقية التى جعلت من النوعين تكاملا وينبثق معه الأنس والود والحنان .. وتمشياً مع هذه القاعدة الجليلة فى بناء الأسرة فقد حرم الإسلام نكاح الشغار وأن يتبادل الرجال النساء فى مقابل المهر ففى الحديث الشريف :

(لا شغار فى الاسلام) .

٧ — وعلى هذا النسق فقد حرم الاسلام استغلال المرأة كمصدر للتمويل .

يحكي جروف صامويل في كتابه (المجتمع ومشاكله) : أن روما فى القرون الوسطى كان بها ست عشرة ألف امرأة تمارس البغاء وقد جعلتهم الكنيسة مصدراً لتمويل الضرائب وسمحت لهن بشرعية ممارسة هذا النوع من الانحراف المهين .

ومع هندسة شوارع سنغافورا Singgapura بالزهور التى أشرفت عليها مهندسة صهيونية ـ نظمت الصهيونية العالمية الدعارة فى هذه الجزيرة التى تعتبر مركزاً عالمياً للتجارة والسفر ولا تجد الحكومات فى بلاد الغرب أو الشرق حرجاً من أن تمتلىء نسوة هـذا النوع بالفنادق ترويجاً للسياحة .. ولكن الإسلام عفف المرأة عن هذا التردى المهين وحافظ عليها عرضا وشرفاً فقال تعالى :

« ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا » (٣٣ ـ النور)

فأرونى أيها السادة شرعاً مثل شرع الاسلام أعطى للمرأة مثل هذه الضمانات فى الحفاظ عليها . . ؟

وأرونى أيها السادة شرعاً غير الاسلام أعطى للزوجة مثل هذه الضمانات .؟ ضمانات الأنس والمودة والشرف والعفاف .. ؟

أو تريد الحركة النسائية المعاصرة غير هذا .. ؟

إذن دلونى على السبيل ؟

(أ) الواجبات على الرجل تجاه زوجته

ويخط الشرع الاسلامى المبدع مواثيق الرجل تجاه زوجته :

• العشرة بالمعروف :

يقول الله تعالى : « وعاشروهن بالمعروف » .

ويطول حبل العشرة إلى إصلاح الخلل الذى يصيب حصن الزوجين فى بعض الأحايين فيقول الله تعالى :

« فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثير » (١٩ ـ النساء)

فتوصى الآية بأن هناك راعيا فوق الأسرة يديم عليها المعروف كنظام في العشرة ، ذلك الراعى هو الدين الذى يسيطر على قوى النفس وينادى من سويداء الفطر لم تكرها ؟ ربما هذا الخير من أجلها .. فتترطب المشاعر الملتهبة ويزول شعور الكره العارض وتعود إلى الزوجية نسمة صبح الوداد لتنعش حياة الأسرة من جديد .

النفقـة :

ويوجب الإسلام على الرجال النفقة وهي نفقة حدها القدرة والايسار فيقول الله تعالى :

« لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا » . (٧ ـ الطلاق)

وتوضع فى النفقة جو يشيع بالحب والحنان لا تسلط فيه ولا عنف يقول النبي ﷺ : ـ

« إذا سقى الرجل امرأته الماء أجر » (رواه البخارى فى التاريخ) فهل تريد الحركة النسائية المعاصرة أن تحدد النفقة ؟؟

وإذن لها حظ المرأة التى قدر لها الأقل وقد أيسر صاحبها أو ماذنب الرجل إذا أعسر وقد قدر عليه مالا يقدر عليه ؟ والله يقول :

« ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر » .

وليست الحركة النسائية المعاصرة هي التى تبسط الرزق وتقـــدر فـكيف تقنن النفقات والعسر واليسار بيـد الله والله لا يكلف نفسـاً الا ما آتاها ..

والله هو الذى يجعل من بعد عسر يسرا ...

إذن تقنين النفقة بقدر ثابت خروج بقانون الأسرة عن حياض الشريعة وربقة الإيمان بالله الذى جعل العسر واليسر بيده هو ...

* حفظ سرها :

بالمظلمة الاسلام وهو يحوط المرأة بسياج من الستر يحفظ عليها ماء وجهها ويخفى عن الناس بعض خصائصها الخاصة التى تتحلى بها مع شدة وقارها فاذا ما عرفت ربما رآها الناس صغيرة أو تقززت هي من نفسها النبي ﷺ :

(إن من أشر الناس عند الله منزله يوم القيامة : الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ، ثم ينشر سرها) .

لقد شاء الاسلام أن تبقى للمرأة خصائصها سراً لا يجوز للرجل أن يذيعه ليبقى لها كبرياؤها وأنوثتها وكرامتها بعيداً عن سمع الناس وخواطرهم .

* حفظ مالها :

النظام الجاهلى قديماً وحديثاً فى أوربا لايعطى حقا للمرأة فى التصرف المباشر فى أموالها .. وجاء الاسلام الحنيف ليؤسس للمرأة حقا طبيعيا فى ملكية المال وأهلية التصرف فيه يقول الله تعالى :

« للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون .

وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون .

مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً » (٧ ــ النساء)

وقد حرص الإسلام على أن تبقى ملكية المرأة وأهليتها فى التصرف حقا ثابتاً فنص القرآن الكريم على عدم التدخل فى شئونها المالية قال تعالى .

« وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم أحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتانا وأثما مبينا » (٢٠ النساء)

« وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئا » . (٤ ــ النساء)

فقضت الآيات على أنه لا يجوز ألبتة أخذ شيء من مال المرأة إلا عن رضى نفس منها .

وقد برزت الصورة التركيبية فى الأسلوب القرآنى بما لا يبيح اجتهاداً فى جواز أخذ شيء ولو كان يسيرا دون إذنها الطبيعى .

فالفعل طاب يتعدى عربية بالباء ـ طاب بكذا ـ يعنى سمح ولكنه هنا فى الآية الكريمة تعدى بكلمة عن التى تدل على المجاوزة مما يفيد أن أخذ شيء من مالها لا يجوز إلا بعد تجاوزها هي عن رغبة طيبة منها .

وإظهار المسموح به جزءا معبرا عنه بشيء يدل على كمال تصرفها ومطلق ملكيتها .

وكون الفاعل تمييزا للدلالة على أن الأساس فى الإباحة مرتبط بمطلق إرادتها الحرة فى الإذن والتبرع دون ضغط أو تحايل .

* عدم إحراجها :

ومن الواجبات التى يحتمها الإسلام على الرجل تجاه زوجته عدم احراجها.

فاذا كان مسافرا فلايرجع إليها ليلا دون أن يخبرها بعودته ، فنى البخارى :

(قال رسول الله ﷺ : اذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلا) .

وعند الطبرانى فى الكبير ـ :

(ولا تطرقوا النساء ليلا) .

وفى مسند الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه ـ :

(كان رسول الله ﷺ لايطرق أهله ليلا) .

هكذا يضمن الأسلام للمرأة حياة طبيعية وهذه الحياة على نحو ماشرحناه هي مفهوم : « الرجال قوامون على النساء »

فالقوامة : تمام الرعاية وكمال الضبط وهي تكليف من الله الى الرجال ليحسنوا رعاية الأسرة وقد حبا الله الرجال من الخصائص ما يؤهلهم لهذه القوامة .

فان تخلى الرجال عنها فقد تخلوا عن أمانة من أمانات الله .

ويوم أن يتخلى عن القوامة الرجال تتعسر الحياة فى شرقنا الأسلامى كما فسدت الحياة فى الغرب المترنح بين أفانين الفساد .

فهل يريد الرجال التخلى عن القوامة وهي أمانة الله فى أعناقهم ؟!

وهل تريد المرأة أن يتخلى الرجل عن قوامته لها فتنهار ؟!

(ب) الواجبات على الزوجة نحو زوجها

على حافتى طريق الورود الذى تتهادى فيه الحياة الزوجية يغرس الإسلام لافتات الحقوق على المرأة تجاه زوجها من أجل حياة عشها الأمين وعرشها الوردي فيلزمها بما يلى:

* **أحترام مشاعره :**

فى الحديث الشريف : (لايحل لامرأة تؤمن بالله أن تأذن فى بيت زوجها وهو كاره ولاتخرج وهو كاره ولا تطيع فيه أحدا ، ولا تعتزل فراشه ، ولا تضربه فان كان أظلم فلتأته حتى ترضيه) « الحاكم » .

فى الحديث حث على الوفاء بالجميل واحترام للعشرة وتأكيد للميثاق الغليظ .

ومن الاحترام لمشاعره الا تنعت له صاحبتها فى الحديث الشريف .

لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها .

(رواه أحمد والبخارى والترمذى)

* **التزين له وحده :**

الزوجية معاشرة بالمعروف ومقتضى هذا المعروف أن تكون مفاتن المرأة لزوجها وحده .

انها إن استبقت محاسنها لزوجها فقط فقد ادخرت لها وله عمرا طويلا فى مباهيج السعادة الزوجية .

أما إذا بذلت مفاتنها المجتمع فقد فتنت قلب الرجل مطلقا وصارت النسب فى تفاوت المحاسن مشتهى لكل من يهوى وانتقلت اللذة من عشها الوردى الحلال إلى قارعة الطريق كأنها حبات تفاح عطبت وعف عنها الذوق الكريم فصارت نهبا لكل جاثم من أبابيل الذباب .

ومن هنا ترسم اللوحة الفنية لزينة المرأة فى الجو الاسلامى على نحو مايبين الحديث الشريف :

(إذا تعطرت المرأة لغير زوجها فانما هو نار وشنار) « الطبرانى »

(والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهى زانية) « أحمد »

وماغض البصر للمؤمنين والمؤمنات فى سورة النور الا منعا لتطاول البصر عن محاولة كشف المستورمن الزينات وليس من معناه أن يكون الغض من المكشوف منها إذ القرآن لا يبيح حراما وينهى عن التطلع إليه ليبقى عرفا مسنونا .

ه الوفاء وعدم التطاول عليه .

وصدق المعاشرة يستلزم حسن الأخلاق ومن محاسن الأخلاق الاعتراف بالجميل ، وقد أرسى الإسلام الحنيف هذه القواعد فى حياة الاسرة ، فقرر الحديث الشريف :

(لايحل لأمرأة أن تهجر فراش زوجها) .

(إذا باتت المرأة هاجرة زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح) .

(إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته لعنتها الملائكة حتى تصبح) .
« البخارى وأحمد »

ومن الملاحظ فى هذه الأحاديث أن الأحكام هنا غير منتهية بجزاء

مادى كما فى السرقة والزنا بل الأحكام فيها متروكة لنطارة التدين والخوف من الله . . ومعنى هذا أن النبي ﷺ وهو صاحب حق فى التشريع لم يضع عقابا ماديا لمن تخالف هذه الأحكام ، فان الأسرة لا تقوم أحكام تنظيما على أساس من العقاب المادى بقدر ما تقوم على أساس من الخلق ورعاية محارم الله جل شأنه .

ولهذا فان أى تشريع وضعى يحاول أن يضيف قيودا جديدة على أنظمة الإسلام فى تشريعه للأسرة فهو عبث وتدخل لامبرر له وافساد للجمال الذى شرعه الله تعالى :

* الحفاظ على ماله :

التصرف فى بيت الزوجية متروك لمستوى العلاقة والثقة بين الزوجين ، وقد وضعت السنة المطهرة موازين هذا التصرف انه لا ضرر ولا ضرار ، ولا اسراف ولامفسدة .

يقول النبي ﷺ .

إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب ، وللخازن مثل ذلك لاينقص بعضهم أجر بعض شيئا .

من مشكلات الاسرة

* الخلافات الزوجية :

* الطلاق :

* تعدد الزوجات :

* منهج التغلب على الخلافات الزوجية :

القاعدة العامة فى الأسرة الإسلامية والتى يمكن لكل زوجة أن تجعلها نبراسا شخصيا لها : حديث النبى ﷺ :

خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك فى نفسها ومالك . (الطبرانى)

ولكن هناك شذوذ عن القواعد العامة لأن الحياة بصفة عامة لاتخلو من الكدر ، والحياة الزوجية مثل الحياة العامة والتشريع الإسلامى تشريع يلمس الواقع ويضع له الموازين بالقسط والعدل .

ومن النشاز الشاذ عن القاعدة الأسرية نشوز الحياة الزوجية وهو نشوز قد يكون من الرجل أو قد يكون من المرأة أو منهما معا .

وقد وضع الإسلام لمعالجة هذا النشوز منهاجا .

(أ) فان كانت المرأة هي الناشز كان على الرجل معالجة هذا النشوز :

بالموعظة الحسنة أو

بالهجر فى المضجع أو

بالضرب لا على الوجه ولا مع تقبيح بالفظ خارج .

وهذا التدرج الثلاثى صالح لثلاث مستويات من نماذج النساء .

فهناك نموذج يكفيه الكلمة الطيبة إذا سمعتها الزوجة من زوجها فكأنما هدهد على العواطف ومسح بيد الحنان على أساها وغسل بمعسول كلامه وسوسة الشيطان .

وهناك نموذج لا تمس أذنها الكلمة الطيبة ولكنها ترعوى بالهجر فى المضجع إذ تشعر مع الهجر بفقدان أنوثتها .

وهناك نموذج لا تمس أذنها الكلمة ولا الهجر وإذن وجب على

الرجل أن ينهى قطيعة زوجته بالاتصال وهذا الاتصال هو أرهاص بألم عبر عنه القرآن بالضرب لأنه الوسيلة الطبيعية وحددته السنة بأنه ألم لايحدث كسراً، ولايبقى فى السمع صدى لفظ جارح فهو نوع من المغازلة فى صورة الضرب لأن الموقف موقف خصام .

وهذا النهج الثلاثى الخطوات يصلح لذلك بالتدريج فى معالجة الزوجة الواحدة :

أولا : يعظها .

ثانياً : يهجرها .

ثالثاً : يضربها .

ولاملامة من المرأة على الإسلام إذ أذن للزوج أن يضرب لأن الإسلام قدم لها الموعظة والهجر كحلين بل كعاصمين من فشل الحياة الزوجية .

وأباح الضرب لامن أجل أذاها بل للحفاظ على مقدسات الأسرة وحمايتها من الضياع .

فصورة الضرب هنا هى آخر علاج يقدمه الإسلام للاعلان عن إهتمام الإسلام ببقاء الأسرة سليمة دون تفكك والإهتمام بها عند التفكك حتى لاتصير إلى الضياع .

فاذا لامت المرأة أحداً فلابد وأن تلوم نفسها لأنها عند النشوز لم تصغ للموعظة الحسنة ، ولم ترتدع بعد الهجر ، فماذا يبقى لصيانة الأسرة : الضرب فهو تنبيه أعصابها قبل أن يفيض الكيل ويتسع الخرق على الراقع .

(ب) وإن كان النشوز من الرجل أو منهما معاً :

فان الاسلام لايترك أسرار الأسرة نهبا للقيل والقال فى المؤسسات الاجتماعية بل ضيق الشروط وقلل فى أعداد الحكومة فقال الله تعالى :

« وأن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من إهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً حكيماً » . (٣٥ النساء)

فمن المعروف أن بين الزوجين أسراراً والإسلام لا يسمح بافشائها ولا بالإطلاع عليها لأجنبي عن الأسرة ولذا قرر :

١ — إرسال حكم من أهل الزوجة .

٢ — إرسال حكم من أهل الزوج .

(جـ) واشترط فيهما إرادة الاصلاح بين الزوجين لا التعصب للتغلب والنصرة لواحد على الآخر .

إذن ليس كل واحد من أهل الزوجة ولا من أهل الزوج يصلح لهذه الحكومة بل هنالك شرط أساسى وهو أن يكون معروفا بميله للصلح فى الخصومات .

فهل يسمح الإسلام بعد هذا أن تتعدى مسألةالحكم إلى لجان أو منظمات أو محاكم بعيده عن الأسرة . . ؟ .

أنه بالقطع لا يسمح أبداً .

وإذن فكل تقنين يخالف هذا فهو مرفوض من قبل الله ورسوله وجماعة المسلمين .

العطلاق أبغض الحلال :

الحياة الأسرية سكن :

إنها سكن للروح وللفكر وللمشاعر كما هى سكن للجسد والغرائز .

والسكن هو نعمة الله الكبرى على الإنسان وقد وصف الله الحياة الأسرية بأنها سكن وبأنها لباس .

وتبقى قيمة السكن وقيمة اللباس ما بقى أثرها محموداً مؤنسا .

أما إذا عجزت عن إعطاء الروح والفكر والمشاعر مباهج الحياة الأسرية ولم يمكن التغلب على أسباب هذا التضرر فماذ يكون الحل . . ؟ .

هل يبقى الزوج وزوجته حبيسين فى سجن داخل بيت يسمى بيت الزوجية ؟ .

أو يتصرف كل واحد على انطلاق تام فى الإباحة لهواه ؟ .

أو يتفرقا فيغنى الله كلا منهما من سعته . . ؟.

أخذ الإسلام بالحل الثالث :

لم يقبل الإسلام أن يبقى الزوجان فى سجن دائم .

ولم يقبل الإسلام أن يترك الهوى يعبث بقيم النفوس بل شرع الطلاق بعد المحاولات التى بذلت سالفاً ولم تنجح .

يقول الله تعالى :

« وإن يتفرقا يغنى الله كلا من سعته وكان الله واسعاً حكيما » .
(١٣٠ — النساء)

فهو حل يحترم الطبع البشرى لأن الله جل شأنه خالق الناس ولم يشأ لهم أن يتعاشروا على الهون والضيق .

والإسلام إذ يشرع الطلاق إنما يلجأ إلى الحلال البغيض الذى لا مفر منه تجنيباً للأسرة عن الأذى .

وفى الحديث الشريف :

« أبغض الحلال إلى الله الطلاق » . (أبو داود ، وابن ماجه)

وكان الطلاق حلالا لأنه حماية للأعراض والأنساب من السقوط إذا عاشت الأسرة فى ظل عقم من الحب والمودة ، وسجن الزوجان على كره وهون فانزلقا إلى هاوية الشهوة ، فكان الطلاق حلال لأنه يعطى فرصة يتنفس بها كلا الزوجين ، فربما بعد الطلاق يجد كل منهما من يسعده ويؤنسه.

وكان أبغض لأنه فراغ بعد أن أخذ الله من كلا الزوجين ميثاقاً عظيماً .

ولهذا فلم يسمح الإسلام أن يكون الطلاق والرجعة ألعوبة تتبع الهوى والرغبة فأعفى من مسئولية ذلك النساء ولم يجعله فى يد الرجل هكذا دون شروط وأدب بل جعل الطلاق بمقدمات الصلح. وحدده فى ظروف بيولوجية خاصة بالزوجة وزمن مخصوص ، وعلق عليه آثاراً تحمى حق المرأة فى الحياة وفى الشرف والعرض .

فألزم الرجل بالنفقة والسكنى .

وألزمه بالمهر المتبقى .

وألزمه بمتعة جبراً الضرر الأدبى الذى قد يلحقها بسبب الطلاق وألزمه برعاية الولد الرضيع .

وجعل العدة على المرأة حفاظاً على شرفها واستيثاقا بخلوها من صلة نسبية بزوجها الأول أو فترة قد يتراجعان فيها .

وقد جعل الإسلام هذه الشرائع كلها فى إطار المعروف ولا تنسوا الفضل بينكم ، والعفو من الذى بيده عقدة النكاح والائتمار بالرضى والمودة .

ولم يلجأ الإسلام فى تشريعات الأحكام المترتبة على الطلاق إلى عنف أو قسوة مما يفيد أن أمر الأسرة كله ينبغي أن يقوم على :

« فامساك بمعروف أو تسريح بإحسان » .

فاذا ما تخلخلت الأمور فى العصر الحديث فانما هو لفساد المسلمين فى بعدهم عن الدين وعن روح الإسلام ومنهجه .. فهل يصلح المسلمين بشرع وضعى أو بعودة كاملة إلى دين الله ؟ .

* ليس فى المسيحية شرع للطلاق :

ذلك شرعنا شرع الأمة التى قالت لربها سمعنا وأطعنا أما الذين قالوا لله : « سمعنا وعصينا » فقد خلقوا لأنفسهم قانوناً ليس من عند الله ولا من عند رسوله عليه السلام ، فان ما يدعى بأن المسيحية ليس فيها طلاق ليس صحيحاً بالإطلاق ، فقد ذكر فى الانجيل على فرض التسليم بأنه لصاحبه الذى ألفه محاورة بين الفريسيين وهم طائفة من اليهود مع سيدنا عيسى عليه السلام ، حول ما جاء عن موسى من شريعة الطلاق رأيه فى ذلك ، ، وهى محاورة مبتورة لا تصلح أن تكون حكما بأن عيسى حرم الطلاق أو أنه يقول ما ينسخ ما جاء به موسى كما لا تنهض نصا يصلح للاجتهاد فيه لاستنباط حكم منه .

فمن يدعى أن المسيحية تحرم الطلاق فهو مخطىء إنما هو عمل القساوسة وقد سجل الله عليهم فى القرآن الكريم هذا .

يقول الله تعالى :

« اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » (التوبة)

وذلك بما شرعوه لهم من دون الله .

على أن الحياة المعاصرة للمسيحيين اليوم جعلتهم يقتربون فى حياتهم الأسرية إلى النظام الإسلامى فقد أباحت الكنيسة فى إيطاليا الطلاق كما أباحته من قبل كنيسة ألمانيا البروتستانتية فماذا تريد الحركة النسائية العربية المعاصرة من تقييد حكم الطلاق في الإسلام ؟ .. وهو عمل لم يرد به نص ولم يرد حوله شيء من عمل الصحابة ، ولا قال به أحد الفقهاء السابقين ، وقد عاشت الأمة الإسلامية ردحا طويلا من الزمن مع دول جارات مثل فارس والروم وأوروبا وحكومات الإسلام المتعاقبة فى الدولة العباسية والأندلس لم تغير من حكم الله شيئا في الطلاق .

فماذا تريد الحركة النسائية العربية المعاصرة من تقييد الطلاق وقد حرم الله ذلك ؟ أفغير دين الله يريدون ؟ .

« ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون » .

(النحل)

تعدد الزوجات :

من الخطأ الشائع والخطأ المقصود أن يقال أن الاسلام صانع تعدد الزوجات .

ومن الخطأ المقصود ما يثيره أعداء الإسلام بربط قضية تعدد الزوجات بالنظام الاسلامى .

والحق أن تعدد الزوجات كان ظاهرة عالمية قبل الاسلام ، بل أنه فى العصر الحديث مسألة تمارس عن طريق الخليلات والعشيقات اللائى يسمح بهن — كنظام اجتماعي — قانون الدولة الحديثة ولكنهم لا يطلقون عليه تعدد الزوجات مع أنه أفحش فى قيم الأخلاق وأضر بالمجتمع من إباحة تعدد الزوجات :

ولقد أباحت الشرائع السماوية قبل الاسلام تعدد الزوجات .

فقد تزوج سيدنا إبراهيم ساره وهاجر .

وأباح تلمود اليهود تعدد الزوجات على إطلاقه دون قيد .

وليس فى الانجيل على تعدد نسخه وكاتبيه مايفيد منع التعدد .

ــ بل أن ملك إيرلنده فيارمات كان له زوجتان .

ــ وكان لشارلمان زوجتان وعدد كثير من المحظيات .

ــ وكان فيليب ملك هيسى وفردريك ويليام الثانى ملك بروسيا يمارسان تعدد الزوجات تحت بركات القساوسة اللوثريون .

ــ وفى مونستر عام ١٥٣١ دعا القساوسة إلى تعدد الزوجات .

ــ بل أن مفكرى أوربا جوستاف لوبون ، وتوماس يذهبان إلى إباحة التعدد عندما إنفرط عقد البناء وعللوا رأيهم فى إباحة ذلك بقولهم :

« إن إباحة التعدد تجعل كل أمرأة ربة بيت وتجعلها أما لأولاد شرعيين، ويمنعها من التردى فىهاوية الانحرافات وأعشاش العشاق وظلام المستقبل..!» .

وهناك فرق مسيحية فى المجتمع المسيحى المعاصر تدافع عن تعدد الزوجات . ومن هذه الفرق .

(أ) فرقة المورمون .

بالولايات المتحدة الأمريكية التى ظهرت فى القرن التاسع عشر وكانت ترى أن تعدد الزوجات نظام إلهى فى الديانة المسيحية .

(ب) فرقة أنا بافستى الألمانية التى ظهرت فى القرن السادس عشر وكانت تدافع عن تعدد الزوجات كنظام بديل عن نظام المشيقات .

إذن فتعدد الزوجات ليس قضية إسلامية تنسب إلى الإسلام ، بل الذى ينسب إلى الإسلام أنه حدد التعدد و نظمه وجعله علاجاً لمشكلات إجتماعية .

ولقد نقل الإسلام التعدد من إطلاقه إلى تعدد محدود بأربع .

و نقل الإسلام التعدد من إطلاقه إلى تعدد مع إقامة العدل وأدناه : فلا تذروها كالمعلقة .

وتبرز قصة تحديد التعدد فى سورة النساء حفاظاً على شئون اليتيمة فى الحديث الشريف :

كان عروة بن الزبير قد سأل عائشة رضى الله تعالى عنها عن قول الله تعالى : وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع . . « قالت يا ابن أختى هى اليتيمة تكون فى حجر وليها تشاركه فى ماله فيعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط فى صداقها فيعطيها مثل مايعطيها غيره ، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ، ويبلغوا بهن أعلى سنتهن من الصداق وأمروا أن ينكحوا ماطاب لهم من النساء سواهن .. الحديث .

فأصل حد التعدد بأربع هو الدفاع عن حق نوع من النساء ضعيفات . . فلما نزلت الآية والمجتمع صاخب بأنماط من التعدد فوق الأربع بين النبى ﷺ : أن كل مسلم تحته أكثر من أربع وجب عليه أن يقلل من التعدد وإلا يبلغ بالعدد الذى تحته أكثر من الأربع ففى الالوسى : أن غيلان أسلم وتحته عشر نسوة فقال ﷺ أمسك أربعاً وفارق سائرهن .

فالحديث الشريف هو الذى حصر أعلى التعدد فى أربع بعد أن كان التعدد فوضى .

وإذن فالإسلام لم ينشىء مسألة تعدد الزوجات بل الإسلام حد منها ووضع لها الضوابط والأهداف .

حكم الإباحة يبقى إباحة :

والله سبحانه وتعالى جعل التعدد المحدود بأربع مباحا بشرط العدل ولا يصح بعد تشريع الله أن يضاف شرط لهذا الشرط أبداً .

لأن التعدد قائم لحل مشكلات قد تكون فردية وقد تكون عامة .

فالدولة التى تحارب ويظهر لديها في بعض الأحايين أعداد كثيرة من الأرامل ماذا تفعل بهن ؟

إن منح الدولة لهن بالمعاش لايكفى حاجاتها كأنثى وإذا تزوجت إنقطع المعاش ، وحياتها فى جوار رجل حلال أشهى لنفسها من التخفى فى ستائر الليل البهيم .

فهل إذا أرادت أن تتزوج يتحتم عليها أن تأخذ إذنا من الزوجة الأولى ، أو أن يكون ذلك أمام القاضى ؟ والمسألة الزوجية أسرار تمس الذوق والمشاعر قبل العقل والمنطق .

وهنا يأتى حكم الإباحة ليريح جماعات الأرامل من فضائح الضرات فى المحاكم .

وقد يقال أنها نصف سعادة أو أنه نصف رجل مع كل زوجة .

ونجيب نعم ، ولكنة أحلى وأشهى من رجال كثير مع سيدة واحدة .

ونجيب نعم ، ولكنه أحلى من إتخاذ عشيق واحد .

ونجيب نعم ولكنه أحلى من الرهبنة لمن إستطاعت إلى ذلك سبيلا .

والأفراد أذواق وقدرات وهناك الأغنياء الذين لاتكفيهم واحدة وعندهم القدرة على كفالة الحقوق فأى الأمور أفضل زوجات لثرى أو عشيقات له ؟!

والعقم له دور خطير فأى الأحوال أفضل : زوجة عقيم تبقى مع زوجها على ضرة قد ينجب منها أو يطلقها ؟ أو يبقى عقيما إلى الأبد ؟

رابعا : الطور الرابع

الجنة تحت أقدام الأمهات :

ولايترك الإسلام المرأة بعد أن أدت رسالتها تحت رحمة التقاليد والعادات بل جعل الوفاء بجميلها دينا ، وجاور هذا الحق فى القدسية الايمان بالله يقول الله تعالى :

« وقضى ربك ألا تعبدوه الا أياه وبالوالدين احسانا أما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقـــل رب ارحمها كما ربيانى صغيرا (٢٣ ـ ٢٥ الاسراء)

لقد طلب الإسلام من الأبناء تجاه الوالدين أن يخضعوا لهما فى خشوع رحيم ، وأبرز ذلك فى صورة « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » تهادى آثار عطف الولد على والديه كما تهادى أجنحة الطير من عل فى خفة خفيفة لا يضار معها هابط ولا مهبوط عليه .

وجعل الاسلام هذا الحق للام مطلقا حتى ولو كانت مشركة ، ففى مسلم عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت :

قدمت على أمى وهى مشركة فى عهد قريش اذ عاهدهم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله : قدمت على أمى وهى راهبة أفأصل أمى ؟ قال : نعم صلى أمك .

والله تعالى يقول فى القرآن الكريم :

(ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن أشكر لى ولوالديك إلى المصير .

وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعمها وصاحبهما

فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) . (١٤ ــ ١٥ لقمان)

وبعد :

أفغير الاسلام هناك قانون أو دين يقدر على هذه المعطيات للمرأة ؟

انها قبل أن تجيء إلى الكون وضعت فى سجنات سلطان الله العلى العظيم :

وهي طفلة جعلها الله عونا لأبيها فهى مصدر بركة .

وهى فتاة أعطاها حرية الرأى فى اختيار زوجها فرضاها أصل، وهى زوجة حافظ على كرامتها ومشاعرها ونسبها وأموالها وقيل لها أدخلي الجنة من أى الأبواب شئت .

وهى أم قيل لها الجنة تحت أقدام الأمهات لماذا تريد المرأة المعاصرة فى بلادنا الإسلامية ؟

لعلها صريحة : أتريد الإسلام أم غيره ؟

أما أنها تريد أن تضع فى الإسلام الأفاعيل باسم التطور والتقدم فهذا مرفوض من جانب الإسلام فقد أعلنها القرآن منذ أربعة عشر قرنا .

« وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » .
(سورة الأنعام)

فهل تريد الحركة النسائية المعاصرة غير هذا ؟

إلى الشباب المسلم

لكى تعود دولة الاسلام من جديد

* إن للاسلام تصوره المستقل للوجود والحياة ، ومن ثم فانه ينبثق منه منهج ذاتى مستقل للحياة كلها بكل مقوماتها وارتباطاتها .

ووظيفة التربية الإسلامية هي أن تنشىء حياة إنسانية للأمة الإسلامية توافق هـذا التصور وتتمثله فى صورة واقعية يشهد فيها الناس معـالم الإسلام شامخة .

والإسلام بهذا المعنى قد قامت عليه دولته الأولى ، فلقد أقامها رسول الله — ﷺ — على مبادئه ومحجته البيضاء النقية ، ثم حافظ على قيم هذه الدولة من بعده الخليفة الرزين الصديق القوى أبو بكر رضى الله تعالى عنه .

ثم وسع رقعتها وبسط لدين الله فى أرضه الخليفتان من بعده عمر وعثمان .. ثم كانت النكبة والنكسة التى ما زال المسلمون حتى اليوم يعانون من جرائها : فرقة وتحزباً ، وإنحرافاً في الفهم ، وعندية فى الأدلة ، وعنادية فى السلوك . .

ونحن هنا فى قلب العالم الإسلامي ماذا نريد لأنفسنا وماذا يراد منا ؟

إن القيادة الشرقية بمفاهيمها ، والقيادة الغربية بتكأكئها لم تقدم للانسان فى العصر الحديث إلا الموت والدمار والهدم والتخديب .

والأمة لإسلامية رغم كثرة عددها . وكثرة ممتلكاتها ، وثروتها الطبيعية والاستراتيجية : ممزقة ، تعانى من الاستعمار ، والفتن الداخلية والخارجية

ما لا تقدر على التخلص منه ، وصدق الرسول الأمين فيما يروى عنه : ما معناه (يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ، : قالوا : أمن قلة نحن يارسول الله ؟ قال : بلى ، ولكنكم كثير ! قالوا : أمن وهن يارسول الله ؟

قال : نعم . أحببتم الدنيا وكرهتم الموت . . .) .

إذن لا بد من قيادة إسلامية جديدة تملك زمام الحياة حتى تعيد للدنيا السلام . . والأمن . . والطمأنينة والرخاء . وليس غير القرآن وحده مصدر يملك هذه القدرة ، فتلك رسالته .

(إن هـذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً) (الإسراء ٩)

(ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكاً . . ونحشره يوم القيامة أعمى) . . (طه ـ ١٢٤)

والإسلام لا يملك إعادة دولته إلا بمنهجه هو الذى بنى به رسول الله ﷺ المجتمع الإسلامى الأول .

نعم . . إن المسافة بعيدة . . بين بعث هذ المجتمع من جديد . . . وبين تملكه زمام قيادة الحياة . . ولكن مع هذا لابد من البدء ؟؟ .

فكم كانت المسافة بعيدة يوم أن جاء الوحى فى غار حراء بقوله تعالى : (اقرأ) بمكة المكرمة .. ويوم أن قالها أخيرة : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً) ..

(المائدة ـ ٣)

لا بد من البعث لجيل قرآنى جديد . . كالجيل الذى رباه محمد ﷺ .

والظاهرة التاريخية الوحيدة فى طول عمر الحياة أن الدولة الوحيدة التى قامت على منهج هى الدولة الإسلامية . . وأن هذا المنهج بدا بإعداد جيل استطاع أن ينهى دولتى الفرس والروم . . وكان الجيل خليطاً من العبيد والأحرار والأغنياء والفقراء ، والرجال والنساء والمثقفين وغير المثقفين . . . والعرب والحبش والروم والفرس . . ومع هذا فقد تكون من هذا كله جيل استطاع أن يبنى دولة الإسلام الأولى . . أول دولة قامت على منهج الفطرة الإنسانية الذى يحقق للانسان كمال كرامته وإتزان وظيفته ، إن قرآن هذه الدعوة وحديث نبيها الأمين وهديه وتعاليمه ، وسيرته الكريمة بين أيدينا كما كانت بين أيديهم .

وما غاب عنا رسول الله إلا بمثل ما كان يغيب عن القبيلة البعيدة التى أسلمت ولكنها كانت تعيش مع سنته وهديه .

إذن لماذا استطاع الجيل الأول أن يبنى دولة الإسلام وعجز الجيل المعاصر عن الحفاظ عليها أو إعادتها ؟

المنبع الأول :

لابد وأن هناك عاملا أساسياً كان هو حجر الزاوية فى بناء هذا الرعيل الفذ طوال عمر الدنيا وذلك العامل هو مستوى تلقى القرآن الكريم .

كان النبع الأول الذى استقى منه ذلك الجيل هو القرآن وحده . . وكانت أحاديث رسول الله - ﷺ - وهى إشعاعات من النبع ، فقد كان خلقه القرآن . . لقد كان فى كل شىء يأتيه أو يدعه قرآنيا . . كما تصور لنا ذلك السيدة عائشة رضى الله عنها حين سئلت عن خلق رسول الله - ﷺ فقالت : (كان خلقه القرآن) .

كان القرآن وحدة إذن هو النبع الذى تخرج عليه هذا الرعيل الأول

بدءاً من النبي الـــكريم . . حتى آخر واحد فى القوم .

ولم يكن ذلك لفقر في الثقافة العالمية آنذاك . . فلقد كانت هناك حضارة فارس . . والروم . . والهند . . والصين . .

وكان بين العرب والهند لقاءات في التجارة . ، وكان للعرب أنفسهم أسواق للشعر والقضاء .

لكن ذلك كله (حصاد) من صنع البشر ، لايصلح لإعداد جيل لبناء دولة الإسلام . . الدولة ذات المنهج العالمى ، فكان القرآن وحده إذن : هو النبع الذى يتخرج عليه هذا الرعيل ، لأنه وحده الحبل المتين الذى يصل البشر بالله سبحانه وتعالى . . البشر كله . . لأن منهج الدولة ليس بفكر واحد من الناس . . ولكنه من الوحى الإلهى لكل الناس . .

ولذا : فقد كان هناك قصد من الرسول ﷺ أن يتخرج هذا الجيل على ثقافة القرآن فقط ، ولهذا نهى ﷺ عن كتابة شىء سوى القرآن . . حتى يتفرغ العصر كله . . وتتجرد العقول والقلوب والمشاعر من كل لون ثقافى إلا من القرآن الكريم . . فى الحديث الشريف : (لاتكتبوا عنى . . ومن كتب عنى شيئاً غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عنى ولا حرج ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) .

ويؤكد هذا القصد : أن رسول الله ﷺ رأى فى يد عمر بن الخطاب رضى الله عنه صحيفة من التوراة فغضب وقال : إنه والله . لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعنى .

وإذن فقد كان هناك قصد أكيد من رسول الله ﷺ أن يقصر النبع الذى يستقى منه ذلك الرعيل الأول على القرآن الكريم وحده . . لأنه النبع الذى تصح به جميع الأجناس والطوائف البشرية . . .

وكان هناك قصد أكيد من هذا الجيل الأول أن يستعذب القرآن وحده كنبع رائق حبيب .. ليكون وحده مصدر التخرج والتربية :

ـ فعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ـ قال : كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن .

ـ وقال عبد الرحمن السلمى : حدثنا الذين كانوا يستقرئون من النبى ﷺ وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعلموا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً .

لقد اتحد حصر القصد فى النبع يستقى منه الرعيل الأول من القرآن الكريم : من القائد والجماعة التى تربى لتأدية دور يتيم فى عمر الحياة وهو بناء دولة الإسلام على المنهج العلمى السديد القائم على الفطرة واحترام كرامة الإنسان .

التطبيق والإخلاص :

* وثمة : أساس آخر انضم مع النبع الصافى الرائق ـ القرآن الكريم ـ الذى أخرج ذلكم الرعيل الأول .. وذلك الأساس هو التطبيق والإخلاص لمبادىء القرآن الكريم .

إن الرعيل الأول .. لم يكن يقرأ بقصد التفكه والثقافة، ولا بقصد إدعاء العلم والمعرفة :

لم يكن أحدهم يتلقى القرآن ليستزيد من الثقافة لمجرد الثقافة ليكون (دكتوراً) أو (بروفيسيراً) أو (إماماً) أو (حجة) كما نجد كثيراً فى عصرنا الحاضر من هذه الأمثال .. إنما كان يتلقى القرآن ليتصل بالله ويربط شئون حياته وشئون أسرته وشئون الجماعة التى يعيش فيها بما يتلقاه عن ربه من أوامر وتعاليم ... إنه يتلقى القرآن ليعمل به فور

سماعه ، كما يتلقى العسكرى المخلص الأمر اليومى من قائدة فى لحظة القتال إنه يندفع منفذاً لما أمر دون تفلسف بلم ؟. أو بلماذا ؟

وقد سبق قريباً فى هذا الحديث أنهم كانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يحفظوها . . . ويعملوا بما فيها . . . فتعلموا القرآن والعمل والتطبيق معاً .. ومن هنا : كانت الصلة المباركة التى ارتبط بها الرعيل الأول بالملأ الأعلى .

لقد كانوا وهم مصممون على أن يكون القرآن دستورهم ويخلصون فى تطبيقه عملياً يصلون أرواحهم بخالقهم ، فكانت تحفهم الملائكة وتتزل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة ، ويأتيهم نعم الله ومدده « بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » (آل عمران ـ ٣ : ١٢٥)

ولأن هذا كان هو القصد . . ولأن التربية والإعداد تحتاج إلى زمن ولأن منهج القرآن منهاج تربوى عملى فانه يحنو تارة ويقسو أخرى ويردع الفؤاد مرة ، ويمهد عليه ثانية ... فقد شاء الله أن ينزل القـرآن منجماً ، يقول الله تعالى : « وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تـنزيلا » . (الإسراء : ١٠٦)

لقد نزل القرآن تـدريجياً كما تتلقون منهاجـكم الدراسى لـكل عام تدريجياً ..

ولعله من أكبر الأخطاء علمياً أن يقدم عميد الكلية المنهج والكتب إلى الطلاب دفعـة واحـدة ليقرؤها فى ساعة أو فى يوم أو فى أسبوع أو فى شهر ..

ولعـله من الخطأ الأكبر طبياً أن ينصح الطبيب مريضه أن يتجرع كمية

الدواء التى يعالج بها مرة واحدة .. إنه إذا أخذها بالتدرج كل ثلاث مرات لمدة أسبوع كان من الممكن تقريب الشفاء ... أما إذا تناول الكمية كلها فسوف يكون ذلك خطراً يقرب المريض من الموت حسب التقدير العرفى ... إن التدرج فى التربية ... وفى المعالجة هو طبيعة الأشياء ... والآجال بيد الله تعالى ... وقد سبق الإسلام إلى ذلك ... وقرره منهجاً ... وربى به ذلك الرعيل الأول الذى حقق أول دولة بنيت على تقوى من الله ورضوانه . (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم».
(النساء آية : ٢٦)

ولقد كان الرعيل الأول مخلصاً لدينه وإسلامه ..

لقد كان معنى دخول الواحد منهم فى الإسلام أن يخلع ملابس الشرك .

كان يفهم أن شهادة « أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » .

نقلة من الكفر إلى الإيمان ،

نقلة من الأرض إلى رضوان الله ..

نقلة من الظلمات إلى النور ..

فكان ينخلع من كل ثياب لبسها قبل الإسلام .

وكان ينخلع من ثياب القومية والمسيحية واليهودية ..

وكان ينخلع من ثياب القومية والعرقية والإقليمية ..

وكان ينخلع من ثياب التقاليد والعادات والتبعية ..

فماذا كان يريد بلال عندما دخل الإسلام ؟

وماذا كان يرغب النجاشى عندما دخل الإسلام ؟ .

وماذ كان يهوى عمر بن الخطاب عندما دخل الإسلام ؟ .

وماذا كان يريد سلمان الفارسي بدخوله في الإسلام ؟ .

وماذا كان يريده صهيب الرومي لما دخل في الإسلام ؟ .

إنهم لا يريدون إلا أن يتقبل الله أعمالهم في الصالحين ..

لقد أدركوا أن معنى « لا إله إلا الله محمد رسول الله » حياة جديدة حياة السعادة والنور والأنس والرجاء في رحمة الله .

• إسلامية منذ فجرها :

لقد بعث رسول الله — ﷺ — وبلاد العرب : مكة والحجاز في أمس العوز لعون اقتصادي وكانت أخصب بلاد العرب : المناذرة والغساسنة في يد حكم فارسي وروماني .

كانت بلاد اليمن كلها في الجنوب خاضعة للفرس يحكمها أمراء من العرب لكسرى الفارسي .

وكانت بلاد الشام كلها في الشمال خاضعة لقيصر الروم ، وكلاهما بيت القصيد في رحلتي الشتاء والصيف للتجارة العربية أيام الجاهلية الأولى ، كما تحدثنا عن ذلك سورة قريش .

فلم يكن لدى العرب إلا مكة والحجاز ونجد وتهامة ، وهي فقر مجدب فيا ربما لو أن محمداً يومها أعلن — وهو الصادق الأمين — دعوة قومية تحرر البلاد العربية في الشمال وفي الجنوب ، لتقوم راية القومية العربية ، وتتحد بلاد العرب تحت ملك واحد ، وتتبدل الأحوال الاقتصادية ، يا ربما وجد دعوته هذه استجابة قاطبة من العرب كلها غنيها وفقيرها .. فقد كانت العرب كلها تدين لقريش وكان محمد ﷺ في الذؤابة من بني هاشم أعلى قريش نسباً وأسماها حسباً ، بل إن القوم قد عرضوا عليه ذلك بالفعل ، يقول ابن كثير راوياً عن عتبة :

« يا معشر قريش » : ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه إياها ويكف عنا ؟فقالوا : بلى ياأبا الوليد،فقم إليه وكلمه ؟

فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخى : إنك منا حيث قد علمت من السلطة : فى العشيرة والمكان فى النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع منى حتى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها ؟

قال : فقال له رسول الله ﷺ : « يا أبا الوليد . . أسمع ؟ ». قال : يا ابن أخى : إن كنت انما تريد بما جئت به من هـذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذى يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه أو كما قال له؟ حتى إذا فرغ عتبة قال له النبي ﷺ :

« أفرغت يا أبا الوليد » ؟

قال : نعم .

قال : « أسمع منى » .

قال : أفعل ؟

فقرأ رسول الله ﷺ : « حم تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون » فمضى رسول الله ﷺ يقرؤها فلما سمع عتبة انصت لها ، وألقى بيديه خلفه أو خلف ظهره معتمداً عليها ليسمع منه ، حتى انتهى رسول الله ـ ﷺ ـ إلى السجدة فسجدها ثم قال : أسمعت يا أبا الوليد » ؟

قال : سمعت . . قال : فأنت وذاك » .

إذن العرض من أوله ظاهر فى التجرد لله .. ظاهر فى أن المراد أن يحقق كل فرد فى كل جزء على وجه هذه الأرض المنهج الإسلامى .

« قل : إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين . (الأنعام ١٦٢)

ويا ربما لو أن رسول الله ﷺ أعلن أنها دعوة للاصلاح الاجتماعى والسمو الأخلاقى وتطهير المجتمع من الفسق والظلم ، يا ربما وجد وقتها جماعة كبيرة من محبى الأخلاق والفضائل ووجهاء القوم يتبعونه ، فقد كان فى العرب حمس وحنفاء وحكماء وباحثون عن العدل الدينى .

ولكن الله لم يشأ أن تكون الدعوة التى يدعو إليها محمد ﷺ إلا (الإسلامية) . وهى إسلام الوجه إلى الله فى كل صغيرة وكبيرة .

(ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور) . (لقمان ٢٢)

وكان أساس هذا كله هو شهادة التوحيد . « لا إله إلا الله محمد رسول الله » لقد حققها الرعيل الأول .. ودارت معارك العقيدة بين المسلمين والمشركين فبدأ بذلك الجهاد فى سبيل الله بالاستعلاء فوق آلام التعذيب (يا أيها الذين آمنوا أصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) .
(آل عمران ٢٠٠)

ففى هذا الجو الإيمانى تتطهر النفوس من العبودية للبشر ، وتخلص لعبودية الله ، وتزكو الأرواح ، وتتصفى المشاعر من كل غلس شيطانى ، وتقبل على الله مشرقة نورانية .

(يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم) (الأنفال ٢٩)

فأسس المعاملات كلها وأساس الحياه كلها فى نظر الإسلام (لا إله إلا الله) .

وكما أن الشجرة الضخمة الباسقة الوارفة الظلال لابد لها أن تضرب جذورها فى التربة على أعماق بعيدة ، وفى مساحات واسعة تتناسب مع ضخامتها وإرتفاعها فى الهواء فكذلك الدين . إن نظامه يتناول الحياة كلها ويتولى شئون البشرية جميعاً كبيرها وصغيرها أسودها وأبيضها أحمرها وأصفرها ، فلابد إذن له من أساس متين يسع العالم كله ، وكان ذلك الأساس هـــو (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وقامت الجماعة الأولى على هذه القاعدة وإستمرت تربيتها ثلاثة عشر عاماً صفى القرآن الكريم تصورها من كل ثقافة أرضية ، وإرتفع بها فوق محيط السلوك البشرى كله ، وعاصر جيل الشباب الذى نشأ بين أحضان الشيوخ توجيه المنهج فزاده ذلك بالله إيماناً وبالإسلام ديناً .

لقد تربت هذه الجماعة بعد الإيمان العميق بالله على :

.. أن الرزق لكل من يدب على هذه الأرض قد تكفل الله به .

• (وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين) . (هود ٦)

• وأن العمر مقدر لايؤخر ولا يقدم ، فقد تقررت لحظة الموت وأنه لامهرب منه أبداً .

• (قل إن الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم) . (الجمعة ٨)

(فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون . (الأعراف ٣٤)

• وأن الذرية هدية من الله :

(يهب لمن يشاء إناثاً ، ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيما) . (الشورى ٤٢ : ٥٠)

— وربط لهم الآخرة بالدنيا :

(من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) . (النحل ٩٧)

(كل نفس بما كسبت رهينة) . (المدثر ٣٨)

(فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) .
(الزلزلة ٧ ، ٨)

— وذلل لهم الأرض ليكونوا خلفاء لله فيها :

(هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) . (الملك ١٥)

— فاتسعت عقولهم وأرواحهم لهذه التربية واتصلوا بالله .. فكانوا وحدهم على مدى عمر الحياة هم الرعيل الذي شاهد اتصال الأرض بالسماء زهاء ثلاثة وعشرين عاماً . ففتحوا بلاد الله لدينه لا لشهرة الملك ولا لانتعاش اقتصادى ولا لتمدد سياسى ، بل حتى تكون كلمة الله هي العليا .

واليوم : ماهو واجبنا وطريقنا ! ؟

أيها الشباب المسلم :

نحن مطالبون باعادة هذا الدستور حتى يؤدى القرآن دوره من جديد فى إعلان كرامة البشر جميعاً تحت لواء (لا إله إلا الله محمد رسول الله) .. فكيف نسير ... إلى الطريق . . .

لابد من التجرد فى التربية ، ولايتحقق هذا إلا بالعودة إلى النبع الأول ، الخالص الذي استمد منه الرعيل الأول ونشأ عليه وتخرج على أسسه ومبادئه.

ه لابد من العودة إلى هذا النبع فى صورة مماثلة لصورة بلال وأبو بكر وسعد بن أبى وقاص ، وسمية ، وعمار بن ياسر ، لابد من عودة مع تطبيق

تسلم فيه الوجه لله تعالى ، وهـذه العودة لابد أن تكون صريحة فى الإجابة على هذا السؤال .

هل نحن مسلمون حقاً ؟

إذا أجبنا بنعم .. فلابد أن نقبل نظام الإسلام كما جاء به القرآن .. ولابد أن نبدأ من جديد .. من بناء العقيدة أولا .. كما كان أصحاب التجربة الرائدة .

« ينبغى أن يكون مفهوماً لأصحاب الدعوة الإسلامية .. أنهم حين يدعون الناس لإعادة إنشاء هذا الدين .. يجب عليهم أن يدعوهم أولا : إلى اعتناق العقيدة

يجب أن يعلموهم أن الإسـلام هو : إقرار « لا إله إلا الله » بمدلولها الحقيقى وهو رد المصدرية إلى الله فى أمرهم كله .

إقرارهم فى ضمائرهم وشعائرهم وإقرارهم فى أوضاعهم وواقعهم .

ولتكن هـذه القضية هى أساس دعوة الناس إلى الإسلام كما كانت هى أساس دعوتهم إلى الإسلام أول مرة .

.. وبناء هذه الجماعة لا يمكن أن يكون داخل حزب سياسى : أو جمعية ثقافية أو نادى رياضى ، ولكنها يجب أن تكون داخل الإسـلام نفسه وهنـا تأتى الشعرة الدقيقة التى لا يدركها كثير من النـاس حتى المثقفين والسياسيين كيف تعيش الجماعة الإسلامية فى وسط ضجيج الحياة :

هل تنعزل ؟

هل تندمج ؟

لا تنعزل

ولا تندمج

ولكنها تعيش كما عاشت فى بدئها ، تعيش كما عاشت فى مكة لها أخلاقها وارتباطاتها ، وعلاقتها الطيبة بالتي هي أحسن حتى إذا تكونت هذه الجماعة وصفت نفسها من حب الدنيا وأقبلت على الله كان عليها أن تمشي الهوينى فى عملية بناء المجتمع الإسلامى وسط هـذه الجاهلية الشيوعية والمادية والفردية ، وسط ضجيج الشرق .

وضجيج الغرب . .

* وعليها أن تبنى المجتمع الإسـلامى لا بالكلام والتأليف بل بالعمل والسلوك وهى إذا تريد أن تتحرك لابد أن تتبع خطوات الرسول - ﷺ - وقد رحمنا الله تعالى فسجل القرآن الكريم جميع تحركات الدعوة فيما يتعلق بالعلاقة مع غير المسلمين .

على الجماعة الإسلامية التي تتصدى للدعوة الإسلامية :

أن توائم فى تربية الدعاة الذين نيط بهم إعادة بناء المجتمع الإسلامى وعلى الجمعيات ولا أقول الأحزاب السياسية التى تعمل لنشر الإسلام وإقامة المجتمع الإسلامى - عليها أن توائم بين سياسة اللين والمهادنة التى انتهجتها الدعوة الإسلامية فى السنين الأولى من العهد المدنى .

* ثم سياسة المنهج العسكرى بعد أن تمت للاسلام دولته في السنة الأخيرة بعد أن هذبت دولة الروم وصالح رسول الله - ﷺ - صاحب « أيلة » وضمن حدود الشمال والشرق من الإغارة على دولة الاسلام .

* لابد من إدراك الظروف والملابسات بين قوله تعالى :

« لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » . (الممتحنة ٨)

وبين قوله تعالى :

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر .. ولا يحرمون ماحرم

الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » . (التوبة ٢٩)

* ولا بد من الموازنة بين :

« لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير » . (آل عمران ٢٨)

وبين قوله تعالى :

« لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه،أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون» . (المجادلة ٢٢)

إن الواجب المقدس الذى نحمله اليوم هو : أن نعيد بناء القرآن فى قلوبنا أولا .

ثم ندعوا الناس بالحسنى .

ثم نبنى المجتمع الإسلامى بالهوينى دون التعصب أو التحمس السياسى الذى يقلب العمل للاسلام ارتزاقاً يشوه الإسلام ويضيع الثواب ويقرب الناس من الشيطان ويحدث من الفتن ما جرها حزب الشيعة والخوارج وعلماء الكلام من التفرقة والخصومة التى ضيعت ميزة الأخوة الإسلامية ووحدتها وتضامنها أو يقع العمل الإسلامى فى مخلب القطط المتنمر .

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم » . (التوبة ٧١)

« إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون»
(الحجرات ١٠)

وبعد : أيها الشباب المسلم :

فان الجماعة التى تريد أن تعيد بناء المجتمع الاسلامى من جديد عليها .

* أن تلتزم بالمنهج الاسلامى . . فقد جرب هذا المنهج ونجح فى تكوين أول دولة فى التاريخ على أساس منهج القرآن الكريم .

* ونجح هذا المنهج فى خلق الجماعة الاسلامية من وسط ركام الجاهلية الفارسية والرومانية قديماً . . وقدم للتاريخ دولة قائمة على أساس واحد هو العقيدة التى كانت وطناً وقومية وأبا وأخاً . . كانت هي الأسرة والقرابة بين المسلمين أجمعين .

وفى الحديث الشريف :

« ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». رواه البخارى

* نريد من الشباب الذى ينتسب إلى هذه الدعوة . . ويشرف بالعمل فيها أن يكون على مستوى الوضوح والأدب والجرأة . . مثل سيدنا ربعى ابن عامر وحذيفة بن محصن ، والمغيرة بن شعبة ، يوم أن سألهم رستم أكبر قائد عسكرى قهر جيوش الرومان فى العصر الأول أيام الدعوة لما سألهم : ما الذى جاء بكم ؟ .

فقالوا له : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام ، فأرسل رسوله بدينه إلى خلقه فمن قبله منا قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه ومن أبى قاتلناه حتى نفضى إلى الجنة أو الظفر ..

نريدهم على هذا المستوى من العمل والخلق ، نريدهم يعملون فى البحبوحة المنيئة بعيداً عن مخالب النمر الكاسر الذى لا يعرف إلا الغدر .

أيها الشباب المسلم :

ذلكم هو حظكم إن أردتم .. وهذا هو واجبكم وإن لم تريدوا .

« وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين » .

« والله غالب على أمره » .

« وإلى الله عاقبة الأمور » .

القسم الثالث

من التجارب العملية

* رخاء حيث أصاب .
* المبادىء لا الأشخاص .
* الهواة .
* القيادة الجماعية فى الإسلام .

من التجارب العملية

فذلكة :

في مشواري مع العمل الإسلامي الذي تشرفت به وتفضل الله علي وأسأله جلت قدرته أن يشملنا برعايته وحسن القبول عند مقامه العلي . . في مشواري هذا شاهدت وقائع بين كبار العاملين في حقل الدعوة الإسلامية كنت أراها غير جديرة بأن يهتموا بها ، وقد عالجتها وأنا في شرخ صباي في مجموعة من المقالات تعبيراً عن وجهة نظري وثقتي في جميع الأطراف التي كانت تتغالب على شيء لا يحمل التغالب عليه لأنه مسئولية عظيمة عند الله يوم القيامة ثم لم يكن هناك داع لأن البساط كان فسيحاً لمن شاء أن يجلس عليه في أية زاوية من زواياه فالقاعدة في خدمة الاسلام : إن كان في الساقة كان في الساقة وإن كان في المقدمة كان في المقدمة .

— فالتغالب في سبيل الحصول على الرزق رأيته ضعفاً لأن الله ضمنه.

— والتغالب على إرضاء الرؤساء رأيته خسة لأن الولاء لا يكون إلا للمبدأ (لله ورسوله وصالح جماعات المسلمين) لا لشخص بعينه ولا لقوم بذواتهم :

— والتعصب في الإصلاح لشخص معين رأيته جهالة جاهلية لأن الله أعلم حيث يجعل رسالته ، وكما تكونوا يول عليكم .

— والتغالب بين الدول العربية والإسلامية حول استيراد أنظمة إدارية من الشرق أو من الغرب رأيته انحرافاً في العقيدة وهزالا في الشخصية . . . وحول كل هذا وضعت على الترتيب تصوراتي بهذه المقالات :

رخاء.. حيث أصاب..؟

القاعدة الإسلامية التى لا تقبل النقاش ، ولا الجدل أنه « من يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب » .

فليس فى ذهن المسلم الصافى ارتباط لرزقه : سعة أو ضيقاً إلا باذن الله ، وهو بهذا قد تخفف من هموم الحياة ، فيقبل على الدنيا ربانيا ، يعمل باسم الله ، وعلى بركته ، من أجل تحقيق الغاية التى خلق من أجلها « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » .

والمسلم الطبيعى يتناول الحياة على ذمة العهد النبوى الكريم : « المؤمن يأكل فى معى واحد ، والكافر يأكل فى سبعة أمعاء » .

وإذن فحياة المسلم خالية من الهم ، وخالية كذلك من الشر ، واتجاهه إلى الحياة ليعمل ، اتجاه عبادة .

والعمل فى نظر الإسلام هو وظيفة الإنسان المستخلف لعمارة الأرض « إنى جاعل فى الأرض خليفة ؟ قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك ؟ قال : إنى أعلم ما لا تعلمون » .

والعبادة هى الصورة الحركية للعمل ، فالعمل فى المسجد عبادة ، والعمل فى المصنع عبادة ، والعمل فى الحقل عبادة ، والعمل فى العلم عبادة ، والعمل فى الرعاية الإجتماعية بكل صورها . . . عبادة ، حتى إماطة الأذى عن الطريق عبادة .

وقد نظم الإسلام جميع أنواع الأعمال والعبادات بما يكفل العدل للكل

والرحمة للجميع ، وربطها بالنية « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى » .

والمسلم الطبيعي هو الذي يجعل من نيته الخالصة عملا متقنا (إن الله يحب أحدكم إذا عمل عملا أن يتقنه) .

إن المسلم الطبيعي أبعد ما يكون عن شبهة النفاق في عمله ، إنه خارج الدائرة التي تعمل لغير الله لأنها صفة الكفر « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ، ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، والله سريع الحساب » .

إن المسلم الطبيعي يعمل رضاء لوجه الله لا للذات، ولا للشهرة، ولا للعصبية، ولا للمحسوبية ، إنه يبيت راضياً بربه ، ونبيه ، ودينه . ويستيقظ كذلك محباً لربه ولنبيه ولدينه « رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً ، وبسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولا » وهو في ذلك يوقر القاعدة الإسلامية ويبجلها بالتطبيق والتنفيذ « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

وقد كسا النبي ﷺ هذا المعنى بجليل السمات (أعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) ، فلم يعد عند المسلم الطبيعي باب أعلا للرقابة من ذلك الجانب المقدس ، وهو إذ يخشى ربه في العبادة والعمل فانما هي خشية المحب للبر الرحيم (يمد يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، ويمد يده بالليل ليتوب مسيء النهار) وقد استقر في عواطف المسلم الطبيعي رحمة ربه وخشيته معاً ، فلم يعد في حاجة إلى رقيب سوى الله .

وهذا المعنى بأوضح من هذه العجالة قد استقر وهدأ في نفوس الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، فأخلصوا النية لله ، واحتسبوا الأعمال كلها لوجهه الكريم ، فكانت حركاتهم كلها لابتغاء مرضاته ، ولذ فقد أتم الله عليهم النعمة .

١ — فهذا سيدنا بلال رضى الله تعالى عنه — وهو مثل يحتذى — كان يملكه طاغية عنيد « أمية بن خلف » الملىء بالمال والجاه يجبره على الردة والكفر ، بالنار والحديد ، ولكنه يرددها (أحد ءأحد فرد صمد لا شريك له ولا ولد) ، ويطول العناد .. ويطول الصبر ... ثم يأذن الله لبلال أن يعود من المدينة — بعد الفتح ليحطم الأصنام ، ويعلو بناء الكعبة الشريفة ، ويؤذن : الله أكبر ، ...الله أكبر ... وقد خـــلا الحى فى مكة من رؤوس الشرك ، ووجوه الصد عن سبيل الله .

لقد كان العمل انسيابياً رغم عرقلة رؤوس الجهالة ، وكان مع حزم القائد .. وصبر الأتباع يسير يسراً رخاء .. حيث أصاب .

٢ — والمسلمون فى بدر لم يخرجوا بادىء أمرهم لشوكة ، ولا لحرب . أنهم اتجهوا إلى عمل اقتصادى سياسى : هو قطع الطريق التجارى الذى تستمد منه الرجعية الملحدة التمويل المعين لها على الصد عن سبيل الله .

وخرجت الكتائب المؤمنة وهى أشكال وأنواع ... من المهاجرين .. والأنصار الذين أحدثوا أول مجتمع جديد على الأخوة الإسلامية ، وقد ذابت فيه فوارق الجنس بكل تسمياته ... وفوارق الثقافة بشتى ألوانها .. إلا عقيدة الإسلام التى هى ملاك كل شىء فى حياتهم ، فلما دقت الساعة للمعركة ، قالها المقداد — رضى الله عنه — رخائية ، سرمدية للمسلمين فى عقبة (يارسول الله والله لن نقول لك كما قال قوم موسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ، بل نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، والله لو خضت بنا لجة بحر لخضناه معك) :

فكانت النية الحسنة عنوان السلوك الإنسيابى ... طاعـة مطلقة ، لثقة مطلقة ، من أجل عقيدة هى الحياة : والأمل الأسمى ، فكانت معركة بدر ،

وكان العمل فيها رخاء ، حيث أصاب الجهاد النصر « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ، فاتقوا الله لعلكم تشكرون » .

٣ — وفي أحد صار العمل رخاء ، فقدم النصر لما كانت الجماعة تتبع أمر قائدها فلما لاحت للرماة هذه الراية وخفوقها يحرك في الأفئدة نشوة أيما نشوة نسوا حسن النية — وبقيت في نفوسهم نية الجهاد — ، فلم يعد العمل رخاء فانعكست الآية زمنا . . وأصيب القائد يومها . لأن رخائية العمل أفسدتها بعض التفاسير النفسية للأوامر التي ألقيت صبيحة المعركة ، فكان ذلك عقبة أمام حركة العمل ورخائيته .

٤ — وتكررت هذه الظاهرة :

(ا) العمل يسير رخاء إذا اتبعت الجماعة أوامر رائدها بالنص الحرفي ، دون اجتهاد تلونه ثقافة خاصة ، أو عاطفة خاصة ، وكان ذلك في أحرج اللحظات . . يوم الخندق — ويوم تبوك .

١ — في لحظة من تكاثر الأعداء « إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً » .

ولكن النصر كان مكتوباً للقاعدة السالفة . . . فكانت الآية الكريمة « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود ، فأرسلنا عليهم ريحا وجنوداً لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيراً » فالنداء في الآية حلو لذيذ ، يصور قرب المنادي جل شأنه من الجماعة المطيعة « المنادون » ، وفيه من المدهدة ، والرضوان ما يثلج صدر الظامىء لرضوان ربه ، ومن لطائف الآية تأنيث الفعل المعبر عن حركة جنود الكفر ، على كثرتهم وضخامة عددهم وعدتهم ، وأنهم في هذه الكثرة الكاثرة قد أبيدوا بريح سلطها الله عليهم ،

وقد أبعدها الله جات قدرته عن جماعـة المسلمين ، مع اتحاد المناخ في الإقليم — لأنهم كانوا يعملون رخاء حيث يصيب النائد النصر الموعود به من عند الله .

٢ — وفي لحظة العسرة : عسرة المناخ والطقس ، وعسرة المال والإنتاج فلما جاد المسلمون بالمـال والنفس ، جاد الله عليهم بالنصر ، بالرعب من مسيرة شهر .

(ب) ويسير العمل لا رخاء فيه ، إذ تلونت النية ، وأثقلت الجماعة كاهل رائدها بالعلل والمعاذير .

وكان ذلك من أمثلة تاريخ الدعوة .

في حنين : إذ أعجبوا بكثرتهم واتساع رقعة بلادهم — بعد الفتح — فقالوها : (والله لن نغلب اليوم عن قلة) ، ومن قبل كانت مبادىء الداعية عليه الصلاة والسلام إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله، وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك . . . فـكانت النكسة ، « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتـكم ، فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ، ثم وليتم مدبرين » .

ولولا أن القائد كان دائماً متصلا بربه لما كانت للنكسة إزالة ، ولكنها آية مسجلة ، ليعرف المسلمون قواعد العمل الرخاء « ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنـين ، وانزل جنوداً لم تروها ، وعـذب الذين كفروا ، وذلك جزاء الـكافرين » .

المبادىء لا الاشخاص

كيف تحيا الأمم وتخلد الدعوات ؟

يقرر علماء الخدمة الاجتماعية فى ميدانها التطبيقى أن عملية التغيير الاجتماعى لاتتم على وجهها السليم إلا إذا كانت هناك قيادة محلية فى بناء المجتمع المحلى تتحمل مسئولية التنفيذ والصيانة لعملية الإصلاح الإجتماعى لكى يحقق المجتمع هدفه ويستمر هذا الهدف حتى يتسنم قمة الرقى فى المستوى الأفضل المرغوب فيه .

وقد لجأ علماء فن الخدمة الإجتماعية إلى هذة الطريقة بناء على أسس الديمقراطية التى ربطت تحرك الناس بها حسبما تفرضه الأصول النقية فى دم البشر .

وقد أدركت السياسة الإنسانية الحديثة أن البقاء ليس للفرد وإنما هو للمبدأ فأخذ الزعماء الوطنيون المتفانون في إخلاصهم ، أخذوا يربون من بعدهم حتى يكونوا قيادات تحمل أفكارهم ودعوتهم ، ليبقى الهدف مستمرآ فى رقى صاعد إلى القمة .

والمخلصون من الزعماء يجهدون أنفسهم غاية الجهد فى إعداد هذه القيادات حرصا على خلود المبدأ الذى هو صلب حياة الأمة وعماد خلودها .

فهل السبيل لحياة الأمم وخلود الدعوات : المبادىء . ؟ أو الأشخاص ..؟

هل النازية الهتلرية والفاشيستية هى سر عظمة ألمانيا وإيطاليا ؟ وأين ألمانيا وأين إيطاليا ؟

يقول القادمون من ألمانيا حديثا إن الشعب الألمانى الجديد أشد الناس كراهية للحرب والعلة واضحة فان شخصية هتلر لم يعد لها أثرها الخطير فى فى نفوس الألمان بعد أن ألبستهم الحرب أثواب العرى وأطعمتهم متربة الفقر وأنشقتهم عبير الضحايا إنهم يكرهون التلمذة من جديد فى مدرسة هتلر .
ولا أحسب إيطاليا تنعى ذرات موسولينى بعد إحراقه ، فقد أدخلت فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا مع أمة الألمان فلبست مثل ثيابها وأطعمت مثل طعامها واستنشقت عبيرا كعبيرها . فهم كذلك يكرهون مثلما يكره الجرمان .

ذلك عالمنا الحديث تؤكد أحداثه القريبة أن حياة الأمم وخلود الدعوات ليس سبيله الفرد ، إنما طريقه الفذ المبدأ الرفيع .

فهل فى إسلامنا الحنيف من الظلال ماتتفيأ أفكارنا وتتحدد بها الأساليب التى تبقى الامم وتخلد الدعوات . . ؟ ؟

إن تاريخ الدعوة الإسلامية يجيب فى صراحة :

إن الإسلام رفض مبدأ الفردية كعنصر مقوم للحياة وكعمر تبقى فى أحقابه الدعوة خالدة ، فان تاريخه يؤكد أن كفار مكة قد أخطئوا يوم ربطوا فى ذهنهم موت الدعوة بموت محمد وأنهم قد فشلوا مع استجماع العزم وحديدية التصميم أن يقتلوا الدعوة بقتل محمد أو قتل أتباعه .

١ — فما كان بلال العبد مملوك أمية بن خلف يرده عن عقيدته التى خالطت روحه ودمه ومشاعره ضرب السياط أو كى الحديد أو ثقل الصخور أو أفاعيل الصبية أو شد الوثاق بل أسمع آذان الكفر وهى فى غيظ العجز من الحصول على نصر ما (أحد أحد ، فرد صمد ، لاشريك له ولا ولد) .

٢ — وما أبشع فشل كفار مكة وقد قرروا الحصار الاقتصادى وحبسوا دعوة رسول الله ﷺ فى شعب بنى هاشم ، ما أبشعه من فشل يوم أن دعا

رهط من طائفة الكفار أنفسهم لتمزيق الصحيفة . وما نقصت الدعوة بهذا الحبس شيئا اللهم إلا أنها زادت المبدأ تأكيدا وخلودا .

٣ — ولم تسكن ز رافات المبايعين فى العقبتين لرسول ﷺ ومع ضغط المخابرات لقريش إلا دليلا أكيدا أن الدعوة قد وضح للخلصاء طريقها الوحيد المبدأ لا الذات وحول هذا المعنى يعان القرآن الكريم فى سورة التوبة :

« قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

٤ — ويوم أن أخطأ الجيش الإسلامى فى معركة حنين ثبت النبى ﷺ وهتف أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وفى الجملتين إعلان تاريخى أن عهداً عليه الصلاة والسلام صاحب مبدأ فهو نبي ومهمة الأنبياء إصلاح الأمم فأعان التاريخ أنه ليس تواقا للمجد الذاتى فينحنى للعاصفة لتمر ويسلم هو ، بل أكد أنه صاحب دعوة فلو وضعوا الشمس مع القمر فى يديه ما تنازل عنها أبداً ، ففى سبيل الفكرة تهون الوسائل كلها ولو كانت النفس والمال ولذا يستوضح المسلم فى هذه الظلال نداء الله له : « وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله » « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله . . الآية » .

ثم هو ابن عبد المطلب — الجد — صاحب دعوة الفضيلة والسقاية والرفادة فى الجاهلية فهو مصلح بنبوته وينحدر من أرومة عريقة فى نسب الدعوات تبذل فى سبيلها الأغلى والأنفس فى لذة وفداء فهو إذن صاحب مبدأ لا طالب مجد .

وكأنى بسيدنا رسول الله ﷺ يرد بهذا المنطق على أولئك الذين أشاعوا

يوم أحد أنه قتل ليفتوا فى عضد القوم كأنما يقول إن دعوة الله ماضية لأنها مبدأ رفيع لايرتبط وجودها بوجود فرد أو ذات . .

وبهذا يحدد رسول الله ﷺ أن العقائد الطاهرة لاينال منها تدمير أو قتل أو تشريد ، وتستقر هذه المعانى فى عقل الصديق رضى الله عنه فيخطب الناس يوم فتنوا بموت نبيهم (أيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لايموت) ويسعفه فى موقفه السند الدستورى فيما تعلنه سورة آل عمران « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله سيئا وسيجزى الله الشاكرين » .

ويستوضح المسلم هذه الظلال أيضا أنه يجب أن يصبر يوم أن يظلم وألا يتقبل الدنية فى عقيدته فقد فتح الله له طريق الهجرة « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيراً وسعة » ، وتمضى آيات السور لتبشر تلك القيادة المستذلة الصابرة « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » فكانت الهجرة وكان الصبر من آثار مبدأ ارتباط الدعوة بالمبدأ لا بالذات . ومن أجل هذا أيضاً قرر الإسلام مبدأ الشورى فان دعوة الإسلام تحكم للاصلاح الإنسانى ، ومقتضى التعايش السلمى أن يحكم الناس أنفسهم فى إطار مخطط ينظم شتى العلاقات التى يحدثها احتكاك الناس فى المجتمع .

وقد رسم الله هذا الاطار بالقرآن الكريم وحدد أن الأمر شورى يقول الله تعالى « وأمرهم شورى بينهم » « وشاورهم فى الأمر » .

وهذه الجماعة أثر من آثار فكرة الاسلام فى أصول بقاء الأمم وخلود الدعوات .

إنها بالمبادىء لا بالأشخاص . وإذن فان أولئك الذين يخطئون فى ميادين

الاصلاح والقيادة ويربطون هذا التخطيط بأشخاص أو ذوات هم قوم مجافون للصواب في التغيير الاجتماعي الذى يستند إلى الأصول العلمية والنفسية والاجتماعية وهم مع هذا مخالفون لمنطق الاسلام وحدوده التى رسمها لبقاء الأمم وخلود الدعوات .

وعليه فليرحل أولئك الذين بغوا فى الأرض وحكموا الشعوب ظلما كما رحل أولئك الكفار الذين فهموا جهلا أن خلود الدعوة مرتبط بذات أو فرد ، فليرحل أولئك كما رحل هؤلاء فلم يبق لهم فى التاريخ إلا ما يسود الوجه ويندى له الجبين .

وليبق الاسلام خالدا تهرع إليه الأمم التى تريد لنفسها البقاء ، فقد قضى الله «ولو أن أهل القرى ..آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون »« ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين) (ومـا كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » م؟

الهـــواة . . .

« وقالوا لولا نزل هــذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » ، يحسب الجاهلون أن الأماني في نفوس البشر لها دلال على الكرم الإلهي فيتمنون الرسالة الإلهية مبعوثة إليهم على يد واحد من العظماء في مكة غير محمد أو في الطائف الظليل.

« ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله » ، فليست الرسالة بأماني البشر ، وليست قدرة الله متحركة بلهجات الأماني ، وإنما الرسالة منحة الله الخالصة لعبد اصطفاه لهـا فهو من أجلها خلق واختاره الله ، وهي له أمانة من عند الله .

« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس » .

والعاقلون من البشر يدركون أن منهج الإصلاح والإدارة لا يرتبط بالذوات بمقدار ما يرتبط :

(أ) بالمنهج .

(ب) والقدرة النفسية على تحمل أعبائه .

(ج) والقدرة المادية على تنفيذ مراحله .

(د) والقدرة على إقامة العـــدل بين الجهاز المنفذ والمشترك في عملية الإدارة والإصلاح .

أما مظاهر الزينة والثراء والجاه فهى عوارض يمحوها سلطان الزمن دون ما قدرة لأصحاب هـذه المظاهر على مناهضة أو إبقاء على شيء منها ، فهى زبد يذهب جفاء بذاته والأول هو ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض باذن الله .

ومن ناحية أخرى فان المتمنين نزول الرسـالة على فرد معين يفرضون أهواءهم على الذات الإلهية المقدسة .

وهى أغاليط العمه الجاهل البعيد عن الإحساس الطبيعى بما يكنه وجدان الفرد فطريا لربه من الكمالات المطلقة فى العدل والرحمة والتقديس ـ الخ .

فهم هواة الذوات ، وهم عباد الهوى « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم » .

وهـذه الظاهرة كما ينطق بها القرآن الكريم لم تكن مجرد تحليل نفسى لبعض ذوي الهوايات من المكيين ، وإنما هى ظاهرة نفسية لبعض المصرين على الإثم باتباع الهوى فى ظل الحياة الإسلامية المستمرة ، ففى كل عصر نجد الساجدين على جباههم لعبادة الأفراد وهم لا يدخرون وسعاً فى الأستغراق لخدمة أسيادهم ، وفى ذلة يرضون بالفتات المتساقط حول مآدب السحت ، وإنه لعجيب أن يتخذوا هواهم إلهاً وهم مسلمون .

إنهم بذلك يتمردون على كثير من المبادىء الأخلاقية الأساسية فى الإسلام.

١ — « إنما المؤمنون إخوة » .

٢ — « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » .

٣ — « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

٤ - « اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم » .

٥ — « المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يخذله » .

٦ — « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم » .

٧ — « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » .

٨ — « الله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » .

٩ — « على مثل هذا فاشهد » .. الخ .

وهم مع هذا المروق على مبادىء الأخلاق خارجون على أسس العقيدة :

١ — « ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شىء فاعبدوه » .

٢ — « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » .

٣ — « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا » .

٤ — « وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين » .

إن عبادة الأفراد :

- جهل بحقيقة البشر .
- وعمه يصيب البصيرة فتضل طريق الحجة .
- وتحقير لكيان الفرد ونفسيته .
- وإلغاء لفكره .
- وإلحاد بالإيمان الحق .
- وفسوق بأخلاق الإسلام .

وقد علمنا القرآن الكريم :

«قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ، وأموال

اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها ، أحب إليكم من الله ورسوله ، وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

إذن فلن يغير هوى الهواة شيئاً مما يريده الله ، ولو اجتمعت الإنس والجن فإنهم حتى عاجزون بالطبع والواقع .

والنصر حتما لمن جاهد فى سبيل الله لا يبتغى مجداً ، ولا مغنما ولا حطاما .. والله قد مكن فى نفسية المجاهدين وعده .

« إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » .

وعلمهم منهج الإصلاح :

« الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » .

ومعنى ذلك بإيجاز :

١ — أحسنوا صلتهم بالله .

٢ — ووثقوا عرى الصلات الإجتماعية بين المسلمين .

٣ - وأقاموا العدل والتراحم دون ما محسوبية أو إقليمية أو حزبية أو هوى .. على حد قول الله تعالى :

« إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

« ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » .

٤ - ثم هم موقنون بأن الأمر بداية ونهاية مرجعه إلى الله .

— وبهذا فلسوف تضيع جهود الهواة هباء عندما يحل نصر الله .

— ولسوف تسود وجوه وتبيض وجوه عند التمييز بين عباد الله وهواة البشر .

« فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية ، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هيه نار حامية » .

« إن ربك لبالمرصاد » .

« فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره »

وقانا الله شر الهوى والهواة ، وعقل شرهم ، وجنب الحق والعدل والأمة شططهم إنه سميع مجيب .

القيادة الجماعية فى الاسلام

الحـديث عن القيادة الجماعية فى الإسـلام حديث دقيق ومهم فى لحظة يحياها العالم العربى فى تجربة الحكم الشعبي . ودقة الحديث تحدد لنفسها الإطار التالى :

١ — معنى القيادة وخصائصها .

٢ — بين القيادة الجماعية والفردية .

٣ — أهمية القيادة فى رفع المستوى العام للرعية .

٤ — حاجة الأمة إلى تدريب قيادى .

٥ — ضرورة التعبئة للوعى القيادى .

معنى القيادة — وخصائصها : فى الأبحاث الخاصة بميادين القيادة والإدارة فى الدراسات الإجتماعية وعلم إدارة الأعمال يقولون : إن القيادة هى (مجموعة العمليات والوظائف التى تستغل لسياسة مؤسسة ما بغية تحقيق الهدف المنشود) .

وقد ذكر الكتاب السنوى للخدمة الإجتماعية بأمريكا عام ١٩٥٥ م أن القيادة هى : (الجهود التى تبذل للحصول على مستوى أفضل مرغوب فيه) . ومن هذين التعريفين نصل إلى أن القيادة هى جهود تبذل من أشخـاص لتحقيق هدف .

هذه الجهود لابد من تحديد المجال السلوكى والحركات العلمية على ضوء من توصيات المفاهيم الإسلامية . وهؤلاء الأشخاص : لابد أن تتوفر فيهم صفات

نفسية وعقلية وعضوية تتفق وطبيعة الميدان الذى تعمل فيه . وهذه الأهداف: لابد لها من التحديد فى ضوء الرسالة الإسـلامية على المذاق الوجدانى للفطرة الإنسانية التى تستعذب مشقة العمل فى سبيل رضوان الله .

ما أنت إلا أصبع دميت   وفى سبيل الله ما لقيت

إنها نشاط عبقرى يصدرمن سواعد العقل الحصيف المؤمن بالله المتخصص فى نفسه المنكر ذاته من أجل تحقيق آمال الأمة ووظيفتها : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » وقد قدر الإسلام دين هذه البشرية احتياج الأمة إلى هذه القيادة فحفل القرآن الكريم ـ الدستور الأصيل للحكم الإسلامى ـ وحدد الخصائص والسمات التى تبرز جوهر هذه القيادة الرشيدة . فحدد الإسلام :

أولا ـ الإطار العام لهذه القيادة ووضوح تبعاتها :

يقول الله تعالى : «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» فيرسم بذلك صورة إنسانية سوية لمفهوم القيادة على نمط يتفق مع طبيعة التعاشر الإنسانى والإجتماع البشرى :

١ ـ أنها جماعية أولا (ولتكن منكم أمة) .

٢ ـ وداعية للخير ثانياً (يدعون إلى الخير) .

٣ ـ وحافظة لقيم المجتمع ثالثاً (ويأمرون بالمعروف) .

٤ ـ ومعالجة للأخطاء رابعاً (وينهون عن المنكر) .

وكل هذا يلفه سياج الإيمان بالله ، وكل هذا يحتاج إلى جهود فعالية تصدر من أشخاص فيهم استعدادات الإيثار والتضحية وحب البذل وعشق العبادة فى سبيل الله فحدد الإسلام .

ثانياً — ملامح هذه القيادة بالشروط الآتية :

١ — العدل بين الناس عدلا مطلقاً لا تشوبه عنصرية ، أو كراهية ، أو محسوبية ، أو قرابة ، يقول الله تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً » .

« ولا يجرمنكم شنآن قوم ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » .

وقد بنى السلوك الإسلامي على هـذا الميثاق فقد خطب خليفة الإسلام الأول أبو بكر الصديق — رضى الله تعالى عنه — غداة تولى أمر الخلافة فقال : أيها الناس : « إنى قد وليت عليكم وليست بخيركم ، فان أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى ، أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فان عصيته فلا طاعة لى عليكم . القوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه والضعيف فيكم قوى حتى آخذ الحق له » .

ومن بعده كان عمر بن الخطاب . ويروى أنه قال لرجل يحضر مجاسه : نح وجهك عنى فانى أكره أن أنظر إليه — وكان الرجل قبل إسلامه قتل أخا لعمر — فقال الرجل : وهل يمنعنى ذلك حقاً من حقوقى يا أمير المؤمنين ؟ فقال له عمر : لا . قال الرجل : إنما يبكى على الحب النساء ...

٢ — بمقتضى التجمع البشرى :

الناس شركاء فى مجتمعهم بمـا فيه من إمكانيات تغذى نمو الحياة.((نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا)). ولكن مهما اختلفت مقادير الملكية الخاصة فان الناس للناس وإن لم يشعروا خدم . وقد خلق الله طاقات القوى البشرية بنسب متفاوتة وركب فى بقية البشر قدرات خاصة وحسب تجدد

مطالب الحياة . فان الحضارة — وهي استغلال موارد الحياة الطبيعية على مستوى يحقق حاجات الناس في ثوب شريف — إن هذا التجدد يتطلب تخصصاً في ميادين الإنتاج وقديماً قالت العرب « أعط القوس باريها » فان المتخصص أقدر على تكييف ميدانه بأكثر من جهود الفرد العادي في أضعاف متزايدة مهما كان عالماً في مجالات أخرى .

لهذا فقد جعل الإسلام من سمات القيادة الجماعية « الشورى » فان مجموعة الأفكار من وجهاء الفكر والرأي يقل فيها انحراف الفكر وعلل الأخطاء ويكثر فيها إصابة التفكير وأسباب الإجادة . والجماعة أقدر على تصحيح أفكارها من بصر الفرد الذي تطغى عليه لذة الفردية وشهوة الأنانية .

بهذا يرفض الإسلام كل أسلوب يتجافى مع هـذا المنطق فهو يرفض الديكتاتورية ويمقت نظام الأوليجاركية . ويرفض في عنف دعوة العصبية وسياسة التكتل والعنصرية ويهتف بالمسلمين جميعاً إنما المؤمنون أخوة : وجعل من العبادات مغسلا ينظف الفرد فيه قلبه وتفكيره وأهواءه .

٣ — الشخصية الاجتماعية :

ولما مضى فقد دعا القرآن الكريم إلى مبدأ خطير في فقه القيادة هو تربية الشخصية الإجتماعية التي ترتفع فوق أحداث الحياة بعواطفها وتفكيرها لتقيم العدل وتدعو إلى الخير وتبغى المعروف . يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً » فيحدد القرآن أن أخص القيادة في القائد هي الشخصية الاجتماعية التي تؤمن بالحق ولو على حساب نفسها أو حساب أعز من تدين له بالحياة .

وفى تغذية هذا المعنى يقول الله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) فيبين القرآن الكريم أن القيادة السليمة تضحى بكثير من اللذائذ فى سبيل الهدف الرفيع وخدمة الصالح العام .

٤ — الإخلاص فى العمل :

يحمل الفقه السياسى عند المسلمين نصاً عن أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يبين لنا صفة من صفات القيادة التى تعمل من أجل أهداف الأمة : يقول « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ، والله لو جاءت الأعاجم يوم القيامة بأعمال وجئنا بلا أعمال لكانوا أحق بمحمد منا » . هذا التقى يقرر بأسلوب المنطق التطبيقى : أن الإسلام لا يركن إلى السمعة الطيبة فقط فى ملء الوظائف ، وأن شرف العائلة ليس معياراً للتكريم ، وإنما العمل وحده هو الذى يحترم فى عالم الموازين والتقويم للانتاج والبناء والقيادة .

ومن هنا فقد أعلن الإسلام الحرب على :

١ — البيروقراطية : التى تعطل مصالح الرعية لأنها عناكب مكاتب الموظفين يقول الله تعالى « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم » .

٢ — وحرم التسول : لأن فيه تعطيلا لقدرات بشرية يمكن أن تضيف بانتاجها قطرة دم إلى وريد الأمة ، والحديث يقول : « ألا يخشى أحدكم أن يلقى الله يوم القيامة وليس فى وجهه مزعة لحم » .

٣ وحق الربا : لأن المرابى يأكل عرق الكادح المكافح ، وهو ظلم يرفضه دين العدالة والإحسان ، وهو نظام يلد فيه العقيم ، وهو قلب للحقائق

ومجافاة للعدل الطبيعي : يقول الله تعالى « يمحق الله الربا ويربى الصدقات » ، «وأحل الله البيع وحرم الربا » .

٤ — ورفض المحسوبية : فقد أعلنت النبوة أن المساواة تامة بين جميع المسلمين دون نظرة خاصة إلى لون أو نسب أو جنس يقول سيدنا محمد ﷺ (لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها) والله يقول « ولا تزر وازرة وزر أخرى »

« إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً » .

وحول هذه المعانى زخرت الآيات الربانية فى القرآن الكريم « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

وغذت السنة الإسلامية المطهرة فى إيجابية فعالة هذه المعانى فيقول الحديث « وعين باتت تحرس فى سبيل الله » فيجمعها فى ساحة الرضوان عنده مع العين التى بكت من خشية الله يوم لا ظل إلا ظله .

إذن طاعة الله والعمل فى سبيل الله كلاهما على قدم المساواة فى الالتقاء السلمى فى حظيرة الرضوان فى لحظات العسرة القاسية .

ورسول الله ﷺ يقول : « إن الله يحب أحدكم إذا عمل عملا أن يتقنه » .

« ما أكل ابن آدم طعاماً خيراً مما عملت يداه » .

وفى المجال السلوكى ضرب سيدنا عمر بن الخطاب بدرته قوماً عكفوا فى المساجد وقال لهم إن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة .

٥ — الرقابة الشعبية : ولكل هذه المعانى فقد قرر الإسلام مبدأ قيادياً يحافظ على سلامة أسس القيادة وأعمالها لتستمر جهود القادة مهيأة للعمل

الحقيقى المثمر فى إخلاص وجد وأمانة ونشاط من أجل الهدف الأسمى . فقرر الإسلام مبـدأ الرقابة الشعبية لحماية السلوك القيادى من البيروقراطية والمحسوبية والرشا . فيقول الرسول ﷺ « الدين النصيحة ... لله ولكتابه ولرسوله . ولأئمة المسلمين وعامتهم » تصحيحاً للأخطاء وإسهاماً فى خدمة الرعية ، واستجابة لداعى الإنسانية وطاعة لله ولرسوله ...

هنا تلتقى معانى الأحاديث النبوية التى تعالج من زوايا عـدة موضوع الرقابة الشعبية كقاعدة أصيلة فى البنيان القيادى فيتضح فى هذا المجال قول سيدنا رسول الله ﷺ (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً .

(المسلمون تتكافأ دماءهم ويسعى بذمتهم أدناهم يد على من سواهم) .

(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) .

(المسلم للمسلم كاليدين تغسل إحداهما الأخرى) .

وبالإيجـاز :

فان القسمات الأصلية لمفهوم القيادة الجماعية فى الإسلام وشروطها أنها عدل مطلق وتشاور بين عبقريات الفن المتخصص ، وحساسية اجتماعية تبذل أقصى مجهوداتها من أجل الجميع ، وأمانة مخلصة فى معركة العمل والإنتاج ، ورقابة عادلة فى المحافظة على مستوى العمل وعدالة التوزيع . ثم هى لبحث كامل للطاقة الإنسانية . وحرب شعواء على الكسل والانحرافات ثم هى استخدام إيجابى لجميع القدرات المتخصصة للعمل مـن أجل البنـاء والعدالة المطلقة .

وأساس هذا من الكتاب والسنة :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم » .

والحديث يقول : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

أهمية القيادة :

وفى هذا الجو الذى أظهر ملامح القيادتين : الجماعية والفردية . تبدو أهمية القيادة الجماعية . فقد ظهر أن القيادة الجماعية ترتبط بهذا الإصلاح الاجتماعى فى مجالين : الإنتاج — والخدمات - فى مقابل ارتباط القيادة الفردية بالفساد والأنانية والصراع — فالقيادة الجماعية ضرورة قصوى فى المجال الإنتاجى : لجودة العمل وكثرة الإنتاج وفى مجال الخدمات لعدالة التوزيع حسب الحاجة وقدرة الإمكانيات على الوفاء بمطالب الرعية .

وكل من المجالين يحتاج إلى شخصيات مؤمنة بحق الشعب مستعدة لبذل أقصى طاقاتها من أجل الوصول إلى الهدف الأسمى بذلا نابعاً من الضمير حبيبا إلى القلب مخلصاً لوجه الله على نحو ماتحدثت به آيات سورة الحشر : « والذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولايجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

إن أهمية القيادة الجماعية تبرزه :

١ — حاجة الأمة إلى دعاة متخصصين فى مجال التوجيه لتعبئة الروح وشحن الطاقات بالإيمان بالله والعمل إنتاجا وجودة .

٢ — وحاجة الأمة لعدالة مستقيمة فى التوزيع وإحســـاس صادق بالمشكلات يدفع إلى الإسهام فى حلها بالإيثار والتضحية كما تبرزه :

٣ ـ خطورة البحث عن الكفاءات الممتازة فى مجال العمل .

٤ ـ وسمو الشخصيات الإنسانية فى أفكارها وعقيدتها ومثاليتها فى مجال الخدمات والرقابة والتنفيذ .

وفى إيجاز ـــ أهمية القيادة الجماعية تبرزه :

حاجة الدولة إلى قادة ممتازين فى الدين والعلم والأخلاق .

تدريب الأمة على القيادة الجماعية :

ولهذا فقد أحس سيدنا رسول الله ﷺ بخطورة هذه القيادة فى مستقبل الأمة فى وقت لم تعرف الأفكار السياسية مفهوم القيادة فدرب الأمة فى حياته على التفكير الجماعى والقيادة الجماعية مع ما ينزل به الوحى من تشريع وتقنين فأشرك الرسول ﷺ الأمة فى :

١ ـ حل مشكلة أسرى بدر : سمع رأى الصديق الحبيب أبى بكر وهو السيد الرحيم بأهله وسمع رأى الأمين القوى عمر بن الخطاب وهو البصير بمصالح عقيدته ولما استوى الرأيان عرضهما رسول الله ﷺ على الوجهاء من ذوى الرأى والفقه والسياسة . حتى رجح رأى أبى بكر فى مجال الفكر البشرى عند القيادة الجماعية فأخذ به رسول الله ﷺ بناء على النص الدستورى : « وشاورهم فى الأمر » لم يكن هذا العمل الجليل حركة صغيرة تمضى فى سطور التاريخ بل هو مجال تربوى تدريبى للأمة على العمل القيادى الجماعى لتتربى الأمة على أساليب الحكم السليم فى ظل نبيها الذى شيدها للانسانية رحمة وحنانا .

٢ ـ وعزز القرآن الكريم توجيه النبوة فى هـــذا المجال فيقرأ علينا القرآن الكريم « وشاورهم فى الأمر » ، « وأمرهم شورى بينهم » .

فيصبح الإسلام بذلك مبدأ دستوريا خطيرا أن رئيس الدولة مأمور أن

يشتور مع الرعية فى تنظيم حياتها على نمط إسلامى رفيع الكل فيه يعمل . والكل فيه يأخذ وأن الرعية كذلك مطلوب منها أن تشتور مع نفسها لوضع الخطة واقتراح الوسائل وتصميم المشروعات لتحقيق الخير للصالح العام . فلا حزبية ولاطائفية ولاكتلوإنما هى أمة واحدة تعبد ربا واحـدا وتسلك السبيل إلى هدف واحد .

(إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) .

« من لم يهتم بشئون المسلمين فليس منهم » .

وبهذا التدريب المحمدى تتهافت النظرياتالتى تنافق رأى الفرد وتتبع هواه وتخلد إلى جوره وقد أرانا التاريخ الحديث نهاية هذه المجموعات التى تحطمت على يد هتلر وموسولينى من الناحيةالنفسيةوالعمرانية . وبقى لمنطقةالشرق الأوسط الإسلامى أستاذيتها فى دستورية القيادة الجماعية ومبدئها التطبيقى من حيث :

١ ـ مناقشة الفكرة فى حيدة وإخلاص ونية طيبة .

٢ ـ والبحث عن القيادات المتخصصة دون إعتبار خاص .

٣ ـ وعدالة التوزيع على النمط الذى يرسمه لها القرآن الكريم فى جدول الرعاية الاجتماعية وقانون الزكاة والتبرعات وخمس الركاز ... الخ .

* * *

ضرورة التعبئة الوعى القيادى :

ومن هنا فقد قرر الإسلام ضرورة التعبئة لتنتقل المفاهيم النظرية للقيادة الجماعية إلى سلوك تطبيقى إنها عملية إحياء لمفهوم القيادة لكى لا تتجمد مفاهيمها الدستورية فقرر :

١ ـ مبدأ النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

٢ ـ وحدد مصادر التشريع التى يجب أن تلجأ إليها الأمة عند تطور أحداثها فيها تتلوه سورة الحشر «ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا».

والحديث يقول : « تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتى » .

٣ ـ وجعل من صلاة الجماعة والجمعة عروة وثقى لتجميع عواطف المسلمين ودراسة مشكلاتهم .

٤ ـ وقرر التعاون أساساً للعلاقات الاجتماعية بين الناس .

٥ ـ وجعل من الحج مؤتمرا رسمياً تلتقى فيه الرءوس الكبرى المسئولة عن وحدة الأمة وحراسة التنفيذ لكتاب الله وسنة نبيه . لتضع تخطيطاً كاملا لمعيشة الناس .

وترك الإسلام وسائل تلك التعبئة لمستحدثات الحياة .

فعلى الدولة وعلى علماء الأزهر وقادة التعبئة الروحية من رجال الدعوة والإعلام أن يبينوا مجالات التوعية بالقيادة الجماعية السليمة فان ذلك وحده هو ضمان الديمقراطية بأجنحتها السياسية والاجتماعية حسبما يعبرون وهو وحده ضمان استقرار الأمة وعمودها الفقرى . وعماد خلودها فوق هامة التاريخ العظيم ومن قبل تحمل عمر رضى الله عنه مثل هذه التعبئة فقال : « والله لو أن بغلة بشط العراق عثرت لسئل عنها عمر يوم القيامة » .

يهدي الله إلى سبيل الرشاد كل من يحمل لدينه عاطفة الود ويعمل له إبتغاء وجه ربه الأعلى ، وهو الموفق إلى سواء السبيل .

خـاتـمَـة

يوم الجمعه فى الاسلام
وواجب المسلمين المعاصرين فيه

[سجل تليفزيون دولة قطر هـذا الموضوع فى إحدى عشرة حلقة أذاعها صبيحة كل يوم جمعة من يناير إلى مارس سنة ١٩٨١] .

فضل يوم الجمعة

ليوم الجمعة فى التصور الإسلامى منزلة عالية فهو :

* أفضل الأيام عند الله جل شأنه فنى الحديث الحسن الذى رواه البيهقى « أفضل الأيام عند الله يوم الجمعة » .

* ويوم الجمعة خير يوم طلعت فيه الشمس فيما رواه مسلم وغيره « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة :

فيه خلق آدم عليه السلام .

وفيه أدخل الجنة .

وفيه أخرج منها .

ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة .

[صححه الترمذى ورواه النسائى وأبو داود]

* ويوم الجمعة فيه ساعة محققة الإجابة ، وقد جعلها الله ساعة شائعة فى اليوم كله ليتفرغ الناس فى هذا اليوم لاستقبال رحمات الله ورضوانه وليتقربوا إلى جلاله بالدعاء والتفرغ .

* ومن بركات يوم الجمعة أن أبواب جهنم تغلق فيه ، لأنه يوم اجتماع المسلمين . وهو ذكرى وقفة حجة الوداع .

* لماذا سمى اليوم بالجمعة :

وإنما سمى اليوم بيوم الجمعة لواحد من علل كثيرة ذكرها العلماء :

قالوا : لأن قريشا كانت تجتمع إلى قصى فى دار الندوة يوم الجمعة .

وقالوا : لأن آدم اجتمع مع حواء يوم الجمعة .

وقالوا : لأن آدم جمع خلقه يوم الجمعة .

والعلة الأخيرة رواها الخطيب فى التاريخ بحديث ضعيف قال :

إنما سميت الجمعة لأن آدم جمع فيها خلقه .

والخطيب أحد الأعلام المهرة بالحديث وهو: الحافظ أحمد بن على بن ثابت أبو بكر البغدادى الفقيه الشافعى .

وقال ابن كثير فى تفسيره : إنما سميت الجمعة جمعة لأنها مشتقة من الجمع فان أهل الإسلام يجتمعون فيه كل أسبوع ففى الصحيحين :

نحن الآخرون والسابقون يوم الجمعة ، بيد أنهم أتوا الكتاب من قبلنا ثم إن هذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع » .

وفى مسلم :

أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت ، وكان للنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة ، فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة : نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقتضى بينهم قبل الخلائق » .

وهذه العلة هى الأولى بالقبول فأحاديثها صحيحة ومعناها متسق مع ذاتية الأمة الإسلامية ، ومنسجم من النص القرآن الكريم .

يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله

وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض ، وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون .

السلوك الاسلامى المطلوب يوم الجمعه

وإذا كانت هذه قيمة يوم الجمعة عند الله ، وذلك نداؤه المقدس الجليل إذا نودى للصلاة أن تسعى الأمة الإسلامية كلها إلى لقاء ربها فى مساجده فقد رسم الإسلام لذلك اللقاء برتوكولا ونظاماً خاصاً فان تعاليم الإسلام كلها رتيبة تعلم المسلمين كيفية نظام المعيشة،واللقاء ، والعمل ، والتحدث..الخ.

والنظام الإسلامى للمسلمين يوم الجمعة له سمات وخطوات مقننة كما يلي :

أولا : التبكير بالحضور إلى المسجد .

فقد روى علقمة قال :

خرجت مع عبد الله بن مسعود إلى الجمعة فوجد ثلاثة قد سبقوه فقال :

رابع أربعة ، وما رابع أربعة من الله ببعيد .. « إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« ان الناس يجلسون يوم القيامة على قدر تراوحهم الى الجمعات الأول ثم الثانى ثم الثالث ثم الرابع وما رابع أربعة من الله ببعيد » .

رواه ابن ماجه

فالتبكير بالذهاب إلى المسجد فيه معنى محبة القرب من مقام القدس ومعيه السكينة ، وقرب الرضوان من الله تبارك وتعالى ، وفى الحديث الذى رواه أحمد وهو حديث حسن :

« تقعد الملائكة على أبواب المساجد يوم الجمعة فيكتبون الاول والثانى والثالث حتى اذا خرج الامام رفعت الصحف » .

ثانيا : عدم جواز تخطى الرقاب :

ولهذا السبب وهو حمل الصالحين على التبكير في الذهاب إلى المسجد يوم الجمعة ، فقد كره الإسلام أن تتخطى الرقاب ، فقد روى الترمذى أن النبي ﷺ قال لمن يتخطى الرقاب : (اجلس فقد آذيت وآنيت) .

ويحذر الإسلام كثيراً من هذه الظاهرة ليبقى للمسجد وقاره فليس الاجتماع في المسجد كالاجتماع في مكان سواه فلابد من احترام التجمع في المسجد فلا ترتفع رجل لتعلو كتف مسلم آخر ، فلا تتساوى الأرجل والمناكب في المساجد فذلك عمل السوقة والغوغاء وإنما الذى يتساوى المناكب مع المناكب والجباه على الأرض مع الجباه ، كما تتساوى الرتب والأحوال ولن يبقى في ساحة المسجد إلا من أتى الله بقلب سليم .

ولذا يخوفنا الحديث الحسن الذى رواه أحمد والحاكم والطبرانى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(إن الذى يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة ويفرق بين اثنين بعد خروج الإمام كالجار قصبه ـ أمعاءه ـ في النار) .

والذين يشاهدون مساجد المسلمين في باكستان والهند وماليزيا وإندونيسيا يعرفون مقدار الجمال والكمال والنظام في التطبيق الإسلامى لسلوك المسلمين يوم الجمعة : إنك سوف تجد المسجد قد وضعت فيه قطع القماش الأبيض التى تحدد الصف حتى ينتظم المتجمعون في صفوفهم ، وعندما يدخل فرد المسجد لا يجلس حسب إهواه وإنما يصف نفسه مع أول من دخل فهم متحاذون في الجلوس فتجد المسجد يصف صفا بعد صف ولن تجد واحداً يجلس هنا وواحداً يجلس هناك فعملية التراص تبدأ بأول من يدخل ثم تترى منتظمة بارادة المسلمين ، ولا تسمع إلا همساً بالقرآن الكريم ، وإذا دخل أعظم العظماء فكأنما لا أحد يدخل فالناس قد شغلهم الإقبال على ربهم .

أما بلاد العرب ففى حاجة إلى أن تتعلم برتوكول صلاة الجمعة من أهل السماحة فى هذه البلاد الذين يجعلون المسجد يوم الجمعة كأنما الملائكة هى التى تصلى . غفر الله للعرب ذنوبهم يوم الجمعة بما يحيلونه من مكاء وتصديه للزعماء ، والسياسيين .

ثالثاً : حسن الاستعداد لحضور الجمعة :

والمقصود من حسن الاستعداد أمور .

الاغتسال .

والسواك .

والطيب .

ففى الحديث الشريف :

ثلاثة حق على كل مسلم :

الغسل يوم الجمعة .

والسواك .

والطيب .

وراوى الحديث ابن شيبة وهو رجل لا نظير له عند علماء الحديث ، وروى أبو نعيم فى كتاب السواك :

السواك واجب وغسل الجمعة واجب على كل مسلم .

ومعنى الوجوب : الالتزام بالفعل واتخاذه عادة فهو وجوب مستحب الإدامة فى فعله والتحلى به .

وقد روى الحاكم : (من اغتسل يوم الجمعة كان فى طهارة إلى الجمعة الأخرى). حديث صحيح

ومعنى دوام الطهارة هنا النقاء الوجدانى ، وصدق الإقبال على الله ، وعدم التعرض للبوائق .

وقد روى أحمد بن حنبل :

من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت .

ومن اغتسل فالغسل أفضل .

وعند الطبرانى :

(إن الغسل يوم الجمعـــة يسل الخطايا من أصول الشعر استلالا)

حديث صحيح

فانظر يا أخى كيف يفتح الله على المســلمين أبواب النظـافة من الإدران والسيئات بعمل سهل وبسيط وهو مطلوب بالفطرة ، وبالحاجة الإنسانية .

وقد يسر الله فيما كلف فقد وهب الله البشرية مياها متعددة المصادر البحر والنهر ، والبئر ، وماء المطر ، وماء العين ، والشلالات ، ولم يكلف البشرية أن تغتسل بماء الورد ولا العطور .. الخ .

لأن الله يـكلف باليسر والرفق . . . فلم تـكون الأمة الإسـلامية أقل البشرية نظافة ؟ ولم تـكون الأمة الإســـلامية أقل الناس فى استخدام المياه . . ؟ ولم يسبقنا الغرب فى عظم النظافة الحسية وليس فى دينه رائحة نص عن طلب الاغتسال أو معنى الوضوء ؟

ممن العيب؟

إنه منا بلا شك .

رابعاً : الانصات للخطبة :

فى مفهوم الاتصال الذى وضعته الدعوة الإسلامية عرف الباحثون من علماء الاتصال وعلماء الدعوة أن وضوح الرسالة الموجهة الى المستقبل أو المدعو شرط أساسى فى صحة عملية الاتصال أو عملية التبليغ ، والإنصات للخطبة يوم الجمعة هو شرط من شروط صحة التبليغ ليستفيد المستمع المستقبل، ثم الإنصات للمتحدث مطلب فى آداب البحث والمناظرة فقد شرط العلماء فى آداب البحث والمناظرة أن ينتظر كل من ينتظر كل من المتناظرين صاحبه حتى يفرغ من كلامه ، ويوم الجمعة يدرب الأمة الإسلامية كلها على هذه الآداب :

انه يدربها على كيفية صحة عملية الاتصال (التبليغ) .

وانه يدربها على تنفيذ شروط البحث والمناظرة ومن ثم إذا جاءت آداب الصوم « فمن قاتلك أو شاتمك فقل : أنى صائم » تجد قد سبقتها آداب فى حسن الاستماع التى تدرب المسلم على ضبط مشاعره ، وعقل لسانه .

وقد حذر سيدنا رسول الله ﷺ جماعة المؤمنين من الوقوع فى مخالفات هذه الآداب فى الحديث المتفق عليه من العلماء والشيوخ :

« مثل الذى يتكلم يوم الجمعة والامام يخطب مثل الحمار يحمل أسفاراً ، والذى يقول له أنصت لا جمعة له » .

ومن المشهور المتداول كثيراً الحديث المتفق عليه أيضاً :

« اذا قلت لصاحبك والإمام يخطب يوم الجمعة أنصت فقد لغوت »

ان الكلام فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، تلك قاعدة فى آداب الجلوس فى المسجد فاذا انضم إلى هذا التواجد فى يوم الجمعة والامام

يخطب فقد ازدادت المسألة تنظيما فلا كلام ألبتة حتى لا تعرض عن الله وعن نصائح الإمام . . . فياويل أولئكم الذين حولوا المساجد إلى سطو المباحث والمخابرات ، ويا ويل أولئكم الذين يصفقون ويولولون للكبار من الذين لا يملكون للناس ولا لأنفسهم نفعا بل ولا ضراً .

من خصائص يوم الجمعه

ومن خصائص يوم الجمعة فى السلوك كذلك فضائل جمة منها :

(أ) قراءة القرآن .

(ب) الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ .

(ج) الدعاء المستجاب .

(د) المغفرة .

أولا : قراءة القرآن الكريم :

إن يوم الجمعة يوم اختاره الله للأمة الإسلامية هدانا الله ليوم الجمعة وأضل الله عنه اليهود والنصارى ، فهو يوم ينبغى أن يحييه المسلمون بكلام الله توقيراً لفضله عليهم وامتناناً لآلائه ونعمائه .

وقد تخير النبي ﷺ سوراً يقرؤها المسلمون في هذا اليوم وخص منهما سورتين : هود والكهف . ففى الحديث :

(اقرءوا سورة هود يوم الجمعة) رواه البيهقى ــ حديث صحيح

ومعروف أن سورة هود لها منزلة جليلة عند سيدنا رسول الله ﷺ فقد روى أنه قال : شيبتنى هود وأخواتها الواقعة والحاقة ، وإذا الشمس كورت الطبرانى ــ حسن

وقد بينت رواية ابن عساكر الباعث على ذلك ، فى الحديث المرسل وهو حسن : (شيبتنى هود وأخواتها وما فعل بالأمم قبلى) .

وفي رواية أحمد بن حنبل :

(شيبتني هود وأخواتها ذكر يوم القيامة وقصص الأمم) .

فالنبي ﷺ يرشح هذه السورة يوم الجمعة ليقرأها المسلمون حتى يستمروا على ذكر من أحوال يوم القيامة ، وأحوال الأمم السابقة فلايغتروا بوساوس الشيطان ، ولا يخرجوا عن نظام الإسلام ومنهج الله إلى الناس كافة .

كما رشح النبي ﷺ للمسلمين سورة الكهف ليقرؤها يوم الجمعة .

ففي الحديث الشريف :

(من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين)

رواه الحاكم والبيهقي ـ حديث صحيح

وفي رواية أخرى :

(من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له النور ما بينه وبين البيت العتيق) . رواة البيهقي ـ حسن

والنبي ﷺ يعرف حالات الضعف وحالات الضعفاء في أمته فيقترح لمن لم تسعفه أحوله لكثرة مشاغله أولعدم قدرته على القراءة .. يقترح لأصحاب هذه المعاذير أن يقرءوا بعضاً من سورة الكهف .

ففي الحديث الشريف :

(من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال) .

رواه أحمد ومسلم والنسائي

ويخفف النبي ﷺ أكثر من ذلك فيقول :

(من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عصم من فتنة الدجال) .

رواه الترمذي ـ صحيح

وآخر الكهف وأولها حبك رائع فى أعلان أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد تلقى القرآن الكريم من ربه وأنه ليبشر المؤمنين ، وأنه كذلك لينذر الكافرين.

وقراءة هذه السور يستوى أن يكون فى المنزل صباحاً ، أو أن يكون فى المسجد ، أو فيهما معا ، ويستوى كذلك أن يكون هناك من يقرأ والكل يسمع أو الكل يقرأ ، وادعاء البدعية فى هذا الفعل خيبة كبيرة إذ كيف يحكم على قراءة القرآن فى مسجد الله بأنه بدعة ؟ إذ ليس يلازم أن تكون كل بدعة ضلالة ، فقد حدد النبى ﷺ البدعة الضلالة فقال : (من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) .

وقراءة القرآن عصب أمرنا ، وقراءة سورة الكهف فيها نص معصوم ، وكونها فى المسجد لا تكون بدعة لأن القراءة عبادة ، ويوم الجمعة له نظام مخصوص عند المسلمين حسبما رسمه لنا الشرع الحنيف ، فكيف تبلغ الجرأة بالبعض إلى ادعاء البدعة فى مشروعية القراءة ؟ !

كذلك يعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الجمعة :

قراءة : قل هو الله أحد

والمعوذتين وذلك سبع مرات

فقد روى ابن السنى حديثا حسنا عن النبي ﷺ أنه قال :

(من قرأ بعد صلاة الجمعة :

قل هو الله أحد

وقل أعوذ برب الفلق .

وقل أعوذ برب الناس .

سبع مرات أعاذه الله بها من السوء إلى الجمعة الأخرى .

وفى رواية غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

ومن أغرب الغرائب أننى وجدت الناس يوم الجمعة فى غير بلاد العرب لا يسرعون بالخروج من المساجد يوم الجمعة بل وجدتهم يجلسون كما هم على هيئتهم الجامعة ويختمون الصلاة على النحو المعروف يسبحون ويحمدون ويكبرون ثلاثا وثلاثين مرة وهم على ما هم عليه من الإجتماع ثم يبدأون فى ذكر طيب مشج وهم كذلك على هيئتهم يرددن :

ياحفيظ يا كاف ياالطيف ياشافى أنت الله .

يرددونها أحد عشر مرة خلف الإمام ثم يقومون للتنفل .

أما عندنا فى بلاد العرب فما أسرعنا إلى الخروج من المساجد يوم الجمعة والله لا أدرى ما الذى يدفع الناس لأن يهرعوا إلى أبواب المساجد يوم الجمعة ولكأنما يساقون بالعصا من خلفهم إلى الخارج .

ثانياً : الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ :

النص القرآن الكريم : إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » .

يوضح حقيقة تخفى على كثير من المسلمين وهى أن الصلاة على النبي ﷺ مستغرقة ما قبل الزمان والزمان نفسه ذلك أن الله يصلى والله لا أول له جل فى علاه ثم الملائكة المطهرون وهم لا يعصون الله ما أمرهم فاثبات الصلاة على النبي ﷺ إلى اسم الجلالة ومعه الملائكة دليل على أن الصلاة من قبل الزمان كانت بأطهر ما خلق الله وهم الملائكة ، وبناء على هذا فقد رتب الله الحكم التكليفى لجماعة المسلمين « يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » .

ولما كان يوم الجمعة يوماً خاصاً بالسلوك الاسلامى فقد نبهنا سيدنا رسول الله ﷺ إلى خاصية جليلة من خواص هذا اليوم وهو أنه وعاء للصلاة على النبي عليه أفضل الصلاة والسلام فى الحديث الشريف .

* « اكثروا الصلاة على فى الليلة الغراء واليوم الأزهر فان صلاتكم تعرض على » .

(البيهقى ، وابن عدى فى الكامل حسن مرسل)

ه وفى رواية أخرى :

«اكثروا من الصلاة على فى يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة ، وإن أحداً لن يصلى على إلا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها» .

(ابن ماجه عن أبو الدرداء ــ حسن)

* وفى أخرى :

« اكثروا من الصلاة على فى يوم الجمعة و ليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيداً وشافعاً يوم القيامة» .

ه وفى رواية أخرى :

«اكثروا من الصلاة على فى كل يوم جمعة فان صلاة أمتى تعرض على فى كل يوم جمعة فمن كان أكثرهم على صلاة كان أقربهم منى منزلة» .

(البيهقى)

وفى طلب عام يوضح فيه النبي ﷺ فوائد الصلاة عليه بالنسبة لأحوال المسلمين فيقول :

« أكثروا الصلاة على فان صلاتكم على مغفرة لذنوبكم واطلبوا لى الدرجة والوسيلة فان وسيلتى عند ربى شفاعتى لـكم » .

[ابن عساكر عن الحسن بن علي]

فهل للمسلمين المعاصرين والعلماء السلفيين أن يلتزموا بذلك فيصلون على النبي ﷺ فى الليلة الغراء واليوم الأزهر بدل أن يضعوا اسم النبي ﷺ فى معرض الجدل والخصومة ؟ هل يفيق المسلمون المعاصرون إلى الآداب التى أوحيها الله على المسلمين تجاه نبيه ﷺ :

* يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ...

* يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض . (الحجرات)

* لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً . (النور)

* وينهى الله تبارك وتعالى جماعة المسلمين أن يؤذوا رسول الله ﷺ يقول الله تعالى :

* ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون : هو أذن ، قل أذن خير لـكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم .

والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم . (التوبة)

* يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ، ولكن إذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذى النبي فيستحى منكم والله لا يستحى من الحق ... الآية . (الأحزاب)

* فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (النور)

فهل الذين يدعون السلفية على شيء من الصواب وهم يعرضون مسألة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في صورة نقاش بدعى ؟ ألا يستحى هؤلاء من الله عز وجل الذى أمر جماعة المسلمين بألا يؤذوا رسول الله ﷺ ؟

حسبي الله ونعم الوكيل فى كل متشدق بهذه الدعوى المدعاة بالتطاول على النصوص والحق وجناب حضرة رسول الله ﷺ الذى به إكرمنا وبه عرفنا الله السبيل السواء . والصراط المستقيم .

ثالثا : الدعاء المستجاب :

إن القاعدة العامة فى التصور الإسلامى للعلاقة بين الله جل جلاله وخلقه : أنه قريب ، وأنه أقرب إلى المرء من حبل الوريد ، وأن أقرب ما يكون العبد المؤمن من الله وهو ساجد ..

ويوم الجمعة لا خاصية ينفرد بها عن هذه القاعدة العامة وهى : أن الله تعالى وهو صاحب الفضل والتدبير والمكتوب قد جعل فيه ساعة ... ساعة ما ... لا يوافقها العبد الصالح — والله أعلم بالصالحين — إلا أعطاه الله سؤله ، ففى الحديث الذى رواه مسلم وأحمد والنسائى .

« إن فى الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه الله إياه » .

ذلك فضل ولا يحجر على فضل الله أحد أبدا فالله ذو الفضل العظيم .

رابعاً : المغفرة

من خاصية يوم الجمعة أنه يوم المغفرة لمن شاء الله له أن يدخل فى حساب المغفور لهم ، ففى الحديث الذى رواه أحمد والترمذى : أن النبي ﷺ قال :

« مامن مسلم يموت يوم الجمعة إلا وقاه الله تعالى فتنة القبر » .

أسأل الله تعالى أن يلحقنا بآبائنا وإخواننا الذين من الله عليهم بهذه المنزلة.

خامسا : تعرض الأعمال ليلة الجمعة :

روى البخارى فى التاريخ وأحمد باسناد حسن أن النبي ﷺ قال :

« إن أعمال بنى آدم تعرض على الله عشية كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم » .

سادسا : فى يوم الجمعة لاتسجر النار :

فقد روى أبو داود بطريق صحيح أن النبي ﷺ قال :

« إن جهنم تسجر إلا يوم الجمعة » .

وإذا كان ذلك من خاصيات يوم الجمعة فهو فضل الله الواسع وملكه الذى وسع كل شيء رحمة وعلما فمن يرد فضل الله أو يعترض عليه ؟!!

سابعا : أنه يوم شاهد :

فى السنة الشريفة : الشاهد : يوم الجمعة وماطلعت شمس ولاغربت على يوم أفضل من يوم الجمعة فيه ساعة لايوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه ولا يستعيذ فيها من شر إلا أعاذه .

وروى الحاكم والبيهقى باسناد صحيح قال :

الشاهد يوم عرفه ويوم الجمعة ، والمشهود هو الموعود يوم القيامة .

ومعنى الشاهد أنه يوم يشهد اجتماع المسلمين فيه فمن حضر الجمعة مبكراً أو متأخراً أو جاء قسرا أو برضى فهو يوم شاهد على المرء بأحواله ونيته .

ثامناً : لايجوز أفرده بالصوم :

من خاصية يوم الجمعة أنه يوم عيد وراحه للمسلمين فهو يوم مرح وراحة وذكر وصلة ، إنه يوم يلتقى فيه الأصحاب والأقارب وقد يكون الغرباء من الأصل والصحب يلتقون فى هذا اليوم فجعله الله يوم سرور وفطر فنهى الإسلام عن الصوم فيه وحده لأن إفراده بالصوم يتنافى مع خاصيته السالفة الذكر ففى الحديث الشريف : لا تصوموا يوم الجمعة مفرداً .
(رواه أحمد والنسائى والحاكم)

وفى رواية أخرى :

« لاتصوموا يوم الجمعة إلا وقبله يوم أو بعده يوم » .
(رواه أحمد)

والعبادات لها أسرار وأسرارها لاتعطى العقل حق التغيير فى الأحكام المثبتة بالنصوص ، فلا يصح أن يجتهد مجتهد في جواز أفراد يوم الجمعة بالصوم فقد ذكرت أحاديث أخرى علة النهى حتى تقطع السنة طريق المتأولين والغالين والمتحايلين يقول النبي ﷺ :

« إن يوم الجمعة يوم عيد وذكر فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيام ، ولكن أجعلوه يوم فطر وذكر إلا أن تخلطوه بأيام »
(رواه البيهقى باسناد حسن)

تاسعاً : حلاوة صلاة فجره جماعة :

امتثال الأوامر له حلاوة يجدها الصادقون من الصالحين واجتناب النواهي له حلاوة يجدها التوابون الآيبون المستأنسون برحمة الله .

وقد جعل الإسلام لصلاة الصبح يوم الجمعة حلاوة خاصة إنها حلاوة المغفرة وحلاوة الشعور بالصحبة فى يوم المغفرة اليوم الشاهد الأزهر .

فى الحديث الشريف

« أفضل الصلوات عند الله تعالى صلاة الصبح ليلة الجمعة فى جماعة .

(رواه البيهقى)

وفى رواية الطبرانى :

« ليس من الصلوات صلاة أفضل من صلاة الفجر يوم الجمعة فى الجماعة وما أحسب من شهدها منكم إلا مغفورا له » . (حديث حسن)

النسبية فى فضل يوم الجمعة

العدل لا يتنافى مع الإحسان فمن أخذ حقه ولم يضع عليه شىء فقد أخذ بالعدل والقسطاس ، فاذا زيد لواحد من أصحاب العدل شيئاً فوق حقه بحيث لا يضار صاحب حق فذلك فضل لا ينبغى لأحد أن يجادل فيه أو أن يعبث به كقيمة رفيعة الأخلاق .

وفرق كبير بين الفضل والمحسوبية إن الفضل شرطه ألا يضيع معه حق لآخر أما المحسوبية فهى عطاء من لا يستحق على حساب من يستحق وذلك باب الفوضى الذى تفسد معه الحياة .

والفاهمون لقول الله تعالى :

« إن الله يأمر بالعدل والإحسان ... الآية يدرك أن العدل تقدم الأمر به لأنه مطلب العامـــة من الناس وأن الإحسان تأخر عنه لإفادة معان منها :

• أن العدل المصدر فى الآية لا يستقيم أمره إلا مع الإحسان والرفق وفى الحديث الشريف « من حرم الرفق حرم الخير كله » .

• وأن الاحسان يمنع من الشطط فى إقامة العدل، فليس المهم من إقامة العدل العدل فى ذاته حتى ولو ترتب عليه مظلمة للغير ، لا بل المراد من إقامة العدل الرضا والطمأنينة وأن يأمل كل فرد فى المجتمع فى الحصول على حقه مع الطمأنينة ومع عدم الاحساس بأن قد يصيبه ظلم أو سوء أو أذى من جراء إقامة العدل .

* وأن الإحسان فضل فوق العدل فمن أخذ حقه بالعدل فلا يلوم بعد ذلك من يسر الله فوق العدل إحساناً بالفضل .

وهــذه خاصية دقيقة فى الادراك والتصور وكذلك فى السلوك والعمل والتطبيق ، إلا أنها مع الذين أطماً نت قلوبهم بحسن النية وإخلاص العمل لله، وبرئوا من منعية الظلم فانه لا تثريب عليهم أن يكونوا أصحاب فضل بالإحسان على أهله وذويه . فان أنجع الدواجع أن تضع المعروف فى غيره وفى الحديث الشريف :

« لا يأكل طعامك إلا مؤمن ولا تصاحب ذلا تقى » .

فأهل المعروف هم أولى بالفضل والإحسان قبل العدل أو بعده ما لم يكن ذلك دافعاً لظلم أو منسيا فى حرمان .

ويوم الجمعة له نسبيته فى الفضل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فيوم الجمعة فى المدينة أو فى مكة غيره فى مكان آخر .

ويوم الجمعة فى رمضان غيره فى شهر آخر ، ومحط ذلك التفضيل النصوص الاسلامية الشريفة .

فقد روى الطبرانى عن النبى ﷺ قال :

« رمضان بالمدينة خير من ألف رمضان فيما سواها من البلدان » .

« وجمعة بالمدينة خير من ألف جمعة فيما سواها من البلدان » .

وفى مسند الفردوس لله يسلمى .

« فضل الجمعة فى رمضان كفضل رمضان على الشهور » . [حسن]

وقد إرتكز هذا التفاضل على قاعدة أساسية هى .

« صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا

المسجد الحرام فانى آخر الأنبياء وإن مسجدى آخر المساجد » مسلم والنسائى .

وفى رواية أحمد والنسائى باسناد صحيح :

«صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه» .

وفى رواية البيهقى جلاء جلى لفضل يوم الجمعة بنسبيته مع القاعدة التى ترتكز عليها هذه النسبية فى الحديث الشريف :

صلاة فى مسجدى هذا كألف فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وصيام شهر رمضان بالمدينة كصيام ألف شهر فيما سواه ، وصلاة الجمعة بالمدينة كألف جمعة فيما سواها .

[حسن]

من فقه الخطيب قصر الخطبة

خطبة الجمعة واجب شرعي وركن من أركان صلاة الجمعة فلا جمعة بدون خطبة ولم تقصر صلاة الجمعة إلى ركعتين إلا من أجل الخطبة فالخطبة يوم الجمعة جزء من الصلاة .

غير أن خطبة الجمعة ليست بياناً برلمانيا : أنها ليست خطاب عرش ، ولا محاضرة في كلية ، وليست درساً فى مدرسة ، وإنما هى كشف حساب ومحاسبة على أسباب التقصير من الراعى ومن الرعية يذكر كل صاحبه بما يجب عليه نحو الله والدين والوطن والأمة ، وليس المراد من الخطبة الطول ولا الفصاحة بقدر ما هو بيان المقصود حسبة لوجه الله تعالى .

والمنبر هو آخر مواريث المسلمين عن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده ، فينبغى أن يحافظ المسلمون على هذا المنبر بما له من وقار ، واحترام ، وبما عليه من رسالة يجب أن يؤديها .

فليس من الإسلام في شيء أن يتخذ من المنبر يوم الجمعة مديحاً .

ففى الحديث الشريف :

(احثوا التراب فى وجوه المداحين) .

وليس من الإسلام فى شيء كذلك أن يتخذ المنبر للسب والطعن .

ففى الحديث الشريف :

(لم أبعث لعاناً ولا سباباً) .

إن مقام النبوة الشريفة يجب أن يصان عن كل نقص يخل برسالة المنبر ، ولذا نجد النبي صلى الله عليه وسلم يجعل قصر الخطبة غير المخلة بالمقصود من فطنة الخطيب .

ففي الحديث الشريف :

(إن طول صلاة الرجل ، وقصر خطبته مئنة من فقهه ، فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة ، وإن من البيان لسحراً) .

[رواه مسلم وأحمد]

القيم الحضارية ليوم الجمعة

يوم الجمعة يوم حضارى فى الحياة الإسلامية ذلك ، لأن مفهوم الحضارة لا ينفك عن القيم التى تسود فى المجتمع والمجتمع العالى هو المجتمع الذى يحترم النظام ، والنظافة ، والوحدة الإنسانية ، وتكون الشورى صفقة تلقائية فى حياته :

النظام :

ويوم الجمعة هو المنارة التى تهدى إلى هذه القيم فليست هناك حضارة مع الفوضى أو ليست هناك حضارة مع النظام المصطنع ، بل الحضارة تكمن فى احترام النظام كخلق لكل فرد ، ويمتاز الإسلام بأنه دين النظام : يؤقت لكل شىء وقته ، وميقاته ، وظرفه ، والنظام فى يوم الجمعة رتيب والمفروض أن المسلمين يأخذون به :

- إنهم يستعدون بالنظافة والتطيب ولبس أنظف الثياب .
- ثم يقرءون قرآناً معهوداً معروفاً .
- ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم .
- ويذهبون إلى المساجد مبكرين غير متخطى الرقاب . يصطفون فى صفوف مستقيمة ، خاشعين ، ذاكرين .
- وينصتون إلى الخطبة صامتين غير عابثين أو مشوشرين .
- ثم يقرءون بعد الصلاة الصمدية والمعوذتين سبعا ... الخ .

وهذا مظهر حضارى يربى فى المسلمين الحرص على النظام ويدفعهم إلى

تنظيم جميع أعمالهم لا سيما إذا عرفوا أن كل عبادة فى الإسلام قائمة على متن هذا النظام فالصوم قائم على نظام والزكاة قائمة على نظام والحج كله نظام فى المكان والملبس والحركة والاجتماع واللقاء و . . . الخ .

النظافة :

فى الدراسات الخاصة بالطهارة لن يجد المثقفون دراسة شاملة وحريصة على النظافة كتلك التى قدمها علماء الإسلام أخذا من النصوص المعصومة .

ففى الدراسات الإسلامية جزء عن الماء وأنواعه ، وعن الحدث وأقسامه وكيفية التطهر ، وفيه الاغتسال الواجب والمسنون ، وتقسيم دقيق للنجاسات وكيفية التطهر منها وتطهير النجس .. الخ .

ومع هذا فان الاحصائيات فى الأمم المتحدة تفيد أن المسلمين هم أقل الشعوب استعمالا للماء .

وبينما يقرر الفقه الإسلامي أن الاستنجاء المفضل فى عملية التطهر أن يكون بالآجر أولا ثم بالماء ثانيا مع كراهية استخدام اليد فى التطهر . . لكننا نجد الأمم الغربية قد استحدثت أنواعا راقية للطهارة وليس عندهم دين يحثهم على شىء من هذا النظام ، بينما المسلمون لا يعرفون هذه الخاصية الإسلامية .

ويوم الجمعة هو يوم النظافة وينبغى أن يكون مظهر النظافة فى هذا اليوم مشعراً بالقيمة الحضارية التى يحض الإسلام عليها ليكون المسلمون على أمثل الأنظمة نظافة : فى أنفسهم ، وفى منازلهم وفى مدنهم وفى قراهم ، وحوانيتهم وأسواقهم . . .

والذى يضيق له الدعاة أن البوذيين الذين يمكثون شهوراً لا يعرفون نظافة يحرصون على نظافة ثيابهم ومدنهم ومنازلهم ، بينما لانجد ذلك ظاهرة فى

الأمة الإسلامية وليس هذا راجعاً إلى الإسلام بالطبع بل هو راجع إلى التخلي عن تنفيذ مبادىء الإسلام .

فمتى يفيق المسلمون ؟

الشوري :

بغض النظر عن التشقيقات التى أثارها الكاتبون فى موضوع الشورى فان القارىء للقرآن الكريم يحدد أمرين :

الأمر الأول : أن الشورى ذكرت على أنها صفة من صفات الجماعة الإسلامية ، والصفة لا يمكن أن يتخلى عنها صاحبها لا سيما إذا كانت صفة حميده ، وذلك فيما يقرؤه المسلم :

« فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون ، والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » . (الشورى)

فالشوري في الآية جاءت فى مورد صفات جماعة المؤمنين .

الأمر الثانى : أنه إذا ظهر خطأ فى نتيجة استخدام الشورى فان المبدأ يبقى كما هو حتي ولو كانت النتائج عكسية وذلك مؤكد للمعنى الأول : أنها صفة للجماعة الإسلامية لا يجوز التنازل عنها يقرأ ذلك المسلم فى قوله تعالى : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين » . (آل عمران)

ومن خصائص الإسلام أنه لا يضع النظرية فى جانبها النظرى Theory

بل ينظم من مجالات التدريب ما يعطى فرصة لكل فرد من المسلمين ليطبق مبادىء الدين .

فالصلاة : تعلم المسلمين بروتوكول الاجتماع ، وتكشف عن حالات الضعف ليتكاتف المسلمون على علاجها ، ثم هي رابط قوى يوحد ويقوى ، ويمكن العلاقات داخل المجتمع .

والصوم : يعلم المسلمون جميعاً وحدة الشعور نحو العبودية لله تعالى ، ويدفعهم إلى الشعور بالإخوة واحـــترام الصادقين فى التعبد وتربية الإحساس الاجتماعى .

والزكاة : تدريب على الأمانة والرعاية الاجتماعية ، وتربية فضيلة التطوع ، والعطف على أصحاب الحقوق .

ويوم الجمعة : تدريب على ممارسة الشورى ، لأن المستمع له حق النقاش ، والنقاش داخل المسجد فى إدراك المسلم يحاط بكثير من الضمانات منها :

- عدم ذكر الألفاظ النابية .
- عدم القصد إلى التشهير .
- عدم الإطناب استعراضاً للعضلات .
- إخلاص النية فى الكلمة والهدف ... الخ .

وقد حدث مثل هذا فى عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وحفظه التاريخ واشتهر على ألسنة الناس حين خطب ينصح الناس ألا يتغالوا فى المهور فقامت امرأة كانت تشهد صلاة الجمعة : وقالت يعطينا الله وتمنعنا يا عمر ثم قرأت قول الله تعالى :

« وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحـداهن قنطاراً فلم تأخذوا منه شيئاً » الآية .

(النساء)

فقال عمر : أصابت امرأة وأخطأ عمر .

القصة فيها مواصفات للممارسة : أدب في العرض ودليل على الدعوى والتزام من رئيس الدولة مع أن عمر لم يكن مخطئاً لأن الاستدلال بالآية في موضوع غير الموضوع الذى كان يعظ فيه عمر ، فهو يتكلم عن التغالى في المهور ابتداء عند إرادة الزواج والآية تتكلم عن مؤجل الصداق عند إرادة فسخ العقد لكن عمر لم يرد كبح جماح الحرية ما دام الأمر سيعرض النص لنقاش هو في غنى عنه لأنه لا يحب التهوك في مقدسات الإسلام .

ولو أن المسلمين استمروا في ممارسة هـذه الشورى لما وقع المسلمون في شراك الديكتاتورية تلك التى نشرها مجموعات الضباط في القوات المسلحة في العالم العربى .

ومن غريب ما يلاحظ أن هؤلاء الضباط فاشلون في المجال العسكرى فلم يحتفظ التاريخ العسكرى المعاصر لواحد منهم نجاحا ما في عملية عسكرية واحدة ... ومع ذلك فهم شداد على شعوبهم ، نعام على أعدائهم ... وبخاصة إسرائيل .

وأعجب من كل ذلك كيف انخدع العالم الإسـلامى والعربى في هؤلاء الضباط فمكن لهم من الحكم وهم الفاشلون في أخص وظيفة لهم وهى حماية الذمار والحفاظ على الوطن ... ؟

يوم الجمعة هو اليوم الذى جمع فيه خلق آدم وهو أبو البشرية وهو يوم في الاسلام يجتمع فيه المسلمون : لا فرق بين لغاتهم ولا ألوانهم ولا جنسياتهم .

فالتفرقة العنصرية مسدود دربها بيوم الجمعة فى حين أن التفرقة العنصرية

فى البلاد المتحضرة مادياً ذروة فى القسوة والتعصب ، وآسف كثيراً إذا أن الدول التى تمارس التفرقة العنصرية تدعى أنها صاحب مبدأ حقوق الإنسان ... ويريدون من هذا المبدأ فتح منافذ إلى التبشير داخل الجماعات الإسلامية بدعوى أن حرية الاعتقاد حق من حقوق الإنسان .

ويوم الجمعة يوم الوحدة الإنسانية حيث تتساوى الرتب والأموال والفقراء والعلماء والعامة فى صفوف خيرها أولها مطلقاً دون نظر لقيم مادية أو جاه أو سلطان :

واجب المسلمين فى يوم الجمعة

المسلمون . زعماء .

وعلماء .

وتجار .

ورعية .

أما واجب الزعماء فهو :

(ا) أن يحترموا قدسية يوم الجمعة فلا يجعلوا يوم الراحة الأسبوعية يوم الأحد .

(ب) وأن يدخلوا المسجد — إذا أرادوا صلاة الجمعة — خاشعين وأن ينهوا الناس عن المكاء والتصدية لهم فى المساجد وأن يبعدوا عيونهم عن زواره .

أما واجب العلماء فهو :

(ا) أن يجعلوا من هذا اليوم يوم نصرة لجميع العلماء فى العالم الإسلامى ذلك ، أنه من العجيب أن يتفرق علماء الأمة الإسلامية إلى شيع تبعاً لافتراق الزعماء ، كل علماء بلد يؤيدون زعيمهم ولو كانت سياسته ضد أصول الدين وشريعة الاسلام .

فاذا كان العلماء يرهبون الزعماء الدكتاتوريين فعليهم أن يقيموا بينهم روابط الإسلام ، ولهم من الله نصير ، فالمنابر يوم الجمعة لا سلطان عليها لأحد لأنها تركة ورثها العلماء عن سيدنا رسول الله ﷺ . فاذا ما عرف الزعماء

أن يوم الجمعة هو يوم العلماء ، وسوف يعلنونها مدوية ضد أنظمتهم الفاسدة فان هؤلاء الزعماء :

(ا) سوف يقدمون رجلا ويؤخرون عشراً في جرأتهم على ما يخالف الله ورسوله وجماعة المؤمنين .

(ب) وأنهم سيخشون غضبة الشعوب التي تهب خلف العلماء يوم أن يشعر الشعب أن علماءه بحق مخلصون ومتجردون

<u>وواجب التجار :</u> أمره سهل : أن يجعلوا راحتهم يوم الجمعة بدل الأحد .

<u>وواجب الرعية :</u> صعب جداً لأنهم المسئولون عن كل فساد يقوم به الحكام ويلوون أعناقهم ضد نصائح العلماء .

إن مسئولية الرعية هو حجر الزاويه في كل إصلاح ولن يفيد أنهم عامة الناس ، وأنهم يخافون من الحكام ، لأن الإسلام وضح هذه التعلة وحمل الشعب العام مسئولية أتباع الحكام الفاسقين .

وليقرأ الشعب المسلم هذه الحجة في القرآن الكريم :

« إذ تبرأ الذين إتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب ، وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجين من النار » .

(١٦٧/١٦٦ البقرة)

« وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قدحكم بين العباد» . (٤٧ ، ٤٨ غافر)

ذلك واجب المسلمين المعاصرين نحو يوم الجمعة يوم الإسلام والمسلمين ، اليوم الأزهر صاحب الليلة الغراء فمتى يستجيب المسلمون لما يحييهم من الله ورسوله الكريم ؟

ألا هل بلغت ؟ اللهم فأشهد ؟ .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

مدينة نصر

٢٧ شعبان سنة ١٤٠١ هـ — دكتور

٢٩ يونيو سنة ١٩٨١ م — رؤوف شلبي

الفهـــرس

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة

القسم الثاني

تصورات في الثقافة الإسلامية ١٧١ - ٤٦٢

الموضوع	الصفحة

القسم الثالث

مصر العربية للنشر والتوزيع
١٣أ شارع إسلام - حمامات القبة
ص.ب ٥٧٤٠ هليوبوليس غرب